الدكتور/ عائض القرني

ثورة التجديد

obeikandl.com

العبيكان
Obeikan

ⓒ مكتبة العبيكان، ١٤٣٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

القرني، عائض بن عبدالله

ثورة التجديد./ عائض بن عبدالله القرني.- الرياض، ١٤٣٣هـ

٤٧٢ ص؛ ١٦,٥ × ٢٤ سم.

ردمك: ٣-١٨١-٥٠٣-٦٠٣-٩٧٨

١. الشخصية - علم النفس ٢- تنمية القدرات - علم نفس أ. العنوان

ديوي ١٥٥,٢٣٤ ٢٣٩ / ١٤٣٣

الطبعة الأولى

١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م

حقوق الطباعة محفوظة للناشر

الناشر: العبيكان Obeikan للنشر

الرياض - المحمدية - طريق الأمير تركي بن عبدالعزيز الأول

هاتف 4808654 **فاكس** 2543314 67622 **الرمز** 11517

موقعنا على الإنترنت

www.obeikanpublishing.com

متجر العبيكان على أبل

http://itunes.apple.com/sa/app/obeikan-store

التوزيع: مكتبة العبيكان Obeikan

الرياض - العليا - تقاطع طريق الملك فهد مع العروبة

هاتف 4160018 4654424 **فاكس** 4650129

ص. ب 62807 **الرمز** 11595

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو نقله في أي شكل أو واسطة، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك التصوير بالنسخ «فوتوكوبي»، أو التسجيل، أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من الناشر.

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

obeikandi.com

obeikandl.com

مُحتَوَيَاتُ الكِتَابِ

الموضوع	الصفحة

المقدمة ٩
الثورة الكبرى ١٣
التفكير بين الصخب والهدير ١٨
﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ﴾؟ ٢١
شاعر عجز عن مدح الله ٢٣
أكبر كذبة في التاريخ ٢٦
تصحيح العقيدة ٢٨
حقيقة السلفية ٣١
من هو محمد؟ ٣٣
الرسول ﷺ ترك رجالاً ولم يترك أموالاً ٣٦
﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ٣٩
رسول الرحمة والمحبة والسلام ٤٢
إلى القرآن من جديد ٤٤
هل عرفت المعجزة؟ ٤٧
أين عشَّاق البيان؟ ٤٩
القرآن والثورات العربية ٥١
عقوق المثقفين للقرآن ٥٣
النقلة النوعية في حياة العرب ٥٥
بالكتاب والقلم تسود الأمم ٥٨
فتح العقول أعظم من فتح المعاقل ٦١
لن يغيرنا الله حتى نتغير أولاً ٦٤
الصحابة خط أحمر ٦٧
العلم يدعو للتواضع وهضم النفس ٦٩
العرب لا يقرؤون ٧١
بطاقتنا الشخصية ٧٤
تعالوا إلى الكتاب أيها الناس ٧٧
ولا تهنوا ٧٩
المسلمون على درجات في التّدين ٨٢
حضارة الإنسان قبل حضارة المكان ٨٤
يا دعاة الإسلام الزموا الوحي ٨٦
الإسلام والعالمية ٨٨
كفى تشويهاً للإسلام ٩٠
اختطاف المشروع الإسلامي ٩٢
الإسلام السياسي في مأزق ٩٥
نعم للإسلام لا للطوائف والمذاهب ٩٨
الخلافة الإسلامية في غرفة بلندن ١٠١
جربوا الاقتصاد الإسلامي ١٠٣
المحافظة على الهوية الثقافية ١٠٦
السلام عليكم ميثاق شرف ١٠٩
ثقافة التسامح ١١١
مجتمع الرحمة ١١٣
الغلو في الإعجاز العلمي ١١٦
نحن المجاهدون في سبيل الله ١١٨
أمة الإسلام يقتل بعضها بعضًا ١٢٠

obeikandi.com

ليس في الإسلام بابا ١٢٢
ثمن الحرية الحمراء ١٢٥
تحرير الإنسان قبل تحرير الأوطان ١٢٩
لماذا تأخر العرب؟ ١٣٢
العقل العربي في الواجهة ١٣٤
الغرب يجاهد ويحرم علينا الجهاد ١٣٦
المعيشة الضنك ١٣٩
الناجح لا ينتظر الظروف ١٤٢
بناة المجد ١٤٥
لا تعلّق الدّر في أعناق الخنازير ١٤٨
الوحدة العربية المزعومة ١٥١
التمدن عن طريق الكلاب ١٥٣
الشباب صنّاع التغيير ١٥٦
مصر الجديدة ١٥٨
يوم الغُلاة والطغاة ١٦٠
قطف ثورة الشعب ١٦٢
عمر بن الخطاب أيها الحكّام ١٦٤
الشعب العربي العظيم بحاجة إلى نظافة ١٦٧
نصف ساعة للقراءة يا عرب ١٦٩
الزواجات الفاشلة ١٧٣
امتهان شهادة الدكتوراه ١٧٦
نحن قوم أُصبنا بالعين والحسد ١٧٩
لماذا لا تتولى المرأة الحكم في الإسلام؟ ١٨١
إذا كانت النفوس كباراً ١٨٤
صارت الفتوى فوضى ١٨٦
العالم الثالث في غيبوبة ١٨٨
ضبط الفتيا مهمة الحاكم المسلم ١٩٠
قتلتنا الجزئيات ١٩٣
الحوار عندنا لم يُفعَّل ١٩٥
لمن أراد دخول جامعة الحياة ١٩٧
وصفة بمليار دولار ١٩٩
متى يكون النجاح خطيئة؟ ٢٠١
العرب طلّقوا الدنيا فتزوجها الغرب ٢٠٤
الصحيح أننا لا نقاتل إلا من قاتلنا ٢٠٦
مشاهد هزت الضمير العالمي ٢٠٨
الكاتب السبّاب الشّتّام ٢١٠
رعاية الشباب للعقل والجسم ٢١٢
إلى الحوار الوطني: نريد أندية حواريّة ٢١٤
العرب وعقدة المؤامرة ٢١٦
السعوديّون والمشروع الإسلامي ٢١٨
شكراً للمنصفين ٢٢٠
الضحك على الذقون ٢٢٣
خطاب النخبة ٢٢٦
فن الحياة ٢٢٩
القوة العادلة ٢٣٢
صح النوم يا عرب ٢٣٥
اشكر حسّادك..! ٢٣٨
العفو العام ٢٤٠
هل يجوز بيع دم القتيل..؟ ٢٤٣
أنقذونا من سرطان العصبية القبلية ... ٢٤٥
هواة الفتوى يُغرِقون السفينة ٢٤٧
أعوذ بالله من السياسة ٢٥٠
الوصفة السحرية للحياة الزوجية ٢٥٤
الشيخ الشيطان وعلاج المرضى ٢٥٨
لا تقتلوا الطفولة ٢٦١
الإنسان المفترس..!! ٢٦٤

openkandil.com

ضحايا الوهم ٢٦٧
صرخة فتاة ٢٦٩
وجّه الدّربيل إلى نفسك ٢٧١
كن هابيل ولا تكن قابيل ٢٧٤
دعوة لتطبيع العلاقات ٢٧٧
ابتسـم ٢٧٩
ضحايا التقليد الأعمى ٢٨٢
الأرض بتتكلّم أردو ٢٨٤
ودِّع همومك ٢٨٦
اللغة العربية في خطر ٢٨٨
بشِّروا ولا تنفِّروا ٢٩٠
أوقد شمعة ولا تلعن الظلام ٢٩٢
اخلع النظارات السوداء ٢٩٤
نقد التعليم الديني ٢٩٧
أغلقوا محاكم التفتيش ٢٩٩
الفكر العربي بلا هوية ٣٠٢
أيتها العير إنكم لسارقون ٣٠٥
كفّوا عن النياحة ٣٠٨
نحن العرب قساة جفاة ٣١٠
امرأة تنادي، فهل من مجيب؟ ٣١٢
ثقافة الموت ٣١٤
كارثة: (قَبِيلي وخَضِيري) ٣١٦
ما هي حقيقة العيد؟ ٣١٩
الإرهاب الفكري ٣٢١
العمل أو الموت ٣٢٣
مستعدون لحوار الأديان ٣٢٥
من هو الإرهابي؟ ٣٢٨
يا عقلاء السُّنّة والشيعة ٣٣٠
شيوخ الفضائيات ٣٣٢
إنصاف الغرب لا يعني اتباعه ٣٣٤
النفاق الاجتماعي ٣٣٧
الرجل الأسود في البيت الأبيض ٣٤٠
(يوم عرفة) أعظم ديمقراطية ٣٤٢
وداعاً بوش ٣٤٤
التجسس بين الزوجين ٣٤٦
يا أتباع الأديان تعالوا إلى كلمة سواء ٣٤٩
السوط يذل الطالب ٣٥٢
غثاء كغثاء السيل ٣٥٤
يوم عاشوراء يوم شكر لا يوم نياحة ٣٥٦
لماذا انتصرنا؟ لماذا انهزمنا؟ ٣٥٨
العولمة كشفت كل مستور ٣٦١
القاتل المحترف ٣٦٣
أيها العالم شدوا الأحزمة ٣٦٥
الحجة أقوى من الملاكمة ٣٦٨
أئمة الضلالة ٣٧٠
خذوا على أيدي المبذرين ٣٧٢
الصراع الدموي ليس من الدعوة ٣٧٥
أزمة الخطاب ٣٧٧
الطائفيّة تدمّر الأمة ٣٧٩
يوم أهملنا الرياضة ٣٨١
صنم القبيلة ٣٨٣
لا تقتلوا خطبة الجمعة ٣٨٥
غلاء الأسعار ٣٨٧
مع التحية إلى وزير التربية والتعليم ٣٨٩
مع التحية لمعالي رئيس مجلس الشورى. ٣٩١
العرب والغرب ٣٩٤

إنشاء جامعة الحياة الزوجية ٣٩٦
الحضارم وصناعة النجاح ٣٩٨
خطباء وأئمة عذَّبوا الناس ٤٠٠
أنقذوا النساء والأطفال ٤٠٣
المرأة في المزاد العلني ٤٠٥
أهلا وسهلاً بباراك أوباما ٤٠٧
أعداء النجاح ٤٠٩
كُتّاب من الدرجة السياحية ٤١٢
مفاتيح الجنة ليست في جيوبنا ٤١٤
من أراد عفو اللّه فليعفُ عن الناس ٤١٧
شكراً لمن مدَحَنَا ولمن سبَّنَا ٤١٩
بعد الصيام والقيام نام المؤذن والإمام ٤٢١
فن التطنيش لمن أراد أن يعيش ٤٢٣
الفارغون أكثر ضجيجاً ٤٢٥
لا تكن (نصف ونصف) ٤٢٧
الحج خضوع وخشوع لا لعب ولا شغب ٤٢٩
طهروا الصحافة من السخافة ٤٣١
مزّقتنا الطوائف والأحزاب والجماعات ٤٣٤
لماذا يهاجر العرب إلى الغرب؟ ٤٣٧
فن تصعيب دخول الجنة ٤٤٠
احذروا العباءة الفرنسية ٤٤٢
من هو المعاق حقيقة؟ ٤٤٥
لا تهددوا العالم ٤٤٧
مناهج بلا سخف ٤٤٩
وأخيراً شاهدتُ فرعون ٤٥١
عندنا مرض اسمه (ضيق الأفق) ٤٥٣
نشرة الأخبار ٤٥٥
يا فخامة الرئيس ٤٥٨
تجديد الدين ٤٦١
وفي الختام ٤٧١

المُقدِّمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

اكتشفت أن في القرآن ثورة على الشرك، وثورة على الباطل، وثورة على الجهل، وثورة على الكذب، وثورة على التقليد: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾. والمعنى لكان هذا القرآن..... لقد سيرت بهذا القرآن قرون وأجيال من الأبطال والرجال، وقطعت بهذا القرآن أفكار بالية ومعتقدات فاسدة وكلمت بهذا القرآن قلوب، فاستيقظت وخوطبت به أرواح فاستجابت، واكتشفت أن في القرآن تجديداً وتحريراً وتنويراً وتغييراً وتجديداً للنفس والمجتمع والحياة والكون فكنت أعيش بين فكرتين: فكرة الثورة وفكرة التجديد وكتبت في الثورة مذكرة، وفي التجديد مذكرة وكنت أعجب جدًّا من ملحمة الثورة في القرآن في لفظه ومعناه وأنتشي لروعة التجديد في القرآن في سياقه ودلالته، فمرة أريد أن أكتب في الثورة ومرة أرغب في وصف التجديد، ومن أصدقائي من أعجبته لفظة الثورة بإيقاعها وجرسها ودلالتها، فأشار بأن أسطّر بنات الفكر عن الثورة، وآخرون يطربون للفظ التجديد لجمال مبناه وصدق معناه، فكان رأيهم أن أحبّر القول في هذا المضمار، وأستمطر الفكر في هذا المسار، حتى أشار عليّ ابني البار الذكي اللمّاح المحبوب الموهوب عبدالرحمن حمود القرني بعنوان: (ثورة التجديد) فصاح القلب: يا بشرى هذا غلام، فوقع مني هذا العنوان موقع الماء الزلال من ذي الغلّة الصادي وموقع بشرى الفرج من روح المكروب وخبر قدوم المفقود الوافد من قلب الملهوف الوالد، فدعوت الله له دعاء والد محب مشفق، وأنشدت:

غلام حباه الله بالعقل يافعاً
بهيُّ المحيا كالهلال إذا ظهرْ

إذا غاب أشجى القلبَ مني غيابهُ
وتبهج روحي بالسرور إذا حضرْ

فصرت أقلب العنوان (ثورة التجديد) تقليب الصيرفي للدّرة حبًّا وإعجاباً وأخفيه عن العيون ليوم موعود، وأقف أمام صرح جلاله، وهيكل جماله، صامتاً:

وإذا وقفتُ أمامَ حسنِك صامتاً
فالصمتُ في حرمِ الجمالِ جمالُ

ومعيني الذي لا ينضب في ثورة التجديد هو القرآن العظيم الذي هو ظاهرة كونية وإنسانية كما وصفه بذلك مالك بن نبي، وقد قسم بعضهم الكلام إلى ثلاثة أقسام: قرآن ونثر وشعر، فجعل القرآن قسماً آخر ليس بنثر ولا شعر، فهو أرفع من النثر وأجل من الشعر وصدق الله: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ ولقد سافرت مع كلام الناس أدباً وتاريخاً وفلسفة وشعراً شرقاً وغرباً، عرباً وعجماً، فلم أجد ما يروي غليلي ويشفي عليلي، فعدت للقرآن متلهفاً متعطشاً متشوقاً باكياً لأجد فيه ما يعمر الروح رضًى والقلب طمأنينة، وتذكرت أبا العلاء المعري وقد سافر من وطنه معرّة النعمان إلى الكرخ بالعراق وكان أعمى، وقد اشتاق لموطنه فأخبره غلامه أنه أبصر برقاً جهة المعرّة فحن، وبكى، وأنشد:

فيا برقُ ليس الكرخُ داري وإنَّما
رماني إليه الدَّهرُ منذُ ليالِي

فهلْ فيكَ من ماءِ المعرّةِ قطرةٌ
تبلُّ بها ظمآنَ ليسَ بسالِي

ولقد وجدت في القرآن الثورة والتجديد، الثورة على معاقل الجاهلية نسفاً وإبادة، والثورة على حصون الوثنية سحقاً وتدميراً، والثورة على رجس النفوس تزكية وتطهيراً، والثورة على دنس الأفكار تقويماً وتصحيحاً، ثورة في المعتقد والأدب والأخلاق والأعراف والسياسة والفكر بلا شرك ولا انحراف ولا كذب ولا منكر ولا ظلم ولا حرام ولا دنس، وإنما توحيد واستقامة وعدل وطهر وحلال وهدى، ووجدت في القرآن التجديد في النفس والحياة والفرد والمجتمع والدولة والأمة، والتجديد الذي يجمع بين البدن والروح والدنيا والآخرة والعقل والعاطفة والحلال والمتعة، والعبادة والجمال، والذكر والفكر، والإيمان والتضحية والسعادة والكفاح.

وفي كتاب «**ثورة التجديد**» أطلقت نفسي على سجيتها بلا تكلف، أصطاد الفكرة وأعرضها في قالب فصيح واضح بلا تكلف وتشدق مبتعداً عن الإسفاف والابتذال مستحضراً قاموس البيان المهيب وديوان العربية الجليل، ولم أجعله على الأبواب ولا الفصول بل سرّحت الطرف، وأطلقت للقلم العنان، ولكن كل فكرة لها مقالة في مجال الإيمان والعلم، والسياسة والفكر، والإبداع والعمار، والأخلاق والآداب، والحضارة والإنسانية والتمدن والرقي الدنيوي، والإصلاح والبناء، مع النقد الهادف مع بيان الحكم الإسلامي الشوري الرشيد، وتعريّة الباطل وكشف القناع عن وجه الاستبداد والظلم والإشادة بالعدل والحرية والمساواة على نور من الوحي مع الاستفادة من التجارب العالمية والخبرة الإنسانية والنضوج الحضاري لأساطين الحكمة والمعرفة من كل جنس، ولو موظفاً الأدب في خدمة المعنى والدعابة والكتابة الساخرة في جذب النفوس وطرد الملل، وهذا الكتاب عمره عشرون سنة من أوله إلى آخره، فقد كتب بتؤدة وتأمل وتأنٍّ وتفكر، ونُشِر مقالات في جريدة الشرق الأوسط.

دكتور/ عائض القرني

obeikandl.com

الثورة الكبرى

أطالع كلام العلماء والأدباء والفلاسفة في دعوته ﷺ فأشعر بالفخر وتجري في عروقي دماء الحرية، وتتقدح في رأسي نار الشمم والعزة والأنفة وإذا الذي حصل في مكة يوم بعث الرسول ﷺ ثورة عارمة وزلزال هائل وبركان ناسف عاصف قاصف: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾، يقول ابن سينا: ما طرق العالَم ناموسٌ كناموس محمد ﷺ، طالعت كلام علي الطنطاوي وخالد محمد خالد في أول كتاب (رجال حول الرسول ﷺ)، وأبو الحسن الندوي في كتابه (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين)، وإذا الثورة الكبرى التي طبقت الأرض وفُتحت لها السماء وتنزلت من أجلها الملائكة وتهيأت لاستقبال روادها الجنة وقامت محكمة العدل بسببها في الأرض وسقطت الأصنام وسُحقت الوثنية وهُدم إيوان الاستبداد واحترقت وثيقة الظلم.

إنها ثورة غيرت الأفكار وطهرت الضمائر وغسلت النفوس وحررت الشعوب وأنقذت المستضعفين وأشرقت بشمسها الأرض وحيّاها الأخيار ورحب بها الأحرار وناصرها كل أبيّ كريم، إنها الثورة التي نقلت رعاة الغنم إلى قادة أمم وسدنة الأصنام إلى حملة أعلام وأبطال إقدام وأصحاب أقلام، إنها الثورة التي دكت معاقل الظلم ونسفت ثكنات الإلحاد ودمرت جبروت كسرى وألغت أكذوبة قيصر، أذّن بإعلان الثورة بلال على الكعبة، ارتجت المعمورة وانخنست الشياطين وطُهرت الجزيرة وما حولها من الرجس والدنس والخيانة.

ثورة ميثاقها في اللوح المحفوظ وسفيرها جبريل وقائد كتائبها رسول الهدى ﷺ، وجزاء عشاقها الفردوس الأعلى، ثورة حولت الأعراب إلى علماء حكماء وإلى شهداء أولياء، وإلى مجددين مصلحين، وإلى قادة فاتحين وإلى حكام عادلين وخلفاء راشدين وأئمة مهديين، ولو لم تحصل هذه الثورة لعاشوا أصفاراً، وماتوا صغاراً، ودُفنوا أشراراً، ثورة صارت حديث الركبان وقصة السمر وحكاية المجالس وأنشودة

عذبـة علـى كل الشفـاه: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ﴾، تقـوم الثـورات في العـالم لتحريـر الأرض أو تغيير النظام أو الاستيلاء علـى المكاسب أو الفوز بمجد دنيـوي، لكن الثورة المحمديـة جاءت بالوحدانية لله والكرامـة للإنسان والطهارة للأرض والعمل للآخرة والصلاح للبشر والعمار للكون، فهي للبدن والروح والدنيا والآخـرة والغيـب والشهادة والحاكـم والمحكوم والذكر والأنثى، إنهـا ثورة أعادت للدنيـا بهجتها وللأيام جمالها وللحياة طعمها وللعمـر قيمته وللوجود معناه، ثورة كفلـت حق الإنسان ورعاية الحيوان وإنصاف المرأة ونصرة المظلوم وحرية المعتقد والمحافظـة على البيئـة، ثورة أتت بالأمـن الفكري والروحـي والمعيشي، فعصمت الأنفس وصانت الدماء وحفظت الأعراض وأحرزت الأموال.

ثـورة حرمـت السلب والنهب والغـدر والفجـور والانحراف ونشرت بنـود الفضيلة ومعـالم البر وآلات الإخاء ودستـور المحبة وقيم المساواة والرحمـة والسلام والأمن، كل الثـورات بقـي أثرهـا في الذاكـرة أو سطوراً في كتاب أو حكاية في مجلـس سمر، أما هذه الثـورة فهي شغـل العالم وهي القضية الكبرى في الأرض، وهـي حديث الساعة إلى قيام الساعة، الثورات الأرضية ترابية طينية أو قومية عرقية أو طائفية حزبية، أما هذه الثورة فربانية عالمية إسلامية محمدية مقدسة نبوية ورحمة إنسانية، ثورة قادها العرب وحياها الأكراد ورحب بها الأتراك وشارك فيها التركمان واستقبلها الهنود وفرح بها الأحابيش، ثـورة ارتج لها سور الصين العظيم وهوى على دويها حكـم الفرس وانهار بزلزالها كيان هرقل وانهدم بزحفها جدار الجبابرة والقياصرة والأكاسرة، ثورة كبّر أبطالها في مكة، وصلّـوا في القاهـرة، وأذّنوا في دمشـق وخطبوا في صنعاء ودرسـوا في الزيتونة وألّفوا في القـيروان، وأنشـدوا في الحمراء واستشهـدوا في السند، ثورة قام بسببهـا مئات الدول وآلاف الجامعـات وملايـين الكتب، فهي ثورة العلم والتعليم والبنـاء والتعمير، والنهضة والرقـي والتحرير والتنوير، والاختراع والإبداع والعبقرية والنبوغ، لتسقط كل ثورة قبلها وبعدها، ولتعش هذه الثورة ثورة: (لا إله إلا الله محمد رسول ﷺ).

قال الأستاذ الكاتب المعروف (قينان الغامدي) بجريدة الوطن: (*)

إن كنت من قراء (عائض القرني) فتابع مقالي واسمح لي أن أسألك، ولاحظ أنني قلت عائض بدون ألقاب لسببين: أولهما أنك حتمًا عرفت من أقصد، وثانيهما وهو الأهم: أنني أريد أن يعرفه الناس دون ألقاب؛ لأنني عندما أسمع مثلاً اسم: مالك بن نبي، لا أحتاج إلى أن يعطيني أحد سيرته الذاتية، ولا الألقاب التي أسبغت عليه، وهكذا غيره من عظماء المفكرين والمؤلفين في مختلف الفنون. والآن إلى السؤال: من هو عائض القرني؟ سأحاول التوضيح: عندما تستمع للقرني متحدثًا، أو تقرأ له ناثراً مقالاتٍ أو كتباً وما أكثر ما يتحدث وما يكتب، أو تقرأ له نظماً، وما أكثر ما نظم، فبمن يذكرك؟

في النثر هل يذكرك بمحمد محمد حسين، أو سيد قطب، أو مالك بن نبي، أو الرافعي، أو بديع الزمان الهمذاني، أو كانت أو هيجل أو ماركس أو فيلبي أو أبو عبدالرحمن بن عقيل، أو المودودي أو ابن تيمية، أو بعض فقهاء المعتزلة، أو المنفلوطي، أو محمد عابد الجابري، أو فلان أو فلان؟ وفي النظم هل يذكرك بأبي العتاهية، أو صفي الدين الحلي، أو ابن مالك (صاحب الألفية) أو نُظّام المتون، أو عبدالرحمن العشماوي، أو العقاد، أو أحمد عطار، أو من يشابههم من النُّظّام جيدهم ورديئهم؟ عائض القرني حفاظة نسابة مجود للقرآن، جهبذ في الحديث، ضليع في حفظ وتلاوة الشعر، واسع الاطلاع على الفكر والثقافة، القديمة والحديثة شرقاً وغرباً، وهو رجل منبر من الطراز الأول، بل أكاد أقول: لا منازع له، فهو حاضر البديهة، سريع النكتة، خفيف الظل، مليء الجعبة، لا يجد الملل إلى سامعه طريقاً، وهو صاحبُ قلم سيال لا تكاد تجد مطبوعةً إلا وله فيها مقال، ولا مكتبة إلا وله فيها

(*) أ/ قينان الغامدي جريدة الوطن ١٩ / ٠٦ / ٢٠٠١م.

أكثر من كتاب، لكنه عندما يكتب مقاله الأسبوعي في الشرق الأوسط تشعر بأنه منحه من الوقت والجهد والعناية ما لم يمنحه لغيره من كتاباته، ولذلك تشعر هنا بأنك أمام عائض مختلف، ليس في الفكر فقط، بل في الأسلوب واللغة، فهو هنا ذو فكر يتغير ويتجدد ويتطور، وهذه إحدى سمات المفكر المتأمل، ولهذا فهو هنا وفي هذا المقال بالذات يقدم فكر عائض المنتظر بتركيز وعناية شديدين، وهو يقدم عائض الأسلوب، وأسلوبه في الأصل لا شك رفيع، ولغته راقية، ومعجمه ثري، لكنه هنا وفي هذا المقال الأسبوعي يمنح نفسه فرصة للمزيد من الإجادة، واختيار المفردات الدالة، والجمل المسبوكة بعناية، حتى سجعه يجيء رخاءً طبيعيًّا لا كلفة فيه، ولا اعتساف.

كل هذا، ولكن أمام طغيان ما ينشره الشيخ هنا وهناك، وهدير ما يقوله الواعظ على الشاشات والمنابر؛ خبا وضاع عائض المفكر، الذي أخذه صخب الجمهور إلى وادٍ وارف الظلال، كثيف الشجر، خصب التربة، غزير المياه، لكن ليس فيه منتج واحد يؤكل، ولا فسحة هادئة لمُتأمل، ولا مجال لمن يمر فيه أن يحتفظ له بذكرى محددة، سوى أنه وادٍ جميل المنظر، وارف الظلال، يصلح للتنزه والتسلية، أما الإقامة أو الزراعة فلها أماكنها الأخرى، ووديانها التي تقدم ما ينفع الناس.

عندما أقرأ في كتب عائض القرني أو مقالاته المبثوثة هنا وهناك، أو نظمه الذي ينشره بين الحين والآخر؛ فإنه يذكرني بكل تلك الأسماء الكبيرة التي ذكرتها أعلاه وبأكثر منها، فهو كما قلت: قارئ واسع الاطلاع، وأثر الأولين والآخرين عليه واضح، لكنه أثر متناثر، فلديه من بحر كل منهم قطرة، وأحيانا غرفة، فهو يستقي منهم ويضيف إضافات تضيع في الهدير أو الصخب أو الانتشار، لكن في مقاله في الشرق الأوسط لا أجد سوى عائض القرني المفكر، ولا أدري لماذا لا يصبح فكره وأسلوبه هنا هو القاعدة التي ينطلق منها، ويعود إليها، ويجعل كل ما عدا ذلك هوامش يغيبها شيئاً فشيئاً حتى تذوب في سديم

عائض الجديد؟ ولهذا كان سؤالي في بداية المقال: من هو عائض القرني؟ لماذا أكتب عن عائض اليوم؟ لأنني أقدره وأحترمه وأحبه، وأرتاح لفكره وأسلوبه الجديدين، ولأنه على الرغم من شهرته وتاريخه الذي يبدو طويلاً مازال في مقتبل العمر وعز الشباب، ولا أريده أن ينفق ما تبقى وسط الصخب الجماهيري، والهدير المنبري، فالكتاب كثيرون، والوعاظ أكثر، أما المفكرون فندرة، وأما أصحاب المشروعات الكبرى فأقل من القليل. وهذا واضح ومعروف على مر التاريخ، لكنهم على ندرتهم وقلتهم؛ هم الخالدون في وجدانات وضمائر الأمم، وعائض القرني مشروع مفكر، ولبنة صاحب مشروع حضاري خالد، والمعطيات كلها لديه، فقط قليل من التأمل والتدبر، وقبلهما التخلص من أدران الصخب وعوالق الهدير.

التفكير بين الصخب والهدير

أتحفني أخي الكاتب الأديب المثقف قينان الغامدي في المقال: (عائض القرني المفكر بين والصخب والهدير) بصحيفة الوطن، فأما ثناؤه عليّ فمن لطفه وكرمه -غفر الله لي تقصيري- وأما ملاحظته ونصحه فمحل التقدير عندي، فهو يرى أن أتجه إلى الكتابة والتأمل والاهتمام بالفكرة الناضجة أكثر من الانتشار بالخطب والمحاضرات ومخالطة الجمهور وتشتيت الجهد والطاقة، وكلام أبي عبدالله الأستاذ قينان وافق هوى في قلبي، وقد دلّ القرآن على أن التفرغ الذهني والبعد عن التشويش منهج جميل للتفكير، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾، ومعنى الآية: قل يا محمد، لكفار قريش الذين يكذبون برسالتك، ويرون أنه أصابك جنون: إنني أرشدكم إلى طريقة في التفكّر والتّأمل أن تخلوا بأنفسكم كل واحد منكم على حدة، أو كل اثنين على انفراد؛ ليكون أهدى للفكر وأصفى للذهن بعيداً عن العامة والضوضاء ثم تتفكروا في المسألة بتجرد.

وفكرة الإقبال على موهبة واحدة واستفراغ الطاقة في تجويدها هي مما أجمع عليه عقلاء العالم ونبلاؤه حتى قال روبرت جرين في كتاب (كيف تمسك بزمام القوة): «بقرة سمينة ولا سبع عجاف»، وكل نابغي البشرية وفضلاء الإنسانية حبذوا الخلوة بالفكر حتى قال دانتي شاعر إيطاليا: «العزلة مملكة الأفكار»، وقد جمعتُ في كتابي: (**عز العزلة**) غالب أقوال العلماء والحكماء والأدباء في هذه المسألة، حتى إني وجدتُ أن من ترك مشروعاً عملياً خالداً إنما جوّده في اعتزال وخلوة، فالغزالي كتب الإحياء في رحلة طويلة اعتزل فيها الجمهور، فكان هذا الإشراق والنبوغ والألمعية، وابن خلدون كتب المقدمة المذهلة التي هزت

العالم وحيداً منفرداً في قلعة (ألَموت) لمدة خمسة أشهر، والسرخسي الحنفي كتب (المبسوط) الكتاب الشهير وهو معتزل في إقامة جبرية، وفي كتاب: (رحلتي الطويلة إلى الحرية) لنيلسون مانديلا يقول: إنني بعد السجن فقدتُ في الزنزانة متعة التفكير والتأمل وهي نعمة كبرى وكان خير البشر سيد ولد آدم رسول الهدى ﷺ يخلو بغار حراء قبل النبوة الليالي الطويلة وحيداً فريداً يتعبّد، ويتأمّل، ويفكر حتى أكرمه الله بالوحي ولما سأله أحد أصحابه كما في الترمذي: «ما النجاة؟ قال: **كفَّ عليك لسانك وليسعك بيتك وابكِ على خطيئتك**»، ولما وقعت فتنة ابن الأشعث مع الحجاج فرَّ الشعبي العالم الرباني إلى الصحراء، فلما ظفر به الحجاج قال: أين كنت يا شعبي؟ قال: كنتُ حيث يقول الشاعر:

عَوى الذِّئبُ فَاستَأنَستُ بِالذِّئبِ إِذ عَوى
وَصَوَّتَ إِنسانٌ فَكِدتُ أَطيرُ

وفي كتاب (عشّاق الكتب) للفرحان أن الروائي الروسي العالمي (تولستوي) كان يقول: إن متعتي أن أكون في غرفة خالية على سرير، ومعي كتب أُطالعها، ويقول ابن الجوزي في (صيد الخاطر): لا أعلم أعز للعالم ولا أشرف ولا أهنأ ولا أسعد له من عزلته مع كتبه، وهذا يقوله أيضاً أخي العزيز أبو الطيب المتنبي:

(**وخير جليس في الزمان كتابُ**) وفكرة أخي قينان تقبلتها بقبول حسن لأنها وافقت رغبة دفينة قديمة في قلبي، وكما قال ابن أبي ربيعة:

وذو الشَّوقِ القديمِ وإنْ تعزّى
مشوقٌ حين يلقَى العاشِقينا

والنصح إذا أتاك من محب منصف يعترف بالإيجابيات، ويذكر السلبيات فإنك تتقبله بنفس رضيّة، أما غمط الحقيقة عند البعض والتشفي بذكر الأخطاء وإغفال المحاسن وجمع الزلات والفرح بالأخطاء فهذا تطفيف وتزوير، حقه التجاهل والإعراض، وأنا أرحّب بمدرسة الإنصاف والتواصل والحوار التي تتوسط

مدرسة الغلو الديني والإقصاء الفكري والقمع الثقافي، فمرحباً بالفكرة الرائدة التي ينسجها قلم أبي عبد الله وأمثاله وشكراً لمن يقول الحقيقة في قالب من الأدب والذوق والحشمة والرقي، وفي المقابل أقول لكل غالٍ ومتطرف من كل فئة: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾، وأهلاً وسهلاً بالنظرات الجميلة من عيون الأسوياء العقلاء:

وَعَينُ الرِّضا عَن كُلِّ عَيبٍ كَليلَةٌ
وَلَكِنَّ عَينَ السُّخطِ تُبدي المَساوِيا

obeikandl.com

﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ﴾؟

هذا الجزء من آية كريمة يهز الكون، ويصيح في الأحياء يطلب منهم الإجابة بعدما عرض الله آياته الشرعيّة في كتابه المسطور وآياته الكونية في العالم المنظور، وللأستاذ حمد المرزوق كتاب بهذا العنوان: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ﴾؟ أجاد فيه كل الإجادة وأورد أدلة علميّة ونظريّة وكونيّة ونقل عن كبار العلماء والفلاسفة ما شفى وكفى، وسبب تأليفه الكتاب أنه خلا بكتاب الله متدبراً، ففتح عليه بإجابات صادقة عن أسئلة الحائرين، وأنا أدعو كل إنسان أن يطالع كتابين اثنين إلهيين: كتاب الله المفتوح وهو هذا الكون الهائل العظيم، وكتاب الله المشروح وهو القرآن الكريم، وأنا أنصحك إذا أطلقت نظرك أن تعمل فكرك، وتسأل نفسك: منَ الذي خلق وأوجد وأبدع وصّور؟

لقد سافرت من جاكرتا شرقاً إلى لوس أنجلوس غرباً، ومن جبال الكندوش بأفغانستان شمالاً إلى سفوح أثيوبيا جنوباً فوالله لقد شاهدت لوحة هائمة بالحسن من صنع الباري، بحار تتلاطم وأمواج تتصارع وجبال شاهقة كأنها أصابع تسبيح تشير بالوحدانية لله، وصحارى صامتة ممتدة في جوفها أسرار وأخبار بمن مرَّ على ثراها وسهول خضراء تملأ القلب بهجة والنفس رضًى، مكثت في الطائرة قرابة ثماني ساعات في سماء المحيط الهادي في ليلة مقمرة وأنا أنظر من نافذة الطائرة: يا ألله، سكون رهيب مرة أنظر في وجه القمر حسنًا وسناء، ومرة أشاهد وجه المحيط زرقة وبهاء، كون متسع أحياناً تمر الساعات طويلة بالطيران بلا بشر، ومن هم البشر في كون الله الواسع؟ وما قدرتهم أمام قدرة الله الهائلة؟

سبحان من هذا ملكه، ثم تعود لتفتح كتابه المسطور قرآن يُتلى ووحي منزّل على نبي معصوم، فإذا بالقرآن يدلّك على براهين الوحدانية في الأنفس وآفاق في الديار والبحار والقفار والليل والنهار، المهم أن تغسل فؤادك من المعتقدات

الترابيّة الخرافيّة الأرضيّة، وأن تكنس ذاكرتك من الأوهام والأفكار الرخيصة التافهة، وتعمل بتوجيهات القرآن في التفكر والتأمل ليزداد إيمانك، ويعظم يقينك وكبار علماء العالم أذعنوا لحقيقة وجود الله تعالى، والمطلوب توحيده سبحانه بالعبادة على منهج شرع الله، وأطالع كتاب: (الله يتجلّى في عصر العالم) وكتاب: (الطب محراب الإيمان)، وكتاب: (الإنسان لا يقوم وحده)، وكتاب (الإنسان ذلك المجهول) فأعجب من سخف الملاحدة وحمقهم، فهم يركبون رؤوسهم في غباء لينكروا نواميس الكون وبراهين الوحدانية وأدلة قدرة الله تعالى، شاهدنا جبالاً من السحب تحتنا ونحن في الطائرة يسوقها الله بالرياح سوقاً لبلد ميت؛ ليسقيه ثم يخبرك القرآن بهذا المشهد مفصّلاً، رأيت الطير والبهائم والزواحف والأسماك والحشرات كلها تطلب الرزق، وتصارع من أجل البقاء، وقد أرشدها الله إلى طرق عيشها: ﴿ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾، هناك نملة تجاهد وتحمل الحبة إلى بيتها ثم تفقسها؛ لئلّا تنبت ثم تضعها في المخزن، فمن الذي علمها؟

إنه الله العلي القدير، وهناك نحلة ترحل بين الزهور وتطوف على البساتين ترشف أحلى الثمر والطلع؛ لتصبّه عسلاً مصفى في خلية قامت بصنع بناء هندسي وشركة عاملة بتخصصات متعدِّدة، وهناك طائر يبني عشّه بمنقاره ثم يضع فيه بيضه ثم يطعم فراخه؛ حتى يستأنفوا الحياة، فمن الذي أرشد وألهم؟ إنه اللطيف الخبير من الذي رتّب المجرات، ونظّم الكواكب؟ كل شيء بدقة وحكمة: ﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسۡبَحُونَ﴾ الرياح، الأمطار، الثمار، الحرارة، البرودة، الفصول، الليل، النهار، الكل بتقدير ونظام وإتقان، بلا زيادة ولا نقصان، فسبحان الملك الديّان، افتحوا أبصاركم أيها الناس وبصائركم وتأملوا في جمال الصنع وإتقانه ووقته وحسن الخلق ونظامه ولطفه، ثم قولوا: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾.

شاعر عجز عن مدح الله

أعرف شاعراً مشهوراً ما ترك حاكماً، ولا أميراً، ولا وزيراً، ولا تاجراً، ولا شيخ قبيلة، ولا عمدة قرية، ولا حارس عمارة إلا مدحه بقصيدة، وأثنى عليه بمقطوعة، ومدح الناس أحياناً وشكرهم لمقاصد مشروعة أمر لا بأس به، ولكن استغراق العمر وصرف الموهبة في مدح البشر والإعراض عن مدح خالقهم ورازقهم جلّ في علاه أمر محيّر يثير الريبة والدهشة، وقد جمعني بهذا الشاعر لقاء، فقلت: يا فلان، أنت صاحب مدائح، فلماذا لا تمدح ربك تقدّس اسمه الذي له الجمال والجلال والكمال؟ فقال: أنا لا أجد معاني مثلكم يا مشايخ، لمدح الله.

وأقول له وكل الشعراء: ألا تجدون في خلق الله الباهي وفي صنعه البديع وفي نعمه المتتالية ما يحرك شجونكم لمدحه تعالى؟ وما يثير مواهبكم للثناء عليه سبحانه؟ أما في السماء بنجومها اللامعة وشمسها الساطعة ما يوحي لكم بأبيات ثناء؟ أما في القمر المنير، والجدول والغدير، والماء النمير، ما يدعوكم إلى حمد العلي القدير؟ أما في الحدائق الغناء، والبساتين الفيحاء، والرياض الخضراء، ما يناديكم لشكر رب الأرض والسماء؟ أما في الجبال الشاهقة، والهضاب الخاشعة، والسفوح المطمئنة، والصحراء الصامتة، ما يحرك قرائحكم بالإعجاب؟ أما في البحر الهائج، والمحيط المائج، والنهر المتدفق، والبحيرة المائدة، ما يهز ضمائركم لتسبحوا الواحد القهار؟ أما ترون الكون لوحةً هائمةً بالحسن؟ أما تشاهدون الآفاق، وهي ترسل رسائل الإبداع والإتقان بصنع الواحد الديان؟ أما تبصرون أحرف الوحدانية، وأسطر الصمدانية، أمامكم في الإنسان والحيوان والزمان والمكان؟

ما لكم لا تتمتعون بروعة الجمال في النجمة واليرقة والورقة والقطرة والحبة والبذرة والزهرة والشجرة، في إطلالة الصباح، في سكون الليل، في تجلي النهار، في بسمة الفجر، في إقبال الغروب، في إبداع العقل، في طريقة التفكير، في اختلاف

الصور، في تباين المعارف، في أنواع المشاهد والألوان والأحجام والأشكال، في زهرة الطفولة، وميعة الشباب، وجلال الشيخوخة، في مشهد النسل والتكاثر، والموت والفناء، يا شعراء، تسخِّرون العمر كله في مدح إنسان، يدركه الوهم والنسيان، ولا تمدحون الرحمن، الذي خلق الإنسان وأبدع الأكوان؟ تثنون على عبد فقير حقير يأكل الطعام وينام وتعصف به الأحلام وتلعب به الأوهام، ولا تثنون على الملك العلّام الفعّال لما يريد ذو العرش المجيد، والبطش الشديد؟

ما لكم تمدحون المخلوق وتنسون الخالق، وتشكرون الناقص الفاني الضعيف العاجز المحتاج، ولا تشكرون الكامل الباقي القوي القادر الغني، تبجّلون العبد البخيل الشحيح، ولا تبجّلون الوالي الجواد السخي لا إله إلا هو، أيها الشعراء، كل عطاء وصلكم من مخلوق فإن أصله من الخالق وكل معروف أو جميل قد حصلتم عليه من عبد فإنما أصله من ملك الملوك، أفلا تمدحونه؟! أفلا تشكرونه؟! أفلا تسبحونه؟! من الذي يولي ويعزل، ويملّك وينزع؟ وينصّب ويخلع، ويهدي ويضل؟ ويغني ويفقر؟ ويضع ويرفع؟ ويقدّم ويؤخر؟ ويعز ويذل؟ ويحيي ويميت؟ إلا اللّه وحده:

فليتك تحلو والحياةُ مريرةٌ
وليتك ترضى والأنامُ غِضابُ

وليت الذي بيني وبينك عامرٌ
وبيني وبينَ العالمينَ خرابُ

إذا صحَّ منك الودُّ فالكلُّ هيِّنٌ
وكلُّ الذي فوقَ الترابِ ترابُ

آسف أن كثيراً من شعرائنا وغالب أدبائنا مشغولون بمدح العبيد الفقراء الحقراء الناقصين العاجزين الأموات، ثم لا يمدحون ذا الجبروت والملكوت تقدّس عن الأضداد، والأنداد، والصاحبة والأولاد، تهيم أيها الشاعر، في الثناء على إنسان مثلك مركّب من الطين، مخلوق من التراب، مردود إلى الثرى، محكوم

عليـه بالفنــاء، وتغفل عـن الثناء على ذي العـزة والجلال الذي جمّـل الشمس في ضحاهـا، ورفَـعَ السماء وسوّاها، وبسـط الأرض ودحاها، وأنـزل المياه وأجراها، وأوجـد الخليقة وأغناهـا، وأضحك البشريـة وأبكاها، وخلـق الإنسانية وأفناها، إذا مدحته تعالى أعـزك، وإذا شكرته زادك، وإذا عبدته أثابك، وإذا استنصرته نصـرك، وإذا استغفرته غفر لـك، هو الذي يملك العزة والقـوة والسعادة والملك والغنـى والمغفرة، والرحمة اطلبها منه وحـده، أما ما سواه من الخليقة فهم مثلك مخلوقـون عاجـزون فقراء ميتون، فهـل ميت يطلب من ميـت؟! وهل عاجز يمدح عاجـزاً؟! وهـل فقير يثني على فقير؟! وهـل مقصّر يقدّس مقصـراً؟! والله غني عـن مدحي ومدحك، وعـن عبادتي وعبادتك، وعن شكـري وشكرك، ولكننا نحن الفقـراء إلى فضله، ورزقه ورحمته ومغفرته: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾.

أكبر كذبة في التاريخ

أشكر الفيلسوف الإسلامي الكبير الشيخ أبو عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري في ردوده القوية الساحقة الماحقة على الملاحدة، وبالخصوص في كتابه (لن تلحد) ولـو كان هناك عدل عالمي وإنصـاف إنساني لمُنح هـذا الموسوعي الألمعي جائزة نوبـل، والمقصود أنه تهكَّم بالملاحدة، وسخر منهم، وشاركه في ذلك نوابغ العالم، فالعقـاد في كتابه (مذاهب ذوي العاهات) خلص إلى أن الملاحدة معاقون عقليًّا وأنهم حمقى خالفوا المنطق والعقل والبرهان، وفي سيرة إينشتاين صاحب النظرية النسبية يقول: إن من ينظر في الكون يعلم أن مبدعه وخالقه حكيم لا يلعب بالنرد، وقد سخر الكاتب المصري الشهير أحمد حسن الزّيات في مجلة الرسالة من ناطق باسـم مركبة الفضاء الروسية كتب في صحيفة البرافدا أن روّاد المركبة لم يجدوا الله سبحانـه علـى عرشه، فكتب الزّيات مقالـة منها: لكنهـا الشيوعية أرض بلا سمـاء، ويوم بلا غـد، وعمل بلا خاتمة، وسعي بلا نهاية، إنها خرافة لكنها تافهة، ولعنة لكنها ماحقة، وكذبة لكنها كبرى.

وفي مذكرات الرئيس جورج بوش الأب (سيرة إلى الأمام) ذكر أنه زار موسكو؛ لحضـور جنازة رئيس الاتحاد السوفيتي الأسبـق برجنيف، قال: فوجدت الجنازة مظلمـة لا نـور عليها؛ لأنهـم لا يؤمنون بـالله ولأن بوش نصـراني وهم ملاحدة، وللفيلسوف الكبير الروسي سخروف مذكرة أثبت فيها وجود الله سبحانه وبسببها نفـاه الحـزب الشيوعي إلى صحـراء سيبيريا، وفي كتاب ابن عطـاء الله يقول في القصص العالمي: إن أستاذ الرياضـة في مدرسة ابتدائية بطاشقند سأل الطالب أحمـد عـن الله أين هو؟ فقال الطالـب: الله في السماء، قـال الأستاذ: هل رأيته؟ قـال الطالب: مـا رأيته، ولكن عرفته بمخلوقاته وآياته، وليـس كل شيء يا أستاذ، لم نَرَه معناه العدم، فأنت تؤمن بالعقل وما رأيت العقل فغضب على الطالب، وقال لطالـب آخر: وأنت تؤمـن بوجود الله؟ قال الطالب: نعم، قـال الأستاذ وما دليلك

علـى وجوده؟ قال: يا أستاذ، لو رأينـا بيتاً مشيداً ألا يدل على أن له بانيًا بناه؟ ولو رأينا لوحة جميلة ألا تدل على أن لها رسّاماً مبدعاً؟ كذلك هذا الكون العظيم يدل على أن له خالقًا عظيمًا.

وقـد نقل ابن تيمية إجماع عقلاء العالم من كل الملل والنحل على وجود الخالق سبحانه، وما أنكر ذلك في الظاهر إلا فرعون مع أنه مقر في نفسه بوجود الله، حتى قـال له موسـى: ﴿لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ بَصَآئِرَ﴾. إن الإلحاد أكبر كذبة في التاريخ، وإن الملاحدة معاقون فكريًّا وحمقى عقليًّا ومرضى نفسيًّا، ولا إله إلا الله أصدق كلمة عرفها الدهر.

ولقـد قال المأمون لأحد الزنادقة: أنت تيـس وأتيس منك من يصدقك، وقال شمس الواعظين الشيرازي في القصص العالمي: والله إن حماري الأشهب الأجرب أذكـى من بندريـوف رئيس الحزب الشيوعي في طاشقنـد، وقال ابن معارف على لسان حمار توما الملحد:

قـالُ حـمـارُ الحـكـيـمِ تـومـا:
لـو أنـصـفَ الـدَّهـرُ كـنـتُ أركـبْ

فـإنَّـنِـي جـاهـلٌ بـسـيـطٌ
وصـاحِـبِـي جـاهـلٌ مـركَّـبْ

والرسـل الكـرام عليهم السـلام لم يأتوا فقـط بإثبات وجود الله، بـل بُعِثوا بتوحيده جل في علاه وألا يُعبد بحق سواه.

تصحيح العقيدة

ينبغي علينا نحن المسلمين أن نقوم قومة صادقة علماء ودعاة ومربين وأساتذة لتصحيح عقيدة المسلمين وتنقيتها مما علق بها من الشرك والبدع والخرافات، وهذا أول ما دعت إليه الرسل عليهم السلام، وهذا أوجب الواجبات وأصل الأصول وهو توحيد رب العالمين -جل في علاه-: توحيد الربوبية والألوهية والأسماء والصفات، كما أتى به الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح بلا انحراف ولا تحريف للكَلِم عن مواضعه ولا تبديل ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل، بل نلزم المحجة الأولى التي كان عليها رسولنا ﷺ وآل بيته وأصحابه رضي الله عنهم لا نزيد ولا ننقص، ولا نقترح من عندنا، ولا نزيد من لدنا، ولا نضيف على الدِّين ما ليس فيه، يقول تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾. وقال ﷺ: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**»، وفي العالم الإسلامي مخالفات عقديّة كبرى يشيب لها رأس الوليد، ويندى لها الجبين من قبور يُتبرك بها، ويُطلب عندها الحاجات جُعِلت مزارات يُطاف عندها، ويُناح عليها، وهذا من عمل المشركين، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٦٥ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾، وقال ﷺ: «**اللهم، لا تجعل قبري وثناً يُعبد**» وقوله ﷺ: «**اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»، وعند مسلم أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «أمرني رسول الله ﷺ ألا أدع قبراً مشرفاً إلا سويته، ولا صورة إلا طمستها».

أيها المسلمون: عودوا إلى توحيد ربكم سبحانه وتصحيح عقيدتكم والفرار من الشرك والبدع والخرافات التي أوقع البعض فيها أئمة الضلالة ودعاة البدع والتقليد الأعمى والجهل المطبق، ففي العالم الإسلامي قبور توضع عندها النذور،

ويذهب المريض إليها لطلب الشفاء والعقيم لطلب الذرية والمكروب لكشف كربته وهذه لا يقدر عليها إلا الله كما قال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾، وقال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾، وفي العالم الإسلامي أماكن يذبح عندها لغير الله وكهنة ومشعوذون وسحرة وأفّاكون يُذهب إليهم وقت الملمات والأزمات، وقد صح عنه ﷺ أنه قال: «**من أتى كاهناً أو عرافاً فصدّقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد**»، وقال: «**من أتى عرّافاً أو كاهناً لم تقبل منه صلاة أربعين يوماً**».

فيا أيها المسلمون، حذارِ حذارِ من الشرك؛ فإنه أعظم الذنوب وأكبر الخطايا ولا يُقبل لمشرك عمل ولا يُغفر له ذنب كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾، ونحن لا ندعو الناس لمذهب أحدٍ من البشر كائناً من كان، وإنما ندعو إلى اتباع الكتاب والسنة في العقيدة والعبادة والأخلاق والآداب وفي كل شأن من شؤون الحياة وليس في الأمة معصوم إلا الرسول ﷺ وما منّا إلا راد ومردود عليه إلا رسول الهدى ﷺ، فقوله حجة على الناس أجمعين ولا حجة لغيره إلا إذا كانت حجته من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، والواجب علينا أن ننهض نهضة قوية؛ لتدارك عقيدة المسلمين، فإنها في كثير من الأقطار في وضع مأساوي، وقد سافرنا ورأينا ما يقض مضاجع المؤمنين، وما يذيب قلوبهم من أناس سُمّوا بالأولياء وهم دجاجلة كذّابون أفّاكون مزورون يفسدون عقائد الناس ويأكلون أموالهم بالباطل كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، فأين علماء الأمة ودعاتها وقضاتها وأساتذتها ومربوها ومفكروها ومثقفوها الذين تشاغل

الكثير منهم بفروع المسائل، وأغرقوا في الجزئيات، ووقعوا في الجدل العقيم والخلاف المشؤوم والتنازع المذموم وتركوا عامة المسلمين في ليلة ظلماء، وداهية دهياء، يخبطون خبط عشواء، حتى فسدت عقيدتهم، وانطمست أنوار التوحيد في قلوبهم، فالله الله في الرحمة بهم، ولا يكون ذلك إلا بدعوتهم إلى التوحيد الذي هو حق الله على العبيد كما كان عليه القرن الأول من الأئمة والعلماء والمصلحين: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾.

obeikandl.com

حقيقة السلفية

السلفية هي المنهج الذي كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه والتابعون وتابعو التابعين ومن تبعهم بإحسان قولاً واعتقاداً وعملاً، فكل من اتبعهم ووافقهم في هذا المنهج القويم والصراط المستقيم فهو سلفي، ومن أئمة السلفية بعد الصحابة سعيد بن المسيب والحسن البصري والزهري ومالك وأبو حنيفة والشافعي والثوري والأوزاعي وأحمد ابن حنبل ومن وافقهم من الأئمة الأعلام، ومنهج السلفية منهج متكامل في العقائد والعبادات والأخلاق والآداب والسلوك، ولهم قواعد منضبطة في كل باب من أبواب الشريعة؛ فهم مثلاً في باب الأسماء والصفات يقرون بما أتى عن الله ورسوله ﷺ، ويصفون الله تعالى بما وصف به نفسه ووصفه رسوله ﷺ من غير تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه ولا تعطيل، وقد خالفهم في هذه المسألة طوائف على نسبة في البعد والقرب كالأشاعرة، والمعتزلة، والجهمية المعطّلة.

وهم في باب الجهاد يدعون للجهاد في سبيل الله تحت راية إسلامية وولاية شرعية لمقصد شرعي، ولتكون كلمة الله هي العليا مع تحقق المصالح وانتفاء المفاسد، وهم مثلاً يعتقدون بمكانة أهل البيت وتوقيرهم واحترامهم وحبهم لقرابتهم من رسول الله ﷺ، ولكنهم لا يرون أحداً منهم معصوماً غير الرسول ﷺ، بل هم في الإيمان كسائر الصحابة؛ منهم السابق بالخيرات والمقتصد والظالم لنفسه، والسلفيون يوقّرون أصحاب الرسول ﷺ، ويعرفون قدرهم ومحاسنهم، ويذبون عنهم، ولا يخوضون فيما شجر بينهم، بل يقولون: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾، ولا يجوز أن يُجزّأ ويُقسّم المنهج السلفي، فيقال: السلفية الجهادية مثلاً؛ لأن السلفية منهج متكامل في الإيمان والعبادة والسياسة الشرعية والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن أحسن مَنْ

تكلم في منهجهم بتأصيل، وأسهب فيه بتفصيل شيخ الإسلام ابن تيمية، وكان في المتأخرين على منهج السلف الإمام محمد بن عبدالوهاب وكثير من العلماء ممن حافظ على منهج السلف، وبقدر موافقة المسلم لهذا المنهج قولاً واعتقاداً وعملاً يكون سنيّاً سلفيّاً، وبقدر بعده يكون فيه شيء من المخالفة لمنهج السلف قلّ أو كثر، يقول رسولنا ﷺ في الحديث الصحيح: «**عليكم بسنّتي وسنّة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**». وقال ﷺ: «**مَنْ عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**». وكانت القرون الأولى المفضّلة هي قرون الخيرية وظهور الدّين وانتصار الملة وسيادة الشريعة، كما قال ﷺ في الصحيح: «**خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**»، وقد توافق بعض الطوائف والأفراد السلفَ في باب من الأبواب، فلا يقال لهم: سلفيون، وإنما يقال: وافقوا السلف في هذا الباب.

والسلفيون متفقون على أصول الملة، وقد يختلفون في الفروع، فلا يخرجهم هذا من السلفية، كما وقع الخلاف في الفروع بين الأحناف والمالكية والشافعية والحنابلة، مع أنّ جمهور أئمتهم وعلمائهم سلفيون.

من هو محمد؟

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾، ونبي ختم الله به الأنبياء، وإنسان شرّف الله به الإنسانية، وبشر أكرم الله به البشرية، لو تمثّل العدل في كيان لتمثّل في كيانه، ولو صُوّر الطُّهر في روح لكانت روحه، ولو رُسِمت الفضيلة في ذات لكانت ذاته، هو بشر بأبي هو وأمي يأكل الطعام، ويمشي في الأسواق، لكن نور النبوة بين جنبيه، وسراج الرسالة يجري بين يديه، وتاج العصمة على رأسه، كلامه صدق، وفعله حق، ومنهجه قويم، وصراطه مستقيم، وخُلقه عظيم، وجنابه كريم، يدور الحق معه حيثما دار، وتسير البركة معه حيثما سار، يسبقه القبول إذا توجّه، وتنزل معه الرحمة إذا نزل، ويقيم معه الجود إذا أقام، ويرتحل معه البشر إذا ارتحل، هو اليُسر كله، فدينه يسر، وكتابه يسر، وسُنّته يسر، وأمره ونهيه يسر؛ لأنه ميسّر لليسرى، تقرأ سير العظماء، فإذا قرأت سيرته صاروا صغاراً، وتطالع أخبار المصلحين والمجددين، فإذا طالعت أخباره تحولوا إلى تلاميذ، تعجب بالعباقرة والروّاد فإذا عشت مع سُنّته رأيتهم طلاباً صغاراً في مدرسته.

أثنى عليه الأعداء قبل الأصدقاء، ومدحه البعيد قبل القريب، تسابق في طاعته أبو بكر القرشي وبلال الحبشي وسلمان الفارسي وصهيب الرومي، تذكر اسمه عند الأتراك فتفيض عيونهم بالدمع، تورد أحاديثه عند الأكراد، فتجيش أرواحهم بالشوق، تقص ملحمته على الفرس، فتسافر أرواحهم حبًّا إليه، له في كل مكان أتباع، وفي كل بلد أنصار، وفي كل قُطْرٍ محبون، يدوّي اسمه في الأذان في المنائر، ويُذكر على المنابر، ويدرّس في الدفاتر، يصيح المؤذّن في مكة والمدينة والقاهرة وصنعاء ودمشق وبغداد والحمراء والسند وجاكرتا وباريس وواشنطن، بقوة: (أشهد أن محمداً رسول الله) كل يوم خمس مرات يُذكر إذا ذُكر الله عز وجل، يتلو كتاب الله، يدعو إلى الله، يعبد الله، يجاهد في سبيل الله، ينصر شريعة

الله، يعيش لله، ويذهب إلى الله، فهو من الله، وإلى الله، وبالله، وعلى الله، وفي الله، يدعو بسيرته أكثر من كلامه، وبخُلُقه أكثر من خُطَبه، وبلينه ورفقه أكثر من شدّته وبطشه، فتح الدنيا لأمته بكنوزها ودورها وقصورها، ثم ذهب إلى ربه ودرعه مرهونة في ثلاثين صاعاً من شعير عند يهودي، لم يترك داراً ولا قصراً ولا بستاناً ولا مالاً، أسر قلوب الناس برحمته، وألّف بين قلوبهم بلطفه، وآخى بينهم بحكمته، ورفع الجهل عنهم بعلمه، ووضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم بيسره.

بُعث ﷺ بالحنيفيّة السمحة، وبالدّين الخالص، وبالسُّنّة المطهّرة، وبالفطرة الصحيحة، وبالملّة الوسط، أتى بدين ودولة، وقلم وسيف، ومحراب ومنبر، أتى لصلاح الروح والبدن، والدنيا والآخرة، والرّجل والمرأة، كل صحابي من صحابته يروي حُبّه على طريقته، وكل مَنْ عاشره يصف شعوره بفيض دموعه، وكل مَنْ لقيه شهد بعظمته سواءً وافقه أو خالفه، لم تُحفظ له زلّة، ولم تُنقل عنه كذبة، ولم تعرف له عثرة، ولم تُسجّل له غلطة، عصم الله قلبه، وزكّى فؤاده، وطهّر روحه، وحفظ سمعه وبصره، ومدح نهجه، وأثنى على خُلُقه، وأشاد بإمامته، فهو سبحانه الذي اصطفاه للعالمين رسولاً، وللأميين معلماً، وللناس قدوة، وللجميع أسوة، كلما طالعت أخباره بإيمان وحب آثرته بالمحبة والتقدير والإعزاز على أمك وأبيك، الملايين يودون رؤيته ولو خسروا الأهل والمال، الألوف المؤلّفة يفدونه بأرواحهم، عاش بين أصحابه، فأخرج منهم الخليفة الراشد، والإمام العادل، والعالم الرباني، والمفسِّر البحر، والمفتي الجهبذ والخطيب المصقع، والقائد المقدام، والزاهد الورع، كل صحابي أخذ من عظمته جانباً واحداً، فصاروا عظماء التاريخ ونجوم الدهر، كما قال البوصيري:

فكُلُّهُم مِن رسولِ اللهِ مُلتَمِسٌ

غَرْفًا مِنَ البحرِ أو رَشفاً مِنَ الدِّيَمِ

سوف تطالـع قبله وبعده، غير الأنبياء والرسـل، أخبار فاتحين وقادة وملوك وأجواد وفلاسفة وحكماء وعلماء وعباقرة، لكنك إذا طالعت سيرته فسوف تنساهم جميعـاً، جلس ﷺ مع السادة والمـوالي والأغنياء والفقراء والرَّجل والمرأة والعربي والعجمـي والعدو، والصديق، فقاموا وقد أسرهم وطوّق أعناقهم بكرمه وتواضعه وبشـره وإقباله، عاش حياته ﷺ فرعى الغنم، ثم قاد الأمم، عاش الفقر والغنى، والصحـة والمرض، والنصر والهزيمة، والسلم والحـرب، والحضر والسفر، فكان في جميعهـا عبداً لله وحده، مخبتـاً طائعاً، منيباً صادقاً، منصفـاً عادلاً، وصدق الله: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾. وتبارك القائل: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴾.

obeikandl.com

الرسول ﷺ ترك رجالاً ولم يترك أموالاً

مات الرسول ﷺ بعدما أنزل الله عليه آخر آية من القرآن نزولاً: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾. وقد تمت الشريعة، وكملت الملة وربى ﷺ رجالاً هم أئمة الأمة إلى قيام الساعة، منهم الخلفاء الراشدون والأئمة المهديون ونجوم الفقهاء وشيوخ التفسير وأبطال الجهاد وأعلام الزهد، وهؤلاء الصحابة الذين علّمهم ﷺ وربّاهم هم أساتذة الفتوح وقادة المجد الإسلامي وقدوة الأجيال اللاحقة عبر القرون في تاريخ الإسلام الطويل، ويوم مات الرسول ﷺ كانت درعه مرهونة عند يهودي في ثلاثين صاعاً من شعير، ولم يترك درهماً ولا ديناراً ولم يرث منه بناته وقرابته شيئاً، لأنه القائل: «**نحن معاشر الأنبياء لا نُورث ما تركناه صدقة**».

ومات في غرفة من طين كانت قبره ﷺ فلم يترك داراً ولا قصراً ولا بستاناً ولا كنزاً ذهب من الدنيا كما أتى تماماً لكنه ترك منهجاً ربانيًّا وعقيدة عظيمة وسنة مطهّرة ودولةً إسلامية وجيلاً مؤمناً ورسالةً ربانيّة محمديّة لا يدفنها الدهر ولا تمحوها الريح، ولا يغسلها الماء ولا تغفلها الأيام.

ربى أبا بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ آية في الصدق والإيمان والتضحية، وعلّم عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أستاذ العدل وإمام الحزم وفاروق الإسلام، وأخرج عثمان بن عفان الرباني حامل القرآن السخي الجواد، ودرّب علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الإمام المرتضى والسيف المنتضى بحر العلوم ورجل المواقف، وابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ترجمان القرآن وحبر الأمة، وأُبيّ بن كعب سيد القراء، ومعاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قائد العلماء إلى الجنة، وأبا ذر الغفاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أصدق من مشى على الغبراء وسعد بن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي اهتز له عرش الرحمن وخالد بن الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سيف الله المسلول الذي ما هُزم في معركة قط، وغيرهم الألوف ممن حملوا مشاعل النور وكانت صدورهم مصاحف في الصدق

والصبر والصلاح، ولهذا السبب كانت حضارة الإسلام هي الأبقى والأتقى والأنقى على طول الزمان؛ لأنها تركت أفكاراً ومُثُلاً عليا وأخلاقاً راقية وشمائل طاهرة وصفات زكيّة وتعاليم ربانيّة بينما الحضارات الأخرى قامت على الاستيلاء وحقوق البدن وإشباع الرغبات والنزوات، لقد ترك كسرى وقيصر هياكل وقصوراً ودوراً وبساتين بلا أخلاق ولا عدل ولا صدق، فاجتاحتها جيوش الإسلام الفاتحة، وترك الفراعنة أهراماً وجسوراً وصوراً وتماثيل لكن بلا علم نافع ولا عمل صالح ولا إنصاف ولا مساواة، فدخل الإسلام بنوره وعدله، فبقي الإسلام وذهبت الآثار الأرضية الترابية، والإسلام يهتم بالبناء والتعمير، ولكنه يبدأ بعمار الروح وبناء النفوس وتثقيف العقول وتزكية القلوب وتطهير الضمائر، وبعدها يبني حضارة الإنسان ويهتم بمسكنه ومطعمه وملبسه وصناعته وفلاحته.

كان الرسول ﷺ يسكن غرفة صغيرة من طين ولكن من هذه الغرفة أرسل نور الهداية للعالم وأطلق شمس العدل في المعمورة وبث ضياء الإيمان في الكون، في هذه الغرفة نزل جبريل بالذكر الحكيم والمنهج القويم على النبي الكريم، في هذه الغرفة بُنيت معالم الدولة الإسلامية العادلة الرشيدة، وقُضي على الظلم والاستبداد والجهل والأميّة، لما بُعث الرسول ﷺ كان الناس في حاجة إلى بيوت مشيّدة وطرق معبّدة ومزارع خصبة ومعامل للخياطة والنساجة والحدادة، ولكنه ﷺ بدأ بالإنسان أولاً واستثمر فيه، ووجّه نوره وتعاليمه إلى قلب هذا الإنسان لأن الإنسان؛ إذا صلح واستنار قلبه وتثقف عقله وارتفعت همته فسوف يقوم ببناء الحياة وإصلاح الدنيا على أكمل وجه، وماذا ينفع مصنع ومعمل وشركة وملعب وميدان وحديقة يعيش فيها فجرة أشقياء، ومردة أغبياء، وظلمة أدعياء، إنهم سوف يخرّبون العمار، ويفسدون الديار، ويهدِّمون الأمصار، لكن يوم تُصلح الفرد وتُربي الجيل وتهدي البشر إلى الإيمان والعدل والرحمة والحرية والسلام تترك أمةً تبني الحضارة بجدارة وتعمر الدنيا بذكاء، ولهذا لما ترك الرسول ﷺ للعالم هذا الرعيل الأول لم تمضِ عشرات السنوات إلا وبحضارة الإسلام تشرق

بنورها على أوروبا، وتبزغ بشمسها على سهول الهند والسند، وتفتح بقوافل العلماء والفقهاء والمصلحين أدغال إفريقيا وفيافي طاشقند وسمرقند ونهاوند، ولو أتت أمة قاهرة فحطمت كل عمارة أو بناء إسلامي لما استطاعت أن تمحو حضارة الإسلام وثقافته، وما تركه في النفوس والعقول من الإيمان والعلم والمعرفة، قال تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾. قال شوقي يمدح حضارة الإسلام:

كانوا ملوكاً سريرُ الشّرقِ قبلتهم
فهل سألتَ سريرَ الغربِ ما كانوا؟

عالينَ كالشمسِ في علياءِ دولتهم
في كلِّ أرضٍ لهم حُكمٌ وديوانُ

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

من منكم يقرأ أخلاقه ﷺ، ثم لا يهتز كيانه وتسيل دموعه، ويذوب قلبه شوقاً؟ من منكم يملك عواطفه أمام نبله وكرمه وشهامته وتواضعه ﷺ؟ من ذا الذي يطالع سيرته الجميلة وصفاته الجليلة وأخلاقه النبيلة، ثم لا ينفجر باكياً، ويصرخ: أشهد أنك رسول الله؟ ليتنا نعامل أصدقاءنا كما عامل رسولنا ﷺ أعداءه: «**إن الله أمرني أن أصل من قطعني، وأن أعطي من حرمني، وأن أعفو عمن ظلمني**»، ليتنا نعامل المسلمين كما عامل رسولنا ﷺ المنافقين فقد صح عنه أنه كان يعفو عنهم ويستغفر لهم ويَكِلُ سرائرهم إلى الله، ليتنا نعامل أبناءنا كما عامل رسولنا ﷺ الخدم والعمال، فقد كان له ﷺ غلام يهودي يخدمه فمرض الغلام فعاده ﷺ وجلس عند رأسه وسأل عن حاله ثم دعاه إلى الإسلام فأسلم الغلام فقال رسول الله ﷺ وهو مستبشر مسرور: «**الحمد لله الذي أنقذه بي من النار**».

وقام رجل من اليهود يتقاضى الرسول ﷺ ديْناً في المسجد أمام الناس، فرفع اليهودي صوته على الرسول ﷺ وألحَّ بصخب وغضب والرسول ﷺ يتبسّم ويترفَّق به، فلما طال الموقف صرخ اليهودي قائلاً: أشهد أنك رسول الله.

لأننا نقرأ في التوراة عنك أنك كلما أُغضبت ازددت حلماً، آذاه قومه، طردوه، شتموه، أخرجوه، حاربوه، ما تركوا فعلاً قبيحاً إلا واجهوه به، فلما انتصر وفتح مكة قام فيهم خطيباً وأعلن العفو العام على رؤوس الأشهاد والتاريخ يكتب والدهر يشهد: (**عفا الله عنكم اذهبوا فأنتم الطلقاء**) طرده أهل الطائف ورموه بالحجارة وأدموا عقِبيه بأبي هو وأمي ﷺ فأخذ يمسح الدم، ويقول: «**اللهم، اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**»، يوقفه الأعرابي في الطريق فيقف معه طويلاً، ولا ينصرف حتى ينصرف الأعرابي، تسأله العجوز، فيقف معها مجيباً مترفّقاً بارًّا حنوناً، تأخذ الجارية بيده ﷺ فينطلق معها حتى توقفه على مشهدٍ أثَّر في نفسها، يحافظ

obeikandl.com

على كرامة الإنسان واحترام الإنسان وحقوق الإنسان، فلا يسب ولا يشتم ولا يلعن ولا يجرّح ولا يشهّر وإذا أراد أن ينبّه على خطأ قال: **ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا؟** ويقول: «**ليس المؤمن بالطّعان ولا اللعّان ولا الفاحش البذيء**» ويقول: «**إن أحبكم إليّ وأقربكم مني مجالسَ يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً**»، يخصف نعله، يخيط ثوبه، يكنس بيته، يحلب شاته، يؤْثِر أصحابه بالطعام، يكره التّزلّف والمديح والتّملّق، يحنو على المسكين، يقف مع المظلوم، يزور الأرملة، يعود المريض، يشيّع الجنازة، يمسح رأس اليتيم، يشفق على المرأة، يقري الضيف، يُطعم الجائع، يمازح الأطفال، يرحم الحيوان، قال له أصحابه: ألا تقتل الشرير الفاجر رأس المنافقين عبدالله بن أُبي بن سلول؟ فيقول: «**لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه**».

أقرأُ سير العظماء والفاتحين والمجددين والمصلحين والعباقرة، فإذا قرأتُ سيرته ﷺ فكأنني لا أعرف أحداً غيره، ولا أعترف بأحد سواه، يصغرون في عيني، يتلاشون من فؤادي، ينتهون من ذاكرتي، يغيبون عن مخيّلتي:

تعاودُني ذكراك في كلِّ لحظة
ويُورِقُ فكري فيكَ حينَ أفكّرُ

وأصرخُ والآهاتُ يأكلُها الأسى:
زمانُك بستانٌ وروضُك أخضرُ

أحبُّك لا تفسيرَ عندي لصبوتي
أفسّرُ ماذا؟ والهوى لا يُفسّرُ

بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لن تغيب عنّا، أنت في قلوبنا، أنت في أرواحنا، أنت في ضمائرنا، أنت في أسماعنا وأبصارنا، أنت في كل قطرة من دمائنا، أنت في كل ذرة من أجسامنا، أنت تعيش في جوانحنا بسنّتك وهديك ومُثُلك العليا وأخلاقك السامية، فديناك بالأنفس، فديناك بالأبناء والأهل جميعاً، أرواحنا لروحك الفداء، أعراضنا لعرضك الوقاء:

أتســـألُ عِــنْ أعــمــارِنــا؟ أنــتَ عمرُنا
وأنـــــتَ لـنـا الـتـاريـخ أنـــتَ المـحــرِرُ

تــذوبُ رمــوزُ الـنـاسِ مهما تعاظمُوا
وفي كــلِّ يــومٍ أنـــتَ في الـقـلـبِ تكبرُ

صلـى الله وسلم عليك، كلما ذكـرك الذاكرون، وصلى الله وسلم عليك، كلما غفل عن ذكرك الغافلون.

opeikandl.com

رسول الرحمة والمحبة والسلام

الصلاة والسلام، على رسول الرحمة والمحبة والسلام، إن قوماً أحبوك لمأجورون، وإن أناساً عشقوا سيرتك لمشكورون، وإن بشراً هاموا بتعاليمك لمعذورون، آمل من كل محب للحقيقة، عاشق للإنصاف أن يطالع بتجرد سيرة النبي المعصوم محمد بن عبدالله ﷺ، كلما طالعتُ سيرته ﷺ بتمعن وتأمل ظهرت لي حقيقتان: الأولى أن النجاة والنجاح والسعادة باتباعه وحده ﷺ. الثانية أن كثيراً منا ظلم سنّته وسيرته حين فهمها فهماً مشوّهاً، وقدّمها للآخرين بصورة مغلوطة، أقرأُ في صحيح السنة أنه ﷺ يمسك بخطام الجمل، ويضع قدمه على ركبة الجمل؛ لتركب إحدى زوجاته، وهو يهيئ لها الركوب، فمَنْ منّا يفعل ذلك مع أهله؟

وفي صحيح السنة أنه ﷺ في بيت عائشة تهدي إحدى زوجاته له طعاماً في جفنة، فتغار عائشة وتضرب الجفنة فتكسرها ويتناثر الطعام، فيأخذ ﷺ في صمت وهدوء وحكمة وسكينة جفنة من بيت عائشة ويضع فيها طعاماً ويردها مع الجارية إلى بيت زوجته الأخرى، ويقول: «**طعام بطعام وجفنة بجفنة**». أقرأ في صحيح السنة أن أعرابيًّا قدم من البادية فأمسك ببرد الرسول ﷺ وجذبه بعنف وغلظة حتى احمر عنقه ﷺ وأثّر البرد في عنقه، ثم صاح الأعرابي بجفاء وغضب في وجه الرسول ﷺ وهو يقول: أعطني من مال الله الذي عندك لا من مال أبيك ولا من مال أمك. فيضحك ﷺ في سماحة وعفو وحلم ويأمر له بعطاء. أقرأ في صحيح السنة أن امرأة توقفه ﷺ في إحدى طرق المدينة في الشمس، فيقف لها حتى تنهي حديثها، وتأخذه جارية بيده ﷺ فيذهب معها حتى تريه عناقاً ميتة في إحدى سكك المدينة، ويبول أعرابي في المسجد فيريد الصحابة ضربه، فيمنعهم ﷺ ويتحبب للأعرابي ويتعطف عليه حتى يتعلم السنة والأدب.

اجتمع عليه ﷺ الأعراب في حنين يريدون العطاء، ويجرون بكسائه ويتعلق كساؤه بشجرة فيوزع عليهم الغنائم، ولا يبقي لنفسه درهماً ولا ديناراً. يبالغ

أعـداؤه في أذيتـه، يخرجونـه من ديـاره، يسبونـه، يشتمونه، يحاربونـه، يشجون رأسـه، يكسرون ثنيتـه، يدمون عقبيه يقتّلون أصحابه، ثـم ينتصر، فيقول: «**عفا الله عنكم، اذهبوا فأنتم الطلقاء**». يترجم أخلاقه بقوله: «**إن الله أمرني أن أصل مـن قطعنـي، وأن أعفو عمـن ظلمني، وأن أعطي من حرمنـي**»، يحمل الأطفال، يداعبهـم، يضاحكهـم، يمازحهـم، يحمل أمامـة بنت زينب ابنته علـى كتفه وهو يصلـي بالنـاس، يصافحه الإنسان، فلا ينـزع ﷺ يـده من يد من يصافحه حتى يـترك المصافح يده، يتبسم في وجوه النـاس، يختار في حديثه أرق وأجمل وأحسن وأحلـى العبـارات، يدفع بالتي هـي أحسن، يكظـم الغيظ، يعفو عـن الزلة، يوقر الكبـير، يرحم الصغير، يتحنن على المسكين، ينصر المظلوم، يرعى حق الصحبة، يباشـر ﷺ الخدمة بنفسه، فيخصف نعلـه، ويرقع ثوبه، ويصلح بيته، ويعين أهله في المنـزل، ويساعد أصحابه في العمل، يركب الحمـار، ويمشي حافياً، وينام على التراب، ويربط الحجر على بطنه من الجوع، ويأكل مع المساكين، ويزور الضعفاء، ويعود المرضى، ثم يستحق بجدارة قول الله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾.

كنت أقرأ مع أحد زملائي وأصدقائي فصولاً من سيرته ﷺ، ثم رفعت رأسي أطلب من صديقي التعليق على ما سمع، وإذا بدموعه تتحدر على خده، ويقول لي: يكفي يكفي.

إن أجمـل تعليـق وأحسـن شـرح على سيرتـه ﷺ أن ترسـل دموعك الحارة الصادقـة شوقاً لصحبته، وغرامـاً بسيرته، وترسلها مرة ثانيـة بكاء على واقعنا المؤسـف ونحن غلاظ شـداد، لا نصبر ولا نتحمل ولا نعفو، ولا نسامح إلا من رحم ربك، هل من عودة صادقة لسيرته ﷺ؟

إلى القرآن من جديد

طالب حجة الإسلام الإمام الغزالي في (إحياء علوم الدين) والمفكر الجزائري الكبير مالك بن نبي في كتابه (الظاهرة القرآنية) بقراءة جديدة للقرآن يقرؤها الإنسان بعقلية متدبرة منفتحة خالية من أي تصور سابق عن القرآن، فهو ليس كلام بشر وليس على طريقة كتب البشر، فلا هو كتاب تاريخ ولا جغرافيا ولا فلسفة ولا رواية ولا شعر، ولكنه كتاب عظيم: ﴿لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾، ومما يُشكر لطه حسين أنه قسم الكلام ثلاثة أقسام: قرآناً وشعراً ونثراً، فجعل القرآن قسماً مستقلاً ليس بشعر ولا بنثر، وعليك إذا قرأت القرآن أن تستحضر مشهد من هو الذي تكلم بالقرآن جلا في علاه؟ فهو ملك الملوك الواحد القهار، وأن تستحضر من هو المخاطب بالقرآن؟ وهو هذا الإنسان العبد المذنب الناقص الفقير المحتاج، وأن تستحضر إعجاز القرآن في نظمه وأسلوبه وعرضه ومعانيه ودلالاته وأسراره وأن تتلقاه بنفس مؤمنة تصدق أنه من عند الله، لا بنفس خبيثة جاحدة مكذبة؛ لأنه سوف يزيدها عمى كما قال تعالى عن أعدائه: ﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾.

أما المؤمنون فيزدادون به إيماناً ويخشعون ويبكون أو يتباكون ويركبون في سلم العبودية ويتدرجون في معارج الإيمان والعلم ويتطهرون به من أدران الجاهلية وأوضار الوثنية ويغتسلون بنهره العذب من الأخلاق الدنيئة والسلوك الفاسد والصفات الذميمة ويستضيئون بنوره في طرق الحياة وسبل العيش وأبواب المعرفة والرقي والتمدن، والقرآن هو كتاب الثورة العالمية الكبرى التي أطلقها رسول الله ﷺ من مكة لتحرير الإنسان من عبوديته للإنسان أو للأوثان إلى عبودية الرحمن، وهو كتاب تنوير وتحرير وتغيير وتجديد للنفس والحياة والمجتمع والدولة والأمة، تعالوا أيها المؤمنون، نقرأ القرآن من جديد بتدبر وخشوع؛ علَّ الله أن يرحمنا بهذا الكتاب المجيد وينقذنا به من الكفر والدنس والهم والغم والحزن والقلق، وعجبي لا ينتهي

من فروخ المذاهب الأرضية الذين حاربوا الإسلام وعارضوا رسالته وأعرضوا عن كتابه العظيم، القرآن، ثم تجدهم عبيداً أرقاء لكلام الملاحدة وأطروحات الفلاسفة وروايات الزنادقة فما جزاؤهم إلا الخزي والعار، وفي الآخرة العذاب والنار، كيف يقدّمون كلام إنسان ناقص واهم ينسى ويغفل وينام ويأكل الطعام ويمرض ويموت على كلام الواحد الديّان الحي القيوم الذي يُطعِم ولا يُطعَم ولا تأخذه سنة ولا نوم ولا يموت جل في علاه.

ثم إن القرآن معجزة في ذاته سواءاً في لفظه أو في معناه بشهادة أساطين البيان ورواد الفصاحة ورموز العربية، والقرآن وحده هو الذي هزم العرب العرباء أهل سوق عكاظ في الفصاحة وأرباب النوادي في البيان، فأقروا لعظمة القرآن مذعنين، وعادوا لأنفسهم منكسرين، وسجلوا بحق القرآن شهادات من المديح والإعجاب، وأنا المقصر العاجز منذ أربعين سنة أقرأ في الأدب والتاريخ والرواية والقصة والفلسفة والله الذي لا إله إلا هو ما أروى غليلي ولا أشفى عليلي إلا القرآن، ووجدت من هو أذكى مني وأكثر علماً ونبوغاً يدلي بهذه الشهادة كابن جرير الطبري والجرجاني والراغب الأصفهاني والرافعي والبشير الإبراهيمي وعبدالحميد بن باديس والشعراوي والطنطاوي وغيرهم.

إنني أقترح أن نبدأ يوميًّا في عالمنا الإسلامي بقراءة حزب أو أكثر من القرآن نتدبره ونعمل به ونصلح به نفوسنا وحياتنا ومجتمعنا، وسوف تجد أيها القارئ الكريم، من كتاب الله المتعة الروحية والرضى النفسي واللذة العقلية؛ لأن فيه البراهين والحجج الساطعة وفيه القصة الموحية والمثل الصادق والحوار النافع المفيد والأحكام الصالحة لكل زمان ومكان، هيا نعود جميعاً عودة صادقة إلى كتاب ربنا بعد أن اختطف المشروع الاستعماري الصليبي التغريبي كثيراً من شبابنا، فصاروا أرقاء للثقافة الغربية وعبيداً للفلسفة اليونانية ونظروا إلى القرآن على أنه كتاب طقوس دينية وتراث قديم وفيه روحانيات تصلح للشيوخ العجائز:

﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾، وإنني من جريدة الشروق الجزائرية الرائدة أطلق صرخة: (إلى القرآن من جديد) أنادي فيها الجميع بلا استثناء أن نبدأ من أول المصحف بقراءة جديدة لكتاب الله بقلوب حاضرة ونفوس مطمئنة مستعدة للعمل، وصدقوني فإنكم سوف تجدون ما لا يدور بالخيال ولا يخطر بالبال من الطمأنينة ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾، ومن السعادة ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾.

أخي المسلم أختي المسلمة، كيف يمر بكم يوم كامل وما عطرتم أنفاسه ولا طيبتم دقائقه بتلاوة عطرة بآيات من كتاب الله كلنا مسؤول أمام الله، العالم، الرئيس، الأمير، الوزير، الشاعر، الكاتب، المهندس، الفلاح، كلنا مخاطبون بهذا الذكر العظيم، وكلنا خدّام للرسالة الخالدة التي بُعث بها سيد ولد آدم محمد بن عبد الله بأبي هو وأمي ﷺ، وأبشركم وأنا قد طفت ما يقارب أربعين دولة إسلامية أنني قد وجدتُ جيلاً صاعدًا مؤمنًا يبدأ يومه بالقرآن ويختمه بالقرآن فانشرح صدري وارتفع رأسي وكنت أردد الآية الكريمة آية الأمل والكفاح والنهضة والثورة والعزة والتفاؤل، وهي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾.

هل عرفت المعجزة؟

لكل أمة معجزة، ومصدر فخـر، وقاموس شرف، ومعجزتنا وفخرنا وشرفنا القـرآن؛ لولا القـرآن لمسخت الديانـة، وذهبت اللغـة، وانطمسـت الهوية، وفسد البرهان، وسقطت الحجة.

القـرآن حياة أمة، وميـلاد حضارة، وناموس مجد، وسجـل مكرمات، وديوان فضائل، مسكين الذي لا يقرأ القرآن ولو قرأ كتب الدنيا، وصغير من لم يتدبر القرآن ولـو تدبر كل نتاج البشـر، في القرآن خشوع القانت، ورقـة الزاهد، وعظمة القائد، وإقدام المناضل، وعزة الشهيد، وجمال الحق وجلال الفضيلة، في القرآن بنود الحكم وأسـس الدولة العادلة وبطاقة الشورى وميثاق السلام وأبهة الملك، في القرآن معالم الإيمـان، وحب الوطن، وطهـر السياسة وهيكل الاقتصـاد، ومجالس المعرفة، وعِبَر التاريـخ، وأسّر الطبيعة، وقصة الزمن، في القرآن تحيات زاكيات طيّبات مباركات، فهـو يحيي العـالم التقي، والحاكم العادل، والعامل المثابـر، والجواد المنفق، والغني الشاكر، والفقير الصابر، والمبتلى المحتسب، والمناضل المقدام، والعاقل الحصيف، والخلوق المتواضع، والمطلع المتدبّر، والمرأة العفيفة المؤمنة الشريفة.

في القرآن هجوم أدبي كاسح على أساطين الإلحاد، ومردة الشرك وشياطين الوثنية ورموز الظلم، وعملاء البغي والاستبداد، والإقطاعيين والأفاكين والمرتشين والمرابين، وفيه نسف وإبادة لمعاقل الزور، وملاعب الجاهلية، وأوكار الجريمة، ودور اللهـو والعبث، وفي القرآن تنديد شديد، ووعيـد أكيد على هواة البذخ والإسراف، وعشاق المظاهر الزائفة، والاستعراضات الخادعة، والدعاوى الكاذبة، وفي القرآن صيحـة غضب على صنّاع العدوان، وأتباع الشيطـان، وهواة الدجل والبهتان، فهو يهاجم -بـلا هوادة- الطغاة والبغـاة والغلاة، ويسخر مـن المتجبّرين والمتكبرين والعاطلـين الفاشلين، والغافلين المعرضين، والقسـاة الجاهلين، في القرآن فحص

دقيق وكشف عميق لأسرار النفس وخبايا الضمير وخفايا الصدور ومكنون النيات، وفيـه تعرية لبخـل الغني، وجحود المعترض، وغطرسة المستبـد، وتيه الأحمق المتعالي، وجرأة الفاجر ولؤم العاق، وسموم الشرير، وأقنعة المنافق.

في القـرآن الحديث الراقي عن أخبار الأمم وتاريخ الشعوب وحكاية الدول وأنباء القـرون، والقرآن يحدثك عن قوافل التجـارة، وسفن البحّارة، وكتائب الجنود، وحياة الباديـة، وقصـة الحضارة، كأنك تسمع في القرآن بكاء العبـاد، ودعاء الزهّاد، وسمر الملوك، وأصوات الرعاة، وخطب الوعّاظ، ورسائل الأدباء، ومباحثات الساسة، وأهوال الحروب، وفنون السلام والمعاهدات الدولية والوثائق التاريخية، في القرآن رواية مذهلة عـن الشمس، ومذكرة موحية عن القمر ومحاضرات عن النجوم والكواكب، وحصص عن الفلـك والكائنات، وفيه زمجرة الرعد ولمعان الـبرق وزحف السحب وروعة الغيث المدرار، والوصف المعبّر المدهش عن الحدائق الغناء ذات البهجة، والبساتين الفيحاء الهائمة في الحسن، في القرآن ريشة الرسّام، وقلم الحكيم، وعرش السلطان، وسجّادة المنيب، ومنبر الخطيب، وحلقة المفتي، وورشة العامل الجاد، وإلهام العبقري.

القرآن كفاح وتضحية، ونضـال واستبسال، وصدق ووضوح وإخلاص وتفانٍ، وسباق ومنافسة، وهمة وإقـدام، وإتقان وجودة، وصبر واحتساب، وعدل وخشية، وعلـم وعمـل، وروح وجسد، وغيـب وشهادة، ودنيـا وآخـرة، وراعٍ ورعيّة، ومظهر ومخبر، وحياة وموت.

في القرآن حرية الرأي، وفضيلة الإقناع، وذم الإكراه، ومقت السيطرة، والدعوة للمصالحة الاجتماعية، والأخوة الإنسانية، وبناء صروح المعرفة، والإشادة بالعقل، ومـدح العفو، والزجر عن الانتقام الطائش والتهـور الممقوت، والاختلاف المنبوذ، إنـه وثيقة ربانية من المعاني السامية والأهداف النبيلة والأفكار العظيمة والتعاليم الراشـدة، والوصايا الحكيمة، والعظات البليغة، والدليل الهادي، والبرهان النيّر، فتبًّا لمن أعرض عن القرآن.

أين عشّاق البيان؟

كيف يتذوق جماليات البيان في القرآن العظيم من صار عقله كالفول السوداني المدمّس بسبب التخمة والسهر على: افتح يا سمم، وقراءة الغثيان الفكري والسّفه المعرفي والأدب الرخيص للمراهقين عقليًّا، تدبر القرآن يحتاج إلى عقول عظيمة وضمائر حية؛ لأنه كلام عظيم باهر يأخذ بالألباب، ويذهل العقول، حتى قال عنه الجن: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ هذا وهم جن، إن من معالم عظمة القرآن بيانه الخلّاب الجذّاب وأسره ودمغه للخصوم وسموه وجلاله وأخذه بمجامع النفس واستيلاؤه على منافذ الروح، وكم قرأ روّاد البيان وأساطين الأدب من رواية وقصيدة ومقامة وملحمة وإلياذة، ثم قرؤوا القرآن، فأعلنوا كلهم الانبهار والإذعان والتسليم لهذا الفيض الرباني والجلال البياني واسألوا الجاحظ وعبدالقاهر الجرجاني والراغب الأصبهاني والزمخشري وغيرهم، بل إن كفار قريش وقفوا حائرين أمام قواصف وعواصف وقذائف القرآن، ولا بد أن نلتمس لجيلنا الحاضر العذر في هذه الغيبوبة والغفلة عن مواضع الجمال في كتاب الله والمشغول بشد الجنز، وركوب البنز، وجمع الكنز، كيف يتفرّغ لتسريح النظر في حدائق القرآن ذات البهجة، ومتى يتلذّذ بمشاهدة خمائل القرآن الزاهية؟

وإذا أردت أن تعرف المستوى الثقافي الهابط للعرب فانظر لركاب الطائرة والحافلة تجد الغالب لا يقرؤون ومن يقرأ يطالع أخبار العقار وأسعار الأسمنت ومتابعة الموضة، فهل وجدت فيهم من يشاركك المتعة الذهنية والعشق البياني لهذا القرآن العظيم، هل تظن أنك سوف تطالع في حياتك أبهى وأبهر وأبهج وأسمى من هذا الكلام الباهر المفحم المعجز؟ كيف نريد السمو الحضاري والرقي المعرفي وبعض مثقفينا يتبجّح بطلاسم من الأدب الرمزي؛ ليظهر تفوقه الثقافي وينظر إلى القرآن على أنه كتاب ديني تراثي قديم، والله لا أشعر بتهافت كلام الناس ورخص أقوال البشر إلا حينما أتغنى بآيات محكمات، أو أسمع لقارئ جميل الصوت ليزلزل

أعمــاق النفس بهذا الذكر الحكيم، ثم طالعت كلاماً لرموز الإصلاح والعلم، فإذا هم مبهورون بهذا الكلام الآسر الأخّاذ وقد كتبوا شهاداتهم كما فعل جمال الدين الأفغاني ومحمد عبــده ومحمد إقبال وعبدالحميد بن باديس والطاهر بن عاشور وابــن سعــدي والبشير الإبراهيمي وغيرهــم، كلهم أعلنوا وقوفهــم خاشعين أمام روعة وجلال وسلطان القرآن.

لقد سمع الوليد بن المغيرة أحد أساطين الكفر أول سورة «فصّلت» فاندهش، وانبهــر، وقال: إن له حلاوة وعليه طلاوة وإن أعلاه مورق وأسفله مغدق، وأنه يعلو ولا يُعلى عليه، وهذه شهادة عدو، فكيف بالصديق المحب؟

وأنــا أطالب القراء أن يتفضّلوا علينا بخمس دقائق من وقتهم؛ ليقرأ أحدهم في خشــوع وترنم وتغنٍّ سورة الجن ثم يخبرنا بمشاعــره وماذا وجد؟ أما الذين لا يبهرهــم جمــال الحرف، ولا يتذوقون حلاوة الإبــداع، ولا يحسون بأسر البيان ولا بسحر الفصاحة فيكفيهم التجوال في سوق الخضراوات، كما قال البحتري:

عَـلَـيَّ نَـحـتُ الـقَـوافي مِـن مَـعادِنِها

وَمــا عَـلَـيَّ إذا لم تَـفـهَـمِ الـبَـقَـرُ

القرآن والثورات العربية

لا يشفي غليلي، ولا يروي عليلي في باب البيان والتأثير إلا الجملة القرآنية الآسرة الجزلة المشرقة، وقد عرفتُ سر انهزام العرب العرباء الفصحاء أمام إعجاز القرآن ونصاعة بيانه وبراعة فصاحته، حتى استسلموا وأذعنوا جميعاً، والدمغة القرآنية لها صفة خاصة من حيث الجرس والوقع والتأثير، حتى قال تعالى: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾، وقد أشارت بعض الصحف المحلية إلى ظاهرة الاستشهاد بالآيات القرآنية في الثورات العربية عبر الفضائيات، لكنها مرت على هذا الخبر مروراً عابراً، وكنت أتابع الاستشهاد القرآني في الفضائيات فيملأ قلبي يقيناً ويعمر نفسي إبداعاً وجمالاً، ويسافر خيالي مع هذا الحسن الذي يأخذ بالألباب، كان المذيع يعلق على مشهد خروج الرئيس المصري بطائرته من القصر، فيقول: ﴿ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً ﴾ وينتهي نهاية الرئيس التونسي، ثم يقول: ﴿ أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴾ ويتصل دبلوماسي ليبي منشق عن نظام القذافي ويقول للقذافي مستشهداً بالآية: ﴿ وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾.

ويأتي تقرير بصوت مذيع فخم العبارة مشرق الديباجة عن النظام السوري، فيتحدث عن منذر الأسد، ويقول مشيراً لآية سورة يوسف: ﴿ إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ ﴾، ويتعرض الرئيس اليمني لمحاولة اغتيال وينجو بصعوبة، فيقول المذيع: ﴿ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ ﴾، وعلى ذكر اليمن فإنني أحفظ استشهادات قرآنية من اليمن في هذا الباب، منها أن أحد الطلاب في جامعة يمنية قال لأستاذه: ما بالنا يا أستاذ، ونحن في جزيرة العرب جيران مع السعودية وحالهم الاقتصادي كما ترى وحالنا كما ترى؟ فقال الأستاذ:

لأن صاحبهم يقصد إبراهيم عليه السلام قال في أرضهم: ﴿فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾ وصاحبنا في سبأ قال: ﴿رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَ وَمَزَّقۡنَٰهُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾.

وفي كتب الأدب أن رجلاً من قريش قال ليمني: ما فعلت عجوزكم التي حكمتكم؟ يقصد بلقيس، قال: عجوزنا أسلمت مع سليمان لله رب العالمين، وعجوزكم حمّالة الحطب دخلت النار مع أبي لهب، وكان في اليمن أحد الأعيان الوجهاء مشهور بأكل الربا والكذب، فدعا بعض الناس لمأدبته وفيهم شاعر، ثم جلس في رأس المأدبة يحدثهم بخرافات وأباطيل ثم التفت إلى الشاعر، فقال: كيف حالكم يا فلان؟ فقال: حالنا كما قال الله تعالى: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِ﴾، وسمع داعية كان يسكن أوروبا أن نظام حافظ الأسد بدأ بحوار مع العلماء والدعاة فاغتر ورجع إلى سوريا، فلما وصل المطار وجد الاستجواب فعاد بعدها بحيلة إلى أوروبا فسأله زملاؤه: كيف وجدت سوريا؟ قال: وجدتها ﴿مُلِئَتۡ حَرَسٗا شَدِيدٗا وَشُهُبٗا﴾، وكان الرئيس التونسي بن علي يمنع المحاضرات والدروس والندوات الإسلامية فلما جاء البث المباشر التلفزيوني أخذت الشاشة تصب في غرفة نومه محاضرات ودروس العلماء والدعاة، فقال أحد مفكري تونس: ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنۡيَٰنَهُم مِّنَ ٱلۡقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّقۡفُ مِن فَوۡقِهِمۡ﴾.

وقد سافرت في رحلة ماتعة مع الراغب الأصبهاني والجرجاني والزمخشري والجاحظ والشعراوي والطنطاوي وهم يضعون أصبعي على إبداعات وجواهر وأسرار القرآن، فأصبحت أي مقولة أو قصيدة لا يهش لها قلبي ولا تجنح معها نفسي بقدر ما تمتلئ روحي من بلاغة القرآن وعظمته وأسره، وقد حلّق الرافعي في كتابه: (تحت راية القرآن) عن سر خلود وروعة وإبداع القرآن بفيض من البراعة الأدبية التي لا يستطيعها غيره.

عقوق المثقفين للقرآن

طالعتُ نتاج غالب المثقفين العرب، فوجدت الكثير منهم مولعًا بثقافة غير المسلمين تهوله الأسماء الغربيّة، ويكاد ينخلع قلبه إذا ذُكر شكسبير وفولتير أو برنارد شو، وديكارت وكانط وغوته وغيرهم وأصبح يرى أن من التميّز على الأقران والظرف والكياسة البعد عن مصطلحات الدين وعدم الاستشهاد بكلام رب العالمين، لئلا يوصف بالرجعية والتخلف والجمود والتقليد والتأخر وعدم التطور والمعاصرة، وهذا لعمري نهاية السقوط ومنتهى الرذالة، وغاية النذالة، وقل لي بربك: من أضل ممن هجر الحق المنزّل من الله على نبيه ومصطفاه محمد بن عبدالله ﷺ النبي المعصوم واتبع الصادّين عن منهج الله المعرضين عن الصراط المستقيم أعداء الأنبياء وخصوم الرسل صرعى الشبهات وعبّاد الوهم؟

حتى إنني رأيت بعض كتّاب صحفنا وهم شباب كتاكيت صاروا يفرون من ذكر الآية والحديث أو الاستشهاد برمز إسلامي أو الاقتراب من الديانة، فتجد أحدهم لغبائه وحمقه يتحدث عن رواية إسبانية وكاتب برازيلي وشاعرة فنزويلية وقصده الإغراب والتعالم والظهور بمظهر المثقف التنويري العصري، وهو لا يملك مقومات الكاتب فلا أسلوب جذّاب ولا مخزون معرفي ولا تميز علمي، فهو كالعنز الجرباء العجفاء لا لحم يسرّ، ولا لبن يدرّ، بل هم كما ورد في الحديث: (لحم جمل غثٍّ على رأس جبل وعر، لا سهل فيُرتقى، ولا سمين فينتقى) حتى بلغ من هزالهم وضحالة أفكارهم وسوء طويتهم أن هجروا القرآن، وأصبح عندهم القرآن كتاباً قديماً تراثيًّا للعامة من الناس وهم أهل رقي وتمدن، فعاقبهم الله بأن أذلّهم، فصاروا يقرؤون لحثالة البشر ويعجبون بخيالات وروايات أصنام وأزلام وأقزام ما سجدوا لله سجدة، وما سبّحوا لله تسبيحه وصاروا يذكرون الشريعة باستحياء، ويغمزون ويلمزون ويهمزون الديانة وأصحابها فهم يريدون الإسلام شعائر وطقوسًا تعبدية شخصية خاصة لا دخل لها في الحياة، فما جزاء من يفعل هذا

الفعل إلا المقت من اللّه والسقوط الشنيع في قاع الإهمال والإغفال، وسوف يكنسون من ذاكرة المجد كما كُنس عبدالله بن أبي بن سلول وابن سبأ وسوف يشطبون من ديوان الشرف وسجل الفضيلة جزاء عقوقهم لكتاب اللّه وهدي رسوله ﷺ وإني أنظر إلى كتابات رموز كبار مثقفي الإسلام في هذا العصر كإقبال والندوي وباكثير والرافعي والطنطاوي ومالك والزبيري وغيرهم ممن اعتز بالإسلام، وتشرف بالإيمان، فأجد الفخر يملأ جوانحي والحماسة تقدح في رأسي والشمم يملأ قلبي والرضى يعمر روحي، فنحن كما قال عمر بن الخطاب: نحن قوم أعزنا اللّه بالإسلام فمهما ابتغينا العزة في غيره أذلنا اللّه.

آمل من كل مثقف يحترم نفسه أن يعتز بدينه، ويفخر بعقيدته، ولا يخجل من التمسك برسالته، وينظر إلى الكتّاب اليهود والشيوعيين والهندوس والبوذيين كيف يتبجحون بمبادئهم المنسوخة بالإسلام، وكيف ينافحون عن عقائدهم وهي على شفا جرف هار، قال عمر: أعوذ باللّه من قوة الفاجر وضعف الثّقة، وفي الحديث: «**إن أخوف ما أخاف على أمتي كل منافق عليم اللسان**».

النقلة النوعية في حياة العرب

هـي لحظة تاريخية مفصلية في حياة العرب، انتقلوا فيها بالتحديد من رعاة غنـم إلى قادة أمم، من قبائـل متناحرة وعصابات متقاتلة تقطع الطريق وتسفك الدم وتسلب القوافل وتنهب الأموال وتسجد للصنم وتأكل الميتة وتقطع الرحم إلى أمـة واحدة موحدة لله تستقبل القبلـة، تسجد للواحد القهار، تفتح الدنيا بالعدل، تقدّس القيـم، تحـترم الفضيلة، تبنـي صروح المعرفـة، هذه اللحظـة التاريخية هـي لحظة نـزول: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ ، من عنـد الله على رسول الله ﷺ بواسطـة روح القدس جبريل عليه السلام في غـار حراء، في هذه اللحظة حصلت النقلة النوعية للعرب، فانتقلوا مباشرة من أعراب أجلاف قتلة متخلفين مشركين إلى جيـل مؤمـن مجاهد يحمـل مشاعل النور للعـالم وبشائر الرحمـة للمعمورة، فينطلقـون بلا إله إلا الله شهداء عليها وشهداء على الأمم، ويزكيهم ربهم بقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾، فعزتنـا وكرامتنـا بدأت من غار حراء مـع كلمة: ﴿ٱقْرَأْ﴾ في ذاك اللقـاء التاريخـي بين محمد ﷺ وجبريـل عليه السلام ولم يحصل في العالم حدث مثله لا قبله ولا بعده.

ومـن تلـك الليلة بـدأ يُكتـب تاريخنا المشـرق، والعرب لم يغيرهـم حدث في تاريخهـم الطويل مثلما غيرتهم ليلـة نزول ﴿ٱقْرَأْ﴾ فلم تغيرهم أسواقهم الأدبية في عـكاظ والمجنة والمجاز وغيرها من الأسواق ولم تغيرهـم المعلقات السبع لكبار الشعـراء، ولم تغيرهم الحروب التـي وقعت في جاهليتهم كحـرب ذي قار وحرب الفجار وأيام العرب الأخرى، وإنما تغيروا مباشرة بهذا الوحي المقدس المنزّل من عند الله على النبي الأمي ﷺ، من يصدق أن أعراباً بجزيرة العرب كانوا يسجدون للحجارة ويطوفون بالشجر، ويعتقدون بالكواكب ويعلقون التمائم، وفجأة وإذا هم

على ظهور السفن مكبرين مهللين يفتحون الأمصار والأقطار، من يصدق أن أناساً من الجهلة الوثنيين ينتقلون فجأة إلى خلفاء ببغداد ودمشق والقاهرة والحمراء والزهراء ويخرج منهم العالم المجتهد والخطيب المفوّه والطبيب الحاذق والمهندس الماهر والحكيم الملهم والعابد الصادق والداعية المجاهد؟

هل سيتم ذلك لو لم تحدث الرسالة المحمدية التي اهتز لها العالم، وارتجت لها المعمورة؟ هل تظنون لولا أن الله أكرمنا ببعثة سيد ولد آدم ﷺ سوف تقام الخلافة الراشدة ودولة بني أمية وبني العباس والأيوبيين والعثمانيين والمرابطين والموحدين، وغيرها من دول الإسلام والدعوات التجديدية كدعوة ابن تيمية ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب هل سيحصل ذلك من دون ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ في ليلة الغار؟ وبسبب تلك اللحظة التاريخية ظهر عمر بن الخطاب وخالد بن الوليد، وصلاح الدين الأيوبي، ومحمد الفاتح، ومالك بن أنس وابن خلدون وابن سينا وبقية العلماء والحكماء والخلفاء والفقهاء والأطباء والمفكرين والفلاسفة، ولهذا يجب علينا أن نعود إلى مصدر شرفنا ونبع عزتنا نعود عودة صادقة؛ لنجدد ذاك التراث ونحيي في القلوب معالم تلك الرسالة.

وأقول بكل قناعة وشجاعة: ليس هناك حدث وقع في التاريخ غيّر في عالم المعتقد والسياسة والعلم والفكر والأدب والاقتصاد كحدث إرسال محمد بن عبدالله ﷺ للعالم: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾، كل الأحداث التاريخية التي كان لها تغيير وتحرير كانت في جانب من الجوانب وفي حقل من الحقول، ثم إن غالبها أرضيّة بلا وحي من الله وهي محدودة التأثير بالزمان والمكان والبشر إلا رسالته ﷺ فإنها لكل زمان وفي كل مكان ولعامة البشر ولكل جانب من جوانب الحياة، ولهذا أنصف من جعله ﷺ الأول بين مصلحي ومحرري العالم كالكاتب الأمريكي مايكل هارث في كتابه (العظماء المئة) وغيره من الكتّاب، ومقصودي من هذا المقال دعوة الساسة العرب والعلماء والمفكرين والكتّاب والنوابغ إلى العودة الجادة الصادقة

لفهم الإسلام فهماً صحيحاً ودراسة الكتاب والسنة دراسة صادقة جادة يصحبها التصديق والعمل: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾.

من بلادي يُطلب الحقُّ ولا
يُطلبُ الحقُّ من الغيرِ الغبي

وبها مهبطُ وحي الله بلْ
أرسل الله بها خيرَ نبي

قل: هو الرحمن آمنّا به
واتّبعنا هادياً من يثربِ

obeikandl.com

بالكتاب والقلم تسود الأمم

يقول تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾، وهذا للكتاب، ويقول: ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ وهذا للقلم، فالكتاب والقلم هما سر عظمة الأمم ومفتاح مجدها وسلم رقيها ومصدر عزتها وباب فخرها وشرفها، وكل ما حصل في العالم من علم أو نصر أو فتح أو اكتشافات أو ريادة فبسبب الكتاب والقلم، وكل ما وقع في المعمورة من جهل وأميّة وهوان وتخلف وانحراف وهزيمة فبسبب إهمال الكتاب والقلم، وما نبغ عالم ولا تفوق مجتهد ولا ظهر حكيم ولا برع فيلسوف ولا تميز طبيب إلا من بوابة الكتاب والقلم، وفي عالم الدنيا إنما ساد الغرب في عالم الصناعات والاختراعات عن طريق الكتاب والقلم والتخلف عن ركب الحضارة المادية في الشرق سببه الأميّة القاتلة والجهل المركب بهجر الكتاب والقلم ورسالتنا المحمدية حيّت الكتاب ورحّبت بالقلم ومدحت العلماء وذمت الجهل وحذّرت من إهمال العلم والمعرفة.

متى نصحوا يا مسلمون، فنحارب الجهل والأميّة ونقوم بحركة علمية قوية في البيت والمدرسة والجامعة والمسجد والشاشة والصحيفة تدعو إلى العلم والتعلم مع وضع الجوائز للقراء وإلزام الجيل بالقراءة، عندنا إهمال كبير في التزود من المعرفة، عندنا نفور شديد من الكتاب، بيننا وبين القراءة قطيعة، نحن نحب الفنون واللهو والطرب والمظاهر الاستعراضية الجوفاء والأعمال الخدّاعة الزائفة لكننا نكره العكوف على الحرف وملازمة الكتاب ومدارسة المعرفة والتزود من الثقافة، أركب في الطائرة في بلاد العرب من مدينة إلى مدينة ومعي ما يقارب ثلاث مئة راكب، فلا أجد من فتح كتاباً أو أمسك قلماً إنما هذيان في الكلام وإسهاب في الحديث وقتل للوقت وضياع للزمن وإتلاف للذاكرة، أحضر المجلس فيه أكثر من مئتي إنسان عربي فلا آية محكمة تُفسّر ولا حديث شريف يُدرّس ولا مسألة علمية تُناقش ولا بيت شارد يكرر وإنما حديث هائج أشبه بحديث الأسواق

ولغط وضجيج كأنهم في مزاد، الكل يتحدث عما جرى ويجري وما سوف يجري من غلاء أسعار وحوادث مرورية وزواج وطلاق في سمر فارغ وسهر عابث يُختم بمفطحات وكبسات وقعدان تُوضع على صحون؛ لتزيدنا شحوماً بلا فهوم وأبداناً بلا أذهان فنتمدد في الأجسام ونضمر في الأفهام ونصرف القروش على الكروش ونبخل بالفلوس على الدروس نحب العرضة الشعبية وتثقل علينا التلاوة، ونعشق الدبكة ونكره القراءة، ونهيم بالرقص ونفرُّ من المعرفة، فأصبحنا أمة مستهلكة آكلةً شاربةً راقصة وغيرنا أمم منتجة مخترعة مكتشفة وليتنا يوم أخطأنا خجلنا، ويوم أسأنا سكتنا، لكننا خرجنا بقصائد وأهازيج نفخر بها على البشرية ونمدح أنفسنا أمام الإنسانية، وننسب لأنفسنا مجد الأجداد الذي ما صنعناه، وشرف الآباء الذي ما بنيناه، هل نحن الذين شجع عمر بن الخطاب رضي الله عنه على العدل والإنصاف؟ أم هل نحن الذين ألهمنا خالد بن الوليد الشجاعة والإقدام؟ أم هل ترانا درّسنا أبا حنيفة ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل؟ وهل حضرنا «بدر» و«أحد» و«اليرموك» و«القادسية»؟ كلا وألف كلا، والقرآن يقول: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾، والشاعر العربي يقول:

إذا فخرتَ بآباءٍ لهم شرفٌ

نعم صدقت ولكن بئس ما ولدوا

نحن استوردنا كل شيء، حتى تعليم القرآن الذي نزل بلغتنا العربية الفصحى، فقد استقدمنا الباكستاني والأفغاني يدرّس أبناءنا، فمدرّس القرآن ومدرس الإنجليزي ومعلم الكمبيوتر والمشرف على المشروع كلهم مستوردون، وأثاث المنزل كله مستورد من الثلاجة إلى سكين الفاكهة، أجل فلماذا نفخر على الناس؟ ونمدح أنفسنا في كل مناسبة، وليتنا اقتصدنا في الولائم، ورشّدنا العزائم، لننقذ أجسامنا من الكولسترول وعقولنا من الغباء وبطوننا من التخمة ونوفر للفقراء ونشبع المساكين، لكننا فتكنا بالخراف، وعصفنا بالتيوس، فهددنا

الـثروة الحيوانية، ثم قمنا بسهـرات طويلة من الرقص، فأتلفنـا البنية التحتية، وأكـثر مرضانا في أقسـام الباطنية، فنحن شهـداء الكبسة والمرقـوق والعصيدة والجريشـ، عسـى الله أن يتوب علينا وأن يعيدنا إلى رشدنـا ويدلّنا على الصواب في أمورنا، ويلهمنا السداد حتـى نفهم حجمنا، فنعي مسؤوليتنا، ونحترم أنفسنا، ونتواضع لإخواننا البشر.

obeikandl.com

فتح العقول أعظم من فتح المعاقل

تُركب بعض العقول من الصغر على مقاسات محددة مقولبة مثلما يقولب الأسمنت والطين في مربعات حديدية؛ ليخرج طوباً وبلوكاً جامداً، وهذه العقول تبقى على التقليد والجمود والجهل، فترفض الدليل، وتعارض الحجة، وتأبى الحق، يقول تعالى عن أهل هذه العقول: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾، ولهذا جاء الإسلام لفتح العقول قبل فتح المعاقل وإنارة البصائر قبل إنارة الديار، قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾. فالنصر على الأعداء والفتح للبلدان والعقول والكنوز، وعظمة الإسلام في فتحه للعالم أنه لم يكن حركة استعمارية تريد الأرض وخيراتها فقط كما فعل الرومان والإنجليز والفرنسيون والأسبان وغيرهم من الأمم حينما توسعوا في الأرض وقهروا الشعوب، فإنهم استولوا على الثروات وهيمنوا على الخيرات ولكنهم لم يغيروا العقول والمعتقدات، فالشمال الإفريقي بقي مسلماً قبل الاستعمار وبعده، واليابان بقي على المذهب المانوي قبل احتلال الحلفاء وبعده، وبقية الدول المحتلة من قوة أجنبية أرضية لم تغير عقائد أهل تلك البلدان، فبقيت على البوذية والزرادشتية والمزدكية والمانوية والمجوسية وغيرها من الديانات الباطلة.

أما الإسلام فقد خالف هذه الطرق جميعها فإنه فتح العقول أولاً قبل فتح المدن وأولها مكة، فقبل أن يستولي الرسول ﷺ على مكة البلدة فتح عقول أهلها بالإيمان والعلم ثم سار أتباعه مشرقين ومغربين يفتحون العقول من السند إلى قرطبة ومن طاشقند إلى نهر النيجر، أول ما يدخلون مدينة أو قرية يغسلون عقول أهلها بلا إله إلا الله ويزرعون في قلوب شعوبها شجرة الإيمان والأمن والسلام والعدل ويطهرون أخلاق سكانها بالفضائل والنبل قبل ما يطهرون شوارعها، ولذلك يجب علينا قبل أن نتوسع في العمران أن نوسع عقولنا بالعلم والمعرفة وقبل أن نزرع حدائقنا بالأشجار أن نزرع في قلوبنا أشجار الإيمان والبر والرحمة، وقبل

أن نغسـل طرقاتنا بالماء نغسل أخلاقنا من الدنسـ والرجس والمنكر، لا تسأل عن مساحة الدولة واتساعها، لكن اسأل عن مساحة أفكار سكانها وسعة عقول شعبها، ولا تغـتر بناطحات السحاب في مدينة حتى تفتش في همم الناس الذين يسكنونها ومعارفهم وأخلاقهم، ولا تعجب بخضرة الحدائق الغناء والبساتين الفيحاء في بلد حتى تتأكد من خضرة قلوب أهلها في الصلاح والمحبة والتراحم والإنصاف.

إن أكـبر حركـة دورية تحرُّرية تنويريـة تجديدية وقعت في الكـون هي حركة الإسـلام ودعـوة الرسـول ﷺ بشهادة أساطـين التاريخ، ولهـذا اقتنعت كثير من الشعـوب بدخـول المسلمين إليها بلا حـرب ولا قتال بعدما فُتحت عقـول سكانها، فإندونيسيـا وماليزيـا وكثير مـن الدول الآسيويـة والإفريقية لم تقـع بينهم وبين المسلمـين حرب زمن الفتـوح؛ لأن قادة المسلمين فتحوا العقـول بالإيمان والحكمة والدعوة الحسنـة والسيرة الجميلة والأخلاق الفاضلـة، فاعتنق الملايين الإسلام وبقـي الإسـلام إلى الآن في تلـك البلدان يزداد قـوة مع الزمن، لقـد دخل التتار نصـف الكرة الأرضية واجتاحوا العالم الإسلامـي، ولكنهم لم يقنعوا فرداً واحداً بمذهبهـم الرخيصـ ولم يفتحوا عقلاً واحـداً بمنهجهم الباطـل، ولقد اجتاحت العالم الإسلامي جيوش جرارة من الإنجليز والفرنسيين والإيطاليين والهولنديين وغيرهـم وبقـوا سنوات فما كسبـوا عقلاً واحـداً، وقد كسبوا ثـروات البلاد التي احتلوها ولكن المسلمين دخلوا إسبانيا فتحول الشعب إلى الإسلام وبقوا عليه مئات السنـين، وأكرر هنـا قول الرئيس الأمريكي نيكسون: أمريـكا قوية لكن مع الأسف الأفـكار العظيمة في الإسلام، وأقول: بإمكان أمريكا بسلاحها وعتادها وبارجاتها وصواريخها وقوتها النووية الهائلة أن تحتل العالم العربي، ولكنها لن تحتل العقول؛ لأن الإسـلام سبقهـا فاتحـاً لتلك العقول قبـل البلدان، بل أقول: نحـن الآن نؤذن ونصلي بجانب البيت الأبيض بواشنطن والإليزيه في باريس ومجلس العموم بلندن والكرملـن في موسكـو؛ لأن فكرة الإسلام ليست في صـاروخ أو دبابة أو قنبلة فهذه الآلات فتحها وقتي وطارئ ولكن فتح الحجة والبرهان والدليل والإقلاع ثابت راسخ

ولهذا يقول تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾، فالحكمة للعلمـاء والرواد والموعظة للعوام والجماهير والجدل بالحسنى لأهل الشبهات والشكوك.

obeikandl.com

لن يغيرنا الله حتى نتغير أولاً

النفس البشرية هي مصدر القبول والرفض لأي تغيير نحو الأفضل أو الأسوأ، وبحسب استعدادها للعلو والهبوط يمنحها الله ما تهيأت هي له، وعندما نزل الوحي استقبلته القلوب الصادقة، فزادها إيماناً ورفضته القلوب المكذبة، فزادها كفراً، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ١٢٤ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ﴾، والشعوب التي تريد المجد لا يحجبها أحد عن مجدها وسوف تناله بجدارة؛ لأنها تستحق ذلك، وانظر إلى المؤمنين في بدر كانوا ثلاث مئة وأربعة عشر رجلاً لكنهم كانوا بذرة طيبة لأمة عظيمة طوقت انتصاراتها وفتوحاتها الدنيا والأمة التي استسلمت للهوان ورضيت بالذل لا يرتفع لها شأن أبداً، فبنو إسرائيل انتصر عليهم فرعون واستعبدهم وأذلّهم؛ لأن عندهم قابلية لذلك، قال تعالى: ﴿فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ﴾.

ولهذا لما هاجر بهم موسى إلى الأرض المقدسة لم يكونوا أهلاً للنصر والمجد لأنهم يحملون نفوس الخنوع والقهر فأبقاهم الله في صحراء سيناء يتيهون أربعين سنة حتى مات هذا الجيل الفاشل الذليل الحقير ونشأ جيل آخر عنده صمود وتحد فدخل الأرض المقدسة، وما تقوم دولة من الدول ولا ثورة من الثورات إلا على أيدي أبطال عندهم استعداد للتضحية والفداء، كما قال أبو مسلم الخرساني: كل قادة دولة في أول أمرهم شجعان، ولا تسقط دولة إلا على أيدي كسالى فاشلين عندهم استعداد للسقوط، فدولة بني أمية سقطت على أيدي أناس مستهترين وأوغاد لعّابين؛ كالوليد بن يزيد الذي احتجب عن الرعية وكان جُل وقته سكران يعيش حياة البذخ والإسراف حتى قتل على يد ابن عمه وأُحرق في جلد حمار.

ودولة بني العباس سقطت في جيل فوضوي همه اللهو واللعب، حتى إن الخليفة المستعصم من آخر خلفائهم كان مشتغلاً بنطاح الكباش واللعب بالنردشير، والذين صنعوا الحضارات كانوا أهلاً لهذا التمدن الدنيوي والرقي الحضاري فهل اليابانيون وصلوا إلى ما وصلوا إليه من إنتاج وصناعة وتمدن بالنظر في النجوم وتعليق التمائم واستشارة المشعوذين والكهنة؟ أم بالنزول إلى الميدان وفتح الآفاق للمهارات وتسخير المواهب في سبيل النهوض والتمدن وترك الكسل والمظاهر الخدّاعة والمشاهد الزائفة من اللهو والطرب، وهل ماليزيا بقيادة مهاتير محمد جلست على النجوم في العالم الإسلامي في رقيّها وحضارتها ونظامها واقتصادها؛ لأنها جلست تتغنى بمجد أجدادها وتاريخ أسلافها أم لأن مهاتير محمد وضع لها خطة عملية ميدانية تسمى الخطة العشرية، وهي مكتوبة موجودة لمن أراد أن يطلع عليها تقوم على احترام القداسات وإطلاق الحريات وإحياء المؤسسات وفتح سوق العمل والانتقال من التنظير إلى الميدان وفك الارتباط الاقتصادي الذي يقوم على التبعية لهيمنة الرأسمالية.

وهل طيب أردوغان في تركيا أجلس تركيا على الجوزاء في عالم الازدهار والتقدم؛ لأنه قعد يقص عليهم أخبار أجداده من عثمان الأول وسليمان القانوني ومحمد الفاتح وأمثالهم؟ أم لأن الرجل وأعضاء إدارته شدوا أحزمتهم في عمل رهيب يقوم على روح التنافس والتجديد والإبداع، ووضعوا خططاً للتعليم والسياسة والاقتصاد والسياحة وغيرها وكلفوا طواقم من الجهابذة مهمتهم تنفيذ هذه الخطط كلٌّ فيما يخصه، حتى إن تركيا هذا العام أخذت المركز العالمي الأول في السياحة تنظيماً وترتيباً وإمتاعاً وهي ليست بلد بترول ولا غاز، ولا يُحتل وطن ولا تُذّل أمة إلا وعند أهلها استعداد وقابلية لذلك، فالعالم الإسلامي في عصر الانحطاط قَبِل الاستعمار المغولي ولكنه في عهد النهوض والصمود بقيادة نور الدين محمود وصلاح الدين الأيوبي رفض الاحتلال الصليبي وفتح بيت المقدس، والذين لا يفخرون بالمجد الدنيوي والازدهار المعيشي ليس عندهم استعداد

لهـذه المراتـب المتقدمة لأن من يفكـر في التوافه ويعيش الأوهـام ويتسلى بالماضي لا يصلـح أن يصنع مجداً أو يقيم حضـارة أو يترك إبداعاً ومآثر حية، وإنني أقرأ سـيرة الرموز المعاصرة الذين أثروا في القرن الماضـي، وساهموا في صنع التاريخ وهـم قرابة العشرين رمزًا وقد جمعهـم الأستاذ تركي الحمد في كتاب (العشرون الأوائل) وسمَّى منهم الملك عبدالعزيز وغاندي وروزفلت وتشرشل ولينين وستالين وماوتسـي تونج والخميني ونيلسون مانديلا ومحمد علي جناح وبقية العشرين وقد أصـاب في ذلك، ويجمـع هؤلاء العشريـن قاسم مشترك وهو الصمـود والتحدي والصـبر والعمل والإصـرار بغض النظر عن معتقداتهـم ومذاهبهم وإنما المسألة سنة الوجود وقانون الحياة الدنيوية، لأن من جد وجد ومن زرع حصد، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾.

الصحابة خط أحمر

لا ينتهي عجبي من أرجاس أنجاس أدناس يريدون تلويث محراب الديانة وتمريغ قداسة الملة بسب الصحابة وثلم مجد السلف الأول وانتهاك حرمة الشريعة بالقدح في حامليها وكسر هيبة السّنَّة بغمز ناقليها ولو كان المتأخرون خيراً عند الله من الصدر الأول لاختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ ولو كان الخلف أفضل من السلف لشرّفهم الله بشهود نزول الوحي وحضور مقامات الإسلام الكبرى كبدر وأحد وبيعة الرضوان والفتح، ولكن الواحد الأحد الذي له الخيرة سبحانه وله حكمة الاصطفاء ومعرفة من يستحق الاجتباء اصطفى الصحابة الأخيار لنصرة النبي المختار ﷺ ثم زكاهم ومدحهم ورضي عنهم، فمتى علم هؤلاء المتأخرون الأوغاد أن الله ذم الصحابة بعد مدحهم وقدح فيهم بعد تزكيتهم؟ وغضب عليهم بعدما رضي عنهم؟ أما ميّزهم بوصف المعية، فقال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾؟ أما بشرهم بالرضوان، فقال: ﴿لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾؟ أما أفرح قلوبهم بالتوبة، فقال تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ﴾؟ أما أثنى على مقاصدهم فقال ﴿يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗا﴾؟ أما نوّه بوصفهم، فقال عنهم: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ﴾؟ أما بيّن نور الإيمان في وجوههم فقال: ﴿سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾؟

وبعد هذا كله يأتي منافق ملوث بالمعتقد الفاسد والعمل الخبيث والخلق الدنيء والسلوك القبيح فيتهم الصحابة بالخيانة، بل يرميهم بالردة ويخلع عليهم أشنع الألقاب وأحط الأوصاف زوراً وبهتاناً وقصده من ذلك هدم عمود الدين ونسف معقل الإيمان؛ لأن الصحابة هم الحماة والرعاة والسفرة الكرام والقادة العظام الذين كان لهم طرف في السبق بالتضحيات، ولهم قدم الصدق في حفظ الآيات، ورفع الرايات، فرضي الله عنهم وأرضاهم، أي مجد للإسلام رفعوه؟ وأي بناء

للكفر وضعوه؟ وأي جهد بذلوه؟ وأي دم زاكٍ في سبيل الله سفكوه؟ بذلوا المهج، أرخصوا الغالي، فارقوا الأوطان، تركوا الديار، خرجوا من الأموال، هجروا الأحبة، قاتلوا القرابة، ركبوا المهالك، خاضوا المعارك؛ لترتفع لا إله إلا الله محمد رسول الله، تجرعوا الغصص، تحملوا الأذى، ذاقوا صنوف المشاق وأنواع المكاره؛ لينصروا الدِّين، ويذبوا عن سيد المرسلين، ويرضوا رب العالمين، فجزاهم الله عنا وعن الإسلام خيراً وأكرم نزلهم ورفع درجاتهم في عليين وجمعنا بهم في الفردوس الأعلى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

اخرس يا كل مارد فاجر، اسكت يا كل كذاب أشر، صهٍ يا كل عميل مارق، اصمت يا كل فتّان مشبوه، ماذا قدّمت للإسلام؟ ماذا تركت من آثار؟ ماذا سجلت من تاريخ؟ أنت وأمثالك أدعياء على مأدُبة الفضيلة، ومرتزقة على مائدة الكرام، أنت شقي والشقي محروم من الصواب، مطرود عند الأبواب، بينهم وبين الرحمة حجاب، أنت خاسر والخاسر لا يُوفق لريادة، ولا يظفر بسيادة، ولا يؤهل لقيادة، أنت صفر مهمل لا قيمة لك وليس لك ثمن في عالم الأحياء، ولا مكان في منازل الشرفاء، ولا اسم في سجل الأوفياء، مت بغيظك فقد دخل الصحابة الجنة، وفازوا بالرضوان، وحازوا كرامة الرحمن، ورافقوا في جنة الخلد سيد ولد عدنان، وفي المقابل هنيئاً لمن أحب الصحابة وتولاهم، واقتفى آثارهم، وسار على منهجهم، ويكفيه مدح الله له بقوله: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

العلم يدعو للتواضع وهضم النفس

لا يتواضع إلا عالم، ولا يهضم نفسه إلا لبيب كريم، يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾، لأن من عرف عظمة الله وأسرار قدرته وقوة بطشه وجبروته وتمام جلاله، وكماله، وعرف أيضاً ضعف الإنسان وعجزه وتقصيره وذلّته وحاجته وذنبه وخطأه حينها يعرف أنه إنسان بسيط صغير فقير حقير، وأن ربه كبير قدير قوي عزيز فيخضع ويتواضع ويخشع تحت سلطان ربه ومولاه ويذعن لخالقه ومدبر أمره فلا تجد العالم إلا ساكناً مخبتاً خاشعاً، ولقد قرأت سير علماء أجلاء وأئمة وفقهاء ومجددين ومصلحين فاستنزفوا دمع العين بحسن سيرهم ولطيف أخبارهم بلطف تواضعهم وإمامهم في ذلك رسول الحق وإمام الخلق ولسان الصدق محمد بن عبد الله ﷺ، فكان يجلس على التراب فيقول: «**أجلس كما يجلس العبد وآكل كما يأكل العبد**».

وكان يحلب شاته ويخيط ثوبه ويكنس بيته ويقف مع العجوز والأرملة ويلاعب الأطفال ويمازح أصحابه وينتهي حيث ينتهي به المجلس ويركب الحمار ويلبس المرقّع ويربط الحجر على بطنه من الجوع، فسار على نهجه أئمة الإسلام وعلماء الدين فكانوا آية في التواضع والانكسار أمام عظمة الله والخشية تحت قدرة الواحد القهار بخلاف الجهلة الحمقى أهل الرعونة والكبر وقلة الأدب حتى إني قرأت سيرة الحجاج ورأيت هذا المتكبر المتجبر أحمق غبيًّا يسفّه آراء العلماء ولا يقبل وعظ النصحاء ويظلم عباد الله ويختال في أرض الله ومثله أبو مسلم الخراساني الجبار الأشر والسفاح البطر كان يصعّر خدّه ويمشي الخيلاء ويهين الناس ومثله الحاكم بأمر الله الفاطمي المسرف الكذاب كان يبطش بعباد الله ويسفك دماءهم ويسرق أموالهم وإذا قام أحد لنصحه قتله مباشرة وقس على هؤلاء كل جبار عنيد وسفاح أهوج وطاغوت مريد بخلاف أهل الحكمة والعلم والبصيرة حتى من غير المسلمين.

وإني أنظر في حياة الفلاسفة والحكماء والمخترعين والمبدعين، وأتعجب من سمو أخلاقهم ورقة طباعهم وحسن ذوقهم وقربهم من الناس، وقد ذكروا تواضع

إينشتاين مع العلم مع أنه من أذكياء العالم وعباقرة الدنيا كان يقول: (أنا إذا شككت بقدرة الله نظرت في الكون، فعلمت بعدها أن الله حكيم لا يلعب بالنرد سبحانه)، وطالعت سيرة الإمام أحمد بن حنبل، فكان قريباً من الكبير والصغير والمسكين والفقير يلبس ثياباً بالية ويتبسّم للناس ولا يؤذي أحد ولو بكلمة، وكان يحمل الحطب على رأسه ويخدم أسرته، يقول أحدًا، الفلاسفة: لا يتواضع إلا كبير القدر، ولقد رأيت في حياتي علماء أجلاء فأسرني تواضعهم وسحرني لطفهم حتى إن الذي لا يعرفهم يظن أن أحدهم خادم من حسن قيامه على ضيوفه ولطفهم بزائريهم.

ولقد زرت سماحة العلامة عبدالعزيز بن باز عشرات المرات، فترك في قلبي صوراً لا تُنسى من التواضع ورقة المشاعر والإقبال على الصغير والكبير وهضم النفس والمسكنة والخشية، وزرت مع طلاب من الجامعة الشيخ العلامة محمد بن عثيمين في بيته بعنيزة، فأجلسنا في صدر المجلس ونحن طلاب صغار وقام والله يخدمنا ويصب لنا القهوة بنفسه متواضعاً متبسماً هاشًّا باشًّا تكاد روحه تذوب رقةً وحناناً ورحمةً ومحبةً وعطفاً وفي المقابل رأيت بعض طلبة العلم الناقصين في علمهم المقصرين في عملهم وبعض الموظفين والجنود والعامة الذين لا يعرفهم أحد، ولا يدري بهم بشر، والذين هم نكرات كأنهم ما خُلقوا أصلاً فأجد عند أحدهم من الفظاظة والغلظة وعبوس الوجه والتكلّف في الجلوس والمشي والعجب والكبر ما أذهلني، وأتساءل في نفسي: على ماذا هذا الكبر ورؤية النفس، أديك أعمى وبناقر؟ أحشفاً وسوء كيل؟ أأبكم ويغني؟ فلا عقل رجيح، ولا نسب صريح، ولا لسان فصيح، ولا وجه صبيح، بل جهل وغباء، وحمق ورذالة، وجهل ونذالة، وبخل وقسوة: ﴿ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَا﴾.

بالله عليكم هل يجوز لإنسان مهما بلغ في عالم الدنيا أن يتكبر؟ وهو مخلوق من طين، ومصوّر من ماء مهين، أتى من التراب ويعود إلى التراب، وهو يجوع وينسى ويغفل وينام ويمرض ويذنب ثم يموت بعدها، ولهذا قال الله تعالى: (**العظمة إزاري والكبرياء ردائي من نازعني فيهما قصمته ولا أبالي**).

العرب لا يقرؤون

إذا ركبت مع أوروبي وجدته خانساً منغمساً يقرأ في كتاب، وإذا ركبت مع عربي وجدته يبصبص كالذئب العاوي، أو كالعاشق الهاوي، يتعرف على الركاب، ويسولف مع الأصحاب والأحباب، بيننا وبين الكتاب عقدة نفسية، ونحن أمة: ﴿اقْرَأْ﴾، ولكن ثقلت علينا المعرفة، وخف علينا القيل والقال، ولو سألت أكثر الشباب: ماذا قرأت اليوم؟ وكم صفحة طالعت؟ لوجدت الجواب: صفر مكعَّب، مع العلم أن غالب الشباب بطين سمين ثخين بدين؛ لأنه مجتهد في تناول الهامبرجر والبيتزا، وكل ما وقعت عليه العين، ووصل إلى اليدين:

سلوا الصحون التباسي عن معالينا
واستشهدوا البَيْضَ هل خاب الرجا فينا

كم (كبسة) شهدت أنا جحافلها
وكم خروفٍ نهشناه بأيدينا

يحتاج شبابنا إلى دورات تدريبية على القراءة؛ لأنهم وزّعوا الأوقات على السمر مع الشاشات، أو التّحلق على الكبسات، أو متابعة آخر الموضوعات، الإنسان بلا قراءة قزم صغير، والأمة بلا كتاب قطيع هائم، طالعت سِيرَ العظماء العباقرة، فإذا الصفة اللازمة للجميع مصاحبتهم للحرف، وهيامهم بالمعرفة وعشقهم للعلم، حتى مات الجاحظ تحت كتبه، وتوفي مسلم صاحب الصحيح وهو يطالع كتاباً، وكان أبو الوفاء ابن عقيل يقرأ وهو يمشي، وقال ابن الجوزي: قرأت في شبابي عشرين ألف مجلدة، وقال المتنبي: **وخير جليس في الزمان كتاب**، سألت شباباً عن مؤلفي كتب مشهورة، فجاءت الإجابات مضحكة، قال صاحب كتاب فن الخطابة: العظمة هي قراءة الكتب بفهم، وقال الروائي الروسي الشهير تيولوستي: قراءة الكتب تداوي جراحات الزمن، وقال الطنطاوي: أنا من ستين سنة أقرأ كل يوم خمسين صفحة، ألزمت نفسي بها:

جمالَ ذي الدارِ كانوا في الحياةِ وهمْ
بعدَ المماتِ جمالُ الكتبِ والسيَرِ

صح النوم يا شباب، فقد انقضى العمر، وتصرّمت الساعات، وقتل الزمان بالهذيان وأماني الشيطان وأخبار فلان وعلّان، استيقظوا يا أصحاب الهمم الهوامد، والعزائم الخوامد، والذهن الجامد، والضمير الراقد:

وَلَو نار نفخت بِها أَضاءَت
وَلَكِن أَنتَ تَنفخ في رَمادِ

قاتل الله التسويف والإرجاف، وسحقاً لمن زرع شجرة ليت لتثمر له سوف، وتخرج له لعلَّ؛ ليذوق الندامة:

وَمُشَتَّتِ العَزَماتِ يُنفِقُ عُمرَهُ
حَيرانَ لا ظَفَرٌ وَلا إِخفاقُ

حيّا الله الهمم الشماء، والعزيمة القعساء، التي جعلت أحمد بن حنبل يطوف الدنيا؛ ليجمع أربعين ألف حديث في المسند، وابن حجر يؤلّف فتح الباري ثلاثين مجلداً، وابن عقيل الحنبلي يؤلف كتاب الفنون سبع مئة مجلد، وابن خلدون يسجّل اسمه في عواصم الدنيا، وابن رشد يجمع المعارف الإنسانية:

لولا لطائف صنع الله ما نبتتْ
تلك المكارم في لحمٍ ولا عصبِ

وددتُ أنَّ لنا يوماً في الأسبوع يخصص للقراءة، ويا ليتنا نبدأ بمشروع القراءة الحرّة النافعة عشر صفحات كل يوم تُقرأ بفهم من كتاب مفيد؛ لنحصد في الشهر كتاباً وفي السنة اثني عشر كتاباً، ولتكن قراءة منوّعة فيما ينفع؛ لتتضح أمامنا أبواب المعرفة، وتتسع آفاقنا، وتُنار عقولنا.

فيـا أمة ﴿اقْرَأْ﴾ هيا إلى قراءة راشدة، واطـلاع نافع، وثقافة حيّة، ومعرفة ربانية، وسـوف تنتهي بكم التجارب إلى أن الكتاب خير جليس، وشكراً للأمير بن صمادح، حيث يقول:

وزهّـدني في الناس معرفتي بهم
وطول، اختباري صاحباً بعد صاحبِ

فلم تُرني الأيام خِلاً يسرني
بَواديه إلا ساءني في العواقبِ

ولا صِرتُ أدعوهُ لدفع ملمة
منَ الدهرِ إلاّ كانَ إحدى النوائب

بطاقتنا الشخصية

شرفنـا الوحيد الذي عرفنا به العالم هو رسالة الإسلام الخالدة، فلم نُعرف في العالم ببطاقة شخصية تعرِّفنا إلا بالإسلام، ليس لنا هوية ولا ريادة ولا سيادة ولا قيادة إلا بالإسلام، ليس لنا تميز بين أمم الأرض ولا خصوصية ولا رفعة ولا علو إلا بالإسلام، ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾. العالم لا ينتظـر منا أن نقدم له عبقريـات في الآداب والفنون والعلوم فقد سبقنا العالم في هـذه المراحل وأنجز في هذا الحقل إنجـازات تبهر العقول وتخلب الألباب فهل نأتي إليه ونحن بدائيون في هذا الباب باكتشافات أصبحت عنده قديمة، والعالم لا ينتظر منا صناعات متطورة ولا اختراعات متفوّقة في عالم الطب والهندسة والتكنولوجيا، فهيهـات لقـد أبدع سوانـا أيما إبداع في هـذه الاختراعات واختـرق الفضاء ووصل إلى عطـارد والمريخ وأنتـج القنبلة النووية وتفنن في الاستيـلاء على ثروات المعمورة وخيرات الأرض والعالم لا ينتظر منا فلسفات مذهبية أرضية ولا نظريات اجتماعية ولا مناهـج قوميّة بشرية فها هـي مناهج الغرب والشـرق وفلسفاته ونظرياته تملأ الكون فينال عليها عباقرتهم أعلى الجوائز العالمية لجائزة نوبل وغيرها.

العـالم ينتظـر منا شيئاً واحـداً امتزنا بـه واختصنا الله بـه وشرّفنا الله به ورحم الله به وامتنَّ الله علينا به ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾، وليس لنا إلا هذه البطاقة بين أمم الأرض بطاقة الإسلام فإما أن نحملهـا ونتشرف بالدعوة إليها فيعرفنا الناس ويحترمنا البشـر ويكرمنـا العـالم كما عـرف أسلافنا واحترمهـم وأكرمهـم؛ لأنهم حملوا بطاقـة لا إله إلا الله، وإما ننبذها ونطرحها ونهملها ونبحث عن بطاقة أخرى غير الإسلام، فلا يعترف بنا أحد ولا يكرمنا بشر، ولا يحتفي بنا أناس.

ماذا نقدم للعالم إذا لم نقدم لهم رسالة الإسلام؟ هل نقدم لهم طرحاً سياسيًّا ونحن في عالم السياسة مبتدئون فقراء أميّون؟ هل نقدم لهم نظرية فلسفية ونحن لا نملك قدرتهم في الفلسفة ولا مستواهم في هذا الفن فهم أساتذته ورواده؟ هل نقدم لهم دراسة جديدة في الآداب والفنون والعلوم وقد سبقونا بمئات السنوات واستعمروا بها أكثر بلاد المسلمين وصاروا فيها آية للسائلين وقبلة للباحثين؟ هل نقدم لهم اختراعات واكتشافات في علم الطب والهندسة والطيران والبحار وعلم التربة والفضاء وهم مضرب المثل في هذه الأبواب، بل هم أبطال هذا الميدان ونجومه ونحن بالنسبة لهم كطالب صغير في الأول الابتدائي يجلس مع أستاذ كبير عبقري فريد؟ هل نقدم لهم روايات شرقية تُبنى على الخيال وتُنسج من عالم المغامرات والأهوال وهم الذين كتبوا روايات خدّرت العقل وأصابت من قرأها بذهول وسكر؛ لروعة الحبكة وإبداع الطرح والأخذ بمجامع النفوس؟

إذاً، فماذا نقدم لهم؟ ما هو الشيء الذي تميزنا به وأصبح علامة فارقة لنا وأصبح بطاقة شخصية يعرفنا بها البشر؟ ما الشيء الذي عندنا وليس عندهم؟ نجده نحن ويفقدونه ننعم به، وهم ما عرفوه وما ذاقوه؟ وهم يبحثون عنه عندنا ويسألوننا عنه وينتظرون منا أن ندلّهم عليه ونهديهم إليه، ومن بساطتنا وسذاجتنا أننا أحياناً نريد أن نحدثهم عن ثقافتهم وعبقرياتهم واختراعاتهم ونذكر أسماء علمائهم ورموزهم؛ لنظهر أننا مثقفون مطلعون عارفون، فيقابلوننا بابتسامات صفراء ساخرة بأنهم أعرف منا بهذه الفنون وهذه المصطلحات وهذه الأسماء ولسان حالهم يقول: ﴿ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتۡ إِلَيۡنَا ﴾، بل قال لنا بعض الدكاترة والأساتذة من العرب والمسلمين الذين يدرسون في الغرب: لا تحدثوننا كعلماء دين ودعاة للإسلام عما سبقنا إليه الغرب من علوم مادية واكتشافات هائلة وإعجاز علمي وطب وتكنولوجيا وروايات وآداب، ولكن حدثوا العالم عن هذا الكنز الثمين الغالي عن هذا التفرد والتميز الذي شرّفنا الله به، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ ﴾. أي شرف لك ولمن اتبعك، فيا

علمـاء الإسـلام، ويا دعـاة الإسلام، بالإسلام فقـط نُعرف في العـالم وبه وحده نُكـرّم ونُحترم ونُقدر ومن دونـه نحن كسائر البشر ممن يعيش التخلف الصناعي والعلمي والتكنولوجي والسياسي والاقتصادي.

obeikandl.com

تعالوا إلى الكتاب أيها الناس

نحن في حاجة ماسة إلى توعية شاملة وحملة إعلامية كبيرة تُعيد الجيل إلى القراءة والمطالعة، وكما هو معلوم في الاستقراء أن العرب أقل شعوب الأرض قراءةً واطلاعاً، وزاد على ذلك حدوث الوسائل من تلفاز ويوتيوب وجوال وغيره لتساعد على إبعادهم أكثر فأكثر عن خير جليس في الزمان ألا وهو الكتاب، وقد احتالت بعض الدول لإعادة الجيل للقراءة، ففي مصر تقوم سيارات متنقلة داخل الأحياء توزع كتباً بأثمان زهيدة مغرية للقارئ وتُنصب صناديق معبأة بالكتب والمجلات تقرب الكتاب للناس، نحن نقدم حاجة البطن ألف مرة على حاجة العقل، فعندنا تمدد وتضخم في الأجسام، وضمور وانكماش في الأفهام، في الشارع الواحد بالرياض أو جدة أو الدمام أو غيرها عشرات المطاعم من المضغوط والمندي والمظبي والحنيذ والمشوي والكباب والمثلوثة والأكلات الشعبية، ولا تجد إلا مكتبة واحدة خاوية على عروشها لا يرتادها إلا من كُلف ببحث جامعي وأُجبر على شراء دفاتر أو حقائب.

لم أشاهد الإعلام عندنا قام بحملة قوية مقنعة تدعو الناس للقراءة ولهذا إذا جلست في مجموعة وأحببت أن تعرف مدى مستواهم المعرفي واطلاعهم وثقافتهم فاسألهم عن عناوين الكتب وأسماء العلماء وقضايا التاريخ وبدهيات المعرفة ومسلّمات العلوم، تشاهد عجباً من قلة المعرفة وضحالة الاطلاع، يقول أحد الأساتذة: سألت أحد الطلاب في الثانوية وقلت له: الكتاب لسيبويه من ألفه؟ فقال الطالب: الله أعلم، سل أبناءك وبناتك في البيت عن الكتب المشهورة ومؤلفيها، وسوف تدرك صحة ما أقول.

أرجو من كل أب وأم أن يُوجدوا مكتبة صغيرة في بيوتهم ويختاروا طائفة نافعة من الكتب ويخصصوا وقتاً ولو قصيراً كل يوم للمطالعة الحرة، لن نرتقي ولن ننجح ولن نتقدم إلا بالعلم والمعرفة ومن أعظم مفاتيحها القراءة، ولذلك كانت

أول كلمة نزلت على رسولنا ﷺ من ربه تبارك وتعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾، مر في التاريخ أن كثيراً من الخلفاء والحكام والوزراء دعوا الناس ورغبوهم إلى القراءة ومصاحبة الكتاب، فقد ألزم الخليفة الأندلسي الناصر رعيته باستحداث مكتبات منزلية وحدد جوائز للقراءة وشجع على الاطلاع بكل وسيلة.

ومن أراد أخبار القراء فعليه بكتاب: «**صفحات من صبر العلماء على شدائد التحصيل**» لعبدالفتاح أبي غدة وكتاب عشاق الكتب وكتاب عاشق وكتاب المشوق إلى القراءة وكتاب حلية طالب العلم وغيرها من الكتب.

أعرف أن عندنا شريحة هائلة تقرأ، لكن غالب قراءتها في الصحف اليومية والمجلات والدوريات وأحياناً تختار زوايا من هذه الصحف كأسعار الأسمنت وأخبار سوق الخضراوات وأنباء كرة السلة وإعلانات المستحضرات التجميلية وعالم الأزياء.

إن العقل لا يكبر بالأرز ولا بالباذنجان، ولكنه يتسع ويعظم بالعلم والبرهان، والمعرفة والإيمان نحن نأكل كل يوم ثلاث وجبات بما يقارب عشرين لوناً من المطعومات فهل لنا أن نتناول وجبة واحدة من العلم والمعرفة عن طريق كتاب نافع مفيد؟ وبما أننا مسلمون فرجائي أن نبدأ يومنا جميعاً بتدبر صفحة أو صفحتين من القرآن الكريم يوميًّا على الأقل وقراءة حديث نبوي واحد من رياض الصالحين للنووي؛ لأن هذا دليل إلى الجنة وبعدها نضرب في شعاب المعرفة وأودية العلم يميناً وشمالاً، متى نشاهد في كل بيتٍ ومسجدٍ وفصلٍ ومستوصفٍ ومستشفى وناد مكتبة تحمل أنبل العلوم وأجلّ المعارف؟ تعالوا لنقرأ يا أمة الإسلام، كفانا خمولاً وكسلاً وإحباطاً وجهلاً.

ولا تهنوا

ولا تهنـوا أيها المسلمون ولا تيأسوا، فربنـا الله يتولانا كما تولّى أجدادنا، أما تذكـرون كيف كنا قبل الإسلام وكيف أصبحنا بعده؟ كنا قبله رعاة غنم ثم صرنا قـادة أمم، كنا عبـدة أصنام وأهـل أزلام، وحملـة آثام، ومتلبسـين بالحرام، ثم صرنـا للعالم فاتحين وللأفكار مجددين، ولمشاعل النور حاملين وفي حكم الشعوب عادلين، لا تهنوا فسـرّ نهضتنا وانتصاراتنا وكرامتنا وعزتنا القرآن، مازال غضًّا طريًّا في صدور أطفالنا وفي أرواح شيوخنا، سوف يبعث فينا الحياة من جديد، إلى مجد تليد ونصر مجيد، كما حصل لعمر وسعد وابن الوليد، ولا تهنوا فالذي بعثنا بالوحـي في مجد الرسالة المحمدية قادر على أن يبعثنا من جديد من نومتنا هذه، فقد كنا قبل الإسلام في آثار الضأن نأكل الميتة ونعتقد في الكواكب ونسلب القوافل ونقطـع الطريق ونغتـال القيم ونذبـح الفضيلة، نعيـش كأننا في غابـة في ضلالة وجهالة، نقسم باللات والعزى، نقطع الرحم، نباغت الآمن، ونقاتل المسالم، ونغدر بالمعاهـد، فلما أسلمنا تحـول كل شيء في حياتنا، فصارت قلوبنا مصاحف هدى، وألسنتنا منابر معرفة، وأقلامنا رسل علم، وكلامنا ذكراً وتلاوة، نتوضأ فتفتح لنا أبـواب الجنة، نصلي فتخشع معنا الجبال، نسجـد فتنحني لنا الجبابرة، نحارب فتقاتـل معنـا الملائكة، ندعـو فتهوي أمامنا قـلاع الكفر وثكنـات الباطل ومعاقل الزور، نكبّر فتهتز لنا دواويـن الظَّلَمة، وتُهد صروح الأكاسرة وقصور القياصرة، حملنـا لا إله إلا الله فرحبت بنا الأرض، وحيتنا السمـاء، وهابنا البحر، وصفقت لنا الأنهار، وفُتحت لنا الأقطار، وطُوي في أيدينا الليل والنهار:

سل الصحراء عن أجدادنا:

كـم علـى الـصـحـراء مـن أعـلامـنـا

قـبـلـة الحـــق ومـهـــوى الـكـوكـبِ

سل ضفاف السند عنا:

وقـفَـتْ تحيينا الجـبـالُ جـلالـةً

وتـوقـف الـتـاريـخُ يـكـتـبُ مجـدنـا

سل الشام عنا:

هـتـفتْ دمـشـق لـنـا وصـفـق نـهـرُها

وطـيــورُهــا بــثــنــاء ربــي تــنــشــدُ

سل معاهد القاهرة عن مجدنا:

خطبنا على الأعـوادِ فاهتزت الرُّبى

وكبر حتى الصخرُ من نصرنا فخرا

سل الأندلس عن عهدنا ووعدنا وجدنا ومجدنا:

صـارت مـسـاجـدُ مـن طـهـرٍ ومـن كـرم

وأصـبـحـت لجـنـودِ الـعـز إيـوانـا

أذّن بلال في أذن الدنيا فخشع الكون، ورتّل أبو موسى القرآن فانقشع الظلام، وروى أبو هريرة الحديث فأنصت الدهر، وحكم عمر فاستسلم الطغاة، وجاهد خالد فسحق الكفر وزهق الباطل.

أيها المسلمون: لا تهنوا فنحن أكثر الديانات أتباعاً وأكثرها أصقاعاً وبقاعاً، في كل زاوية مسلم يسبّح، وفي كل مسجد مؤمن يصلي، وعلى كل منبر موحّد يخطب، وفي كل رابية داعيةٌ ينصح، ما من مدينة ألا وفيها مسجد، ولا قرية إلا وبها مصلى، ولا دولة إلا وفيها مركز ومعهد، القارّات الستّ تهتز عند الصلاة بنداء الحق: الله أكبر الله أكبر، البحار، والقفار والديار ترتج بلا إله إلا الله.

أيها المسلمون: إن ضعفنا فما متنا، وإن مرضنا فما انتهينا، وإن غُلبنا فما استسلمنا، مازال بنا رمق الحياة، وبذرة التحدي، وعنصر الإباء، ووقود الثورة،

وروح النضـال، نحن أهـل الرسالة الخالدة، والقضية العادلـة، والمشروع الرباني الحضـاري، لـولا أن ملأنا السمع والبصر ما اشتغل بنا العـالم، ولولا أننا قادمون مـا خاف منا الآخـر، نحن لسنا جنساً قوميًّـا، ولا حزباً وطنيًّا، ولا فكـراً أرضيًّا، ولا فريقـاً سياسيًّـا، نحن أمة عظيمـة، ذات رسالة كريمة، ومبـادئ قويمة، نحن عرب وعجم، بيض وسود، علماء وعامة، أغنياء وفقراء، نحن ضمير العالم الحي، وبهجة الحياة الدنيا، وأمل الشعوب المستضعفة، نحن جمعية خيرية كبرى، مؤسسة عالمية عظمى، نحن صيحة إنقاذ في ضمير الغيب، وبسمة أمل في فم الدهر، وقبس من نور الله في عالم التيه.

لأننا وحّدنا يوم ألحد غيرنا، وآمنا يوم كفر سوانا، نذنب لكن نتوب، ونخطئ لكن نستغفر، إن عثرنا أقامنا الله، وإن هُزمنا نصرنا الله، وإن ضاقت بنا السُّبل فـرّج الله عنا، فنحـن إلى الله ومع الله وبالله وعلـى الله وفي الله، إلى الله نسير، ومع الله نأنس، وبالله نثق، وعلى الله نتوكل، وفي الله نجاهد، نحن الأمة الخاتمة، خُتمـت بنا الرسـالات، والأمة الوسط صلحت بنا المناهـج، والأمة الشاهدة، نقول كلمـة الفصـل، والأمة المجاهدة، ندوس الباطل، نحن أمـة ابتلانا الله وابتلى بنا، نحـن أمـة الفطرة والقبلـة والملة والسنـة، فالفطرة توحيـد، والقبلة مكـة، والملة إسلام، والسنة اتباع المعصوم، نحن أهل القبلتين والبيعتين والحسنيين والهجرتين والملحمتين، فالقبلتان الكعبة والأقصـى، والبيعتان العقبة والرضوان، والحسنيان النصر أو الشهادة، والهجرتان الحبشة والمدينة، والملحمتان معركة البعثة ومعركة التصفية ضد المسيح الدجال.

نمـوت، ولكن ربنا حي، نذهب ولكن القـرآن موجود، نرحل لكن السنة باقية:
﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾.

المسلمون على درجات في التّدين

ينبغـي على المسلـم أن يكون عادلاً رحيماً؛ فلا يظلـم في أحكامه ولا يقسو في أفعاله، وليقبل سائر المسلمين على مستوياتهم بالتّدين؛ فنحن المسلمين في التدين كطـلاب الجامعة منهـم المقبول والجيد والممتـاز، وقد قسَّم القـرآن أهل الإيمان إلى ثلاثـة مستويات ووعدهم بالرحمة والمغفـرة جميعاً، فقال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ ﴾، فالمسلمـون منهـم العـالم الربـاني والعابد القانـت الخاشع والملتـزم بالواجبات التارك للكبائر، ومنهم الظالم لنفسه بارتكاب بعض المنهيات وترك بعض الواجبات، فهم على درجات متفاوتة بالالتزام بالدّين، وهم في حاجة إلى مـن يدعوهـم برحمـة ويعاملهم برفق لاختـلاف عقولهم ومداركهـم وتباين أفكارهم وكثرة الشبهات والشهوات وضعف اليقين والصبر عند الكثير منهم.

وليسـ بصحيـح أن يُقـال في المجتمع المسلم: فئـة المتدينين أو رجـال الدّين؛ لأننا كلنا رجال دين من العلماء والمسؤولين والأطباء والمهندسين والكتّاب والجنود والتجـار وغيرهـم، فعلـى المسلـم أن يتعامل مـع إخوانـه المسلمـين ويقبلهم على اختـلاف مستوياتهم في التَّدين، وقد كان رسول الهدى ﷺ يعامل المسلمين جميعاً بـل عموم النـاس بالعدل والحكمة والرفـق، وكان يحضر مجلسـه كبار الصحابة والأعـراب والشعـراء والأغنياء والفقراء، بـل حضر اليهود والنصـارى مجلسه، وأطعمهـم ودعاهـم بالرفق إلى دينه العظيم، حتى إنك تجـد في الصحابة الأمير والعـالم والعابد والشاعـر والخطيب والمجتهد في التَّديـن والمقصّر على مستويات متباينـة، ومقصـودي من هـذا ألا نقصي طائفـة داخل المجتمع المسلـم؛ لأنها لم تتشاغـل بالعلم الشرعي؛ فإن لها حق الإسلام وحرمة الدّين وأخوة لا إله إلا الله، فـلا يقال: المتدينون والرياضيون والكتّاب تحت مقصد إضفاء التدين على طائفة واحـدة، بل كلهـم مسلمون، بل يقـال: طلبة العلـم والرياضيـون والكتّاب وهكذا؛

لأن نصب الحواجز بين أبناء الدّين الواحد على غير سبب شرعي ليس منهجاً صحيحاً. والغلاة من كل طائفة يستثيرون خصومهم ويستفزون من يخالفهم فيُرد عليهم بالمثل من الاستثارة والغلو والتنابز بالألقاب والسب والشتم، فتجد بعض المتديّنين لقلة بضاعته من العلم في خصومة مع مَنْ خالفه من المسلمين حتى في فروع المسائل يرى أنه يجب على المسلمين اتباع رأيه، وتجد بعض غلاة الكتّاب يرد على المتدينين بأبشع الأوصاف وأقبح الألفاظ مما يقسّم المجتمع ويثير في النفوس العداوة والبغضاء.

ولو اتسعت صدورنا وارتفعت هممنا لخاطبنا إخواننا المسلمين بألطف العبارات وأجمل الأساليب؛ فإن الآراء لا تصحح بالسب والشتم، والبراهين لا تعرض بالتهديد والوعيد، لأن الحجة الصادقة الناصعة تكفي بنفسها في إثبات الحق، فرجائي أن نعترف بمستويات التّدين وأن نقبل الناس على علاّتهم، ولا نزكي أنفسنا، والله أعلم بمن اتقى، ولسنا نحن من يحاسب الناس، وليست في أيدينا الرحمة أو العذاب، وليست في جيوبنا مفاتيح الجنة، ونحن لم نخلق الناس، ولم نرزقهم، بل نحن عبيد مثلهم.

وقد يكون بعض الناس ممن لا يشار إليه بالبنان أفضل عند الله ممن اشتهر بالتّدين إما لسريرة صادقة أو عمل خاص متقبّل أو خاتمة حسنة، فادعوا الخليقة بالرفق وعاملوهم بالعدل واشملوهم بالرحمة، وليكن إمامكم في ذلك سيد ولد آدم محمد بن عبد الله ﷺ الذي قال له ربه: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾.

حضارة الإنسان قبل حضارة المكان

جميلٌ أن تكون لدينا طرق معبَّدة وشوارع واسعة وحدائق منظّمة، وأجمل من ذلك أن يكون عندنا أمة واعية وشعب مثقف وجيل متعلم موهوب، زراعة الأفكار بأدمغة العباقرة أعظم وأجلّ من زراعة النخيل في البساتين الفيحاء، احترام الذوق العام والاعتناء بالنظام وترتيب شؤون الحياة والتزود من العلم والمعرفة أنفع لنا من نوافير تضخ الماء في الميادين العامة ومن ناطحات سحاب تختال في السماء ومن أبراج عاجيّة تمتطي الجو، إن صناعة الإنسان إنجاز كبير تقوم به الدول المتحضِّرة؛ لأن الاستثمار في الإنسان أغلى وأثمن من الاستثمار في المكان، نحن في الشرق نهتم بالبناء والحيطان والجدران والآثار، وهذا جميل، لكن الأجمل منه الاهتمام بغرس الفضيلة في النفوس والرحمة في الأرواح والمعرفة في الأذهان؛ لأن الإنسان محور الحضارة ونقطة الانطلاق إلى آفاق الرقي والازدهار، ماذا تنفعنا فنادق فارهة وجسور عملاقة وقاعات واسعة مع حشود من الجهلة والمتخلفين الصادّين عن العلم النافع والمعرفة الراقية والخلق الكريم.

إن الإنسان الجاهل الهمجي يخرِّب العمران ويفسد المكان، إن القطيع من الهمجيين الغوغائيين المنحرفين يتحولون حتى في المدن الراقية إلى لصوص وقطّاع طرق ومحاربين وشبكات من المخرّبين ومروجي الأفكار السّامة والأعمال الهدّامة، نريد صناعة بشر بنور الوحي على أرض الرسالة يُسقى بماء الهمة ويُكسى بجلباب الأدب الجميل والسلوك الراقي، تعالَ بإنسان مؤمن متعلّم منظّم مرتّب إلى قريةٍ مبعثرة بالية فسوف يحوّلها إلى روضة أنس ومهرجان معرفة وساحة عمل وإنتاج، وتعالَ بإنسان متخلّف سفيهٍ طائشٍ أهوج بليد إلى حيٍّ راقٍ منظّم مرتبٍ جميل، فسوف يحوّل الحيّ إلى سوق من الضوضاء والهمجيّة وإلى أطلالٍ بالية بفساد ذوقه وقبح نفسه وسوء تصرفه وذميم أفعاله، في العالم العربي تُقام حدائق للحيوان، فيؤتى بأسد من أوغندا وحيّةٍ من كينيا وثعبانٍ من السنغال وفيلٍ من

الهند وثورٍ من إسبانيا وبغلٍ من رومانيا، ثم يُصرف على الحديقة ملايين في الغذاء والنظافة والترتيب والحراسة والدواء والسكن، ولكن الجمهور المتفرج في حاجة إلى مالٍ يتعلم به وينظف جسمه ويصحح أفكاره ويغسل ثوبه ويشبع بطنه ويصرف على أسرته ويعلم أبناءه، ولكن مع الأسف تجد الكثير من هذا الجمهور المتفرج على الحيوان المكرم المعتنى به جاهلاً أميّاً محدود المعرفة ساقط الهمة عديم الذوق!

في الدول النامية المتخلّفة يُهتم بالصورة والمظاهر والظاهرة الصوتية والقوالب على حساب المضمون والمدنية والرقي والنظام والذوق العام والمعرفة، وفي الدول المتحضرة يُهتم فيها بالمعاني وقيمة الإنسان وتنمية الفكر وتربية الموهبة وتثقيف الإنسان والاهتمام بالنابغين والتنافس في الريادة العلمية، إن العبرة بالسيف الصارم لا بذنبه الجميل، فلو ألبست إنساناً جاهلاً منحطاً سفيهاً تاجاً على رأسه ونياشين على أكتافه وأوسمة على صدره لبقي صفراً كحاله الأول لا يزداد إلا انحطاطاً وضعةً وخفّة، ولو ألبست عالماً موهوباً منتجاً عاملاً أسمالاً بالية وثياباً ممزقة لبقيت قيمته وجلاله ورزيته في نفسه ولما ضره لباسه. وفي الحديث الصحيح قوله ﷺ: «**إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**».

يا دعاة الإسلام الزموا الوحي

الأصل في الداعية أن يكون على منهج الأنبياء عليهم السلام في لزوم الوحي والدعوة إلى التوحيد الخالص وتعليم الناس سبيل النجاة في الآخرة، مع توجيههم في أمور دنياهم التوجيه الديني، أما أن يترك الداعية هذا المنهج ويتحول إلى تخصصات أخرى باسم الدعوة إلى الله فهذا خطأ؛ فتجد الكثير من الدعاة تركوا فقه الكتاب والسنة وإصلاح عقائد الناس وتقويم أخلاقهم، وذهبوا إلى حقول إدارة الوقت وفن التعامل مع الآخر واكتساب الأصدقاء وإدارة العلاقات الاجتماعية وفن الخطابة وقضايا الحب والتحدث عن المستحضرات التجميلية والفنون التشكيلية.

وهذه التخصصات لها روّادها والمتخصصون فيها، بل أصبحت هناك دورات تدريبية لكثير من الدعاة برسوم مالية في مشروعات دنيويّة باسم الدعوة إلى الله تحت أسماء اكتساب المهارات وتنمية القدرات وتقوية اللياقات والمواهب، فلا آية ولا حديث ولا كتاب ولا سنة، وأنا أعرف أن ديننا الإسلامي هو للدنيا والآخرة ولكل شؤون الحياة، لكن هناك مسلمين قائمين بهذه التخصصات؛ لأنهم قضوا حياتهم في تعلمها كالمهندس والطبيب والصيدلي والعسكري والمزارع والنجار والخياط والبنّاء وغيرهم، فيأتي الداعية فيترك تخصصه الشرعي في تعليم الناس ودعوتهم بالحكمة والموعظة الحسنة وإصلاح عقائدهم وتهذيب أخلاقهم، يترك هذا ويذهب يزاحم أهل التخصصات الأخرى، فيدخل في دورات ليس له فيها علم، ولم يدرسها أصلاً ولكن ركوباً للموجة، وموافقة للموضة، واستفادة من الشهرة، تحت مفهوم أن الشريعة فيها صلاح كل شأن وتقويم كل اعوجاج، وهو كلام صحيح، ولكن تطبيقه من الدعاة خطأ، فأصبح بعضهم يجيب على الهواء مباشرة عن مسائل الحلال والحرام، والشؤون العسكرية، والسلم والحرب، والاقتصاد والتجارة، والأسهم والبنوك والبورصة، والعلاقات الدولية، والزلازل

والبراكين، والكوارث الطبيعيّة، والمحاصيل الزراعية، وأزمة الغذاء، والماء والهواء والبطالة، وتحسين الأجور، والعمل والعمال، والتاريخ والجغرافيا، والطب الشرعي والطب البديل، وعلم النفس والاجتماع والفلسفة، والمشاركة في بعض الاكتشافات والاختراعات والكيمياء والفيزياء والسيمياء، فلا يعرف الاعتذار من أي جواب، ولا قول: لا أدري، وكأن الله جمع فيه علم الشافعي والبخاري وابن سينا وابن خلدون والمتنبي والغزالي وشكسبير، فله إلمام بكل شيء، واطلاع على كل شيء بلا حدود ولا قيود ولا ضوابط، وأغلبها كلام في كلام، ونقطة من هنا ونقطة من هناك، المهم أن عنده مشاركة وهمة وتفاعلاً اجتماعيًّا ودورات تدريبيّة وسكرتارية ولجنة إعلامية، فأين المنهج النبوي الصحيح من لزوم الوحي والتمسك بمنهج الأنبياء عليهم السلام في غرس الإيمان في النفوس وتعليم الناس العبادة والخلق الحسن وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر في سهولة ويسر ورفق وحكمة بلا تشدد ولا تكلّف؟

وانظر إلى سيرة الأئمة من الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين والمجددين كيف لزموا علم الشريعة ومسائل الإيمان وعلم الحلال والحرام، وتركوا التّشدق والتّفيهق والتّنطع، فبارك الله في جهودهم، ونفع بدعوتهم، واهتدى بعلمهم خَلق كثير، ثم إن هذا اللون الحادث الطارئ من الدعوة ما سمعنا به في آبائنا الأولين، فليس له مثيل ولا شبيه.

فيا دعاة الإسلام، راجعوا أنفسكم، والزموا الوحي، وعودوا للكتاب والسنة، واحترموا التخصصات الأخرى التي ما درستموها، فلها أبطالها وجهابذتها، وقد كفوكم تبعتها، ورحم الله امرأً عرف قدر نفسه.

الإسلام والعالمية

الإسلام عالمي من أول وهلة: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ ولا بد لحملته ودعاته من الإيمان بفكرة عالمية الإسلام، فيحرص على جمال صورته وتقديمه للعالم في أبهى حُلّة، بحيث يكون إسلاماً محبوباً مقبولاً، إن الإسلام المشوّه الذي قدمه البعض ليس هو الإسلام الجميل الذي أتى به محمد بن عبد الله ﷺ إن إسلامنا دين سلام كما يدل عليه اسمه ودين أمن ودين عدل ودين تسامح لا ظلم فيه ولا قهر ولا عدوان: ﴿وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾. فكيف نقنع العالم بعدالة قضيتنا وسماحة دعوتنا، إذا قدمنا لهم إسلاماً حاداً متشنجاً يهدد أمن الناس وحياتهم، لا بد أن يعيي العالم أن هذا الدين رحمة للإنسانية يدعو إلى حياة آمنة للجميع فيها تعارف وتحاور وتواصل، ولهذا رحَّبت أمم الأرض بالإسلام من أول يوم، ودخل الناس فيه أفواجاً؛ لأنهم وجدوا فيه السلام لأنفسهم، والأمن لحياتهم، والبناء لمستقبلهم، رحَّب به بلال الحبشي، وسلمان الفارسي، وصهيب الرومي، ومحمد الفاتح التركي، ونور الدين التركماني، وصلاح الدين الأيوبي الكردي، ومحمد إقبال الهندي، ومحمد علي كلاي الأمريكي، فالذي يريد أن يحافظ على صورة الإسلام الجميلة فليحافظ على مقوماته التي بُعث بها الرسول الكريم ﷺ، ومنها التعارف والتواصل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ﴾ ومنها فتح الحوار والإقناع ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾.

ومنها عدم الإكراه والقهر بل الحجة والدليل ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ ومنها الاعتراف بإنسانية الإنسان وحقه في الحياة: ﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ وإن تقديم الإسلام بصورة مشوّهة لهو معضلة كبرى قام بها الجهلة من الغلاة أو الجفاة، وهؤلاء كانوا سبباً في صد الناس عن الإسلام واتهامه ظلماً وعدواناً بأبشع الأوصاف، كما قال المفكر محمد الغزالي: الإسلام قضية عادلة لكن المحامي فاشل، إذاً فنحن في حاجة

إلى محامٍ عن الإسلام عاقل رشيد، وفي حاجة إلى مدعٍ عام حكيم ذكي، أما الأغبياء والحمقى فيحتاجون إلى حجْر صحي لمداواتهم حتى يشفيهم الله من أمراضهم النفسية والفكرية، ألا يسأل الإنسان نفسه: ما سرُّ انتشار الإسلام في عشرات السنوات من سور الصين العظيم شرقاً إلى نهر الراين غرباً؟ أليس هذا دليلاً على عالميته وسماحته وجاذبيته؟ إن دول آسيا التي أسلم شعوبها لم يدخلها مقاتل مسلم ولا دبابة ولا صاروخ إنما دخلها تجار صالحون دعوا إلى الإسلام بأخلاقهم وتواضعهم وعدلهم، فاستجاب لهم أهل تلك البلدان، إن مهمتنا كدعاة للإسلام أن نحرص على أن يدخل الناس الجنة بالإسلام، ولو كانوا نصارى أو يهوداً أو بوذيين أو مجوساً، فقضيتنا معهم: ﴿**تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ**﴾.

إن الرسول ﷺ لما أرسل أمير المؤمنين أبا الحسن علي بن أبي طالب رضي الله عنه لقتال اليهود في خيبر قال له: «**ادعوهم إلى لا إله إلا الله وأني رسول الله، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيراً لك من حُمر النعم**»، إذن ليست المهمة إنهاء الآخر بل إنقاذه من الضلال وليس المطلوب بتعجيله إلى النار، بل إدخاله الجنة بالهداية، إننا في حاجة إلى وقفة تأمل وتعقل أمام قوله ﷺ: «**إنما بُعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين**» وأمام قوله: «**بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا**»، لن يستجيب لنا أحد حتى يضمن الأمن والسلام لنفسه ولمستقبله، ولن ينصت لنا أحد حتى نحترم إنسانيته ونعطيه مكانته، الإسلام عالمي ولو أبى الرعاع، والإسلام رحمة ولو كره الغوغاء، والإسلام حياة ولو رفض الغلاة، عمر الإسلام أطول من أعمار المنتسبين إليه، وآفاقه أوسع من آفاق المقصرين عن فهمه، الإسلام جميل لكن لا يبصره أصحاب النظارات السوداء، قال المتنبي:

وَمَن يَكُ ذا فَمٍ مُرٍّ مَريضٍ
يَجِد مُرّاً بِهِ الماءَ الزُلالا

كفى تشويهاً للإسلام

ما ذنب سائق التاكسي الفقير الذي يُذبح كما تُذبح الشاة في شوارع الدار البيضاء والجزائر بحجة الجهاد في سبيل الله؟ ما ذنب الجندي الذي يحرس عمارة بمرتب زهيد يعول أطفالاً ينتظرونه في البيت، ثم يُفجّر في صدره الرصاص بحجة أنه مرتد؟ ما ذنب العامل البسيط ونادل المطعم وموظف الشركة والشيخ الكبير والعجوز الكسيرة والطفل البريء؟ ما الجُرم الذي ارتكبوه حتى تمُزّق أجسامهم بالقنابل بذريعة حماية الإسلام والذّب عن حياض الملّة؟ الإسلام بريء من هذا العمل الشنيع البشع، الإسلام أشرف من أن ينحط حملتُه إلى هذا المستوى الدنيء الممقوت، الإسلام دين ربّاني عالمي حضاري إنساني أخبر رسوله الأعظم ﷺ أن امرأةً حبست هرةً حتى ماتت، فعذّب الله المرأة بسبب الهرة، الإسلام حرّم الاعتداء حتى في قتال المحاربين، يقول سبحانه: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾.

كان عبدالله بن أُبّي بن سلول رأس المنافقين وحربة غدر في ظهر الرسول ﷺ والصحابة وفعل الأفاعيل ضد المؤمنين، حتى قال الصحابة للرسول ﷺ: ألا تقتله يا رسول الله؟ فقال الرسول ﷺ: لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه، يالروعة الكلمة ويالجمال مدلولها، كيف يتحدث العالم أن رسول الهداية الربّانية ونبي الرحمة يقتل مَنْ صاحبه ساعةً من نهار، ولو كان منافقاً بل رأس المنافقين حينها لن يدخل أحدٌ الإسلام، سوف تشوّه صورة الإسلام الجميلة لو حصل من الرسول ﷺ تصفيات جسدية لمن كان معه، فما بالك بمن أتى بسلاحه وقنابله ومتفجراته إلى العزّل إلى الأبرياء إلى الطفولة إلى الشيخوخة إلى طبقات الضعفاء الكادحين وراء لقمة العيش إلى صفوف المساكين المعذّبين بقهر الغلاء والوباء والمرض والدّيون، فأتى من يذبحهم بدم بارد ليشوِّه صورة الإسلام الجميلة عبر شاشات الفضائيات ومواقع الإنترنت ويشّمت بنا الأعداء ويُضحِك علينا الأمم ويجعل مليار، ونصف المليار مسلم في

موقـف لا يُحسـدون عليـه، خجلنـا واللّه من هـذه التصرفات نأسف لهـذا العمل الأرعن السفيه، نبرأ إلى اللّه من هذه الأفعال الشريرة، ونعزِّي الأمهات المسلمات في الجزائـر والمغـرب والعراق وكل بلد اُبتلي بهذه الآفـة ونقول لهؤلاء الغلاة: كفى تشويهاً للإسلام، وكفى إساءة لحملته الصادقين، وكفى إضراراً برسالتنا الخالدة، ألا عقل يردع؟ ألا ضمير يستفيق؟ ألا بقية من إسلام؟ ألا ذرة من حياء؟

شاهـدتُ عجوزاً في مكان الانفجار تصـرخ، وتولول وترفع يديها إلى السماء، وتقـول: اللهـم، انتقم لنا منهم، شاهـدتُ عاملاً بسيطاً يكـدح في طلب الرزق قد انفصلـت قدمه وسالت دماؤه وهـو ينتحب، شاهدتُ فتـاة في ريعان العمر تغيّرت معـالم وجهها، وذهبت عيناها وأنفها ودماؤها تبلُّ الثرى، الآن يشمت بنا المحتلون الصهاينـة واليوم يضحك علينا أعداء الإسلام ويصفِّقون طرباً بما فعله السفهاء منّـا، كلما قـام عقلاؤنا بتصحيح صـورة الإسلام ودفع الشّبه عنـه قام السفهاء بتشويـه هذه الصورة وطمسها، كيف ندعو العـالم الآخر للإسلام وهم يشاهدون بعض المنتسبين إليه يفجِّرون المطاعم وملاجئ الأيتام والمدارس والمستشفيات ودور الرعايـة؟ ويا حسرتاه على من فعل بالإسـلام، الدين الخاتم دين الرحمة والعدل والسـلام الدّين الذي اعترف بجلالته وسموِّه وعالميتـه حتى أعداؤه، كل يوم نضع أيدينـا على قلوبنا خوفاً من تشويه السفهاء وأفاعيل الحمقى وتصرفات الأغبياء، ارفعـوا فوَّهات البنادق وأغمدوا سيوف الغـدر، وضعوا السلاح، فقد سفكتم الدم الحـرام، وقتلتـم النفس المعصومة، وشوّهتـم الدين العظيـم، وأبكيتم الأصدقاء وأفرحتـم الأعداء وأشمتم بنا أمم الأرض، اخرجـوا إلى النور، وأقبِلوا على طلب العلـم وصحِّحوا مسيرتكـم، وعودوا إلى رشدكـم، وتعالوا إلى جماعـة المسلمين، وادعوا إلى سبيل اللّه بالحكمة والموعظة الحسنة، وشاركوا في التعليم والبناء ونفع النـاس والوقوف مع المساكين وإغاثة الملهوفين، وساهموا في صُنع حضارة الإسلام، فباب التوبة مفتوح وكلنا خطّاء، وخير الخطائين التوابون.

اختطاف المشروع الإسلامي

ما هذه الفتنة العمياء، والداهية الدهياء، التي ضربت في صميم مجتمعاتنا، واجتاحت فئاماً من شبابنا، وحوَّلت سهامهم إلى صدور أهليهم، فأخربوا بيوتهم بأيديهم، فخرَّ عليهم السقف من فوقهم، وأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا فكشفت أوراقهم، وظهرت مخبآتهم، فيا للفجيعة الفظيعة، وللعمل المشؤوم، والمصير المظلم!

إن المشروع المحمدي كان عنوانه (رحمة للعالمين) كل العالمين، استظل بفيئه الوارف القريب والبعيد، والموافق والمخالف، والبر والفاجر، وكانت الرحمة شعاره ودثاره، حتى قال لأعدائه حين ظفر بهم: «**اذهبوا فأنتم الطلقاء**»، ولم يحاكمهم على جرائمهم، ولا كشف أوراق من خططوا لاغتياله في العقبة يوم تبوك، وأبى قتل المنافقين، وهم أحابيل المؤامرة اليهودية على الدولة الناشئة، وأعرض عن غورث بن الحارث وقد شهر السيف صلتاً فوق رأس المصطفى ﷺ، وفتح مكة بعدما امتنعت عليه، فما نصب المشانق ولا أقام المجازر، وما قتل أعمدة الحرب وأركانها، كان قتلى الفتح دون أصابع اليد الواحدة، فصحَّ أنه رحمة، وأن دينه رحمة، وأن شريعته قامت على الرحمة.

وَإِذا رَحِمتَ فَأَنتَ أُمٌّ أَو أَبٌ
هَذانِ في الدُّنيا هُما الرُّحَماءُ

وَإِذا أَخَذتَ العَهدَ أَو أَعطَيتَهُ
فَجَميعُ عَهدِكَ ذِمَّةٌ وَوَفاءُ

والمشروع المقتفي أثر النبوة يجب أن يكون رحمة وبرًّا، ودعوة وحبًّا، وتأليفاً ولطفاً، وتسامحاً وعفواً.

أمـا العدوانية الباغية التي تأتي على الحرث والنسل، وتقتل القريب والبعيد، وتحمـل السلاح على الآمنين، وتنبذ العهد، وتشـق عصا الطاعة، فهي خروج على الصـف الواحد، تجدّد ما كاد يندرس من صنيع سفهاء الأحلام، حدثاء الأسنان، الذين عوّقـوا مسيرة الفتح، واعترضوا مشروعات التنميـة والبناء، وأربكوا خطة الدعوة، وقطعوا ما أمر الله به أن يوصل.

مَـنِ المستفيد من تدمير المنشآت؟ ومن الرابح من ضرب البنية الاقتصادية؟ ولمصلحة مَنْ تتلقى أجيـال وشعوب رسالة مضلِّلة مفادها أن الإسلام قتل وتدمير وعشوائيـة وعدوان؟ ما هذه الجراءة على حـدود الله وتقحّم المهالك؟ واستحلال الدم الحرام؟ وإهلاك الحرث والنسل؟ والتعرض للحرمات العظيمة في كعبة الله وبيتـه، وفي عباده الصالحين، وفي أهل الأذكار والأسحار، وفي الرُّكَّع السجود، وفي عوام المسلمين المصلين، وفي الصبية البرآء، والحرمات والنساء؟

أي عقـل غرب عن هـؤلاء؟ وأي ضمير مات؟ وكيـف استرخصوا أنفسهم في غـير طائل، وأقدموا على حرب يخوضونها بالباطل، فلا لحق الله رعوا، ولا خوفٌ مـن عقوبتـه وناره ووعيـده دعوا، ما أقبـح الانفصال عن الجماعـة، وخلع السمع والطاعـة، والاعتداد المفرط بالـرأي ولو قاد إلى هوى، واللجـج في الخصومة ولو أدى إلى التلف.

الأمة اليوم في مهبط الوحي تتفيأ ظلال مشروع إسلامي شامل، يبني المجتمع، وينمِّـي الاقتصاد، وينشر العلم، ويجمع الشمـل، ويوحِّد الصف، ويسعى للتطوير، ويستوعـب الجميع، ويفتـح أبواب الخير والعمـل والنفع وكل مـن أراد أن يعمل أو يبنـي أو ينجز، وما هو بمعصوم عـن النقص الذي يتطلب الاستدراك والتصحيح والتناصح بين المؤمنين، إن طالباً في صفِّه، أو طبيباً في عيادته، أو جنديّاً في ثكنته، أو خبـيراً في عملـه، أو عامـلاً في حقلـه، أو راعياً لغنمـه، أو امـرأة في بيتها، هم شركاء في إنجاز وعمل صالح فيه مرضاة الله، ونفع لخلقه، وهم أعضاء صالحون

في المشـروع الحضاري للإسلام، أما هـواة التدمير، ومحترفو التفجير، وأساطين التكفير، فلهم كل السخط من الجميع، والنبذ من الكلّ، وهم شجرة حنظل اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار، المشروع الإسلامي رحمة وعدل وتعمير، والمشروع الظلامـي عنف ورعب وتدمـير، المشروع الإسلامي معه العـدل والشرعيّة والأمّة، والمشروع الظلامي معه البغي والعدوان والخروج على الإجماع.

obeikandl.com

الإسلام السياسي في مأزق

أنا مؤمن والله أن الإسلام هو الحل عقيدة وحكماً ومنهج حياة، ولكن على طريقة رسولنا ﷺ وسوف أكون اليوم شجاعاً بدرجة إيصال صوت النصح لإخواني الإسلاميين في الحركات الإسلامية، وسوف أترك المجاملة حتى أنتهي من كتابة هذا المقال، فأقول: ألا يكفينا ما مرَّ بنا من تجارب وحوادث دامية مبكية أثمرتها المواجهة مع الحكام والصدام الدموي معهم دون فهم لسنن التاريخ وتدبر للواقع، لماذا اتجه أهل الإسلام السياسي من إصلاح الفرد والأمة إلى طلب الحكم والحرص على الكرسي بأي ثمن ليحكموا شعوباً جاهلة بالدين (هريانة كحيانة)؟

لماذا نجعل إقامة الخلافة من أهم مطالب الدين ومقاصد الملّة كما قالت الشيعة في الإمامة؟ بل أهم مطالب الدين الإيمان بالله وحده وإفراده بالعبودية واتباع رسوله ﷺ والعمل بطاعته، لماذا نحرص كل الحرص على تولِّي المناصب التي رفضها من هو أتقى وأعلم وأكرم منّا: الثوري، وابن المسيب، والحسن البصري، ومالك، والشافعي، وأبو حنفية، وأحمد وكل أئمة الإسلام، ما هذا التصعيد الحاد في الخطاب، وطلب المنازلة، والحرص على المواجهة، هل نريد زيادة في التنكيل بنا وذبح أبنائنا وهدم بيوتنا وتشريد نسائنا؟ أقول وقلبي مع الإخوة في فلسطين وهم يعيشون الحصار والقتل والتدمير والتّضييق بل المجاعة والاجتياح من قبل عدو شرير مارد أُعطي الفرص من كل الأطراف لممارسة العبث والهوج والتلاعب بدماء المسلمين.

وأنا لا أطالب الإسلاميّن بسياسة بعض الأنظمة العربية التي آثرت الذّل والخنوع والتبعية مع المحتل، إنني أطالب الإسلاميين بسياسة رسولنا ﷺ الإمام القدوة، فإنه في حال الضعف آثر عدم المواجهة كما فعل مع المشركين في مكة، واهتم ﷺ بإصلاح الناس وتربيتهم وتعليمهم، حتى أخرج جيلاً راشداً مثاليّاً، ثم أقام دولة هي أعظم وأعدل دولة عرفها التأريخ، وعلى

الإخـوة في فلسطـين وفي غيرها مـن بلاد الإسـلام ألا يعوّلوا كثـيراً على المواقف الشفويّـة العاطفية المجردة من النفع، التي تنتهي بخطاب مواساة وتضامن يوقعه ألـف عالم إسلامي، فوالله لو كتبت عريضـة دون دعم مالي وعسكري ووقع عليها مئـة عالم مسلم وأذاعتها أشهر قناة فضائية (99) مرّة لما أطعمت هذه العريضة أبنـاء الشعب الفلسطيني خبزاً من (البقّالة) ولا أسقتهـم كوب ماء، ماذا جنينا مـن المواجهة الدمويّة مع النظام في مصـر وسوريا والجزائر وتونس غير السجون والقتل ويتم الأبناء وضياع الأسر وحظر الدعوة والتضييق على العلماء، وكأن بعض الإسلاميين يرون أن الإنسان لن يدخل الجنّة حتى يسجن ويقطّع ظهره في الزنزانة ثم يذبح ويسلخ (بل نسأل الله العفو والعافية).

وفي الحديـث: «**لا تتمنـوا لقـاء العـدو وسلـوا الله العافيـة**»، وقـد ذكر ابن خلـدون في مقدمتـه: إن الطوائـف المحتسبة من أهل العلم مـا قامت على سلطان عـادل أو ظالم إلا كانت الدائرة على تلك الطائفة؛ لأنها جهلت المنهج النبوي على حديـث: «**مـن رأى منكم منكـراً فليغيره بيده فـإن لم يستطـع فبلسانه فإن لم يستطـع فبقلبـه وذلك أضعف الإيمـان**»، فبدل أن تقوم هذه الحركات الإسلامية بالدعـوة النبوية وإصلاح الأمة وتربية الجيل تريد أن تقفز إلى رأس الهرم وتهمل القاعـدة وتواجـه أنظمة ولو أنهـا فاسدة ولكنهـا تملك طوابـير العسكر وجيوش الشرطـة وأسـراب الطائرات وقوافـل الدبابات، بينمـا عنـد الإسلاميين عشرة مراكـز صيفية ومئة خيمـة كشفية، وانظر إلى الإسلاميـيّن في الجزائر وأنا أعلم أن النظـام ظلمهم حقهم لما فـازوا في الانتخابات، كانت طريقتهم في الدعوة غير ناضجـة وكان المطلوب منهم تربيـة الشعب الجزائري الباسل علـى الإيمان؛ لأنه خرج من الاستعمار جاهلاً بدينه وعقيدته، وفي حاجة إلى تربية إسلامية راشدة، ولكـن ترك ذلك كله إلى خطـب رنّانة طنّانة حماسية عاطفيّـة تدعو إلى: النـزال النـزال بـلا علم ولا رويَّة، ثم قامـت المظاهرات والاشتباكات ثـم القتل والتدمير ثـم تمزيق الشعب الجزائري وإزهاق أرواح ربع مليون مسلم حرام الدم، فهل كان

يعرف الإسلاميّون أن حكومة الجزائر عندها نصف مليون من الجيش المدجّج بالسلاح وربع مليون من الدرك الملغم بالقنابل وثكنات من العتاد، بينما ليس عند الإسلاميين إلا ألف كتاب، ومئة مسجد جامع وصحيفة واحدة، أخرجوا لنا الآن عشرة علماء كبار من علماء الشريعة يشار إليهم بالبنان في الجزائر أو تونس أو المغرب أو غيرها.

أفيقوا أيها الإسلاميون، وحكِّموا سياسة الرسول ﷺ في دراسة المراحل ومعرفة الحال والفهم لرسالة الإسلام ومقاصد الشريعة، وأصلحوا الناس وردّوا الشعوب إلى الإيمان بالله واتباع رسوله ﷺ ودعونا من العنتريّات والغضبة المضريّة التي ما قتلت ذبابة بل جرّت علينا الويلات والمعتقلات والأزمات، وأنا بالمناسبة أحيي حزب العدالة والتنمية الإسلامي بتركيا، وأنا قد زرت تركيا ثلاث مرات فوجدته يربي الناس على تعاليم الإسلام الصحيح، وعنده حكمة وصبر وذكاء ودبلوماسية وفهم للواقع وفقه بالمناخ الدولي، فاعتبروا أيها الإسلاميون، وأعيدوا القراءة من جديد، وهذه نصيحة من أخ ناصح محب: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾.

نعم للإسلام لا للطوائف والمذاهب

زرت أثيوبيا وألقيت محاضرة بأديس أبابا حضرها جموع من كافة المذاهب والحركات الإسلامية من الأحناف والمالكية والشافعية والحنابلة والإخوان والتبليغ والصوفية وغيرهم، فقلت للجميع: أنا لا أدعوكم إلى مذهب من هذه المذاهب أو جماعة من هذه الجماعات، فأنا لست حنفيًّا ولا مالكيًّا ولا شافعيًّا ولا حنبليًّا ولا إخوانيًّا ولا تبليغيًّا ولا أنتسب لأي مذهب فقهي ولا جماعة إسلامية معينة بل أدعو إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ على ما كان عليه أهل بيته وأصحابه رضوان الله عليهم، ولست معصوماً بل قد يصدر مني أخطاء، فإذا خالف قولي الكتاب والسنة فاضربوا بقولي عرض الحائط، فمظلتنا الكبرى جميعاً الإسلام، ورسالتنا التوحيد، وما فرقتنا إلا هذه المذاهب والحركات والشعارات والأحزاب، فالله سمانا المسلمين ودعانا إلى الاعتصام بحبله وأوجب علينا أخوة الإيمان ونهانا عن التفرق والاختلاف لكننا أطعنا الشيطان في التحريش بيننا، فبدأ التعصب الفكري في عصر انحطاط الدولة الإسلامية وظهر التقليد المذهبي في وقت فتور الهمم وانطفاء نور الوحي وهجر الدليل كتاباً وسنة، ونشأت جماعات إسلامية وحركات دعوية وأحزاب وطنية ومناهج فكرية وطوائف متناحرة متصارعة أضعفت وحدة المسلمين وشتت شملهم ومزقت كلمتهم وأوهنتهم أمام أعدائهم وأضرت بسمعتهم وخالفت بين قلوبهم فحارب بعضهم بعضاً وقاتلت طائفة منهم طائفة أخرى واستحكم بينهم العداء وانتشرت البغضاء وعمّت الشحناء؛ لأنهم تركوا المنهج الأول والهدي النبوي الكريم في التمسك بالكتاب والسنة، فابتلاهم الله بالاختلاف والشقاق والفرقة.

وبهذه المناسبة، فإني أدعو جميع المسلمين وكل من يتشرف بحمل: (لا إله إلا الله محمد رسول الله) أن يعود إلى رشده وينبذ التقليد المذهبي والتعصب الطائفي، والميول الحزبية، والاغترار بالشعارات والاستماع لكل ناعق، بل عليه

أن يعود إلى الوحي المنزل وإلى سيرة النبي المعصوم ﷺ ويحكّم الشريعة على ظاهره وباطنه وينضوي تحت مظلة السنة النبوية، ويهتدي بهدي خير القرون من الرعيل الأول الذين زكاهم الله وأثنى عليهم ورضي عنهم، وليتّقِ المسلم ربه فلا يزيد في تمزيق الأمة بالدعوة إلى مذهب أو طائفة أو جماعة أو حركة أو حزب، بل عليه أن يرضى بما رضيه الله له ولكل مسلم من اتباع رسوله الإمام القدوة والأسوة الحسنة، كما قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾.

وقد زرت أكثر من ثلاثين دولة فوجدت أن المسلمين نقلوا خلافهم المذهبي والطائفي والفكري إلى بلاد الغرب والشرق، فالمساجد والمراكز الإسلامية موزعة بين المذاهب والجماعات والطوائف والحركات الإسلامية وبلغ من سخف بعضهم وحمقه وطيشه وتهوره أنه استخدم المنبر والمحراب في التشنيع والتحذير من إخوانه المسلمين من الطوائف والمذاهب والجماعات الأخرى التي لا توافق رأيه، فصرنا ضحكة بين الأمم ونكتة بين الشعوب تلوكنا الألسن ويسخر منا الآخرون، وبدل أن ننشر رسالتنا الربانية العالمية الخالدة أصبحنا ننشر غسيلنا ومآسينا ومصائبنا وبغضاءنا بين الأمم فانشغلنا عن نشر الإسلام بمحاربة أهل الإسلام وتركنا الوحدة الإسلامية إلى الدعوة الحزبية الطائفية المذهبية المقيتة الضيقة، وقد زرت في خلال رحلاتي من دعاني من كل المذاهب والطوائف والجماعات الإسلامية فكنت أدعوهم إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإلى الوحدة الإسلامية والرابطة الإيمانية ونبذ الخلاف والفرقة والشقاق وأخبرهم بمآسي النزاع الذي حصل بيننا والتفرقة التي حلت بنا وكيف توحد غيرنا على اختلاف أعراقه ومذاهبه وتوجهاته واختلفنا نحن برغم وجود الدين الصحيح معنا والشريعة السمحاء والملة المحمدية المباركة، فصرنا كالمحامي الفاشل الذي يدافع عن قضية عادلة، حرام هذه الفرقة، حرام هذا الاختلاف، حرام هذا التنازع، حرام هذا التصرف الصبياني الطائش العبثي، يقول تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾.

متى ننتصر على الشيطـان والهوى والنفس الأمّارة؟ متى نعود عودة صادقة للمنبـع الأول الصافي العذب الزلال؟ منبع: قال الله، وقال رسوله ﷺ، تعالوا أيها المسلمـون، إلى الوحـي المقدس ودعونا مـن آراء الرجال وأفـكار البشر وتوجهات النـاس، ونعم، للإسلام ولا، للمذهبية، ولا للطائفية، ولا للحزبية، ولا للتعصب، ولا للتقليـد: ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾، كفـى قتالاً، كفى نزاعاً، كفى حقداً، كفى بغضاء، آن الأوان للاتفاق والعناق ونبذ الشقاق والنفاق وسوء الأخلاق.

obeikandl.com

الخلافة الإسلامية في غرفة بلندن

حدثني أحد الدعاة المشهورين أنه سمع خطيباً في لندن يخطب خطبة الجمعة في غرفة ضيقة معه مجموعة من الأشخاص وهو يدعو لإقامة الخلافة الإسلامية، قال الداعية: فأخذت أضحك من المشهد، والحقيقة أنه مشهد مضحك مبكٍ، فشخص قليل العلم غريب عن أهله ومجتمعه في غرفة بالأجرة وعاجز هو وإخوانه عن بناء جامع، وهو يحمل إقامة مؤقتة قام ينادي بإقامة الخلافة الإسلامية التي عجزت عن إقامتها دول ومنظمات وجماعات إسلامية، وما أدري ما هذا الحمق الذي تلبّس بهذا الخطيب حتى أنساه نفسه وواقعه وخرج من العالم المشهود إلى عالم الرؤى والأحلام، والواجب عليه أولاً أن يطلب العلم حتى يدعو إلى الله على بصيرة ثم يتكلم فيما ينفع الناس من دعوة إلى الإيمان بالله والخلق النبيل والحكمة والموعظة الحسنة، وقبل أن يدعو إلى إقامة الخلافة عليه أن يؤمّن أجرة الغرفة التي يخطب فيها مِن دخْل حلال، وعليه أن يصلح وضعه القانوني في البلد الذي يقيم فيه أو فرّ إليه من القمع أو هرب إليه من الفقر أو شرد إليه من الجوع، ثم بعد ذلك ينبغي عليه أن يحسّن صورة الإسلام المشوهة عند الكثير من غير المسلمين، وهذا التحسين يكون بالكلمة الطيبة والخلق الجميل والبسمة الموحية والتصرف السليم والنهج الحكيم.

فالخلافة الإسلامية ليست ورقة مزايدة ولا سلعة مرابحة، فالمسلمون قبل الخلافة وبعدها مأمورون بتوحيد الله واتباع رسوله ﷺ والتآلف والتآخي والرحمة بالناس والرفق بالبشر وإصلاح النفس والمجتمع، وسوف نعبد الله وندعو إلى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة قبل الخلافة وقبل المهدي المنتظر، أما إحالة الناس إلى المجهول وإدخالهم في نفق مظلم لا يعلمون نهايته فهذا شأن المهرجين والمحرجين والمروجين، ألا تعجبون من شاب سافر إلى بريطانيا يطلب اللجوء السياسي وليس له مال ولا وظيفة ولا سكن ولا مرتب، فلما أصبح مقطوعاً من شجرة وهو عزب فقير

مشرّد قام في غرفته خطيباً ينادي زملاءه بإقامة الخلافة الإسلامية ونسي أن الأمة الإسلاميــة أمة المليار ونصف المليار مــن جاكرتا إلى نواكشوط عجزت عن أن تتفق علــى قرار واحد حول العــراق وفلسطين وأفغانستان؟ ويريد هذا الأخ أن يجمع الأمة من غرفة في شقة في عمارة في شارع في حي من أحياء لندن (والجنون فنون).

إن ممثلــي الأمــة ينبغي أن يكونــوا من الحكمــاء العقلاء أهــل العلم والعمل والحكمة والعطــاء والبصيرة والاتزان، أما أهل الجهــل والطيش والسفه والحمق فينبغي أن يطلبوا العلم، وأن يتفرغوا لأمورهم المعيشية، فالنجار في نجارته والخباز في مخبزه والعامل في ورشته والفلاح في مزرعته وسوف يُشكرون ويُؤجرون؛ لأنهم أدوا ما عليهم من تكاليف، أما أن يكون منبر الجمعة وحلقة الدرس وشاشة التلفاز لكل من حفظ حديثاً أو قصة أو سالفة أو حكاية فهذا معناه الاستهزاء بعقول الناس والسخرية بأمة الإسلام وتشويه الدّين عند غير أهله.

واعلموا أن العلم والمعرفة تحتاج إلى سنوات طويلة من الجد والمثابرة والعكوف والسهر والبحث والدراسة حتى يَهِن العظم ويشتعل الرأس شيباً، آمل من الشباب أن يتقــوا الله في رسالتهم ودينهم وأمتهم، وألاّ يعبثوا بالمصطلحات الشرعية، وألاّ يجعلــوا قضايا الإسلام لعبــة، وألاّ يُضحِكوا علينا أمم الأرض، وألاّ يجعلوا ديننا نكتة يلوكها الحاقدون والمغرضون.

إن الإسلام دين رباني عالمي جاء للعقلاء والأسوياء، جاء يحترم العقل ويطهر الضمير ويصفي الروح ويصلح المجتمع وينشر المعرفة ويبني صروح الفضيلة ويقيم العدل والسلام والإخاء في العالم.

obeikandi.com

جربوا الاقتصاد الإسلامي

حضر مندوبُ اليمن عبدالله بن يحيى العلوي وكان شاعراً إلى مؤتمر دول عدم الانحياز الذي دعا إليه عبدالناصر ونهرو وتيتو، فرفع مندوب اليمن تقريره إلى إمام اليمن آنذاك أحمد حميد الدين وجعل التقرير في قصيدة، يقول فيها:

والعالم الثالث في نزاعِ
مختلف الأهواء والأطماعِ

فذاك شيوعي يقول: مالي
لدولتي ورأس مالي

وقد دعا إلى اجتماعٍ ناصري
من أجله تيتو وعبدالناصرِ

وفي الوفود غانة غنيّة
أظنها من أسرة غنيّة

تلمحها الأبصار بالتوالي
وبالخصوص من سفير مالي

والقصيدة فيها سخرية وتهكم بالمؤتمر والمجتمعين.

والمقصود أن العالم جرّب في الاقتصاد الاشتراكية، فكدحت الكادحين، وبطحت الجالسين، وأفلست بالاشتراكيين أجمعين، وجرّب العالم الرأسمالية فتضخّمت الملكية الفردية بكل وسيلة غير مشروعه على حساب الأمة، ثم أعلنت الرأسمالية إفلاسها ونعاها أساطينها وبقي الحل الإسلامي في الاقتصاد العالمي الذي دعا إلى العمل به علماء الإسلام والذي شرعه الله على عباده، وهو أعلم سبحانه بمصالحهم ولكنهم يأبون إلا أفكار البشر وأوهام البشر ودساتير البشر:

﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ والنظام الاقتصادي في الإسلام صمام أمان للفرد والمجتمع، فهو يقوم على أحقية الفرد في التملك بالطرق المشروعة مهما بلغ ماله خلافاً للاشتراكية، ويحرّم التملك بالطرق الضارة بالناس من ربا وسحت وغرر وغشّ وخداع ونحوها خلافاً للرأسمالية، وضمن للفقير ما يكفيه وهي الزكاة بما يعادل ٢,٥٪ وحثَّ على الصدقة في وجوه الخير.

والعجب أن بعض علماء الاقتصاد في الغرب دعوا إلى تخصيص ٢٪ من الدخل لصالح الطبقات الفقيرة والمسحوقة وتخفيض نسبة الفائدة، وقد سبقهم إلى هذا الإسلام بقرون، فانظر كيف أباح الله البيع وحرّم الربا ودعا إلى الكسب الحلال ونادى بحفظ المال ودعا إلى الصدقة وأوجب الزكاة ومنع الغش، وجاءت النصوص تشجع الاستثمار المباح ونادى ابن عوف رضي الله عنه: «**دلوني على السوق**»، وذهب خليفة المسلمين أبوبكر الصديق رضي الله عنه إلى السوق يبيع ويشتري حتى فرض له الصحابة رضي الله عنهم راتباً من بيت المال فعاد لإدارة الدولة، وعجبي لا ينتهي من بعض أبناء المسلمين الذين يدعون لتقليد الشرق والغرب من اشتراكية ورأسمالية ونسوا شرع الله المطهر، ولكنه التقليد الأعمى، والمهزوم لا يثق بمنهجه، والمحبط لا يرى إلا جدار غرفته، والإمّعَة التابع يحاكي محاكاة الببغاء، حتى إن من أبناء العرب من عقّ الرسالة الخالدة كالماركسي الأحمر، والبعثي الأغبر، والاشتراكي الأنكر، والرأسمالي المدبر، والله أكبر على من طغى وتجبّر.

أيها العالم: جربوا الحل الإسلامي كما جربتم حلولاً أثبت الزمن فشلها؛ لأن شرع الله من أعلى وهي من أسفل، ولأن منهج الله من فوق وهي من تحت، ولأن الرسالة من رب العالمين، وهي من التراب والطين.

العالم مقبل على دمار اقتصادي ولا حلَّ له إلا الحل الإسلامي، وقد حصل دمار قبل هذا عندهم في الأخلاق والأسرة، وأنا أتحدى أن تكون هناك معضلة لا حل لها في الإسلام كبرت أم صغرت، حتى إن كثيراً من المشرعين في الغرب

نــادوا إلى الاستفادة من أحكام الإسلام في العقوبات وأحكام المال وشؤون الأسرة والمرأة، فأين علماؤنا من تقديم رسالة واضحة ودعوة صادقة مقبولة تبين سماحة الإسلام ويسره، ولكنهم مختلفون إلى الآن في رؤية هلال رمضان: هل هو بالحساب أو الرؤية ولهم سنوات؟

أيهــا العــالم، عندنا حل ربّاني سماوي أتانا بسنــد متصل عن رسول الله ﷺ عن جبريل عن رب العالمين:

سندٌ كَــأَنَّ عَلَيـهِ مِـن شَمسِ الضُّحى

نــوراً وَمِـــن فَلَـقِ الـصَـبـاحِ عَـمـودا

obeikandl.com

المحافظة على الهوية الثقافية

عندنا موجة تسونامي في تغيير هويتنا الثقافية ونسيجنا الاجتماعي ووحدتنا الأسرية والوطنية، ونحن نرحب بكل مسلم يفد إلينا، فالله شرّفنا بالإسلام وجعل بلادنا مهبط الوحي وجعل قبلة المسلمين في أرضنا، ولكن هناك عمالة سائبة وجسماً عقديًّا غريباً من السيخ والهندوس والمانوية والزرادشتية والمزدكية والمجوس عبدة النار أصبحوا يدبون في شوارعنا دبيب النمل، ويخترقون بيوتنا اختراق الخلايا السرطانية للجسم، وهم يشكلون كتائب معبّأة وقت الطلب، وسوف يتحولون مع الزمن إلى جيوش ثائرة إذا أحسّت بالغبن أو القهر، وحينها لا تستطيع الحكومات المركزية أن تدافع عن نفسها، ومن يقرأ التاريخ يجد أن هذا قد حصل كثيراً، فثورة الزنج في بغداد أصلها عمالة دخيلة سائبة غريبة على الدّين والهوية الثقافية، وكذلك ثورة الحشاشين، والمتوكل اُغتيل أصلاً بعدما مكّن الجسم الغريب على الإسلام من تغيير النسيج العقدي للأمة، وانتبه هارون الرشيد للبرامكة وهم يحاولون سرًّا الاستيلاء على زمام الأمور، وأسرّ بعضهم عبادة النار.

وشوارع الخليج العربي تقتضّ بطوابير أصبحت هي السواد الأعظم، وأصبح المواطن بينهم كالشعرة البيضاء في الثور الأسود، بل أصبح كثير من أطفالنا يرطنون بالأردو والبشتو، فبعض دول الخليج الشقيقة التي أصبحت تسابق الزمن في الرقي والازدهار أصبحنا نخاف على هويتها العقدية والثقافية والوطنية بأنها دول طموحة ولكنها فتحت الباب على مصراعيه للوافدين الذين صار لهم كثير من حقوق المواطنة مع ما يحملونه من معتقدات تصادم ديننا تماماً وثقافتنا وأخلاقنا، والواجب علينا أن ننظر إلى المستقبل وأن نفكر في تغير الزمن وتقلّب الدهر وحدوث الأمور الطارئة، فإذا حصل أمر مرعب بسبب هذا الجسم الغريب الوافد والطوفان الجارف الكاسح فلن ينفع الندم، وقد نصح كثير من العلماء والحكماء خلفاء بني العباس بعدم السماح للأفكار المعادية للإسلام بالتغلغل في

الدولـة الإسلامية بواسطة الوجـوه الغريبة المريبة ولكن لم ينفع النصح، فالمأمون مثـلاً مكّن للجهميـة الخراسانية من عاصمة الإسلام فأخـذوا يغيرون السنّة إلى بدعـة والهدايـة إلى ضلالة وتسببوا في قتـل علماء الإسـلام وسجنهم وتركوا في الأمـة فتنة عظيمة بقيت آثارها إلى الآن، ثم أتى خلفاء آخرون أعجبهم ما يسمى (الانفتاح على الآخر) فصاروا هم الضحية وذهبت الدولة.

فيـا حكام الخليج، ويا صنّاع القرار، أنتم قوم شرّفكم اللّه بالإسلام وآباؤكم وأجدادكـم بنوا دولهم على التوحيد ودفعوا دماءهم وأنفسهم رخيصة في سبيل لا إلـه إلا اللّه فكيف يحصل الآن التساهل والتهـاون وغض الطرف وعدم المبالاة في حماية معتقدنا الإسلامي الصحيح وثقافتنا الإسلامية وأخلاقنا الفاضلة النبيلة، وأشقاؤنـا العرب من اليمن ومصر والشام والمغرب العربي أولى من المجوس عبدة النـار وأقرب مـن الهندوس عبدة البقـر وأحب من المانوية عبـدة النور والظلمة، يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾. وإذا لم تكن هناك غيرة دينية إسلاميـة فلتكن هنـاك غيرة على الحكم والوطن، وليقدِّر كلٌّ منا احتمالاً وارداً أن هـذه العمالة الهائجة المائجة تخرج عـن طورها يوماً من الأيام لتطالب بحقوقها، وتكـون لها قيـادة ثم تأتي على الأخضر واليابس، وحينهـا سوف يقف معها العالم ومنظمـات حقـوق الإنسان وربما تدخل مجلس الأمن لحمايتهـا، وإذا طال الزمن فقد يصبح المواطن عاملاً عند سيده الوافد كما حصل في بعض دول أوروبا، وأكرر وأقول أيها الخليجيون، أذكركم بقول الشاعر العربي:

أَمَـرتُـهُـمُ أَمـري بِمُـنـعَـرَجِ الـلِـوى
فَلَم يَستَبينوا النُصحَ إِلا ضُحى الغَدِ

وتصـوّروا البيت الخليجي إذا كان السائق هنديًّا والحارس بنغالياً والقهوجي سرلانكيًّا والمربية فلبينية والطباخة إندونيسية، أما الأب فهو مشغول بسهرات لعب الورقـة والعرضات الشعبية، والأم تراجع المستشفيات؛ لتخفيف الوزن، حينها قل:

علـى البيت السلام، وكبِّر عليه أربعاً وصلِّ عليه صلاة الجنازة، وشارك أبا العلاء المعري في قوله:

فيا مـوْتُ زُرْ إنّ الحـيـاةَ ذَمـيـمَـةٌ
ويـا نَـفْـسُ جِـدّي إنّ دهــرَكِ هــازِلُ

ومـع ذلك عندنا مئات الألـوف من العاطلين عن العمل، لكن كما قال الشاعر عبدالله البردوني: (يمنيّون في المنفى، منفيّون في اليمنِ).

opeikandl.com

السلام عليكم ميثاق شرف

سبقنا العالم بقرون بالدعوة إلى السلام، فشعارنا دائماً (السلام عليكم)، عند اللقاء والوداع، في المسجد والمدرسة والجامعة والطريق والسوق نلقى الملك والعالم والأمير والوزير والتاجر والفقير والكبير والصغير فنقول: (السلام عليكم)، ندخل المجالس والاجتماعات والمحاضرات والمؤتمرات والندوات، فنقول: (السلام عليكم) نبدأ الخطب والدروس والنصائح والوعظ والبيانات فنقول: (السلام عليكم)، إنها ميثاق شرف، وعهد وفاء، وعربون مودة، وعنوان أخوة، وإعلان مصالحة، وإنهاء قطيعة، وبداية صداقة، وتجديد عهد، ودعم ثقة، وعصمة دم، وحفظ نفس، واحترام عرض، وحدها: (السلام عليكم) الجملة المعبرة والكلمة الآسرة، والعبارة الصادقة في زرع السلام والأمن والمحبة بين الناس، وحدها: (السلام عليكم) العبارة المختارة من بين كل العبارات التي نبدأ بها لقاءاتنا، تدخل على أبيك وأمك وابنك وزوجتك وعمك وخالك وصديقك وعدوك فتقول: (السلام عليكم)، إن معناها خذ العهد مني والأمان أن لك السلامة مني على نفسك ودمك ومالك وعرضك، فلا تخف مني، فلن يصيبك ضرر ولن يصل إليك مكروه.

إن شعار: (السلام عليكم) عقد شرعي، ووثيقة اجتماعية، ورسالة ربانية، أتى بها الإسلام قبل ثقافات الأرض، ودساتير الطين، وقوانين التراب: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾، نحن سبقنا العالم في نشر ثقافة السلام والدعوة إلى المحبة، وغرس شجرة الإيمان والأمن، والله سبحانه هو السلام، ومنه السلام، ويعود إليه السلام، وهو الذي سلّم على أنبيائه وعباده الصالحين، وتحية أوليائه يوم يلقونه السلام، وتحية أهل الجنة: (السلام عليكم)، وتحية الملائكة على المؤمنين في الجنة: (السلام عليكم)، فلا يجوز لنا أن نهمل هذه الكلمة، أو نبطل هذا الشعار، أو نستبدل به غيره من الكلمات مهما كانت رقيقة أو جميلة، فلا أرق ولا أجمل من: (السلام عليكم)، ويجب علينا إحياء هذه الكلمة قولاً وعملاً، لفظاً

ومعنــاً، ظاهراً وباطناً، فننشرها في أنفسنـا، بالعفو والمحبة، والصفح والتسامح، ونعلنهـا في كل مكان، ونجعل عبارات المجاملة والترحيـب بعد هذه الكلمة، فكلمة مرحبـاً، أو أهـلاً وسهـلاً، أو صباح الخـير، أو كيف الحال؟ أو غيرهـا، تأتي عند المسلم بعد (السلام عليكم).

وإذا أسقـط المسلـم كلمـة: (السـلام عليكـم) واستبدلها بغيرهـا فقد غير ثقافتـه، وتخلـى عن شعاره وتنكر لهويتـه، ومن جمال هذه الكلمـة أن كبار العالم وزعمـاءه إذا أرادوا أن يحيونـا نحـن المسلمـين قالـوا لنا: (السـلام عليكم)، إن (السـلام عليكم) أنشودة عذبـة، ونغمة جميلة، وقصيدة حلـوة، ومفردة عجيبة آسرة، إنها مفتـاح للقلوب، وبلسم للأرواح، وإشراقـة للنفوس، وصحوة للضمير، يعجبني المسـؤول والعالم والكاتب والشاعر والأديب والمفكـر والفيلسوف إذا قال: (السلام عليكـم)، حينها أشعر برضا وسكينة وطمأنينـة؛ لأنه أمّنني على نفسي ومكانتـي من الكراهيـة والغضب والحقد والأذى والضـرر، ولأنه أشعرني بالأخوة والصداقة وحسن التواصل وجميل التعارف.

أرجـو ألا نسمح لجيلنـا بالتنكّر لعبـارة: (السلام عليكـم)؛ ليجعلوا مكانها كلمـات مستنسخـة عقيمة سقيمة ساذجة باردة لا تقـوم مقامها ولا تحمل روعتها ولا تفي بدلالتها ولا تعبّر عن مقصودها، أرجو ألا نتخلى عن هذه العطية الربانية، والمنحـة الإلهيـة؛ لأن فيها علاجاً لمشكلاتنـا ودواءً لأمراضنا النفسيـة، لأننا كلما تغاضبنـا وتهاجرنا وتقاتلنا وتقاطعنـا وتدابرنا سمعنا: (السـلام عليكم) فتعود المحبة والوصل والود، فنتسامح ونتصالح ونتصافح ونتعانق ونتآخى؛ لأن: (السلام عليكـم)، ذكّرتنا بالأخـوة الإنسانية، والمحبة الإيمانيـة، والرابطة الإسلامية، إن أجمل عبارة يمكـن أن يضعها مجلس الأمن في أول لقاءاته هي: (السلام عليكم) وإن أجمل كلمة تكتبها هيئة الأمم المتحدة على مبناها عالية شامخة هي: (السلام عليكم). وأخيراً أقول لكم: (السلام عليكم).

ثقافة التسامح

ينبغي علينـا أن نفعِّل في حياتنا نصوص الوحي التي تدعونا إلى العفو والتسامح والمصالحـة الاجتماعيـة والتواصل الإنسـاني والرحمة ببني البشـر، كما قال تعالى: ﴿وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ ويبـدأ هـذا التسامح بالتسامح مع النفس، فـلا نرهقها بحمل الأحقاد والضغائن ولا نعذبها بالكراهيـة والعدوانيـة، بل نغرسـ فيها شجرة الرحمـة والمحبة والإيمـان والسلام، ونتسامـح مع والدينـا وقرابتنا وأهلنا وذوينـا، فنصل ما أمـر الله بوصله، ونرعاهم بالـبر، ونحوطهـم بالرفق والرعايـة، ونعفو عن زلاتهـم، ونتحمل أذيتهـم، ونتسامح مـع أبناء مجتمعنـا، حتى إذا أخطـؤوا أو أذنبوا أرشدناهم برفـق، ونصحناهم بلين معتقديـن أننا مثلهم، يقـع منا ما يقع منهم، وعلينا أن نرسـل للعالم رسالة التسامح وتقديم رسالتنا في حُلة السلام والحرص على نجاتهم وفلاحهم ليأمنوا جانبنا، فنحن وإياهـم نعيش على كوكب واحد، وبيننا مصالح مشتركـة، ومنافع متداخلة، ويربطنا بهم حق الإنسان على الإنسان، وواجب البشر تجاه البشر، فيحسن بنا أن نريهم الوجه الجميل للإسلام البريء من العنف والفظاظة والغلظة والاحتقار والكبت والقهر؛ لأن الله أمرنا بالحكمة في الدعوة واللين في الخطاب والرفق في المعاملة مع حسن الحوار، بـل نهانا عن الإرهاب الفكري، والسيطرة على العقـول بالقوة، فقال تعالى: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ وقال تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾.

فالإقنـاع والحـوار والحجة هـي طريقنا الصحيـح لتقـديم رسالتنا وعرض مبادئنـا، إن العالم لن ينصت لنا إذا فهـم منا أننا نريد الاستيلاء على مقدراته، وسلـب حقوقـه والانتقام منـه وتهديد حياتـه وتخويفه، بل علينا قبـل أن نقدم له الحقيقـة الناصعة والحجة البيّنة عن ديننا أن نجعلـه يشعر بحرصنا على حياته ونجاحه وسعادته، فإن الرسول ﷺ أتى لإسعاد البشرية لا لشقاوتهم، ولنجاة الناس لا لهلاكهـم، ولسلامتهم وحرمة نفوسهم المعصومة، لا لإزهاق أرواحهم إلا بحقها

الشرعي، بل صرّح ﷺ يوم الحج الأكبر بكلمته الناصعة الساطعة الموحية المؤثرة حيث قال: «**ألا إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا**»، كيف يقتنع العالم بدعوتنا ويدخلون ديننا وهم يرون بعضنا يحملون عليهم في أوطاننا سلاح التهديد والوعيد، وهم عزلٌ من السلاح لم يأتوا لمقاتلنا ولا لحربنا، وإنما أتوا لمصالح إنسانية ومنافع مشتركة وتعاون دنيوي.

لقد جرب الحكماء منا دعوتهم باللين والرفق إلى الإسلام فدخلوا في دين الله أفواجًا، بخلاف مَنْ لم يسلك طريق الدعوة ولا الحكمة ولا الحجة الصحيحة، وإنما استخدم أسلوب الخطف والسلب والنهب والإرغام والإكراه، فلم يحصل له ثواب ولا نصر، حيث لم يظفر بإسلامهم واعتناقهم الدين، ولم يحقق ما يظنه نصراً جديداً وفتحاً مبيناً، بل قدم للعالم رسالة خاطئة مفادها أننا نتربص بالبشر وننتظر غفلتهم ونتحين الفرصة على الانقضاض عليهم، ونرفض التعايش معهم، بل نهدد حياتهم ومستقبلهم، حينها يعدون العدة للاقتصاص والانتقام، وهم في عالم الدنيا أكثر عدداً وأقوى عدة وعتاداً وأمضى سلاحاً، ونحن لضعف تمسكنا بديننا نعيش الضعف مع قلة الاستعداد، وتفرق الكلمة، وشتات الشمل، والبدائية في الحضارة المادية، لماذا ندعو العالم إلى المنازلة والمصاولة؟ ولماذا نخرج الحيات من جحورها والثعابين من بيوتها ثم نعجز عن قتالها؟ إن مَنْ يقوم ببناء المساجد والمراكز الإسلامية ونشر الكتب والقنوات الفضائية، وإقناع العالم بالحكمة والبرهان والموعظة الحسنة، لهو أفيد للإسلام والمسلمين مليون مرة ممن شهر السلاح على المعاهدين والمستأمنين وأخذ يطلق خطاب الوعيد والتهديد واللعن والشتم، فهو زعلان وطفشان وزهقان وغضبان من العالم ومن نفسه ومن الغير ومن الأخ ومن الآخر ومن الماء ومن الهواء؛ لنقص حظه من العلم والمعرفة ولضيق نفسه عن أن يعيش الأمن والسلام والمحبة للناس والتواصل مع بني البشر ورحمة الإنسان بالإنسان، فهل آن لنا أن نمدّ يد الصلح والتسامح، وأن نقدم بطاقة التعارف والتواصل؛ لينصت العالم لدعوتنا؟

مجتمع الرحمة

من يطالع نصوص الشريعة يجد أن من أعظم مقاصدها الرحمة والتواصل والتعارف، فالقرآن والسنة فيهما الدعوة الصريحة إلى نبذ الفرقة والشقاق والبغضاء والشحناء وذم الاختلاف والتفرق لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ وقوله ﷺ: «**لا تختلفوا فتختلف قلوبكم**» وفي الوحي المقدس مدح الرحمة واللين والرفق، قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ وقول الرسول ﷺ: «**الراحمون يرحمهم الرحمن**»، ولكنني أقول بكل صراحة: إن من ينظر إلى مجتمعنا يجد أننا قساة مع بعضنا، إذا خالفنا شخص أغلظنا عليه، وجرنا في الحكم، وقسونا في التصرف، وإذا لم يعجبنا قول أو رأي هاجمنا صاحبه بلا حدود وكأنه يُطلب من الناس أن يوافقونا في كل شيء وأن يلتمسوا رضانا، وأن يجاملونا، وأن يجبروا خواطرنا، وكأن أفكارنا وحي منزل، وكأن الحق يدور معنا حيثما درنا، والحقيقة أن رحمة الله أوسع من ذلك، وأن الإسلام أكبر من نفوسنا الضيقة، وأن في الشريعة من جسور التواصل والتقارب ما يفوق الوصف، إننا رحماء مع أنفسنا طيبون مع ذواتنا، فنحن نزكي أعمالنا ونعتذر لأخطائنا وندافع عن تصرفاتنا، لكننا مع الغير غلاظ شداد نبكّتهم ونحاسبهم على أخطائهم ونلومهم بعنف على تصرفاتهم، وأحياناً لا نقبل توبتهم ولا نرحب باعتذارهم.

إن الرسول ﷺ كان يجلس معه الصحابي ابن النعيمان الذي شرب الخمر مراراً فلما أُتيَ به؛ ليقام عليه الحد سبّه أحد الصحابة، فقال رسول الله ﷺ: «**لا تسبّه، إنه يحب الله ورسوله**»، ولكننا للأسف أحياناً نعين المذنب على ذنبه ونساعد المخطئ على خطئه بهوج تصرفاتنا وعوج طريقتنا، فنحن في الغالب لا نترك خط الرجعة لمن أذنب أو أخطأ في حقنا، بل تجدنا أحياناً نقوم بحملة شعواء على من قصّر من المسلمين تشهيراً وتهديداً وتجريحاً وتشويهاً، وكأننا نحن

ملائكة مطهرون أو أنبياء معصومون، لماذا لا نعترف ببشريتنا ونقصنا وعجزنا، ونعين من أخطأ، ونساعد من زل، ونأخذ بيد من سقط، ونلتمس العذر لمن أساء إلينا، ليعود الجميع إلى الجادة.

لقد قرأت سيرة الرسول ﷺ في جانب العفو والحلم والصفح والرحمة فذُهلت لعظمة هذا النبي الكريم ﷺ وبحقٍّ قال له ربه: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾، إن بعضنا إذا خاصم أحداً لا يترك موضعاً للصلح ولا فرصة للحوار ولا إمكانية للتقارب، بل يقطّع كل حبال الرحمة، ويهدم كل جسور التواصل والتسامح، أين مجتمع الرحمة منا، وأنت إذا خالفت البعض في مسائل يجوز فيها الاجتهاد، وتُقبل فيها وجهات النظر شنّعوا عليك، وصبوا عليك جام غضبهم، وكأن العناية الإلهية ترافقهم في كل حركة وسكنة، من الذي جعل العصمة من نصيبكم، والصواب دائماً حليفكم، والتوفيق أبداً معكم؟ ولكنه منطق العجرفة والعلو والاستكبار الذي ندّد به القرآن وهاجمه الوحي بقوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ﴾، لماذا نحتكر الحقيقة وحدنا وندعي الوصاية على الدين؟ ولماذا لا نتكلم على أننا عبيد خُلقنا من التراب ونُدفن في التراب، وعلى أن أبناء المجتمع إخوان لنا، بيننا وبينهم إنسانية ودين وذمة ومعايشة ومواطنة ومصير مشترك، إن بعضنا عنده سهام كثيرة في جعبته كل يوم يطلق سهماً على من خالفه، فلا يسلم أحد من سهامه الطائشة، ولسان حاله ينادي: من ينازل؟ من يبارز؟ من يبايعني على الموت؟ يا خيل الله اركبي، رويداً رويداً يا بشر، مهلاً مهلاً يا ناس، السكينة السكينة يا عباد الله، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء، الرفق الرفق أيها الناس، كلنا نطلب رحمة الله، الله وحده هو الذي سوف يحاسبنا، نحن كلنا ضعفاء تحت قدرته، مساكين تحت جبروت الله، فقراء إلى ما عند الله، لا نملك ضرًّا ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً، أتينا من عالم الطين، وسوف نُدسّ في الطين، فليحترم

بعضنــا بعضاً، وليرحم بعضنا بعضاً، فإن الحياة قصيرة، والمشوار قريب، والأيام قليلــة، والفراق حاصل، فلنترك لنا ذكرى جميلة، وثناءً حسنــاً، وأثراً نافعاً؛ علّنا نظفر بدعوة صالحة من قلب خاشع ولسان صادق إذا طُرحنا حفاة عراة معدمين في القبور.

obeikandl.com

الغلو في الإعجاز العلمي

جدَّ عندنا في العصر الحاضر (الإعجاز العلمي للقرآن)، وهو جميل بلا غلو ولا تكلف ولا تعسف، ولكن الذي حصل أن بعض المشايخ تخصصهم في علوم الشريعة من فقه وتفسير وحديث ونحوه دخلوا في هذا العلم، وصاروا مجرد نقلة عن أهل التخصص في علوم الدنيا، فيأتون بالآية القرآنية ثم يخبروننا أن السلف الصالح من القرون المفضلة لا يفهمون من الآية إلا الظاهر السهل البسيط، ثم يصيح هذا الشيخ قائلاً: ولكن المعنى أدق وأعمق، ثم يأتينا بمعنى للآية كله مجرد ظن واحتمال ووهم ثم يصفق بيديه ويضرب رأسه متعجباً مذهولاً كيف أنه اهتدى لهذا المعنى، وحتى المتخصصين في الإعجاز العلمي حمّلوا القرآن ما لا يحتمل، والحقيقة أننا نريد فهم السلف الصالح والقرون المفضلة للقرآن؛ لأنه لو كان تفسيرنا خيراً لسبقونا إليه، فهم الأبر قلوباً والأصفى عقولاً والأسلم منهجاً والأحسن طريقة، وأعلم أن القرآن فيه كنوز وأسرار ومقاصد عظيمة يكتشفها العلماء في كل عصر لكن إصرار البعض على أن المعنى المراد ما ذهبوا إليه، فمثلاً يقولون في قوله تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝١٩ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ إن المقصود بالبرزخ حاجز وهمي بين الماء العذب والمالح، ثم يضحكون ويقولون: ومع ذلك كان يظن السابقون أن البرزخ الحاجز الحسي مادي من الجبال ونحوها بين المياه العذبة والمالحة، مع العلم أن فهم السابقين أجمل وأقرب إلى مدلول الآية.

ومثلاً يقولون: إن المقصود في قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ أنه أقسم بالمواقع؛ لأن النجوم انطلقت من مواقعها من آلاف السنين، ولكن السلف لم يعرف ذلك، فلهذا جاءت الآية بذكر مواقع النجوم بالقسم بمواقع النجوم وليس بالنجوم، مع العلم أن فهم السلف وتفسيرهم أدق وأعمق مما ذهب إليه المتأخرون، ومثلاً يقولون: في قوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ أن معنى

اهتزت أي تحركت البذرة حركة خفيفة تقاس بجهاز ريختر فتفقس البذرة والمعنى عنـد السلف أي ترعرعت بالنبات، ومعنى السلـف أبهى وأجمل، وما أدري ما لهم يذهبـون إلى المعاني البعيدة ويتركون القريبة، ويعشقون الغامض ويهملون الجلي، ويهيمون بالعويص الصعب ويهجرون السهل الواضح.

إن معجـزة إنزال القرآن على الرسول ﷺ هـي أكبر مليون مرة من الإعجاز الـذي يذهبون وراءه، وإن خلـق الله للقمر أعظم إعجازاً مـن انشقاق القمر، وإن إبـداع الله للنجوم أكبر في القدرة من انطلاق النجوم من مواقعها، وإن قدرة الله في إنبات البذور أعظم في الإعجاز من اهتزاز البذرة كما يزعمون، وإن بديع خلق الله للبحر أجل آية من الحاجز الوهمي كما يقولون، يا أهل الإعجاز العلمي إياكم والغلـو في الإعجاز والتعسف والتكلـف فآيات الله في الكون وبديع صنعه في الوجود وأحرف قدرته في كتاب الكائنات المفتوح أكبر وأعظم من كل إعجاز تكتشفونه، إن الله في كتابـه أمرنا أن نتفكر في خلق السماوات والأرض والشمس والقمر والنجوم والجبـال والأشجار والأنهار فلمـاذا تأخذوننا إلى دقائق وهمية لا يستطيع أحدكم أن يقسم بالله إنها المقصودة من الآية؟

إن الـذي ملأ قلـب أبي بكر وعمر وخالد بن الوليد وبـلال بن رباح والشافعي والبخاري وصلاح الدين الأيوبي من الإيمان واليقين إنما هو لمطالعتهم قدرة الواحد الأحـد ومشاهدتهم للإعجـاز في الأنفس والآفاق، وهذا يكفينـا ويشفينا إذا فعلنا فعلهـم، أما أن يأخذنا بعض المتخصصين وغيرهم إلى المعامل الكيميائية وأجهزة التحميض والتحليل، وعلب التخدير والقسطـرة ليثبتوا لنا عظمة الله وإعجازه في الخلق وبديع صنعه في الكائنات فنقول لهم: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ ﴾. وقولـه تعـالى: ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ وقولـه تعـالى: ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾، ومثـل هـؤلاء كمن قيل له: ما الدليل على وجود الناقة؟ فقال: بحنينها من آخر الليل.

نحن المجاهدون في سبيل الله

إذا كان الجهاد في سبيل الله هو رفع راية التوحيد وتحكيم الشريعة ونصرة الحق والدفاع عن الأوطان وحماية القيم وعمار الأرض فنحن مجاهدون في سبيل الله، وإذا كان الجهاد في سبيل الله الذب عن العقيدة والنضال من أجل حياة كريمة والكفاح لإرساء دعائم العدل والسلام والأمن والإيمان فنحن مجاهدون في سبيل الله، وإذا كان الجهاد في سبيل الله نشر العلم النافع وإشاعة المعرفة وتشييد صروح الجامعات وعمارة الحرمين وتكريم المصحف وطبعه ونشره وتقديسه وتعليم سنة الرسول ﷺ ونصرة المظلوم ونجدة الملهوف وحماية الضعيف والرحمة بالمسكين وتعليم الجاهل فنحن مجاهدون في سبيل الله، وإذا كان الجهاد في سبيل الله صيانة الدين والوطن وجمع الشمل وتوحيد الكلمة ونبذ الفرقة ومحاربة العصبية الجاهلية والدعوات العنصرية ومحاربة الشرك والبدع والخرافة والسحر والشعوذة فنحن مجاهدون في سبيل الله، وإذا كان الجهاد هو تخريب الأوطان وتدمير العمار ونسف الممتلكات وتفجير المباني وتعطيل التنمية وترويع الآمنين وقتل المعاهدين، والغدر بالمستأمنين، وإزهاق النفوس المعصومة، ونهب الأموال المحترمة، وتنغيص الحياة، وتكدير جو الأمة، فنبرأ إلى الله من هذا الجهاد.

وإذا كان الجهاد حمل السلاح على المجتمع ومخالفة الإجماع وتعريض أرواح الأبرياء والعزّل والأطفال للخطر وإشاعة الفوضى ونشر الكراهية والخروج عن الطاعة وعقوق الوالدين وقطيعة الرحم والإضرار بالمسلم والأذية بمن له عهد فنبرأ إلى الله من هذا الجهاد، وإذا كان الجهاد تشويه صورة الإسلام وصد الناس عن الدخول فيه وتقبيح محاسنه في عيون أعدائه وإعطاء الخصوم ذريعة للنيل منه وإتاحة الفرصة لهذه الأعمال الصبيانية الطائشة العبثية لغزو ديار الإسلام واستحلال محارمه والتلاعب بمقدساته وإهانة أبنائه، فنبرأ إلى الله من هذا الجهاد، إن الجهاد في سبيل الله عبادة مقدسة من أجلّ العبادات وأجمل القربات؛

لأنها ذب عن المعتقد والوطن وحماية للرسالة وصيانة للفضيلة ومحافظة على المكاسب، وكل أمم الأرض جاهدت وناضلت سواء بمنهج رباني أو منهج أرضي، وكل دول العالم تكافح لحماية كيانها وصون مكتسباتها، وكل الشعوب تستميت إذا قُصدت في مبادئها وأوطانها ولكن أشرف هذا الجهاد كله وأرفعه وأجله الجهاد في سبيل الله، والجهاد في سبيل الله ليس طلب الموت فقط ولكن طلب الحياة الكريمة؛ لأن الحياة في سبيل الله أجمل من الموت في سبيل الله، فالحياة في سبيل الله إيمان وعلم، وعمل وكسب، ومعرفة ونفع، وإبداع وإنتاج، ففي الحياة في سبيل الله عبودية رب الأرض والسماء، وأخذ العلم من العلماء، وتوفير الغذاء والدواء، والسعي في كشف الضراء، وإزالة البلاء، ونفع الفقراء، والوقوف مع البؤساء، فالعالم والأمير والوزير والطبيب والمهندس والأستاذ والجندي والفلاح مجاهدون في سبيل الله إذا صدقوا مع الله.

إن السعي في الكسب الشريف وتوفير القوت للأهل وكفالة الأرملة والمسكين واليتيم وبناء المساجد وحفر الآبار وإطعام الجائع وعلاج المريض جهاد في سبيل الله، نحن جئنا كخير أمة أُخرجت للناس لإسعاد البشرية لا لشقاوتهم، ولحياتهم لا لموتهم، ولراحتهم لا لتعبهم، ولأمنهم لا لتخويفهم، ولهدايتهم لا تنفيرهم، كما رسول الله ﷺ: «**بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا**»، أيها المسلمون: الحذر الحذر من فهم الجهاد في سبيل الله على أنه اعتداء على الآخرين وحرص على قتل الناس وحمل السلاح بغير علم ولا فهم ولا بصيرة ولا حكمة، وإن الجهاد في سبيل الله يقرره العلماء الراسخون والفقهاء الربانيون ولا يُترك فوضى لكل طويلب علم وشاب غِرّ وفتى مأزوم، وأحسن لهؤلاء أن ينصرفوا لطلب العلم وكسب المعيشة الشريفة حتى في بيع الحطب والفحم وجلب الأغنام وسياقة الشاحنات والخياطة والنجارة، ووالله إن هذه المهن أشرف ألف مرة من إراقة دم محرم وإزهاق نفس معصومة وترويع آمن وتخويف معاهد.

أمة الإسلام يقتل بعضها بعضًا

انظر إلى خارطة العالم فسوف تجد أن القتل والتدمير والتفجير في الدول الإسلامية، ففي فلسطين والعراق والصومال وباكستان وأفغانستان سفك للدماء وإزهاق للأرواح ونسف للبنية التحتية وتخريب للعمار، وفئات يكفّر بعضها بعضاً وفتاوى طائشة تستحل دم المسلم وتخرجه من الملة وتحرّم عليه الجنة، ماذا أصاب أمة الإسلام؟ أين نصوص الشريعة التي تدعو إلى المحبة والألفة والأخوة والوحدة والسلام؟ أين قول الباري عز وجل: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا ﴾، وقوله: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ ﴾، وقول الرسول ﷺ: «**من حمل علينا السلاح فليس منا**»، وقوله ﷺ: «**إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا**».

لماذا بقية العالم مشغولون في البناء والصناعة والإنتاج والإبداع والاختراع والاكتشاف، وأمة الإسلام منهمكة في العداوة والفرقة والتقاتل والتناحر والتكفير؟ أخبار أمة الإسلام تتصدر أخبار العالم وأقوال الصحف وأنباء الفضائيات، فلا تسمع إلا أخبار تطاير الأشلاء وسقوط الجماجم وتيتّم الأطفال وترميل النساء وهدم المباني ونسف الجسور وإحراق المدن وتعطيل النماء وترويع الآمنين وتعطيل العلم والحركة والتطور، أين علماء الأمة وساستها وعقلاؤها ومفكروها؟ إلى متى هذه المجازر؟ متى تنتهي هذه المذابح؟ متى تُغلق فصول هذه الملحمة الإبليسية الكيدية؟ متى تُقفل هذه اللعبة القذرة؟ متى يصحو الضمير؟ متى نعود إلى رشدنا، ونحكّم نصوص الكتاب والسنة التي تدعو إلى الرحمة والأمن والاتفاق ونبذ الشتات والتباغض والتقاتل؟ ألا يستحي من الله هؤلاء القتلة بمدن الإسلام الذين يحملون السلاح على المسلمين والمعاهدين والعزّل والأبرياء والأطفال؟ ألا يكفينا ما أصاب بلاد الإسلام من فقرٍ وأميّة وبطالة وظلم حتى قامت طوائف تضيف لنا مصائب

إلى مصائبنا وكوارث إلى كوارثنا، أمم الأرض مستغرقة بأنشطها الاقتصادية والفكرية والإبداعية، وأمتنا في حالة عزاء على قتلاها وجرحاها ومفقوديها.

كلما فتحنا التلفاز وإذا أخبار المصائب في بلاد الإسلام تذهل العقل وتعمي البصر وتقتل الروح، أصبحت أعصابنا مشدودة وخواطرنا مكّدرة ونفوسنا منزعجة مما نشاهده في بلاد الإسلام، جماجم مقطعة في السكك، دماء تسيل في الشوارع، مساجد تُهجر من المصلين، بيوت تُحرق أمام العالم، جامعات ومستشفيات ومدارس ومصانع تُهدم من أساسها وتُنكّس على ساكنيها، ألا دين يمنع؟ ألا عقل يردع؟ ألا شهامة تشفع؟ ألا حميّة تدفع؟ ألا عين تدمع؟ إلى متى هذا المسلسل الحزين المبكي؟ متى تُعلن صفّارة النهاية لهذه المأساة الدموية التي تجري على أرض الإسلام وباسم الإسلام وبنصوص الدين وبأيدي المسلمين؟ كلٌّ يعد العدة وينشئ جيشاً ويتحيّن الفرصة لينقض على إخوانه المؤمنين، أحزاب ترفع رايات الإسلام، وتمني أتباعها بالشهادة في سبيل الله وتعدهم الجنة وتبشرهم بالنصر والتمكين وتستحل دماء الأحزاب والجماعات الأخرى بعدما تكفرهم وتشهد بردتهم وتُقرُّ بأنهم من أهل النار مع الخطابات الحاقدة التي تغرس الكراهية والعدوانية في النفوس، فينشأ الشاب غاضباً عدوانيًّا مكفّراً خارجاً عن الأمة حاملاً للسلاح على المجتمع مبيتاً نية القتل العمد لإخوانه، فالله نسأل أن يرفع عن الأمة الإسلامية سوط العذاب، وأن يكشف عنها هذا البلاء، وأن يزيح عنها هذه الغمة وأن يردها إلى الصواب، وأن يجمع كلمتها على الحق، وأن يهديها سواء السبيل.

ليس في الإسلام بابا

أتى الإسلام بالحق والصدق وإكرام الإنسان وإنزال الناس منازلهم وحارب الخرافة والوثنية والغلو، ومن ذلك أنه جعل العظمة والكبرياء والجبروت لله وحده، حتى رسولنا ﷺ كان يقول: «**لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم إنما أنا عبدالله ورسوله فقولوا عبدالله ورسوله**»، وكان يغضب إذا غلا أحد في مدحه، وعرف الصحابة ذلك، فعاشوا في وضوح وصراحة موحدين ربهم عارفين حق رسوله ﷺ سالمين من الغلو والإطراء، حتى يقول ابن عباس لبعض الناس ممن غلا في أقوال أبي بكر وعمر رضي الله عنهما: يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء أقول: قال الله ورسوله وتقولون: قال أبو بكر وعمر، فخلف من بعدهم خلف عبر القرون غلوا في المشايخ والزعماء والأولياء فقدسوهم، ومنهم من طاف بقبر الشيخ والولي وطلب منه المدد والغوث وقضاء الحاجات وتفريج الكربات، وهذا شرك صريح وضلال واضح، ومنهم من أخذ كلام شيخه كأنه قرآن يتلى وساعده في ذلك قبول المشايخ لهذا الغلو وسكوتهم على هذا المنكر، حتى إني رأيت من شيوخ الضلالة من يقبّل أتباعه قدميه وركبتيه ويديه ورأسه وهو مطرق كأنه حية رقطاء، ومن الأتباع من ينظم القصائد الغالية في شيوخه ويعطيهم بعض صفات الألوهية بل الربوبية: ﴿قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾.

وذكر الذهبي أن بعضهم يقول: لا يفلح من قال لشيخه: كيف؟ أو لماذا؟ يعني المقصود أن يكون الأتباع: ﴿صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ﴾، ونحن في الإسلام نقدر العلماء ونحترمهم ونجلهم ولكننا لا نغلو في حبهم ولا نجعل أقوالهم نصوصاً قاطعة، بل نعرض أقوالهم على الكتاب والسنة، وعجبي لا ينتهي من أناس إذا حاورناهم في مسألة وعرضنا لهم الدليل جادلونا بكلام الشيخ كأن كلامه وحي منزل، وهذا الغلو الذي تعيشه الأمة ناتج عن ضعفها وهزالها وغثائيتها، وقد سرى هذا الغلو في الجانب العلمي والسياسي والاجتماعي، فتجد كثيراً من الدول

نسي اسم الدولة وأُهمل الوطن كله، ورُكز على اسم الزعيم فقط كيف يتحدث؟ كيف يأكل؟ كيف يشرب؟ كيف ينام؟ كيف يستيقظ؟ كيف يبتسم للجماهير؟ فصار الإعلام والتعليم مشغولاً بهذا الرمز والقائد الضرورة والمهيب الركن وفارس أحلام الأمة وبركة العصر وباني أمجاد الأولين والآخرين وسر الله في العالمين، وصار الغلو إلى أن وصل الشرك في الأولياء، فصاروا يتبركون بشعرهم وأظفارهم وملابسهم وبصاقهم ونفثهم في الماء والزيت، ومسح قبورهم، والطواف بأضرحتهم، فانطمس نور التوحيد، وذهب جمال الدين الخالص، وانطفأت أنوار الرسالة، وذهبت بهجة الإسلام، وسكت كثير من العلماء عن هذه المنكرات.

وقد زرت مسجد الحسين قبل عشرة أيام فوجدت والله ما أبكى العين، رقصٌ في ليلة المولد التي ليس عليها دليل وغناء وموسيقى بجانب المسجد وضرب للصدور وصياح ونواح ونداء وصراخ وهم يهتفون: يا جد الحسين، أغثنا، فبالله عليكم هل هذا من الإسلام وهل عليه دليل من الكتاب والسنة أم هو الشرك والضلالة والخرافة ووالله لو شاهدهم أحد من غير المسلمين لسخر منهم واستهزأ بهم ومجّ الإسلام ونفر من الدين، لقد جرد الرسول ﷺ التوحيد لله وحده وحمى جنابه وقطع كل وسيلة شركية أو بدعية تصل إليه حتى في الألفاظ، فقد أنكر على الأعرابي الذي يقول: ما شاء الله وشئت، فقال له: ويحك أجعلتني لله نداً بل ما شاء الله وحده، وقال ﷺ وهو في سكرات الموت: «**اللهم، لا تجعل قبري وثناً يعبد**»، فيا أيها المسلمون اخلصوا التوحيد لربكم واخرجوا من ظلام الشرك والبدع والخرافة ولا تغلوا في دينكم ولا تقدسوا مشايخكم، حتى لو كانوا أتقياء بررة فحق العالم والشيخ التقي الصادق أن يوقر ويحترم وينزل منزلته على أنه بشر يأكل الطعام ويمشي في الأسواق وقد يصدر منه الخطأ والذنب، أما هذا العبث الذي يجري في العالم الإسلامي من نصب بابوية في كل مكان والإعلان عن مشيخة في كل مدينة فهو منهج إبليسي ومذهب شيطاني، فعلته الأمم الضالة قبلنا واتبعهم جهّالنا، كما قال ﷺ: «**لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة**

حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه»، أرجو أن نعود لمصدر التلقي الصحيح وهما الكتاب والسنة، ونقرأ سيرة سلف الأمة من الصحابة والتابعين، ونعود عودة صادقة إلى العقيدة الصحيحة والدين القويم، ونطهر عقولنا وأرواحنا من رجس الخرافة ومن نجاسة الوثنية ومن دنس الشرك ومن درن البدعة: ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ﴾.

opeikandl.com

ثمن الحرية الحمراء

نزل صك الحرية من السماء أتى به جبريل من عند الله عز وجل، ونصه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾، فجرى العقد في بيعة الرضوان والمشتري هو الله، والبائع المؤمنون، والسلعة الجنة، والثمن أرواح المؤمنين، والشاهد الرسول ﷺ، وحامل العقد جبريل عليه السلام، فبايع المؤمنون وقاموا من مجلس العقد، وفي الحديث: «**البيّعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإذا تفرقا وجب البيع**»، ولم تحصل الحرية من عبادة الطاغوت بالمفاوضات فحسب، بل لما عاند أعداء الله كان بحسم من السيف، يقول صديقنا أبو الطيب:

من اقتضى بسوى الهنديِّ حاجتَه

أجابَ كلَّ سؤالٍ عن هل بلمِ

وكل الثورات التحررية في العالم والفتوحات والحركات النضالية لا تحصل إلا بأرواح تُزهق ودماء تُسفك، وهل قامت الدول إلا بأثمان باهظة من الدماء والأشلاء والجماجم؟ وما وقع في بدر وأُحد والقادسية واليرموك وحطين إلا دفاع عن حرية الإنسان، إذ يتحرر من عبادة المخلوق إلى عبادة الخالق سبحانه.

وفي التاريخ المعاصر هل وُحّدت الولايات المتحدة الأمريكية على يد جورج واشنطن بالمفاوضات الدبلوماسية والاجتماعات الودية أم بالحديد والنار والتضحيات الباهضة؟ وهذا ما حصل، هل حررت الجزائر أرضها أو شعبها من الاحتلال الفرنسي بالترجّي والتّمني وطلب العفو أم بكتائب جرّارة ونار موقدة وقذائف حامية ورؤوس عافت أبدانها في سبيل الحرية؟ وهذا الذي جرى، وهل

openkandil.com

أُخـرج الاستعمار الفرنسي والإنجليزي من العـراق وسوريا واليمن وليبيا وغيرها بالتمائـم والحجب المعلقة وخرز السّحار أم بعاصفة من الغضب والزحف المقدس وآلاف الشهداء وأنهار الدماء؟ وهذا الذي صار يقول شوقي:

ولـلـحـريّـةِ الحـمـراءِ بـابٌ

بـكـل يـدٍ مـضـرَّجـةٍ يُـدقُّ

وهـل وحّد الملـك عبدالعزيز السعوديـة وقضى على عهد السلـب والنهب وتقاتُل القبائل وتعطيل قوافل الحج وفنون المشعوذين والسحرة والكهنة، هل قضى على ذلك ببطاقات معايدة أو كروت دعوة أم بسيف بتّار؟ كما يقول الشاعر خلف بن هذال:

شاقني برقن سرى في مقاديمهْ سحابْ

كن فيه اسيوف عبدالعزيز امسلله

وكم يعجبني البيت الشارد الفذ الذي قاله ابن دحيم شاعر العرضة النجدية للملك عبدالعزيز، حيث يقول:

نجد شامت لبوتركي وخذها شيخنا

واخمرت عشّاقها عقب لطم اخشومها

أقول هذا وأنا أقرأ لبعض الكتّاب الانهزاميين الذين أنكروا على الشعوب العربية طلـب الحرية ودفع الدم الأحمـر في سبيل ذلك وطالب هـؤلاء الموهومون بألا تكون مواجهـات وإنما بطريق الحوار السلمي -يـا سلام على الحوار السلمي- وهل يقتنع زين العابدين في تونس بالحوار السلمي؟ وهل يؤمن أصلاً بالحوار؟ وهل يحترم العقل والنقل؟ وهو الذي فتك بالشعب التونسي فتكاً وأذلّه إذلالاً وحال بينهم وبين الإسلام ووالله لو فاوضه شعب تونس مئة سنة ما أصغى لهم، حتى خرجوا كالبحر المائج ففرَّ كالحصان الهائج، هل يرضى حسني مبارك ويسلم للمصريين حريتهم بالمفاوضات وهـو الذي خطط لابنه جمـال ليكون خليفة مـن بعده يجثم على صـدور المصريين أربعـين سنة، ولكن أبطال العبور وهازمي العدوان الثلاثي رفضوا ذلك حتى أدخلوه

الزنزانة ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ﴾ أحدهم جمال والآخر علاء؟ فأحدهما يحمل على رأسه خبز الشعب والآخر يعصر خمر اللذات؟ هل سيسلّم القذافي السلطة بعد اثنتين وأربعين سنة أهان فيها ليبيا وسام الليبيين الأحرار أحفاد عمر المختار سوء العذاب؟ هل سيسلّم لهم حريتهم بالنقاش والإقناع؟ كلا، وألف كلا لكن لما حمل الثوار البنادق وقدموا الأرواح وأرخصوا الدماء فرَّ هو وأولاده كالجرذان من جحر إلى جحر، حتى قُبض عليه في مجرى سيل كان مختبئًا فيه وقُتل، بعد أن أهان شعبه ونعتهم بالجرذان. هل يؤمن بشار الأسد بالتداول السلمي للسلطة وهو الذي ورث أباه في خلافة مغولية بعد أن عُدّل الدستور السوري في ثلاث دقائق حيث كان ينص الدستور على أن عمر الرئيس أربعون سنة ففُتح على المجتمعين لا فتح الله عليهم واكتشفوا أنه يجوز أن يتولى الرئيس وعمره سبع وثلاثون سنة، ثم نكسوا على رؤوسهم واكتشفوا ثانية أن هذا الرئيس هو الغلام بشار بن حافظ، فهتفوا في مجلس الشّعب وليس في مجلس الشعب: ﴿يَـٰبُشْرَىٰ هَـٰذَا غُلَـٰمٌ ﴾، هل مثل هذا يستمع لصوت أو يبكي لفقيد أو يرثي لشهيد أو يرحم عجوزاً أو يلطف بأرملة؟ لا والله بل بثمن الحرية الحمراء وهو دم أحمر يخرج من عروق مؤمنة بالله وتُقطع معه رؤوس سجدت لله، كما قال العبودي شاعر العراق لما أخرجوا المستعمر بعد تضحيات من الدماء والأرواح:

ثمنُ المجدِ دمٌ جُدْنا به
فاسألوا كيف دفعنا الثمنا؟

والله لقد كان ثمناً باهظاً ومكلفاً ومتعباً وضخماً، ولكنه ثمن الحرية الحمراء دائماً وأبداً. قال زميلنا أبو الطيب المتنبي:

ومنْ طلبَ الفَتحَ الجليلَ فإنّما
مَفاتيحُهُ البيضُ الخِفافُ الصَوارِمُ

وقال في بيت باذخ جبّار:

لا يَسلمُ الشرَفُ الرفيعُ من الأذى
حتى يُراقَ على جوانِبِهِ الدمُ

obeikandl.com

تحرير الإنسان قبل تحرير الأوطان

لما بُعث الرسول ﷺ كان همه تحرير الإنسان من عبودية الطاغوت والسجود للصنم وإفراد الله تعالى بالألوهية والوحدانية، لقد مكث ﷺ في مكة عشر سنوات يدعو إلى لا إله إلا الله وهي تحرير للإنسان ولم يسعَ لتحرير مكة البلد، بل تركها حتى عاد لها بعد عشر سنوات بجيش جرار فاتحاً منتصراً، كان ﷺ بالوحي المنّزل عليه يحرر الإنسان من عبوديته للإنسان أو أي كائن من كان ليكون عبداً فحسب للرحمن الذي خلقه ورزقه وتولى أمره فأنقذ بدعوته بلال بن رباح الحبشي وصهيب الرومي وسلمان الفارسي من سياط التعذيب والاستبداد والاستعباد التي كان يمارسها عليهم الطغاة المتسلّطون، وهو يعلن أن لا فضل لعربي على عجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى وأن أكرم الخليقة عند الله أتقاهم وأن الناس سواسية كأسنان المشط، وطُبقت هذه التعاليم في دولة النبوة والخلافة الراشدة فيتولى زيد بن حارثة وابنه أسامة وهما من الموالي قبل الإسلام قيادة جيش الإسلام في عهده ﷺ، ويجلد عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمام الناس محمد بن عمرو بن العاص ابن أمين مصر؛ لأنه ضرب قبطيّاً، ويقول له عمر: متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا؟

وأصل فكرة الإسلام تقوم على الحرية، فمن بنوده: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾، ﴿لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ﴾، ولهذا يولد الإنسان حرًّا ليس لأحد من البشر عليه عبودية بل عبوديته لله وحده، لأن من تمام إنسانية الإنسان أن يكون حرًّا الحرية المشروعة التي لا تعتدي على حريات الآخرين، حرٌّ في نفسه ورزقه وعمله وقلمه وحرٌّ في فكره بضوابط الملة التي وافق عليها عقلاء العالم، يقول أرسطو: ليس هناك حرية مطلقة إلا في الأذهان، وقصدي من هذا أن الإسلام حرّر الإنسان قبل أن يحرر الأرض فأعطاه قيمته وأشعره بإنسانيته وفتح له آفاق العطاء والإبداع والموهبة، أما أتى حسان بن ثابت وهو شاعر جاهلي كبير فرحّب به ﷺ وقرّب له منبره وحيّاه

وحيًّا موهبته؟ ورحّب بموهبة خالد بن الوليد في الشجاعة والإقدام وسلّم له قيادة الجيش؟ ورحّب بموهبة ثابت بن قيس في الخطابة وأقامه في الوفود منافحاً عن الملة؟ وفتح باب الشورى فكان ﷺ يستشير الناس مع العلم أنه معصوم مؤيد بالوحي ولكن الله يقول له: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾، بل استشار ﷺ حتى الجارية في قضية عائشة رضي الله عنها في صحيح البخاري، واستشار أم سلمة رضي الله عنها زوجته في الحديبية وأخذ برأيها وأخذ عمر الفاروق رضي الله عنه برأي امرأة في المهر وقال: أصابت امرأة وأخطأ عمر، وماذا كان ينفع تحرير مكة الوطن والإنسان الذي يعيش عليها مستعبد مضطهد؟

وقد تُفتح الأراضي وتُوسع الأوطان ولكن البشر الذين يمشون على وجهها أرقاء أذلاء لأصنام الحجر، أو أوثان البشر، فكان مشروع الإسلام العظيم أن يحرر الإنسان في معتقده وفكره وكلمته وقلمه وموهبته ورزقه وكرامته ليس للإنسان عليه عبودية وإنما قد يكون هناك ولاية لمصلحة الإنسان نفسه؛ لتقوم حياته على النظام، وهذه الولاية أو السلطة متفق عليها عند سائر الأمم وهي عقد شراكة وفي كتاب أفلاطون (الجمهورية) جعل هذه الولاية هيكلاً لتنظيم الحياة وكذلك الفارابي في (المدينة الفاضلة) وتونبي المؤرخ الإنجليزي في تاريخه، لكنها ليست عبودية إنما هي تعاون في صنع الحياة كالمؤسسة التي بها مدير وكاتب وحارس ومحاسب، وليس معنى ذلك أن أحدهم خالق والآخر مخلوق، كلا بل هم بشر تحت حكم الله سواسية أمام العدالة والمغانم والمغارم والحقوق والواجبات، والذين سقطوا من طغاة العالم وداستهم الجماهير بأقدامها إنما حصل لهم هذا الهوان؛ لأنهم خالفوا سنة الله في حرية الإنسان وحقه في العيش الكريم والاستقلال بشخصيته وتنمية موهبته ومواصلة إبداعه، فهم اختصروا الأمة في ذواتهم وألغوا الأصوات إلا أصواتهم، فصادروا الآراء إلا آراءهم وشطبوا الصور إلا صورهم ولهذا شنّع الله على فرعون الطاغية اللعين المستبد وذكر قوله السخيف حيث يقول لرعيته: ﴿مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ﴾ ومعناه فكروا جميعاً بعقلي وتكلموا بلساني وعيشوا من أجلي وموتوا لبقائي.

ولهـذا يقـول الكواكبـي في كتابـه (طبائـع الاستبـداد): إن الموهبـة والنبوغ والقـدرات العقلية تُقتل في عهد الاستبداد، إن مكتشف القنبلة الذرية في الولايات المتحـدة كافـأه الرئيس الأمريكـي ترومان بأرفـع الأوسمة وأثمـن الجوائز وصار شخصيـة لامعـة في تاريخ أمريكا ولكن المختـرع في دول العـالم الثالث والمكتشف يتعرض للمحاسبة والمساءلة؛ لأنه استخدم عقله وأظهر نبوغه، وقد حوكم جاليلو لما قـال في دوران الأرض في ظل الاستبـداد من قِبَل الكنيسـة، وفي عصر الحرية كُوفِئ الكاتب راسـل ولامارتين وفولتير وغيرهـم من الكتّاب واللامعـين بأسماء شوارع وجامعات في فرنسا وحيثما ترى الأمة تقدر العلماء وتحترم الموهوبين فاعلم أنهـا صاعـدة في سلم الرقي والتّمدن، وإذا رأيتها تحاصـر العقول وتُلغي المواهب وتعتقـل النبوغ فاعلم أن ريح الزمن سوف تهوي بها في مكان سحيق؛ لأنها خالفت حكمـة اللّه وسنـة الوجود وقانون الحيـاة، والفرق بـين الأمم المتحضّرة والمتمدّنة والأمم المتخلّفة الجاهلة هو مستوى حرية الإنسان.

لماذا تأخر العرب؟

تأخر العرب في سلّم التمدّن الحضاري والرقي المادي لأسباب من أهمها: الجهل والاستبداد والاختلاف، فالجهل حملهم على هجر المعرفة والتقصير في طلب العلم والإعراض عن القراءة والاطلاع والبحث والاستقراء، فارتفعت نسبة الأميّة ورضوا باجترار الماضي والتغني بمجد الأجداد مع العلم أن أول آية نزلت على النبي الأمي العربي ﷺ قوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾، ولهذا فانظر نظر متأمل في الجمهور العربي في الميادين العامة والحدائق والطائرات والباصات تجدهم في كلام لا ينتهي وحديث فارغ لا ينفع، بينما ترى غيرهم من الشعوب الشرقية والغربية أهل اطلاع ومصاحبة للكتاب وأهل نظر وبحث ودراسة وتأمل، ومن أسباب التّخلف الاستبداد والانفراد بالرأي وتعطيل عمل المؤسسات وعدم السماع للآخر وعدم الإنصات لآراء العقلاء والحكماء والاستيلاء على المقدّرات والاستحواذ على الثروات ومحاربة الأفكار المبدعة والمواهب الخلّاقة؛ خوفاً من التغيير والعمل بشعار (ليس في الإمكان أحسن مما كان) وترديد مقولة: (الله لا يغيّر علينا) والله لا يغيّر حال المحبطين والضعفاء والفاشلين حتى يغيروا ما بأنفسهم فيطلبون العلم ويعمرون نفوسهم بالإيمان ودنياهم بالعمل والإنتاج.

والسبب الثالث من أسباب تأخر العرب الاختلاف والفرقة والتّمزق والأنانية، فهم ثنتان وعشرون دولة واثنان وعشرون رأياً واثنان وعشرون مقعداً واثنان وعشرون طريقاً، وهذا الاختلاف جعلهم أعداء لأنفسهم ومصالحهم، فالجار العربي يتربص بجاره وربما احتل أرضه واغتصب دياره كما حصل في مناطق التوتر بين دول عربية، بينما تجد أوروبا على اختلاف دياناتها ومذاهبها وأعراقها ولغاتها توحّدت في كيان واحد وعملة واحدة وسوق واحدة وبرلمان واحد وجيش واحد، فأصبحت دولة واحدة، ولن ينهض العرب من كبوتهم إلا بالإيمان والعلم والعمل والعدل والوحدة.

فالإيمـان: يجعلهم عباداً لله صادقين مخلصين أهلاً لحمل الرسالة التي جاء بها النبي العربي ﷺ بكتاب عربي، فيعتزون بدينهم، ويتشرفون برسالتهم للعالم.

وبالعلـم ينفضون عنهم غبار الجهل والأميّة والتّخلـف، وتُفتح أمامهم أبواب المعرفة والإبداع والاختراع.

وبالعمـل ينطلقون في ميادين الحياة وحقول البناء والتعمـير ويبنون صروح المجـد، فلا يكونون عالة على غيرهم همهم الاستـيراد والاستهلاك وإنما يملكون الكفاية والاستغناء عن الآخرين.

وبالعدل يرتفع عنهم سوط الظلم وسيف الجبروت وشبح الاستبداد، ويعيشون أحـراراً كرمـاء شرفاء سواسيـة في الحقوق والواجبات بلا ظلـم ولا اضطهاد ولا مصادرة لحقوق الآخرين ولا تكميم للأفواه الراشدة ولا حجب للآراء السديدة.

وبالوحدة تتم لهم القوة والعزة وتهابهم الأمم وتقدّرهم الشعوب ويُسمع صوتهم في المحافل الدولية ويحتلون موقع الصدارة بين أمم الأرض، كيف كنا وكيف أصبحنا، كنـا في فـترة من فترات التاريـخ يوم آمنا بـالله واعتصمنا به وطلبنـا العلم وحكمنا بالعدل ونشرنا المعرفة، كنا حينها سادة العالم ومنتجي أروع حضارة في تاريخ البشرية الطويل وشيّدنا عواصم في العلم والازدهار المعرفي والمجد الحضاري في مكة والقاهرة وبغداد ودمشق والزيتونة والقيروان وقسنطينة ومراكش وقرطبة والحمراء والزهراء وإسطنبول والسند، ثم صرنا الآن في وضع يُرثى له نطلب الدواء والغذاء والكساء من غيرنـا ونستورد ملابسنا وأثاثنا ومراكبنـا من سوانا ونطلب العفو من القوى العظمى الضاربة ونستجدي العالم لحمايتنا، بل إن الشعوب العربية تتوسل إلى حلف الناتو أن يحميهـا من بطش الظالمين وقهر السفّاحين، وصرنا في عالم الدنيا من الدول النامية بـل النائمة والعـالم الثالث فلا ديناً نصرنـا، ولا عدواً كسرنا، ولا جهـلاً قهرنا، ولن نعـود إلى مجدنا الباهي السابق إلا كما كنـا مؤمنين صادقين عاملين صابرين أوفياء لرسالتنا حفّاظاً لمبادئنا غيورين على أمتنا أهل علم وعدل ووحدة وسلام ورحمة.

العقل العربي في الواجهة

لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى، وأبو لهب الهاشمي القرشي في النار وبلال بن رباح الحبشي في الجنة ولكن العرب نزلت الرسالة بلسانهم والرسول ﷺ منهم في أرضهم جرت ثورة التوحيد وملحمة الفتوحات فكان العبء عليهم ثقيلاً والمسؤولية كبيرة مقابل الفخر الذي حازوه والشرف الذي أدركوه بمبعث النبي العربي منهم ونزول القرآن العربي بلغتهم ولهذا قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴾ أي شرف لك ولقومك ولكن المفارقة الغريبة أن تجد بعض العرب يحاربون هذا الشرف، ويتنكرون للرسالة ويصدون عن سبيل الله ويتبعون كل ناعق ويبغونها عوجاً فبعض زنادقتهم سخر من الدين وقدح في الملة واعترض على الشريعة بينما تجد الأعاجم في تركيا والهند وإفريقيا تسيل دموعهم عند سماع الحق وترخص دماؤهم في سبيل الله، فما لقومنا العرب لا يدخلون في الشرف العربي الوحيد الذي توجنا الله به برسالة سيد ولد آدم ﷺ.

يجب على العقل العربي أن يكون في مقدمة العقول المتدبرة لآيات التشريف ونصوص الوحي، وهذا العقل العربي ينبغي أن ينتظر منه الناس اكتشاف أسرار الرسالة ومقاصد الإسلام وحِكم التشريع، هذا العقل العربي لم يُخلق للرواية الآثمة ولا للكتاب الإلحادي ولا للفكرة القومية الأرضية، إنه عقل يجب أن يكون ربانيًّا سماويًّا؛ لأن العرب قدموا للعالم أشرف إنسان وطئ الثرى وأتحفوا الدنيا بالخلفاء الراشدين وزينوا قائمة التاريخ برموز من أمثال خالد بن الوليد وسعد بن أبي وقاص والقعقاع بن عمرو ومحمد بن القاسم، نحن العرب أشرقنا على العالم مع موعد من التاريخ وكأن الدهر ينتظرنا والأرض تشتاق لنا شوقها للغيث المدرار بعد جدب شديد، لما ذهبنا لنيودلهي ولكنو وإسطنبول وأديس أبابا أخذنا نمدحهم؛ لأنهم أكثر حفظاً للقرآن منا وأكثر تعلماً للسنة فقام خطباؤهم ورفضوا ما قلناه، وقالوا: بل أنتم العرب الذين قدموا أعظم التضحيات وأجلّ الجهود لنشر

الإسلام، أنتم العرب الذين امتطوا البحار، وطووا القفار، وساروا مسير الليل والنهار، حتى رفعوا لا إله إلا الله، أنتم العرب الذين صلّوا في السند وأذّنوا في قرطبة وسجدوا في بخارى وخطبوا في البنجاب ودرّسوا بطاشقند واستُشهدوا عند سور الصين العظيم، فأنتم الأوائل أيها العرب وأنتم الرواد والأساتذة وأنتم سادة الركب وأنتم قادة القافلة، فسكتنا وسلمنا، نعم هذه حقيقة لا يمكن أن تُنكر ولكن لماذا نشأ في العرب جيل عاق يتنكر للمسجد والمصحف وزمزم وصحيح البخاري ويركب موجة ماركوس وجيفارا وعبدالناصر وميشيل عفلق وغيرهم من المرتزقة المبتورين من تاريخ الأمة المحمدي، ومن رسالتها الربانية وميراثها المبارك للوحي، لماذا العربي بالذات، يصد عن الآيات البيّنات، إلى القصص الساقطات؟

لماذا العربي بالذات، يهجر صحيح البخاري ومسلم ليتّبع رسائل الباطنية ومؤلفات الماركسية وغثاء القومية العربية؟ لماذا العربي الأبي بعد أن ألبسه الله التاج ورصّعه بالأوسمة وأجلسه على منبر المجد وجعله في مقام الإمامة للعالم برسالة محمد بن عبدالله ﷺ؟ لماذا هذا العربي يخرج مارقًا مارداً يرفض العزة ويأبى الريادة ويكره الكرامة ليكون تابعاً لرموز إبليسية وأصناماً شيطانيّة تأخذ مكان اللات والعزى ومناة الثلاثة الأخرى؟ أما آن لنا أن نصحوا؟ أما حان لنا أن نستيقظ؟ لماذا لا نفكر من نحن؟ وكيف كنا؟ وكيف أصبحنا؟ أما كنا مصدر التلقي في العالم؟ أما كنا قصة الإلهام في الدنيا؟ أما كنا أنشودة الكفاح في المعمورة؟ أما كنا مضرب المثل للبشرية في العدل والرحمة والصبر والصلاح والهمة؟ فهل لنا من عودة صادقة نحن العرب بالخصوص إلى مصدر رفعتنا وسر خلودنا ونقطة قوتنا بلا إله إلا الله محمد رسول الله وأقول لجميع المسلمين: نحن العرب لسنا أفضل الناس ولا شعب الله المختار ولا تجري في عروقنا الدماء الزرقاء، لكننا الصف الأول من تلاميذ الرسالة والرعيل المتقدم من خدّام الملة أرضاً وإنساناً وتاريخاً وجغرافيًا ومآثر، ونحن نريد أن نعود إلى المركز الأول.

الغرب يجاهد ويحرم علينا الجهاد

لماذا يجاهد الغرب ويحرّم علينا الجهاد نحن المسلمين؟ والدليل على ذلك أنه يصنّع النووي ويمنعنا من ذلك، ويحتل أرضنا ويحمي أرضه، ويستعمر بحارنا ومحيطاتنا، ويدافع عن بحاره ومحيطاته، ومصانعه تنتج الصواريخ والقنابل والقذائف والبارجات والراجمات وحاملات الطائرات وليس عندنا مصانع إلا مصانع الألبان والبيبسي، والغرب يحذرنا من العدوان والتسلح وهو يعتدي ويتسلح ليل نهار؛ لأن الغرب ذكي ويعلم أن القوة هي مصدر الهيبة والعَظَمَة، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ﴾، والعالم لا يحترم إلا القوي، أما الدبلوماسية والرومانسية والعواطف السياسية فهي كلام فارغ يذر الرماد في العيون ومخادعة الخصم لأن الحرب خدعة وإشغال الشرق في الفنون التشكيلية والرقصات الشعبية والحفلات التراثية على حساب المصانع الحربية ضحكة مكشوفة وإلا فإن دبابة واحدة خير من ألف قصيدة، وصنع صاروخ أفيد من مئة حفلة استعراضية وإنتاج قنبلة أكثر هيبة من مئة ملحمة تذكرنا بمجد الآباء.

وكان يا ما كان في قديم الزمان، يقول نابليون: لا تحدثني كم عند البابا من كتاب، حدثني كم عند البابا من دبابة، هل العالم يحترم الدولة لحسن سمعتها ولطافة ذوقها وكريم تواضعها أم لقوتها وهيبتها، وإن عقلاء العالم وعلماء الحروب وأساتذة العسكرية في الدنيا مجمعون على أن الأقوى هو المحترم والمهيب في المعمورة؛ لأن الدنيا لا تقوم على النزاهة في عالمنا الأرضي وإنما النزاهة والقداسة في الوحي السماوي والشريعة الأرضية، والسياسة تقوم على الخديعة والمكر ومادام أن أهل الأرض يتحاكمون فيما بينهم بقوانين أرضية وبلا شرائع سماوية فالمسألة إذن مسألة مصالح ومناورات ومغامرات بالعلو والاستيلاء والقهر وإثبات الوجود.

وانظر إلى الدول الخمس الكبرى النووية كيف تنصح غيرها بترك النووي والتوبة من القنبلة الذرية وهي أصلاً لم يحترمها العالم ولم يقدرها حق قدرها إلا لأنها تملك السلاح النووي، فكلمة الدول الخمس مسموعة وراياتها مرفوعة وهي تملك حق النقض (الفيتو) لأي قرار، والعالم يخضع لها ويخاف صولتها وجبروتها وهي في الوقت نفسه تعظ بقية الدول وتنصح سائر الشعوب بأن يكونوا مؤدبين وكويّسين وحلوين ولطيفين، فلا يصنّعوا القنبلة النووية؛ لأن هذا فيه خطر على العالم ولا يجوز لأحد أن يصنّع النووي إلا الدول الكبرى لتبقى لها الهيمنة والسلطة والجبروت، لقد كان الغرب ذكيًّا وهو ينشئ الصواريخ العابرة للقارات والقنابل الذرية المدمرة للكون وهو يمنعنا في الشرق من صنع ذلك؛ لأنه يعلم أن الذي يحكم العالم ويستولي على خيراته يحتاج إلى قوة قاهرة وغلبة ظاهرة، أما الاكتفاء بقراءة التاريخ والتسلي بأمجاد الماضي فهو يصلح للطلاب الكسالى في المدارس الليلية في محو الأميّة، كما قال نزار قباني عن العرب:

وطالعوا كتب التاريخ واقتنعوا
متى البنادق كانت تسكن الكتبا؟

يا ابن الوليد ألا سيف تُؤجِّره
فإن أسيافنا قد أصبحت خشبا؟

أيها العرب، أرجوكم أقيموا المفاعلات النووية لأغراض سلمية، وحوّلوا مباني كثير من الصحف اليومية الهزيلة التي لا يقرؤها أحد ودور التراث الشعبي بجمع الخردة والحبال البالية والفؤوس المثلّمة والجفان المكسرة والصحاف المعطوبة حوِّلوها إلى صناعة دبابات وراجمات وصواريخ وأقمار صناعية وغواصات حتى يحترمنا العالم ويسمع صوتنا ويقدّر مكانتنا؛ لأن العالم تحكمه شريعة الأقوى، قال الشاعر العربي:

تعدو الذئاب على مَنْ لا كِلابَ له

وتتقي مربض المستأسد الضاري

ولا يغرنا الكلام المعسول الذي نسمعه من إيران وغيرها من أنها تريد بالنووي إحراق إسرائيل، فهذا كله هذيان وهسترة وسفسطة وهرطقة، قال الشاعر خلف بن هذال:

ولا تامن فروخ الدابْ لو عاشن وبوهن ماتْ

تجيك الصبحْ بانيابن تنسّل كنّها انيابه

obeikandl.com

المعيشة الضنك

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ المعيشة الضنك هي ضيق الصدر وتواصل الهم والغم والحزن والتّسخط من القضاء والتّبرُّم بأقدار الله والقلق والاضطراب وتمني الموت والإشراف على الانتحار، كما قال المتنبي:

كَفى بِكَ داءً أَن تَرى المَوتَ شافِيًا
وَحَسبُ المَنايا أَن يَكُنَّ أَمانِيا

تَمَنَّيتَها لَمّا تَمَنَّيتَ أَن تَرى
صَديقاً فَأَعيى أَو عَدُوّاً مُداجِيا

وليست المعيشة الضنك أن تسكن كوخاً أو لا تجد مالاً أو أن تفقد عضواً من أعضائك أو أن تصاب بمصيبة وأنت مع ذلك تملك الإيمان والصبر والقناعة وحسن الاتصال بالله في صلاة خاشعة وتلاوة متدبَّرة وذكر لله دائم، فأنت بهذا النهج في حياة طيبة كما قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾، فصاحب الحياة الطيّبة راضٍ بقضاء الله طائع لربه متبع لرسوله ﷺ يحمل القناعة في نفسه والرضى في قلبه يسلّم لله فيما كتب من الأقدار إذا أُعطي شكر وإذا ابتُلي صبر وإن أذنب استغفر، وأجمل وصف له هو قوله ﷺ: «**عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له وإن إصابته ضراء فصبر كان خيراً له وليس ذلك إلا للمؤمن**».

أتريد أن ترى صاحب العيشة الضنك؟ سوف تجده في إنسان عاصٍ فاجر تارك للصلاة ظالم لعباد الله عاق لوالديه قاطع لرحمه معترض على قضاء الله

يلهث وراء المادة حينها تجده يعيش مهزوماً مفتوناً حائراً قلقاً؛ لأن الذي يملك السعادة هو الله وحده، فإذا أغلق الإنسان الباب الذي بينه وبين الله وقطع الحبل الواصل الذي يصله بالله فمن أين تأتيه السعادة؟ وسوف تشاهد في حياتك أهل العيشة الضنك الذين أعرضوا عن الهداية وألغوا المسجد من حياتهم والسجود لله وهجروا القرآن وارتكبوا ما يسخط الله وقد يجمع أحدهم مالاً كثيراً ويملك ثروة هائلة ويجمع دوراً وقصوراً لكنه في غم دائم وحزن مستمر ولا يُفهم من هذا أن الأغنياء والأثرياء دائماً أشقياء بل كم من غني ومؤمن صادق وعابد منيب يسكن قصراً مشيداً وكم من فقير ممزق الثوب مفلس من المال وهو عدو لله فالميزان ليس كثرة المال أو قلته أو فخامة المسكن أو بؤسه أو علو المنصب أو دنوّه إنما الشأن في قلب هذا الإنسان في ضميره في إرادته فالسعادة تأتي من النفس المطمئنة المؤمنة والشقاء والمعيشة الضنك تنطلق من قلبٍ مارد جاحد ومن ضميرٍ خاوٍ ومن إرادة فاشلة.

اقرأ قصصاً عالمية لأثرياء وأغنياء جمعوا المليارات والبنوك ومنهم من انتهى إلى الانتحار أو المرض النفسي أو الهستيرة والهذيان وفقد العقل لأنهم فقدوا البوصلة التي تدلهم على السعادة والحياة الطيبة المتمثِّلة في الإيمان الصادق والقناعة واستقامة الضمير والقيام بالحقوق والواجبات وإعطاء كل ذي حق حقه، لا تبحث عن السعادة في جمع الدولار والدينار واليورو والريال والدرهم فإن كبار يهود العالم يملك الواحد منهم من الثروة ما لا تملكه دولة من الدول لكنه جمعها من الربا والغش والنصب وغسل الأموال وهو مع ذلك محارب لله مكذّب لرسله معرض عن طاعته فأين السعادة إذن؟ ولا تظن السعادة أن تسكن قصراً أو برجاً عاجيًّا أو حديقة غناء، فقد سكنها قوم وملكها أناس، لكنهم لما أخطؤوا طريق السعادة حُرموا الحياة الطيبة وعاشوا أشقياء بكدر وانزعاج حتى أتتهم القاضية، وفي المقابل وجد السعادة أناسٌ يسكنون الخيام وينامون على الحصير

ويأكلون خبز الشعير لكنهم ما بين سجدةٍ وتلاوةٍ ودعاءٍ وقناعةٍ وصبرٍ وشكر، فعاشوا سعداء وماتوا راضين عن الله والله راضٍ عنهم، فيا أيها الإنسان، فتش عن السعادة فيما أعطاك الله في مواهبه الجمة في نعمه الجزيلة ومفتاح ذلك الإيمان به جل في علاه وامتثال أمره واجتناب نهيه مع حسن معاملة عباده، وقد جمعها ﷺ في قوله: «**اتقِ الله حيثما كنت، واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن**».

الناجح لا ينتظر الظروف

الناجح بهمته وصدق عزيمته يسهّل الله له الصعاب ويهيئ له الظروف، أما الكسول الفاشل المحبط فيعتذر بالظروف وتقلبات الطقس وحالات المناخ، كما قال الله تعالى عن المنافقين: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ﴾. وكما قال علي بن أبي طالب أمير المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو يوبخ المهزومين: إذا حلَّ الصيف قلتم: لا نفر في الحر، وإذا حلَّ الشتاء، قلتم لا نقاتل في القر، فلا في الحر قاتلتم، ولا في القر جاهدتم يا أشباه الرجال ولا رجال، يا أمثال ربات الحجاب، فالناجح يتوكل على الله ولا تعيقه الظروف عن طموحه ومشروعاته الرائدة الجبارة، أما الضعيف المهزوم فأي ظرف يعيقه، فتجد عنده قائمة من الظروف الصعبة في نظره تمنعه من العلم والتزود من المعرفة والصعود إلى معالي الأمور وتولي المهمات الصعبة، خذ مثلاً حفظ القرآن أعرف شباباً من سنوات يتوعدون ويهددون بأنهم «سوف» يحفظونه ولكن إذا تشافت والدة أحدهم أو أكمل دراسته وعاد إلى مدينته أو انتهى من إجازته عنده كلمة «سوف» وهي كلمة الإحباط والفشل والانهزام وقد ندد الله بأعدائه وأحال عليهم سوف عذاباً في الآخرة فقال: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾.

قال بعض العلماء: حملهم طول الأمل، وسوء العمل، واستبطاء الأجل، على الإكثار من «سوف»، فأنبتت لهم شجرة «سوف» نبتة (ليت) طلعها (لعل) وثمرها (الخيبة) وطعمها (الندامة) لا تنتظر الظروف تتهيأ لك فما تهيأت لأحد، فالرواد والفاتحون والعظماء والعلماء والمخترعون عندهم ظروف مثل ظروفك بل أشد كانوا يمرضون ويجوعون ويفتقرون ويموت أقاربهم ويُهاجَمون من أعدائهم وحسّادهم لكنهم يصبرون ويستمرون ويواصلون، أحسن الله عزاءك في النجاح والتميز والريادة إذا بقيت تنتظر الظروف السانحة والمناسبة لك، متى تتعلم العلم إذا كان الشتاء يؤذيك ببرده، والصيف يزعجك بحره، وتكرار العلم يسبب لك

الإرهـاق، والحفظ يجلب لك الملل، والعمل يدخـل عليك المشقة؟ يقول الصينيون: الجالـس على الأرض لا يسقـط؛ لأنه ساقط أصلاً من أيـن يسقط وهو لم يصعد جبلاً ولم يرتقِ قمة إنما يسقط من يصعد جبال الهملايا والألب والسروات ويجنّح كالصقر في طلب السمو والرفعة.

التقـى الحصـان والحمار، فقال الحمار للفرس: لـو خففت من الجري، فقد أتعبـت نفسـك، قال الحصـان: أنا لما أسرعـت في الجري ركبني الملـوك وأنت لما أبطـأت في السير حملوا عليك الروث والحطب، وقال الضبع للأسد: أنا في مكاني يأتينـي صيـدي وأنـا سمين منعّـم وأنت لا تأكل صيـدك إلا بعد جهـد وقتال، قال الأسد: لأنك تأكل الميتة والجيفة، فرضيت بالدون وأنا لا آكل إلا البازل من الجمال والسمينـة من البقر، وكثير من الناس تركوا الفضائل والتحلي بالصفات الجميلة وطلـب العلـم والمعرفة بحجـة أن الظـروف لا تساعدهم أو كانـت ضدهم، أتذكر أحـد الأثريـاء في بغداد اعترض علـى الأعمش المحدث الكبير لمـا أورد حديثاً عن الرسـول ﷺ فقال الرجل الثري للأعمش: ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين، فقال الأعمش: أشغلك عنه جلوسك على جفان الثريد وتربعك على فرش الحرير.

وفي الصحيـح أن ابن مسعود رضي الله عنه يقول: كنـت قبل الهجرة في الحرم أصلي وحـدي فأقبل رجلان سمينان بطينـان، كثيرٌ شحم بطونهما قليـل فقه عقولهما، وقـال أحدهـم للآخـر: هل ربنـا يسمعنـا إذا تكلمنا؟ فقـال الآخـر: يسمعنا إذا رفعنـا أصواتنا ولا يسمعنا إذا تناجينـا، وفي حياتنا نشاهد أناساً فارغين عاطلين فنسألهـم: لماذا تركوا القـراءة أو التلاوة أو عملاً صالحاً محـدداً؟ فيعتذرون إما بكـثرة أسفارهـم أو ظروفهـم العائلية أو أنهـم سوف يفعلون ذلـك مستقبلاً وما هناك إلا التسويف والإرجاف والوهم، الصادق في عزيمته يركب الصعب والذلول؛ ليحقق مراده بإذن الله، ولقد طالعت كتاب (سير أعلام النبلاء) في (٢٣) مجلداً و(الأعلام) للزركلي (١٠) مجلدات كلها عن الأعلام والعظماء والناجحين، فإذا القاسم المشترك الذي يجمعهم هـو الهمة العالية والصبر والمثابرة وحفظ الوقت

وعدم انتظار الظروف المناسبة ومنهم الأعمى والأشل والأعرج والمقعد والمريض والفقير، ولكنهم ساروا نجوماً في العلم والمعرفة والقيادة وأبواب الخير والصلاح، فابدأ من الآن وتوكل على الله ولا تنتظر تهيؤ الظروف، فما تهيأت لأحد، ولم تُفرش طرق المثابرين والمجاهدين واللامعين بالورد، بل بالشوك والتعب والنصب والدموع والعرق والدماء، حتى جلسوا فوق النجوم، قال أبو الطيب:

إذا غامَرتَ في شَرَفٍ مَروم
فَلا تَقنَعْ بِما دونَ النُّجومِ

فَطَعمُ المَوتِ في أَمرٍ حقير
كَطَعمِ المَوتِ في أَمرٍ عَظيمِ

obeikandl.com

بناة المجد

بناة المجد أناس تركوا أثرهم الطيب في الحياة، وسجلوا أسماءهم في سجل الشرف والمجد؛ لما قدموه لأمتهم من خير ونفع وما خلفوه للأجيال من تراث مجيد وتركة مباركة، وأي ناجح في مجال من مجالات الحياة هو من بناة المجد أيًّا كان ذلك المجال، وبناة المجد في الإسلام لهم صفات، منها أن يكون الله راضياً عن هذا الإنسان وأن يقدّم عملاً نافعاً وأن يكون من حوله راضين عنه بين ثلاثة أركان لمجد المؤمن الصادق في الدنيا والآخرة الناجح في حياته فلا بد أن يؤمن بالله على منهج رسول الله ﷺ لأن المنحرف الضال لا يُعدّ في الإسلام ناجحاً؛ لمحاربته لربه وكفره بآياته وشرعه وأن يقدّم عملاً ينتفع هو به ويستفيد منه البشر وأن يرضى عنه من حوله من والد وابن وزوجة وصديق وشريك ونحوه، فلا نجاح لشرّير وفاجر يؤذي الناس ويكون سبباً في شقائهم مهما قدّم من عمل، فالناجح يشعر بالأمان في نفسه ويعيش الناس معه في أمان ويأمن غضب الله بطاعته، ولهذا قال الله في أوليائه الناجحين الفائزين: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾.

وأنا أذكر أمثلة للناجحين في الحياة، فالسلطان العادل الذي ينشر الخير ويرحم العباد ويعمل بالمساواة ويحمل روح الإنصاف ناجح يُشكر في الدنيا والآخرة، والعالم الرباني الذي تعلّم العلم وعمل به وعلّمه الناس نجم في سماء الفضيلة والبر والصلاح والطبيب الحاذق الذي ينصح لمريضه ويسعى في شفاء الناس مبجّل محترم من الرواد، والمهندس الذي يشارك في العمار ويسهم بفكره وجهده في البناء رجل مرموق له مكانته في سجل الشرف، والكاتب الموهوب الذي يرسم بقلمه حروف الوعي والنهضة والصلاح ويجتنب الإساءة والزور كوكب دُرِّي يضاف إلى قائمة اللامعين في مسيرة العطاء والرقي والنجاح، وقس على ذلك المشاركين في صنع الحياة الكريمة الراشدة من مزارع وجندي وبناءٍ وصحفي وغيرهم، إن بناة المجد لا

يحتاجـون إلى دعاية من غيرهم تقوم على استئجار الأقلام وشراء الضمائر، وإنما جهدهم المبارك وعملهم المشكور ونتاجهم الباهر وأثرهم الطيب خلّد أسماءهم في ذاكرة الأمة وفي ديوان الريادة، من الذي يستطيع الآن أن يمسح بجرّة قلم أو بكلمة مؤذيـة اسم رمـز تاريخي، قدّم لأمته أعمالاً جليلة أو تـرك آثاراً خالدة اعترف بها العقـلاء، وفي المقابل من الذي يستطيع أن يرفع وضيعاً خاملاً فاشلاً ناقصاً تافهاً، فيجعله في الصف الأول مع قادة العلم والفكر والزعامة والموهبة والتميز؟

إن الشمس في رابعة النهار لا تحتاج إلى قصائد عصماء في مدحها، فقد فرضت جلالها وبهاءها وسناءها على الكون وإن القمر ليلة البدر لا تزيده ملاحم الثناء وكلمات الإعجاب علواً إلى علوه، قال زميلنا وصديقنا أبو الطيب المتنبي:

مَن كانَ فَوقَ مَحَلِّ الشَّمسِ مَوضِعُهُ
فَلَيسَ يَرفَعُهُ شَيءٌ وَلا يَضَعُ

وفي كتب الأخبار أن أعرابيًّا كان في وادٍ مظلم يمشي ليلاً، وقد اسودَّ عليه المكان، فوقف حائراً، وفجأة طلع القمر عليه فالتفت إلى القمر فرحاً مسروراً، وقال من شدة الغبطة وهو يخاطب القمر: يا قمر، إن قلت: رفعك الله فقد رفعك، وإن قلت: جمّلك الله فقد جمّلك، لكن أقول: جزاك الله خيراً يا قمر، قام أحد الأنذال في عصر التابعين يسب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال له أحد العلماء: يا فلان، إن علي بن أبي طالب قد بلغ من الرفعة عند الله وعند خلقه ما لا ينفعه مدح مادح ولا يضره سبُّ ساب، واعلم أن عليًّا قد رضى الله عنه، وأدخله الجنة فهل يضره بعد هذا كلام؟ فسكت الرّجُل كأنه كلبٌ أُلقِمَ حجراً، ومن الأمثلة المضحكة أنني قرأت لبعض كتّابنا في صحف محليّة يحاكمون شيخ الإسلام ابن تيمية ويدّعون أنه لم يفهم بعض القضايا كما ينبغي وعنده خلط عجيب في بعض المسائل وهؤلاء الكتّاب أصفار حتى في عالم الكتابة، نكرات في الحياة في حاجة ماسة إلى تعليم وتربية وأدب، فابن تيمية ليس بنبي معصوم لكنه إمام

معتــبر كبير خطير شهد له الشرق والغــرب حتى بعض المفكرين من غير المسلمين سجّلـوا شهادات إعجاب لهذا العــالم، الرباني والمفرد العلم فيأتي كاتب بليد غبي لم يفهم كلام هذا العبقري الأعجوبة، فيقول ما قال، فليته سكت على جهله وستر غباءه ولكنه فضح نفسه، وادعى بالباطل جهلاً أن ابن تيمية عنده تناقض وتخبط والذين يستحون قد ماتوا، والمقصود أن بناة المجد توكلوا على الله ثم اعتمدوا على أنفسهـم فقدّموا بجهدهم وعرقهم عطاءً مباركاً ومجداً خالداً وأثراً عظيماً، قال إبراهيـم عليه السلام لربه تعالى: ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾، أي ثناءً حسناً وذكراً جميلاً، قال أبو الطيب:

ذِكـرُ الـفَـتـى عُـمـرُهُ الـثـاني وَحـاجَـتُـهُ
مـا قـاتَـهُ وَفُـضـولُ الـعَـيـشِ أَشـغـالُ

لا تعلّق الدّر في أعناق الخنازير

ذكر الحاكم في كتابه «المستدرك» أن عيسى عليه السلام مرّ بسفلة أنذال، فقيل له: ألا تعلّمهم؟ فقال عليه السلام: إن من الحكمة ألا تعلق الدّر بأعناق الخنازير، تذكرتُ هذا القول وأنا أقرأ أخبار الملاحدة والزنادقة ومقالاتهم في الصحافة ومواقع الإنترنت وأطالع كتب فلاسفة الباطنية الكافرين بالله الصادّين عن سبيله المخاصمين لرسله عليهم السلام المعرضين عن الوحي، فأتذكر قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾، ثم أقرأ نتاج فروخهم وكتابات أحفادهم فإذا هم ذرية بعضها من بعض في الضلالة والانحراف وأتصفح كتب وروايات بعض شياطين العرب الذين يلمزون الشريعة ويحاربون الملة ويبغونها عوجاً ويتشدّقون بكلام الفلاسفة وينفرون من أحاديث البخاري ومسلم ويعشقون أسماء سقراط وأفلاطون وأرسطو ويهجرون أسماء أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، وأقول في نفسي: ما لهم قاتلهم الله أنى يؤفكون؟ لماذا ينخلعون من مجد العرب وشرف العرب وفخر العرب وهو الرسالة النبويّة الخالدة؟ ماذا عندنا نحن العرب إذا لم نتشرّف بالإسلام؟ ماذا نملك؟ ماذا نحمل للعالم؟ ما الذي نفاخر به الدنيا؟ ما الذي نباهي به شعوب الأرض إذا لم يكن الدين الخالص والوحي المقدّس الذي بُعث به سيد ولد آدم رسول الهدى صلى الله عليه وسلم.

إن هؤلاء العاقين يفعلون مع الرسالة المحمديّة كما يفعل الجعلان مع الزهر، إنه يفرّ من رائحة العطر ويعشق رائحة الدنس والنتن ثم أتذكر: (لا تعلق الدّر في أعناق الخنازير)، ما الذي أعجب ملاحدة الفلاسفة وزنادقة الكتّاب في طرح (ماركس) و(غوتا) و(ديكارت) و(كانت) ولم يعجبهم علم (أبي حنيفة) و(مالك) و(الشافعي) و(أحمد بن حنبل)؟ ما الذي حملهم على الهيام بروايات التحلل والفجور والمجون والتغني بأفكار الكفر ورفض الشرع والاستهزاء بالأنبياء وركوب موجة الزندقة والباطنية الجاحدة؟ والنظر بعين الازدراء إلى تراث

الصدق والطهر ونصوص القداسة والإيمان وميثاق العلو والشرف والحرية والعدل والكرامة الإنسانية الماثل في رسالة الإسلام؟ لكنني أتذكر: (لا تعلق الدّر في أعناق الخنازير).

لماذا يرفض هؤلاء الأقزام الأزلام الأصنام مكة وزمزم والقبلة واسم جبريل عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم وغار حراء والذكر الحكيم والسنّة المطهّرة وبدرًا والفتح وبيعة الرضوان، ثم يتجهون إلى موسكو وبكين ويرددون اسم تولستوي وفولتير وهيجو ودانتي وغيرهم؟ لماذا تحب هذه الشرذمة الأفكار الطينية، والآراء الترابية، والمناهج الإبليسيّة، وتحارب الآيات الربانية، والأحاديث النبوية، والتعاليم الإسلامية؟ فأتذكر حينها: (لا تعلق الدّر في أعناق الخنازير)، إن الواحد القهار جل في علاه شرّف العرب وغير العرب بمبعث النبي الأمي الهاشمي القرشي العربي صلى الله عليه وسلم ولكن من حقت عليه كلمة العذاب وقدّر الله عليه الشقاء وكتب عليه الخزي والعار وأعد له الأغلال والنار لا يريد هذا الشرف ولا يحبّذ طوق النجاة من الهلاك ولا يركب سفينة الإنقاذ من الغرق قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾.

إنني أقرأ القرآن فيعمر الرضى نفسي والسكينة روحي والطمأنينة قلبي وأشعر كأن الرحمة تحف بي، فأتساءل في نفسي: أي إكرام لي وأنا الإنسان المذنب المقصّر الفقير أن يخاطبني ربي بكلامه عن طريق رسوله؛ ليهديني ويصلح بالي وينوِّر بصيرتي ويُقوِّم منهجي وينقذني من غضبه وعذابه وأليم عقابه ويدخلني في رحمته؟ ثم أنظر في كلام هؤلاء المنحرفين الشّاكّين المدلّسين الملبّسين المردة الأدعياء، فأجد السخف والكذب والزور والبهتان والانحطاط، فأقرأ: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾. إذاً، فمن رفض الهداية وأبى الطُّهر وأنكر البرهان وهرب من الشرف وأدبر عن إيمان ثم أقبل بعدها على التمسّح

بأوثان البشر وأقدام الطواغيت وقلّب وجهه على أحذية الملاحدة الخونة فدعه في دنسه واتركه في رجسه: ﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾، وعليك ألا تعلّق الدّر في أعناق الخنازير؛ لأن الخنزير خبيث النفس، خبيث الجسم، خبيث المأكل، خبيث المشرب، خبيث الرائحة، والخبيث لا يحب إلا الخبيث، ولا يهوى إلا الخبيث، ولا يعشق إلا الخبيث: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ﴾، أما أهل الإيمان، وعباد الرحمن، وحملة القرآن، وأتباع سيد ولد عدنان، فهم روّاد الصدق وأنصار الحق وجنود الوحي؛ لأنهم طيبون، كلامهم طيب، وفعلهم طيب، ومعتقداتهم طيبة، ومطعمهم طيب، ومشربهم طيب، ومنقلبهم طيب: ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ﴾.

كرت أحمر لكل من يكتب إلحاداً أو زندقة أو فجوراً مكتوب عليه: ﴿سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ﴾، لافتة تحذير وإنذار لكل عدو للملّة وخصم للشريعة، سُجّل عليها: ﴿فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾.

الوحدة العربية المزعومة

ذكر كثير من المؤرخين أنه لولا النبوّة المحمدية على صاحبها الصلاة والسلام لما اجتمع العرب على دولة وما كان لهم كيان واحد؛ لأن العرب أمة صحراوية عشائرية، البداوة عندها تغلب التمدّن، وقد ألمح إلى هذا ابن خلدون وابن مسكويه وكلما ابتعد العرب عن روح الدين الإسلامي، كثر فيه الخلاف ولا أعلم أمة اليوم من أمم أرض أكثر خلافاً من العرب، فعندهم خلاف فقهي مذهبي وخلاف عقديّ طائفي وخلاف فكري وسياسي وحزبي فهم دول شتّى وآراء متباينة ورايات مختلفة وتوجهات متضادة مع ضعفهم في جانب المدنية والحضارة الدنيوية فهم لم يقدموا للعالم رسالتهم الإسلامية بقوة وبصدق وبجمال ولم يهدوا للبشرية ما ينفعها في دنياها من اختراع أو صناعة أو إنتاج، بل هم مستوردون مستهلكون.

وقارن بين حال العرب الآن وحالهم في القرون الأولى المفضّلة بعد البعثة المحمدية فقد كانوا في العهد الأول أمة واحدة بلا خلاف على عقيدة واحدة صحيحة قبل أن تنشأ فرق الخوارج والقدريّة والجبريّة والمعطّلة والمعتزلة وغيرهم وكانوا في الفقه على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ليس عندهم خلاف كبير حتى يندر أن تجد في المسألة قولين قبل أن تحصل في المذاهب الأربعة وغيرها وكانوا أمة واحدة يهتز لها المشرق والمغرب وتقف الدنيا بأسرها احتراماً لها ثم مرت بنا دورة التاريخ وسنة المداولة: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ ووصل بنا الحال إلى أن تقاتلنا فيما بيننا وتقاطعنا وتهاجرنا وكفّر بعضنا بعضاً مع التبديع والتّضليل والتّفسيق فعطّلتنا الخصومات فيما بيننا عن تقديم رسالتنا للعالم وعن تمدننا وتحضّرنا وقد حذّرنا الله تعالى مما وقعنا فيه فقال: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

والمسؤولية الآن مسؤولية العقلاء من أهل الحكم والعلم والفكر والأدب أن ينقذوا الأمة مما وقعت فيه من خلاف وتفرّق؛ لتوحيد الخطاب والرفق بالمخالف

وتحكيـم الحـوار والاجتماع علـى الثوابت وعـذر المخالف في الفـروع والجزئيات وإعطـاء العقل مساحته في الرأي وأن نعفـي العالم من هذه المحاكم والمشانق التي يُصلب عليهـا الفكر صباح مساء، ولنأخذ منهج القـرآن: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾، وقوله: ﴿ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾، تكتّـل الغـرب والشـرق، ونسوا خلافاتهـم فاطّلعوا وأنتجـوا وأبدعـوا وبنوا وشيّـدوا واختلفنا على مستـوى القرابـة والقبيلة والدولة والأمـة، فضعفنـا ووصلنـا إلى الغثائية التي أخبر بها ﷺ حيث قـال عن أجيالنا: «**ولكنكـم غثاء كغثاء السيـل**». لن تنفعنا الشعارات القوميّة التي ما استعادت حقًّا ولا بنت مجداً والتي ضيّعت أتباعها بكذبة: (أمة عربيّة واحدة، ذات رسالة خالدة) وهـي من إنتاج وتوزيع شركة البعث العربي الاشتراكي، وقد رأينا آثار هذا الشعار السخيـف التافـه في احتلال العراق للكويت وسوريا للبنان ثـم ذبح صدام، ويشار لشعبيهمـا في مجـزرة ما سمع التاريـخ بمثلها، وشعارنا وفخرنـا ومجدنا في كلمة التوحيد والوحدة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) وليمت الجبناء بغيظهم.

التمدن عن طريق الكلاب

تحـاول الأمم المغلوبـة أن تحاكـي الأمم الغالبة فيمـا أبدعتـه، وأجادت فيه فتعجـز في الغالـب فتعود لتحاكيها في أمـور هزيلة وسخيفـة لا تكلفها جهداً، وقد سافـر شباب مـن الشـرق إلى الغرب فانبهـروا بالحضـارة الماديـة ودُهشوا من ضخامـة الاختراعات والاكتشافات والتطور الدنيوي المذهل، ولكنهم لعجزهم عن صعـود هذا السُّلم المكلف المرهق أرادوا تقليد الغـرب في مشاهد باهتة ومظاهر سخيفـة ليظهروا أمام الآخريـن بمظهر المتمدن الحضاري، فعـادوا إلينا بأدمغة جامدة وضمائر ميتة وعليهم صورة الغرب في الظاهر، فمنهم من تقلّد سلسلة في عنقه وفي يديه مع قصة لشعر رأسه وجنـز محزوق يرتديه وفنيلة عليها صور نجوم الفـن والكرة في الغرب ومعه كلـب يقوده يركب هو وقرينه الكلـب سيارة مكشوفة (الخنفسـاء) ويعبر بها شوارعنـا؛ ليرينا تمدّنه وتحضّره، ويـا للخيبة والخسارة إن كان هـذا هو التمدن والتحضـر، إذا كان غايته كلباً يصاحبه وينام ويأكل معه! والكلب في شريعتنا لا يُقتَنى إلا لثلاثة أسباب كما في الحديث الصحيح: في الصيد وحفـظ الماشية وحراسة الحرث، أما غير ذلك فمن اقتنى كلباً أو أدخله بيته بغير تلك الأسباب فإنه فعل محرماً ينقص من أجره كل يوم قيراط.

والكلـب نجس حتى إنه إذا ولغ في الإناء يُغسل منه الإناء سبع مرات إحداهن بالتراب، وملابسة الحيوان والبهائم تورث لمن لابسها وصاحبها أخلاق هذه البهائم كما حقق ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه (اقتضاء الصراط المستقيم) وذكر الحديث الصحيح: «**الكبر والخيلاء عند أصل أذناب الإبل والسكينة والوقار عند أهـل الغنـم**»، فاكتسب أهل الإبل من مصاحبة الإبل الكبر والخيلاء، واكتسب أهل الغنـم من مصاحبة الغنم السكينة والوقار والصاحـب ساحب، والقرين بالمقارن يقتـدي، وقد ذمَّ الله أعداءه الفجرة الأشقيـاء بأنهم أكثر انحطاطاً في الفهم من البهائـم قـال تعـالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا

كَٱلۡأَنۡعَٰمِۖ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾، وفي قوله تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُم ﴾ يقول سفيان بن عيينة: ما من إنسان إلا وفيه شبه بحيوان، فمنهم من يشبه الأسد أو الصقر أو الثور أو الذئب أو الثعلب أو الرخم أو الهدهد أو الغراب إلى آخر أنواع الحيوان، والمتنبي عرّض بحسّاده وذكر أن الإبل أذكى منهم يقول مهاجماً عدوه اللدود الوزير الصاحب بن عباد، وقد مر بأرضه مسافراً إلى سعيد بن عبدالله، فأرسل قذيفة إلى الصاحب يقول فيها:

لـوِ استَطَعْتُ رَكبتُ النّاسَ كلّهمُ
إلى سَعيدِ بنِ عَبْدِالله بُعْرَانَا

فالعِيسُ أعْقَلُ مِنْ قَومٍ رَأيْتُهُمُ
عَمّا يَراهُ مِنَ الإحسانِ عُمْيانَا

أبدو فيَسجُدُ مَنْ بالسّوءِ يذكُرُني
فَلا أُعاتِبُهُ صَفْحاً وإهْوَانَا

والكلب أخس الحيوانات وأقذرها وأحطُّها، حتى إن الله وصف العالم الخائن الفاجر بالكلب، فقال: ﴿ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَث ﴾.

وعلى طاري الكلاب وكلام أبي الطيب المتنبي على متمه كان دعبل الخزاعي الشاعر الشهير يسمى شاعر الكلاب؛ لأنه أمر عند موته أن يُدفن عند باب مقبرة آل البيت بالنجف، ويُكتب على قبره: ﴿ وَكَلۡبُهُم بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ بِٱلۡوَصِيدِ ﴾، وقد هجا خلفاء بني العباس بالترتيب الأول فالأول فلما تولى المعتصم وكان الثامن من خلفاء بني العباس قال دعبل:

ملوكُ بني العباسِ في الكتْبِ سبعةٌ
ولم تأتنا في ثامنٍ منهُمُ الكتْبُ

كذلك أهل الكهف في الكهف سبعةٌ
وثامنهمُ فيما أتى عندنا كلبُ

وإني لأزري الكلب عن ذكره بكم
لأن لكم ذنبًا وليس له ذنبُ

فما جزاء من أحرجنا أمام العالم وأرسلناه إلى الغرب؛ ليكون مهندساً أو طبيباً أو طيّاراً، فعاد يجرٌّ في شوارعنا زميله الكلب بحبل من مسد في عنقه كأنه حمالة الحطب، إن التمدن هو الرقي بالذوق والتعالي إلى هامة المجد والانتصار على الرذائل وإثراء العقل بالمعرفة والقلب بالإيمان واليد بالعمل، التمدن ليس المظهر المخزي الباهت السخيف الذي يحاكي أراذل القوم ممن عجز عن الإبداع والإنتاج والعمل، فصار صفراً في هامش الحياة.

الشباب صنّاع التغيير

كان جيش الرسول ﷺ في بدر شباباً خرجوا معه لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، فحطموا الأصنام، وداسوا الأزلام، وحذفوا رؤوس الأقزام، واستمر الشباب في كل أمة وفي كل جيل يصنعون أملها المنشود ومجدها الموعود.

والذي شرح خاطري في شباب تونس ومصر والذين صنعوا التغيير أنهم جمعوا بين الإيمان والعمل؛ الإيمان بالله ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ رسولاً، والعمل من أجل حياة كريمة وحضارة راقية ومجتمع سليم معافىً، كانوا يصلّون الصلوات الخمس في الميدان، ويحفظون الأمن، وينظفون السكك، ويداوون الجرحى، وينظمون المرور، جمعوا بين ثقافة المسجد والمصنع، والمصلّى والشركة، والمصحف والميدان، والقلم والمشرط والريشة، فأذهلوا العالم بإيمانهم وصبرهم وثقافتهم.

كنت قبل أسبوع في الهند مع بعض الدعاة السعوديين، فزرنا خمس جامعات في ولاية كجيرات وجمعية العلماء بنيودلهي وندوة العلماء بلكنو، فوجدنا شباباً مؤمناً بالله جمع بين دراسة صحيح البخاري والفيس بوك، بين التسبيح وتعلم الكيمياء، بين اتباع السنة ودراسة الكون، وكان أستاذهم في الهند الدكتور أبو الكلام الفيزيائي المسلم المصلي الذي اكتشف القنبلة الذرية، فأكرمه الشعب الهندي بأن توّجه رئيساً للهند، كان عنده معمل فيزيائي معه ثمانية موظفين، إذا أذّن المؤذن ترك العمل، وذهب إلى المسجد، وهذا الذي نريده من الشباب.

وعجبي من شباب مفلسين محبطين فاشلين ليسوا ناجحين في الدين ولا في الدنيا، بل تجدهم متذمرين من الطاعة لله، عندهم خجل من التدين، ما أخذوا من الغرب إلا ركوب البنز، ولبس الجنز، فصار أحدهم كالعنز، قلوبهم فارغة من الإيمان، وأدمغتهم فاضية من الثقافة والمعرفة، وهم ممتازون في السهر الضائع

obeikandl.com

وقتل الوقت في نفث سجائر الدخان والأحلام الوردية والوساوس الشيطانية، صلينا صلاة الجمعة في الهند في اليوم الذي سقط فيه رأس النظام المصري فيما يقارب عشرين ألف شاب مسلم درسوا علم الشريعة والرياضيات والكيمياء والفيزياء، وأخذوا يدعون الله أن ينصر الشعب المصري كما نصر الشعب التونسي، فهم يحملون رسالة الإسلام التي جمعت بين الأبيض والأحمر والأسود، وبين العربي والهندي والفارسي والتركي والكردي وكل أجناس البشر.

إن الأمة الإسلامية لا يصنع تغييرَها إلى الأفضل والأجمل والأكمل إلا شبابٌ مؤمن يعترف بالقِبلة والمصحف والشريعة، مؤمن بالعمل، وينتشر بعد الصلاة إلى المكتب والثكنة والعيادة والمزرعة والجندية والجامعة والسوق، يشارك في صنع الحياة، فيبني ويعمّر، ويخطط ويهندس، ويحرث الأرض، ويبيع ويشتري، ويحرس الأمة، ويكون عضواً صالحاً في المجتمع المسلم.

لا نريد شباباً فاجراً يستهزئ بالديانة، ويخون الأمانة، لا يشارك في صنع الحياة، وإنما هو غدة زائدة في الجسم، وصفر مهمل في عدد الأمة، من أين أتتهم الفكرة التي تقول: لن يحصل تقدم دنيوي إلا بالتنكر للدين؟ ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾. لقد شاهدنا الشباب المسلم الناجح في الشرق والغرب الذي حصل على أعلى الشهادات وأعظم الجوائز في كل تخصص، وهو يحافظ على الصلوات الخمس، ورأينا الشباب الفاشل المهزوم المسحوق وقد تنكر للعبادة، ففشل في الدراسة والوظيفة والإنتاج، نريد أن نجمع بين المسجد والمصنع، والجامعة والميدان، والمصحف والمختبر، بين المجد في الدنيا والنجاة في الآخرة، وأعوذ بالله من الكفر والفقر والفجور والكسل. يقول الله تعالى في كتابه عن الشباب المؤمن صانع التغيير: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَـٰهُمْ هُدًى﴾.

مصر الجديدة

كأنني رأيت فيما يشبه الأحلام مصر الجديدة بعد ٢٥ يناير، ورأيتها دولة قوية مزدهرة يحكمها العدل ويملؤها الأمن ويعمها السلام، لمصانعها هدير، ولمعاملها ضجيج، وجامعاتها تجدد الدماء في جيلها، والعبقرية في أبنائها، ونواديها عامرة بالثقافة والأدب والحوار، مصر الجديدة لا تحتاج إلى استيراد في عالم الزراعة؛ فهي الأرض المباركة أرض البساتين الفيحاء، والحقول الخضراء، والحدائق الغناء، أرض النيل وحاضنة الجيل، مصر الجديدة سوف تزدهر فيها الصناعة والزراعة، ويعود لها مجد المعرفة والعلم والشِّعر والحكمة، مصر الجديدة ليس فيها مصادرة للحريات، ولا قتل للإبداع، ولا ترويع للآمنين، ولا اعتداء على الخصوصيات، ولا احتقار للمواهب، ولا استبداد بالرأي، ولا استحواذ على الثروة، مصر الجديدة سوف تصل بإسلامها إلى ما وصل إليه في عالم الدنيا اليابانيون والصينيون والغربيون، وقد انتهت مصر القديمة يوم ٢٥ يناير، وماتت مصر القديمة -رحمها الله- بعد هذا التاريخ، ودُفنت مصر القديمة- أحسن الله عزاءكم- فيها؛ لأن مصر القديمة لا تصلح لهذا العصر؛ فقد توقف فيها العقل، وماتت فيها الهمة، وأُغلق فيها على العبقرية في زنزانة الإهمال.

لقد زرت مصر القديمة أكثر من عشرين مرة، فوجدتها كالعجوز الشمطاء ذهب شبابها، وتغير جمالها، واضمحل جلالها، وخارت قواها، فالتعليم أصبح في الغالب عقيماً، وما نبغ من نبغ من المصريين وجلس على النجوم وحاز على الجوائز العالمية إلا لأنه خرج من مصر القديمة؛ كأحمد زويل وزغلول النجار وفاروق الباز وغيرهم، ولو بقوا في مصر القديمة لأُحيلوا على المعاش، وأصابهم الصلع والسكري والضغط والقلق والوسواس القهري؛ لتردي الأوضاع، ومحاربة الطموح، وعكس سنة الحياة.

كانت مصر القديمة تمشي إلى الوراء (إلى الخلف دُرّ) فأصبحت تراوح مكانها، وتستهلك تاريخها، وتأكل جسمها، وكان المفترض على مصر القديمة أن تناصر بداية النجومية مع الأستاذ محمد عبده وشوقي وحافظ إبراهيم والعقاد والمنفلوطي وإبراهيم ناجي وطه حسين والمازني وأحمد أمين، ولكنها مع الأسف توقفت فجأة، فصارت تشكو قلة الغذاء، وضحالة المعيشة، وكساد المعرفة، وتأخر الثقافة، وتدهور الصحافة، وهزال الأدب والفن الإسلامي.

وفي الأخير فرغ صبر المصريين، وانتهى انتظارهم، وكانوا على موعد مع التاريخ، فخرجوا يبحثون عن مصر الجديدة، ويودعون مصر القديمة، خرج أبناء الأبطال وأحفاد الفاتحين وسلالة الأحرار، خرج الذين حطموا خط (بارليف)، والذين هزموا العدوان الثلاثي، والذين صنعوا ٦ أكتوبر، خرجوا يريدون الحرية والكرامة والإنسانية والعدل والمساواة، خرجوا يريدون أن يعيدوا لمصر مجدها وتاريخها وكرامتها، خرجوا يعيدون لها جمالها وجلالها وكمالها، خرجوا يريدون المجتمع المدني ودولة المؤسسات التي تؤمّن للإنسان حياته وطعامه وشرابه وفكره وعلمه ومستقبله وسعادته ورُقيّه، أبشّركم بأن مصر الجديدة في ثورة ٢٥ يناير خرجت لتأخذ مكانها في السيادة والقيادة والريادة، خرجت مصر الجديدة لتقول للعالم: أنا لا أرضى إلا بالصدارة، ولا أعشق إلا النجومية، ولا أحب إلا الصف الأول، خرجت مصر الجديدة لتقول: لن أعود إلى الوراء، ولن أرجع إلى الخلف، فمرحباً بمصر الجديدة، ومرحباً بالعبقرية المصرية والإلهام المصري، وأهلاً وسهلاً بالمصريين قادة التنوير، وأبطال التحرير، وأساتذة الفضيلة، ونجوم الألمعية.

يوم الغُلاة والطغاة

الغُلاة والطغاة هم مصيبة العالم الإسلامي، فأما الغُلاة فهم خوارج على الدين حملوا السلاح على المجتمع، وسفكوا الدم الحرام، وأزهقوا الأرواح المعصومة، وروعوا الآمنين، وشوهوا صورة الإسلام، وأما الطغاة فظلموا العباد، وأفسدوا في البلاد، وصادروا حقوق الناس، وحكموا بغير شرع الله، الغُلاة لا يفهمون النص، ولا يعرفون الدليل، ولا يحترمون العلماء، والطغاة ليس لهم شريعة، وما عندهم ضمير، وليس في قلوبهم رحمة، الغُلاة اختصروا الإسلام في فهمهم الخاص المشوه، وخرجوا عن الإجماع، ورفضوا التحاكم إلى المنطق والعقل والحجة، والطغاة ألغوا كل صوت إلا أصواتهم، وشطبوا على كل صورة إلا صورهم، وأهدروا كل مصلحة إلا مصلحتهم، وعقلاء العالم وأحرار الدنيا وصُنّاع القرار في الأرض إنما اعترضوا على طائفتين اثنتين في العالم الإسلامي، اعترضوا على الغُلاة المتطرفين الإرهابيين، واعترضوا على الطغاة الظالمين المستبدين، فالغُلاة تطاردهم الأمة الإسلامية في الكهوف والمغارات والسراديب؛ لأنهم مشبوهون.

والطغاة تطاردهم الشعوب في الميادين العامة والمساجد والجامعات، وتنصب لهم المشانق في السكك والشوارع؛ لأنهم حاربوا الحياة، وألغوا العدالة، وداسوا على الكرامة والحرية والاستقلال، ليس عندنا في العالم الإسلامي مشكلة ولا أزمة إلا من هاتين الطائفتين، فالحوادث والفتن والأزمات والمظالم والخوف والفقر والبطالة والفساد المالي والإداري كلها من صنع الغلاة والطغاة، ولهذا حارب القرآن الغلو في الدين واستبداد الظالمين، ومقت الفساد في الأرض: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾، وكل الذين تكلموا في السياسة الشرعية ذكروا أن أصل المشكلات ورأس الأزمات هم الغُلاة

والطغاة، فالفرق الضالة إنما خرجت على جماعة المسلمين بالغلو في الدين، والحكام الظلمة لما عطلوا الشريعة قوبلوا بالثورات من الشعوب، فسالت الدماء، وأُزهقت الأرواح، وذهب العمران، وضاعت مصالح الناس، وفُقد الأمن.

بالاعتدال والعدل يقوم الأمن والسلام، فاعتدال المجتمع على المنهج الوسطي لا إفراط ولا تفريط، وعدل الحكام على ما أنزله الله في كتابه وسنة رسوله ﷺ، وإنما هاجمنا الشرق والغرب بعلمائه ولجان حقوقه الدولية ومؤسساته المدنية بسبب الغُلاة والطغاة، فالغرب والشرق لم يعترض على مساجدنا بل سمح بها في بلاده، ولم يحارب جامعاتنا وليس له اعتراض على أساليب حياتنا، إنما واجهنا بسبب الغُلاة والطغاة، ولو أن الأمة الإسلامية بعلمائها وقضاتها ومفكريها وكُتّابها وحكمائها ومصلحيها أصلحت داء الغُلو والطغيان، وقامت بحركة تجديدية إصلاحية تصحيحية توقف الغُلو في الدين والظلم عند الحكام لصلح وضعنا، ولهذا تجد أنّ العدل أساس الحضارة وأصل الازدهار، حتى قال ابن تيمية وابن خلدون وغيرهما: (إن الله يؤيد الدولة العادلة ولو كانت كافرة، ويمحق الدولة الظالمة ولو كانت مسلمة)، هذا هو الداء في العالم الإسلامي غُلو من شباب مراهقين متطرفين، وظلم من حكام مستبدين طاغين، وغياب للمصلحين الناصحين.

وباختصار، وهذه كلمة سر بيني وبينكم: (مشكلات الغُلاة والطغاة هي في عالمنا الإسلامي) والله قال للغُلاة: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾، وقال للطغاة: ﴿فَتِلۡكَ بُيُوتُهُمۡ خَاوِيَةَۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْ﴾.

قطف ثورة الشعب

الثورات التي قامت في العالم العربي قُطفت ثمارها لغير إرادة الشعوب؛ ففي مصر قامت ثورة التغيير ظاهرها الإصلاح والتمسك بالقيم بعد الملك فاروق، والشعب المصري كان يريد الإسلام على وقع إصلاح الأستاذ الإمام محمد عبده وشيخه جمال الدين الأفغاني، فلما تولى الضباط الأحرار نحّوا الإسلام جانباً وتنكروا للشريعة وحكموا بدستور ملفق من القانون الفرنسي والإنجليزي. وفي اليمن قام العلماء والقضاة والأدباء كالزبيري وابن النعمان والكبسي وغيرهم بثورة على الإمامة تحمل المشروع الإسلامي، فجاء عبدالله السلال الطالب النجيب لعبدالناصر فخطف هو والعسكريون ثورة اليمن، فنحّوا الإسلام واعترضوا على الشريعة، وحكموا بقانون مجمع مسبك ملبك من كل ما هب ودب. وقام الجزائريون بثورتهم المجيدة ضد الاستعمار الفرنسي يقودها علماء كبار كعبدالحميد بن باديس والإبراهيمي وغيرهما ممن يحمل روح الإسلام، فلما استقلت الجزائر حُكمت بحكم اشتراكي وتغريبي حرم الشعب الجزائري المسلم من طموحاته وتطلعاته إلى حكم الإسلام، كما قال عبدالحميد بن باديس:

شعب الجزائر مسلم
وإلى العروبة ينتسب

وفي السودان قامت ثورة مهدية إصلاحية تحمل مشروع النهضة الإسلامية، فلما طُرد المستعمر الإنجليزي تولى عسكر لا يفقهون في الإسلام شيئاً، فرفضوا الشريعة وجاؤوا بدستور أجنبي تغريبي. وفي ليبيا كان أحفاد وطلاب المجاهد الشهيد عمر المختار يتُوقون إلى رفع راية الإسلام، ففوجئ الشعب الليبي بخطف ثورته بحكم نحّى الشريعة وصادر الحريات. وفي العراق وسوريا كان الشعب مسلماً ١٠٠٪ قاد حركته النضالية وثورته ضد المستعمر الفرنسي والإنجليزي تحت راية

الإسـلام، فلما تـولى حزب البعث في البلدين كان أول فتوحاتـه أنّ تنكر للشريعة، ونحّى الإسلام جانباً، وكان طلابه من الرفاق يهتفون كل صباح:

آمـنـت بـالـبـعـث ربّــاً لا شــريـك لـه

وبـالـعــروبــة ديــنــاً مــا لــه ثـانـي

سبحانك ربي، هذا بهتانٌ عظيم. ولم يلتزم بالإسلام شريعةً وحكماً وعقيدةً ومنهجـاً إلا الملـك عبدالعزيـز بـن عبدالرحمن، حينمـا قاد الثـورة في الجزيرة العربيـة على الخرافـة والبدعة والتفرق والاختـلاف والسلب والنهـب، وكان أول إعـلان للدولـة أنها دولـة إسلامية تحكم بالكتـاب والسنة، وكُتـب على علمها (لا إلـه إلا الله، محمـد رسول الله)، وهي علـى منهج السلف الصالـح إحياء للدعوة التجديدية التصحيحية للإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله، وهذا ليس نفاقاً ولا تزلفـاً، ولكنهـا الحقيقة حتـى إنّ الغربيين وغيرهم من المؤرخـين ذكروا هذه الحقيقـة كصاحـب كتاب «السعوديـون والحل الإسلامي» جـلال كشك وهو كاتب محايـد كتب بتجرد ووثائـق وأدلة، ومحمد أسـد المسلم النمسـاوي الذي ذكر في كتابـه «الطريق إلى مكة» أنه جلس مع الملـك عبدالعزيز، فقال: كان كل حديثه في المجلس عن الإسلام واعتزازه بالإسلام، حتى يقول: فمن يسمعه يظن أن الله كلفه وحده بنصرة الإسلام.

وتونس هو شعب مسلم سني مالكي المذهب، بل هو أرض العباقرة والفاتحين كعقبـة بن نافـع وابن خلدون والطاهر بن عاشور، وهو أرض الزيتونة والقيروان، وهـو يريد الإسلام إلا من بعض أحزابـه اليسارية التي يرى بعض أصحابها أنهم أحق بالبلد من كل ولد، ومن حقهم تنحية الإسلام عن حياتهم، وهذا من اختطاف الثورة على منهج الجمهوريات العربية.

عمر بن الخطاب أيها الحكّام

هذه بعض أخبار عمر بن الخطاب فاروق الإسلام من المراجع الموثوقة في العدل بين رعيته: وقف عمر يخطب الناس وعليه ثوب طويل، فقال: أيها الناس، اسمعوا وعوا، فقال سلمان الفارسي: والله لا نسمع ولا نعي، فقال عمر: ولِمَ يا سلمان؟ قال: تلبس ثوبين وتُلبسنا ثوباً، فقال عمر لابنه عبد الله: يا عبد الله، قم أَجب سلمان، فقال عبد الله: إنّ أبي رجل طويل فأخذ ثوبي الذي هو قسمي مع المسلمين ووصله بثوبه فقال سلمان: الآن قل يا أمير المؤمنين، نسمع وأمرْ نُطعْ، وقال عمر مرة على المنبر للناس: ما أنتم فاعلون لو حدت على الطريق هكذا؟ وحرف يده فقام رجل من آخر الناس وسل سيفه وقال والله لو حدت عن الطريق هكذا لقلنا بالسيوف هكذا فقال عمر: الحمد لله الذي جعل في رعيتي من لو حدت على الطريق قومني وقال له رجل: اتقِ الله يا عمر، فدمعت عيناه وقال: لا خير فيكم إذا لم تقولوها ولا خيرَ فيّ إذا لم أقبلها، وطالب عمر رضي الله عنه على المنبر بتقليل مهور النساء فقامت امرأة من آخر المسجد فقالت: يا أمير المؤمنين، إنّ الله يقول: ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا﴾ فقال عمر: أصابت امرأة وأخطأ عمر، يقول ابن عباس رضي الله عنهما والله لقد رأيت في قميص عمر وهو خليفة أربع عشرة رقعة ولهذا حيّاه الشاعر محمود غنيم فقال:

يا من يرى عمراً تكسوه بردته
والزيتُ أدمٌ له والكوخُ مأواهُ

يهتز كسرى على كرسيه فرقًا
من خوفه وملوكُ الروم تخشاهُ

وجاء الهرمزان الوزير الفارسي يبحث عن عمر، فوجده نائماً تحت شجره عليه قميص مرقع بلا حراسه فهزّ الهرمزان رأسه وقال: حكمت، فعدلت، فأمنت، فنمت، فنظمها حافظ إبراهيم في قوله:

فـقــال قــولــة حــق أصــبــحــت مــثــلاً
وأصـبـح الجيـل بعـد الجيـل يـرويـهـا
أمــنــت لمــا أقــمــت الــعــدل بــيــنــهــمُ
فــنــمــتَ نـــوم قـــريـــر الـــعـــين هـــانـيـهــا

وقال عمر: والله لو عثرت بغلة في ضفاف دجله لخشيت أن يسألني الله عنها لِمَ لم تصلح الطريق لها يا عمر؟، ووجد حلوى عند أطفاله، فقال لزوجته: من أين لكم ثمن هـذه الحلوى؟ قالت: كنت أوفّر من حصتنا مـن الدقيق الذي يأتينا من بيت المال فقال عمر: توفرين الدقيق وفي المسلمين من لا يجد دقيقاً؟ وأخذ الحلوى من أيدي أطفاله وقال ردوها لبيت مال المسلمين، فقال حافظ إبراهيم:

لّما اشتـهـت زوجـه الحـلـوى فـقـال لـهـا:
مـن أيـن لي ثـمـن الحـلـوى فـأشـريـهـا؟

وتقـول زوجتـه عاتكه: كان يأتـي إلى فراشه لينام فيطير منـه النوم ويجلس يبكـي فأقول له: ما لـك يا أمير المؤمنين؟ فيقول: توليت أمر أُمة محمد ﷺ وفيهم المسكـين والضعيف واليتيم والمظلـوم وأخشى أن يسألنـي الله عنهم يوم القيامة، وقرقر بطنه من الجوع على المنبر عام الرمادة، فأشار إلى بطنه وقال: قرقر أو لا تقرقـر والله لا تشبع حتى يشبع أطفال المسلمين، ومـر بامرأة في خيمة وقد ولدت طفـلاً وعندهـا أطفال غيره قد مات أبوهـم فذهب إلى بيت المـال وأحضر دقيقاً وزيتـاً وأوقـد لهم النـار وصنع لهم العشـاء وقدمه، فقالت المـرأة: والله إنك خيرٌ مـن عمر بن الخطاب، وقرأ قول الله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ﴾ فبكى وقال: مـا بقي لنا شيء ومن بقي له شيء فليطلبه، وذهب بثوبه المرقّع لفتح بيت المقدس وقـال له بعض قـواده: لو لبست يا أمـير المؤمنين، لباساً جميلاً إعـزازاً للإسلام فقـال: نحن قوم أعزنـا الله بالإسلام ومهما ابتغينا العـزة بغيره أذلنا الله، وكان يطلـي إبل الصدقة فجاءه رجل فقال: يا أمير المؤمنين، أنا أطلي عنك الإبل، فقال

عمـر: أأنت تحمـل عني ذنوبي يوم القيامـة؟ وذهب مرة خلف أبـي بكر الصديق ودخـل أبو بكر خيمة امرأة مع أطفالها فاختفى عمر وانتظر حتى خرج أبو بكر ثم دخـل على المرأة فسألها عن حالها؟ فقالت: أنـا امرأة حسيرة كسيرة ومعي عيال وليـس لنـا عائل إلا الله فقال عمر: وماذا يصنع هـذا الشيخ الذي يدخل عليكم؟ قالـت: يصنع طعامنا ويكنس بيتنا ويحلب شياهنا ويغسل ثيابنا فجلس عمر يبكي ويقول: أتعبت الخلفاء بعدك يا أبا بكر.

ومـر في سكة المدينة ليلاً فسمع بائعة لبن تقـول لابنتها: امزجيه بالماء ليكثر فـإن عمر لا يدري فقالت الفتاة: لكن الله يدري فعـرف عمر البيت وخطب الفتاة لابنه عاصـم وكان من ذريتها الخليفة الزاهد العادل المجدّد عمر بن عبدالعزيز، ولمـا أصاب القحط المدينة كان يدور بين الخيام وجفنـة الطعام على رأسه يوزعه بـين الفقراء، وطلب عـام القحط من الأعـراب والفقراء أن يسكنـوا في ضواحي المدينة ونصب لهم خياماً وقال: إما نحيا سويًّا أو نموت سويًّا، وجاءه رجل وقال: يا أمـير المؤمنين، لو أوصيت بالخلافة لابنك عبدالله فإنه أهلٌ لها فقال عمر: كذبت قاتلـك الله أُشهد الله على مقتك كيف أوصي بالخلافـة إليه وفي المسلمين من هو خير منه؟

وشـكا إليـه قبطي من مصر ابـن أميرها محمد بن عمرو بـن العاص، يقول القبطـي: سابقتـه بفرسـي يا أمـير المؤمنين، فسبقتـه فضربني وقـال: أتسبقني وأنا ابن الأكرمـين؟ فدعا عمر محمداً وبطحه وجلده وقال: متى استعبدتم الناس وقـد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا؟ انظـر كتاب «**أخبار عمـر**» للطنطاوي، «**وعمر بن الخطاب**» للصلاّبي، «**والبداية والنهاية**» لابن كثير.

الشعب العربي العظيم بحاجة إلى نظافة

سافرنا إلى دول الغرب وانتقلنا برًّا بين مدنها مرة بالسيارة ومرة بالباص ومرة بالقطار، ووجدنا الطرق المعبدة والأرصفة المنظمة والحدائق المتسقة والمقاهي المرتبة والأحياء الراقية والمطاعم الجميلة والحمامات النظيفة، كل شيء في عالم الدنيا منظم ودقيق ورائع، ثم سافرنا إلى دول شرق آسيا، فوجدنا الصورة قريبة حضارةً وتطوراً وازدهاراً ورقيًّا ثم سافرنا إلى غالب الدول العربية وهي الدول النامية في العالم الثالث، فكان غالب الطرق حفريات وإنشاءات والحمامات على الطرق البعيدة مخلَّعة الأبواب مكسرة الكراسي لا ماء ولا هواء ولا صابون ولا عطور، والمقاهي معدومة أو قديمة يملؤها الذباب والفراش والصراصير إلا في بعض العواصم العربية، وهذا استثناء، أما جوانب الطرق فزبالات وقمائم مع اختلاط المواشي بطرق السيارات، أما القطار فمعدوم أو نادر وإذا وُجد فقطار قديم خربان تربان كحيان هريان من الحرب العالمية الثانية.

وغالب المدن العربية حتى كثير من العواصم ليس فيها مقاهٍ متقاربة في الأحياء بل معظمها على الطرق العامة فقط، والحمامات في غالبها بلا رعاية ولا ذوق بل تجدها مهشمة جدرانها مشخبطة وأسيابها ملخبطة، ونوافذها مُشطّبة، والإنسان العربي يحتاج إلى تطبيق تعاليم الإسلام في النظافة، فبينما تجده يتغنى بمجد آبائه وأجداده وإنجازاته الوهمية ومفاخره الخرافية وفتوحاته الخيالية، تجد أظفاره طويلة متسخة وثوبه لم يُغسل من أيام، وشعره أشعث بعيد العهد بالماء والصابون والشامبو، وليس عنده مشكلة في أن يحضر المجلس والمسجد بروائح الثوم والبصل والجوارب والعرق والمرق وروائح الجريش والقرصان والمنؤوشة والتّبولة والكِبّة وإذا تكلم صاح وإذا بكى ناح، صخب وضجيج، وصراخ وصجيج، فأين ما تعلمناه في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ من النظام والرتابة والنظافة والطيب والأناقة والسكينة والهدوء؟ فوالله إنَّ في هذه الأبواب مئات الأحاديث عن معلم الخير رسول الهدى ﷺ، آمل من الشعب العربي العظيم أن يهتم بالنظافة.

والنظافة لا دخل لها بالفقر؛ فقد تجد الفقير نظيفاً والغني وسخاً مبتذلاً، النظافة أيها الشعب العربي العظيم، لا تحتاج إلى أموال طائلة، بل تحتاج إلى ضمير حي وقلب سليم وذوق عالٍ مع شيء من الصابون والماء والشامبو والعطر الطائفي أو الفرنسي، النظافة أيها العرب تحتاج إلى وعي حكومي واستجابة شعبية وحملة وعي في الإعلام والمدارس والجامعات، لماذا نحن فقط في الدول العربية والإفريقية وضعُنا مأساوي في عالم النظافة والنظام والدقة والترتيب؟ لماذا تجد غيرنا مرتبين منظمين يغتسلون ويمتشطون ويفرّشون أسنانهم ويقلّمون أظافرهم وينظفون حماماتهم ويرتبون حدائقهم ويرصفون طرقهم؟ ونحن الشعب العربي العظيم في غالبنا لم نأخذ بنظام الإسلام في النظافة والنظام ولا بالنظام الغربي، فحياة العرب في الغالب حياة مبعثرة ليس هناك اهتمام كبير من الحكومات ولا من الشعوب.

كلما جلست مع زملائي في مدينة عربية في مقهى أو مطعم أو سافرنا في طرقهم البرية تذكرنا ما شاهدنا في الشرق والغرب من حياة راقية، فظهر لنا البون الشاسع، ولهذا لم يظلمنا العالم أبداً حينما سمّانا بالعالم الثالث، ومن شك في كلامي فليسافر براً من باريس إلى ليون ومن ميونخ إلى فرانكفورت ومن جاكرتا إلى سوراباي، ومن كوالالمبور إلى جنوب ماليزيا، ثم يسافر بعدها بين المدن العربية براً ويحكم هو بنفسه، أرجو من الحكومات العربية أن تُوزّع قيمة الصابون والشامبو والماء على المواطنين الكرام، وأرجو من المواطن العربي أن يغتسل كل يوم، ويتطيب ويغسل ثوبه ويقلم أظفاره ويُفرّش أسنانه ويرتب بيته ويمسح سيارته ويحترم مواعيده.

نصف ساعة للقراءة يا عرب

أقترح على الشعب العربي العظيم من المحيط إلى الخليج، وأقترح على الأمة العربية الأمة الواحدة ذات الرسالة الخالدة لكنها راقدة وخامدة وهامدة، أقترح عليهم جميعاً حكّاماً ومحكومين كباراً وصغاراً رجالاً ونساء أن يخصصوا نصف ساعة فقط في اليوم للقراءة الحرة، وهذه النصف ساعة تكون فقط للقراءة في كتاب مفيد، بحيث ينقطع القارئ عن العالم الخارجي، نصف ساعة فحسب فلا يرد على جوال، ولا يستقبل صديقاً ولا يتحدث مع أحد بل ينهمك بهذه الثلاثين دقيقة في مطالعة المعرفة والتزود من الثقافة، وسوف يجد القارئ أثرها بعد أيام على عقله وفهمه وحياته عموماً، وسوف تتسع نظرته وينشرح صدره ويعيش متعة مصاحبة الحرف ولذة التعرف على أسرار الكون وقدرة الباري -عز وجل- ويطلع على كنوز العلماء والحكماء والأدباء والشعراء والفلاسفة، وينتقل من عالم الجهل والسقوط والابتذال والفوضوية والهامشية إلى دنيا الحقيقة والبرهان وسماع المعرفة وجنات اليقين ومراقي الصعود في سلم الإيمان وعمار النفس وصلاح الضمير وانشراح الروح، وأنا لا أطالب الشعب العربي العظيم إلا بنصف ساعة فقط، لأنهم مشهورون بالفرار من القراءة والاشمئزاز من الكتاب، حتى قال وزير دفاع الصهاينة (موشى ديان): العرب لا يقرؤون.

وأنا أعتقد أن نصف ساعة كل يوم للقراءة النافعة مفيدة ومباركة وسوف تؤتي ثمارها، ولن أطالبهم بأكثر من هذا؛ فليسوا ألماناً ولا فرنسيين ولا إنجليزًا يصبرون على القراءة، بل يتلذذون بها الساعات الطويلة في الباص والقطار والطائرة والبيت والمكتب والمطعم، حتى إني أصبحت إذا سافرت أميّز بين العربي والأوروبي، فإذا رأيتُ من يلتفت يميناً وشمالاً ويتحدث كثيراً عن الجو وعن درجات الحرارة وأسعار العقار وأخبار الدرهم والدينار، والريال والدولار، ويسأل عن الإخوان والخلّان والأحباب والجيران عرفت أنه عربي، وإذا رأيته أخرج كتابه

واستغرق في القراءة وأخذ يقلب الصفحات ويسجّل أحياناً بالقلم ولا يتدخل في شؤون الآخرين، ولا يبصبص بعينيه ولا يلتفت حواليه ولا يبصق بين يديه عرفت أنه أوروبي، أرجو من الشعب العربي العظيم أن يمنحنا من وقته كل يوم نصف ساعة للقراءة، فيأخذ ثلاثاً وعشرين ساعة ونصف الساعة لراحته وسواليفه التي لا تنتهي وحكاياته التي لا تنفد وسمره وسهره، وأرجو من العربي أن يبدأ في قراءته برسالة النبي العربي الكريم محمد بن عبدالله ﷺ، ثم يتزود من كل علم ومعرفة.

آمل من الأمة العربية أمة الصمود والتصدّي، والطموح والتحدّي، والانتصارات من عهد جدّي أن ينصتوا لهذه النصيحة، وسوف تتحول مجتمعاتنا إلى أمة من العقلاء النبلاء الحكماء، ونقلل من عدد الطائشين السفهاء والجهلة الأغبياء والحمقى البلداء، بالعلم وحده نرتقي ونتقدم، قال تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِى عِلۡمًا﴾، وإذا قرأنا وفهمنا سوف يعترف بنا العالم، ويحترمنا الجميع، ونجلس في الصدارة، وتعود لنا القيادة والسيادة والريادة، أما إذا بقينا على وضعنا الراهن فسوف نبقى في عداد الدول النائمة والنامية والمنسدحة والمنبطحة والمستهلكة المشغولة بالأماني الخدّاعة والتفاخر الممقوت، والأحلام الوردية، والأفكار النرجسية، هيّا يا عرب، نقرأ جميعاً ومن اليوم نبدأ مشروع نصف ساعة للقراءة يوميًّا. اتفقنا؟

في الحديث: «**والذي نفسي بيده لإسلام رجل واحد أحب إلي من قتل ألف كافر**».

بُعث الرسول ﷺ رحمةً للعالمين، فكان آية في العفو والصفح والصبر الجميل وكظم الغيظ وحسن الخُلُق، حتى عرض عليه أصحابه أن يقتل عبدالله بن أبيّ بن سلول رأس المنافقين الذي دبّر المكائد ضد الإسلام ورسوله الكريم ﷺ، فما كان من الرسول ﷺ إلا أن قال: «**لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه**»، وقام وحشي بن حرب بقتل حمزة بن عبدالمطلب عم الرسول ﷺ وسيد الشهداء إلى يوم القيامة وأسد الله في أرضه، قتله غيلة وغدراً يوم أحد بعد أن فعل حمزة بالمشركين

الأفاعيل، فوقف ﷺ على جثمان حمزة حزيناً وقال: «**والذي نفسي بيده لا أقف موقفاً أغيظ لي من هذا الموقف**»، ثم أسلم وحشي بن حرب واندس في وفد الطائف مختفياً لما قدموا على الرسول ﷺ قال الصحابة: هذا وحشي يا رسول الله الذي قتل حمزة، ألا نقتله؟ فسألهم: هل قدم مسلماً؟ قالوا: نعم، قال: «**والذي نفسي بيده لإسلام رجل واحد أحب إليّ من قتل ألف كافر**»، فقبل إسلامه وعفا عنه، وهذا حديث ثابت في السيرة وفي الترمذي، وروى الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ أن رسول الله ﷺ أرسل سرية تقاتل المشركين وفي سريته رجل اسمه محلِّم بن الصعب بن جثامة فمر بالسرية رجل، فلما رأى الصحابة أعلن إسلامه، وقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وكان بين هذا الرجل وبين محلم بن الصعب إحن وثارات في الجاهلية، فقام محلم وحمل عليه السيف وقتله وقال: إنما ألقى علينا السلام؛ خوفاً من القتل.

فأُخبر الرسول ﷺ فاشتاط غضباً، وامتلأ حزناً. قال ابن عمر رضي الله عنهما: والله ما رأيت الرسول ﷺ أشد غضباً وكرباً من ذاك اليوم، فذهب القاتل محلم إلى الرسول ﷺ وجلس بين يديه وقال: استغفر لي يا رسول الله، فرفع الرسول ﷺ يديه مغضباً وقال: «**اللهم لا تغفر لمحلم**» ثلاث مرات، فقام محلم يمسح دموعه بردائه ثم تمرض ومات بعد أيام، فأتى الصحابة يدفنونه كلما دفنوه في قبر لفظه القبر، فأخبر الرسول ﷺ أن الأرض تقبل شرًّا منه، ولكن الله أراد أن يعظكم. وأرسل ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جذيمة وقاتلوه ثم أسلم بعضهم وأخذوا يقولون: صبأنا صبأنا يعني: أسلمنا، فلم يفهم خالد مقصودهم فأمر بقتلهم، فلما أُخبر الرسول ﷺ قام واقفاً واستقبل القبلة ورفع يديه وقال: «**اللهم، إني أبرأ إليك مما صنع خالد.** مرتين».

وأرسل الرسول ﷺ أسامة بن زيد يقاتل الكفار، وخرج رجل من المشركين فقتل من المسلمين كثيراً، فلما تمكن منه أسامة رفع السيف عليه، فقال المشرك: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فقتله أسامة فتغيظ ﷺ، وغضب غضباً شديداً، فلما قدم عليه أسامة صاح في وجهه: «**قتلته بعدما قال لا إله إلا الله؟**» قال أسامة: إنما قالها تعوذاً، فقال الرسول ﷺ: **من لك بلا إله إلا الله إذا جاءت تحاجّ عنه يوم القيامة؟**». ولما أرسل الرسول ﷺ علي بن أبي طالب إلى اليهود ورأى تصميم علي وعزمه على قتالهم في خيبر قال له رسول الله ﷺ: «**ادعُهم إلى لا إله إلا الله، وأني رسول الله، والذي نفسي بيده لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم**».

أرجو من الأمة أن تقرأ هذه النصوص وأن تقف عندها طويلاً، وأرجو من المتسرعين إلى القتل والمتعطشين إلى الدماء أن يقفوا وقفة محاسبة وخوف وخشية ومراقبة لله عز وجل، وألا يأخذوا بالتأويل والأعذار الواهية والاحتمالات في قتل الأنفس المعصومة والمعاهدة والمستأمنة والأطفال والشيوخ والنساء والعزّل، أرجو ألا يُحمل السلاح إلا على العدو المحتل المغتصب المستهتر بالدماء والأعراض والشرائع والمواثيق الدولية، أرجو أن ندخل الأمن والأمان والسلم والسلام على العالم؛ ليدخلوا في دين الله أفواجاً.

الزواجات الفاشلة

في الحديث الصحيح أن من الثلاثة الذين لا ينظر الله إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم: عائل مستكبر، وهو الفقير الفخور المختال؛ لأن الفقر مظنة المسكنة والتواضع لله، ولكن هذا الفقير مع فقره تكبر على عباد الله، وفي مجتمعنا أناس رفضوا أن يعيشوا واقعهم وأن يتكيفوا مع وضعهم، فإذا أراد أحدهم -مثلاً- أن يتزوج أو يزوج ابنه بدأ المشروع بشحاذة، فذهب إلى العلماء يطلب منهم خطابات للأغنياء، وطرق الأبواب يتسول ويشحذ، فإذا جمع المال لزواجه أو زواج ابنه، الذي حصل له بالإلحاح والمسألة والتذلل بدأ يخطط للزواج الفاشل من أجل إرضاء قبيلته ومجتمعه، فلا بد من حفل كبير، فيبدأ بدعوة الشعراء المتسولين أيضاً، فيشتري ضمائرهم وشِعرهم.

ويحدد كل شاعر خمسة آلاف أو عشرة آلاف لإحياء ليلة الزواج، فيدعو المتزوج خمسة شعراء أو عشرة، فإذا حضروا بعد أن باعوا ضمائرهم وقبضوا دراهمهم، أخذوا يقسمون بالقصائد ويحلفون بالله العظيم إنهم لم يعرفوا أكرم ولا أجود من صاحب الدعوة والقائم في الحفل، وهم في الغالب لا يعرفونه إلا تلك الليلة، وقد يكون أبخل إنسان طلعت عليه الشمس، وينصب المتزوج الخيام ويدعو الجمهور ويذبح الخراف وأحياناً البقر، وربما نحر الجمال وفَرش السجاد ونصب عقود لمبات الكهرباء كلها من الأموال التي حصل عليها بالتسول والشحاذة والتذلل، وما ينتهي الحفل إلا وقد صرفها جميعها، واقترض عليها مبالغ، وتحمّل ديوناً كلها لإرضاء الجمهور الفاشل ومراءاة الأغبياء ومنافسة السفهاء، وطلب مدح الشعراء، وما ينتهي الحفل إلا وأصبح هذا المتزوج صفراً من المال فقيراً كحاله قبل الزواج بل أشد.

متى تنتهي هذه المهزلة الاجتماعية؟ متى نوقف هذه الزواجات الفاشلة؟ لقد حضرت زواجات علماء وأثرياء ووجهاء لكنهم عقلاء جعلوا زواجاتهم زواجات

عائلية مختصره مقتصدة، بل حضرتُ بعض الزواجات في الرياض لبعض الوجهاء وكان الزواج في بيته بلا قصور ولا صالات أفراح ولا خيام ولا شعراء ولا كذب ولا زور ولا دجل ولا رياء، وقدّم ذبيحتين وما تيسر من طعام وفاكهة وحلوى مع أحاديث مفيدة وجلسة مرتبة هادئة، فقلت في نفسي: سبحان الله! كم يكون الفرق بين العالم والجاهل والعاقل والسفيه؟ فهؤلاء العقلاء أراحونا وأراحوا أنفسهم والمجتمع معهم، أما السفهاء فأتعبوا أنفسهم وضيعوا مالهم، وذهب أجرهم.

إن عندنا في المجتمع مباهاة قبلية ومنافسات اجتماعية زائفة خداعة يقوم بها الحمقى والمغفلون في مجتمعنا.

أيها البلداء، أريحونا وأريحوا أنفسكم، وتواضعوا لله، واقتصدوا في زواجاتكم وحفلاتكم، ويا أيها الجاهل الذي جمع المال بالشفاعات والواسطات: «مد رجلك على قدر فراشك»، وقدِّر النعمة واحترم عقول الناس، وأرحنا من الضجيج والصجيج والمظاهر الزائفة والحركات الرعناء والتصرفات الحمقاء.

أيها الفقير، اترك قصور الأفراح واستئجار الشعراء وإحضار المطبلين ودعوة الجماهير، واخرس وتواضع لله، واجلس في بيتك، واجعل الزواج زواجاً عائليًّا مختصراً، وأوقف مسرحية طرْق أبواب العلماء والأغنياء والتباكي عندهم للحصول على المال، فإذا حصلت عليه بدّدته في ليلة واحدة، وأنفقته كبراً وإسرافاً وتبذيراً وسفهاً، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾، نحن قوم أتعبنا أنفسنا، زواجاتنا متعبة، وولائمنا مرهقة، وحياتنا صعبة، حتى موتنا لا نموت بهدوء، بل نموت بطريقة صعبة، فغالبنا يموت إما بحادث سيارة شنيع أو بقتل أو بسقوط من عمارة أو رأس جبل، وهذا يخالف العقل، فلماذا لا نموت بطريقة مؤدبة مهذبة؟ حتى العزاء بعد الوفاة عذبنا به أنفسنا والناس بهذا العزاء؛ فالميت عذّب عباد الله قبل أن يموت،

وعذّبهـم بعدما مـات بطريقة العزاء الشاقة المرهقة، خاصـة في القرى والأرياف مـن الاجتمـاع ونصب الخيام والولائـم والمرابطة عند بيت الميـت كأنه مات خالد ابن الوليد، بينما الميت أحياناً لا تساوي قيمته خمس مئة ريال، فالله المستعان على الجهل بالدين وسوء التصرف ومخالفة العقل واتباع الهوى.

obeikandl.com

امتهان شهادة الدكتوراه

صار الحصول على شهادة الدكتوراه سهلاً ميسراً في متناول الكثير من الناس، فتفاجأ بأن الكثير ممن حولك أصبحوا دكاترة، ولو أن الواحد منهم لا يستطيع أن يكتب مقالة أو يلخص كتاباً أو يناقش فكرة، وصار هناك سيلان وإسهال وإسهاب لموضوعات الدكتوراه، فهناك رسالة عن الأزياء، ورسالة عن عرضة السامري والألحان الشعبية، والفرق بين البط والوز، ورسالة عن التجميل والديكور وأنواع الأصباغ، ورسالة عن الدهون والمستحضرات، ورسالة عن الأكلات الشعبية وفن طبخ الكوسا المحشوّة والقصيدة العمودية والشعر الحرّ والشعر العبْد والعزف على الناي المنفرد، ويغيب عنك صاحبك مدة وجيزة ثم إذا هو دكتور، وتحضر المجلس وإذا نصفه دكاترة، وإذا تكلموا حولوا المجلس إلى حراج ابن قاسم لا حفظ ولا فهم ولا معرفة ولا استدلال ولا فن حوار؛ لأن الكثير من شهادات الدكتوراه تباع بيعاً في المزاد العلني.

وقد ساعد الإنترنت في الحصول على الدكتوراه من أي بلد ومن أي دولة، فلو أُسندت لك مثلاً رسالة دكتوراه عن أنواع الحطب وتكسيره وتوزيعه فما عليك إلا أن تضغط زرًّا في النت عن طريق سماحة الشيخ (قوقل) وعن طريق فضيلة الشيخ (يوتيوب) وفي لمحة البصر يحضّر لك المواد وكلام الفلاسفة في الحطب والعلماء والشعراء والأدباء والأطباء، وأماكن وجود الحطب في العالم، وكيف ينقل عن طريق البغال والحمير، وهناك جانب آخر، ففي الكليات الشرعية تُضخم المجلدات في الدكتوراه، وقد تخرّجنا في جامعة الإمام، فرأيت غرفاً كبيرة ورفوفاً واسعة وأدراجاً هائلة مليئة بمجلدات الماجستير والدكتوراه التي لم تطبع ولن تطبع ولم يقرأها أحد، حتى إن أحدهم أحضر سبعة مجلدات؛ بحثاً عن رسالة الدكتوراه، كل مجلد ككيس الأسمنت، فما كان من أحد أعضاء لجنة المناقشة إلا أن اشتاط غضباً وتميز غيظاً من هذه المجلدات الثقيلة الوبيلة المملوءة حشواً

واستطـراداً وتكراراً، ولو أن جامعة الإمـام وأمثالها من الجامعات حوّلت الطالب إلى قـراءة كتـاب نافـع وفهمه وهضمـه ثم مناقشته لـكان أجدى وأنفـع من هذه الطريقة السقيمة العقيمة.

وقـل لي بربك لو كُلف الطالب في التفسـير في الدكتوراه أن يقرأ بفهم تفسير ابن كثير، ويناقش فيه أليس أنفع من أن يُعطى جزئية من تفسير مقاتل بن سليمان أو طريقة الزمخشري في التفسير أو دراسة الرازي وكتابه؟

وأصبحـوا الآن في قسـم الحديث يوزعون الـرواة ورجال الحديث وهم ألوف على رسائل الماجستير والدكتوراه، فرسالة في الزهري ورسالة في شهر بن حوشب، ورسالة في الواقدي، ورسالة في فرقد السبخي، ورسالة في مسدد بن مسرهد.

وقـل لي بـالله: مـا مردود هـذه الرسائل على الأمـة؟ حتى إنهـم وزعوا ابن تيميـة رحمـه الله على عشرات رسائل الدكتوراه، فدكتـوراه في فقهه، ودكتوراه في طريقـة استدلاله، ودكتوراه في منهجه العقـديّ، ودكتوراه في تجديده، ودكتوراه في تفكـيره، ودكتوراه في جهـاده، ودكتوراه في تأليفه، وغالـب رسائل الدكتوراه بعيدة عـن الواقـع مثلما فعلنـا في المناهج الدراسيـة كالتاريخ والجغرافيـا، فقد جلسنا ندرس ملكة تدمر والسلاجقة وتاريخ الإغريق والملكة صبح وخاتون وأتون وشجرة الـدر، وفي الجغرافيا صادرات الكميرون من الـكاكاو، والنعناع في كينيا، والمطاط في بركينافاسـو، بينما الطلاب في أمريـكا وأوروبا يدرسون الواقع كهندسة التربة وعلوم البترول والطاقة ودراسة الأشعة والطب بأنواعه.

أرجو أن نخرج من عنق الزجاجة وأن نجعل للدكتوراه قيمة وقدراً، وأن نحترم عقول الناس، ولا نمكّن الأغبياء والبلداء من التصدر بالباطل والتلبيس على الناس واستغفالهـم، وأن نخفـف من الألقاب التـي أصبحت مصدراً للنكتـة والسخرية. وقـد رأيت شابًّـا معمماً في التلفاز لم يبلـغ الثلاثين من عمره يُطلـق عليه سماحة الإمـام حجة الإسـلام والمسلمين فلان بن فلان، فضحكـت وقلت: الحمد لله على

نعمـة العقل؛ فأئمة الإسلام كأبـي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد ما حصلوا على لقـب الإمام إلا بعد ستين سنــة من الطلب والجهد والجد والسهر والحفظ والفهم والتعليـم والزهد والورع، وهـذا شاب مترف درس سنتين في فـن الخطابة فصار حجة الإسلام والمسلمين: (**يا أمةً ضحكتْ مِنْ جهلِها الأممُ**).

نحن قوم أُصبنا بالعين والحسد

نحن في العالم الثالث نحتاج في عالم الدنيا إلى عشرات السنوات من التدريب والتأهيل والتمرين؛ ليكون عندنا لياقة وذوق وفن تعامل، وكلما ذكرنا نجاح الغرب بدنياه ونظامه وعمله وإنتاجه ومراعاته الذوق العام والمحافظة على البيئة والمواعيد اعترض علينا بعض أصحابنا وذكرونا بعقيدة الولاء والبراء والركون إلى أعداء الله والإعجاب بهم، والحقيقة أن كلام أصحابنا في وادٍ وكلامنا في وادٍ آخر، ونحن في العالم الثالث إذا نقدنا أحد تترّسنا بالإسلام وقلنا: خطر، ممنوع الاقتراب، وكأن همجيتنا وتخلفنا وأميتنا وجهلنا صورة للإسلام الدين العظيم، بينما الإسلام عقيدة وشريعة ومنهج رباني شريف مقدس بريء من أخطائنا وتصرفاتنا غير المسؤولة، وليتنا إذ لم نستطع اللحاق بالعالم الثاني فضلاً عن العالم الأول استحيينا على أنفسنا وراجعنا أخطاءنا، ولكننا خرجنا على العالم نتبجح وننشد: (**يا وطنّا يا وطنّا عمتْ عين الحسود**).

وما أدري مَنْ هذا الحسود المخبول المهبول المعتوه الأحمق الذي حسدَنا ولم يحسد وكالة ناسا ولا صناع حاملة الطائرات (إيزنهاور)، ولم يحسد رواد المركبة الفضائية التي هبطت على المريخ وعلى عطارد؟ وما الذي أعجبه في عالمنا الدنيوي حتى يحسدنا؟ هل هي عرضاتنا الشعبية التي يسهر عليها كل من عاف القراءة ورمى بالكتاب وطلّق الحرف؟ فالكبار عالة على الضمان الاجتماعي، والشباب عاطلون عن العمل، ومع ذلك يصرّون ويرقصون بالهراوى والمشاعيب، ويهدّدون القوى العظمى وصناع النووي و(أف 16) وصواريخ الأسكود، وإذا أردت أن تنظر إلى مدى تمدّننا ورقينا الحضاري واحترامنا للذوق العام فسافرْ برًّا من الرياض إلى الدمام أو إلى تبوك أو إلى حائل أو أبها أو الطائف؛ لتشاهد الحمّامات المهشمة ودورات المياه المحطمة والأبواب المخلعة والمقاهي الخاوية على عروشها والقمامة ذات اليمين وذات الشمال.

وبــالله عليكــم هل عجزنا عــن أن نسدد لشركة عالمية تقــوم بالإشراف على خدمات الطرق من المقاهي والحمامات ونحوها ولو بإيرادات من المواطنين مقابل الاستخدام؟ وانظر مثلاً مطار جدة وهو يستقبل حجاجاً ومعتمرين، ملياراً ونصف مليــار مسلم، وهو على رغــم العمليات التجميلية نقطة ســوداء في سجلنا، وقارنه بمطــار دبي الجديد، لقد سافرت براً من ميونــخ إلى فرانكفورت ومن باريس إلى بروكسل ومن باريس إلى ليون ومن ماربيا إلى مدريد فوالله لقد شاهدت ما أذهلني من دقــة التنظيم والترتيب والنظافــة واحترام الذوق العام والرقــي والتمدن، ما أصابني بغيظ على واقعنا وغيرة على وضعنا، وأنا أعلم أن بعض الغوغائيين سوف يصيحون في وجهي ويقولون: اتقِ الله لا تمدح الكفار ولا تسبّ المسلمين. وهؤلاء لن أجيبهــم ولن أشغل وقتي بالــرد عليهم؛ لأنهم صمّ بكم عمي فهم لا يرجعون، وهم لا يفرقون بين الإسلام الدين الخالد والرسالة الربانية المقدسة وبيننا نحن كبشر في العــالم الثالث، صرنا عالة في كل شيء على العالم الأول والعالم الثاني ولا أقول إلا: (**يا وطنّا يا وطنا عمتْ عين الحسود**).

لماذا لا تتولى المرأة الحكم في الإسلام؟

النساء شقائق الرجال، وأمهات الأبطال، وملهمات العظماء، ومنجبات العلماء والزعماء، ولهن حقول التميز والإبداع في الأمومة والتربية والعلم والإصلاح، ولكن القول الصحيح من أقوال المحققين من العلماء إن المرأة لا تتولى الحكم في الإسلام كالملك والرئاسة وقيادة الجيش، وقد فطن لهذا الهدهد فأنكر على مملكة سبأ تولي المرأة حكم الدولة، فقال: ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ﴾، فتعجب من أمر غريب غير معهود في عصره، ولهذا سلّمت بلقيس دولتها هدية لسليمان عليه السلام وأصابت في إسلامها وطاعتها، وتوليها ليس دليلاً على جواز تولي المرأة الحكم، وصح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**لا يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة**»، لأن المرأة تغلب عليها الرحمة والشفقة والحنان والضعف والتردد والخوف، وتمر بظروف لا تسمح لها باتخاذ القرارات المصيرية الكبرى.

ولما قادت أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم الجيش في وقعة الجمل هُزم جيشها وقُتل طلحة والزبير وغيرهما من الصحابة رضي الله عن الجميع، وندمت على خروجها بعد ذلك، ولما دبّرت زبيدة بنت جعفر زوجة هارون الرشيد أمر ابنها الأمين فشل وأخفق وضيّع الخلافة ثم قُتل وانتهى أمره، وتولت زنوبيا الزباء مملكة تدمر فسلّمت دولتها وقتلت نفسها بالسم وقالت: (**بيدي لا بيد عمرو**)، وأدارت أم عبدالله الصغير آخر ملوك الأندلس أمر ابنها فضيّع الملك وأخذت تسبه وتهجوه بقولها:

ابكِ مثل النساء ملكاً مضاعاً

لم تحافظْ عليه مثلَ الرجالِ

وشجرة الدر ورّطت نفسها والدولة في مؤامرات ومغامرات واغتيالات، حتى ذهبت وذهبت الدولة معها على حد قول الشاعر:

لقد ذهب الحمار بأم عمرو
فلا رجعت ولا رجع الحمارُ

ومن ضمن أسباب انتصار العرب على إسرائيل في معركة رمضان المجيدة وأكتوبر الفريدة أن (جولدا مائير) كانت على رأس الدولة، وتحمّلت الخطأ مع وزيرها الهالك (موشى دايان)، أما من استدل بنجاح (تاتشر) رئيسة وزراء بريطانيا فلأنها ضمن حزب وحكومة ديمقراطية وليس القرار قرارها منفرداً ثم إنها ليست مسلمة حتى نستدل بعملها، والحقيقة أن المرأة لها ميادين تبرع فيها أكثر من الرجل، حتى قال المتنبي عن أم سيف الدولة:

ولو أن النساء كمن عرفنَا
لفُضّلت النساء على الرجالِ

وسُئل أحد علماء المسلمين وهو في الغرب: لماذا لا تتولى المرأة عندكم في الإسلام الحكم؟ فأجاب مازحاً: لأنه قد يُطلب منها اتخاذ قرار الحرب وهي في غرفة الولادة، وليس هذا تحجيماً للمرأة وبخساً لحقها وتقليلاً من شأنها؛ لكن الله الذي خلقها هو أعلم أين قوتها وضعفها، وأين نجاحها وإخفاقها، ولهذا سمعنا وقرأنا لكثير من فلاسفة ومفكري الغرب نعيهم لما وصل إليه حال المرأة عندهم لما تركت البيت والأمومة والرعاية والحضانة والتربية، وتحولت إلى جندية على دبابة بجبال أفغانستان، وتركت بيتها وصارت طيارة تقصف بطائرة إف ١٦ البصرة والموصل والفلوجة والأنبار، وصارت تدبر في بعض دول العالم الانقلابات وتقود حرب الشوارع فضاع الأبناء وهُدِمَ البيت وتفرقت الأسرة وماتت الأمومة واختل وضع المجتمع، لسنا ضد المرأة ولكننا معها ومن أنصارها وإنما نعبر عن فهم الشريعة الإسلامية لطبيعة المرأة وتكوينها ونحمد الله على أن هذه الشريعة أنجبت العظيمات والعالمات والرائدات والمصلحات من أمثال أمهات المؤمنين وبنات سيد المرسلين ﷺ، وقد جعل الله في كتابه آسية امرأة

فرعون مثـلاً للمؤمنين وقدوة للصالحين، وأثنى على مريم ومدحها وزكاها، وحيا الرسـول ﷺ أم سُليـم الأنصارية وبشرها بقصر في الجنـة، وعاش الرسول ﷺ مـع المرأة ابنـاً باراًّ وأباً رحيماً وزوجاً كريماً ومعلمـاً عظيماً، ولم يحصل في تاريخ الإسلام أن امرأة مؤمنة صادقة شكت من هضم حقها في الإسلام أو إلغاء دورها في الحياة من قبل الدين.

obeikandl.com

إذا كانت النفوس كباراً

الهمة توقان دائم، وتطلع مستمر، وإصرار على الصعود، وترقٍّ في الكمال. ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ وهي تحدٍّ لشهوات النفس، ورعونة الحياة، واستجابة لأذان المجد، وصوت الحق، وصرخة البعث: حي على الفلاح. والهمة تولد مع الطفل، ويرضعها مع اللبن، وهي فرسه التي لا تكبو، وسيفه الذي لا ينبو، تجري به كالريح، وتمر به مرّ السحاب: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾، فلا تتركه هذه الريح حتى توصله كواكب العلياء، وصهوة العظمة، غدوها شهر، ورواحها شهر، بالهمة يأنف العبد من الجهل، ويأبى الضيم ويرفض الظلم، ويهجر التقليد، وبالهمة يسافر إلى عالم الخلود، ودنيا الفلاح، وديار الكرامة، والهمة عذاب دائم؛ لأنها شاقة مقلقة محرقة مزعجة.

لولا المشقةُ ساد الناسُ كلُّهم
الجودُ يفقرُ والإقدامُ قتالُ

وقال أحد البلغاء: الناس لحم ودم لولا الهمم. ومن رزق همة عالية، تخطت به أسوار الأماني، وتقحمت به الشدائد، لأنه دائماً في اندفاع وتوثب، لا يهدأ له بال، ولا يقر له قرار، حتى ينال مطلوبه ويجد مرغوبه. وأشرف الهمم وأرقى العزائم ما نال به العبد رضى الرب، فحصّل العلم وعمل به، وزهد في الفاني ورغب في الباقي، وجعل العمر مطية للفوز، وسفينة للنجاة. وصاحب الهمة له من نفسه محرض كلما نامت مقلة نفسه، ونعس جفن عزيمته، فمن منح ذهناً وقاداً، ونفساً وثابة، وطموحاً عارماً فقد أمسك ناصية النجاح، والهمة مثل النار لا بد لها من وقود، فمنهم من أطعمها حب الرياسة، فلا يهدأ له بال حتى ينالها، ولو أنعل خيله الجماجم، وصبغ سيوفه بالدم، ومنهم من عشق المال فعاف الغمض وطلق الكرى، وأجدَّ السير في جمعه حتى ملكه، ومنهم من مال إلى الزهد، فتدثر بلحافه،

وتزمل بجبته، فنهى النفس عن الهوى، وجدّ في التقوى، حتى ترصع بتاج العفاف، ونال مرتبة الورع، ومنهم من حدثته نفسه بطلب العلم، وتحصيل المعارف، فهو في دأب عظيم، وشغل جسيم، فمـراده العلم، ومقصده الفهم وحديثه المعرفة، قائماً وقاعـداً وعلى جنبـه، أما ساقط الهمة فهـو بارد الأعصاب ذابـل الروح، متجمد الدم، رضي بالدون، وأخلد إلى الأرض، وأنس بأشكاله من الناس، وصاحب أمثاله مـن البشر، فأقـل شيء من العلم يكفيه، وأخف فرض مـن العبادة يرضيه، أهمل نفسـه من التعليم، وأعفاها من التأديب، واستسلم للراحة، وأتبعها هواها، وتمنى على الله الأماني.

مَـــنْ يَـهُـــنْ يـسـهـلِ الــهــوانُ عليه

مــــا لجـــــرحٍ بمـــيـــتٍ إيـــــلامُ

لكـن صاحب الهمة في شغل شاغل، يجمع الفضائل، ويحصل المكارم، ويهذب نفسـه بالعمل الصالح، ويغـذي فكره بالعلم النافع، ويزكـي روحه بالخلق النبيل، وينفع أمته، ويحمل رسالته، وينصر دينه، فبوركت هذه الهمة العالية.

صارت الفتوى فوضى

في عهـد سماحة الشيـخ عبدالعزيز بن باز كان طلبة العلـم يتهيّبون أن يفتوا بفتوى تخالف فتوى سماحته، فقد كان مرجعية كبرى ورمزاً علمياً يُحسب حسابه، بـل كان إماماً للعالم الإسلامي بأسره لطول رحلته العلميّة وتقيده بالكتاب والسنة واليـوم صارت الفتوى فوضـى، فأحد المشايـخ يفتي بجواز حل السحـر بالسحر، وشيـخ آخر يفتي بعـده بليلة في التلفزيـون السعودي بتحريم ذلـك، وفتوى أخرى بجـواز إرضاع الكبير للحاجة، وفتوى بعدها بليـالي تقول: إنها فتوى عين لا عموم لهـا ولا يمكن العمل بها، وصار الناس في أمـر مريج أمام تناقض الفتيا واختلاف المفتين، فما هو الحل أمام هذه المعضلة وكيف نوجه الناس للأخذ بالفتوى السديدة الراشدة خاصة في القضايا الكبرى العامة التي تشغل الناس.

وقـد كان علمـاء السلف يخافون من الفتيـا ويحيل بعضهم علـى بعض ورعاً وتقـوى، أما اليوم ومع انتشار الفضائيات فصـار الكثير منهم يحرص على الفتيا ويطلبها ويلح عليها وأنا أعجب من بعض طلبة العلم وقد كفاهم الله عواقب الإفتاء بإسنادها إلى غيرهم ولكنهم أصروا إلا الإدلاء بآرائهم، فمثلاً أخونا الشيخ عادل الكلبـاني والد الجميع حافظ لكتاب الله وصوته جميـل وهو إمام وخطيب للجامع ولكنـه أصـر أن يشارك في الفتيـا ولو لم يسأله أحـد، فأفتى بجـواز سماع الغناء بشـروط وبضوابـط، ثم أخبرنا أنـه لا يستمع الغناء ورعاً وتقـوى، فما السبب إذاً في فتواه هذه؟ هل أراد أن يوسّع على الأمة في مسألة الغناء يوم رآها أعرضت عن اللهو والغناء والطرب وهي غارقة إلى أذنيها أصلاً بالسهرات الضائعة والحفلات اللاهيـة حتى أصبـح الشبـاب يرقصون مع صـوت المزمار ويتمايلـون مع نغمات الفنانـين، فما مقصد الشيخ عادل الكلباني والد الجميع وقد أُسندت الفتيا عندنا إلى لجنة دائمة فسقط عنا الإثم بالسكوت على الفتيا؟

ولماذا يسرع الأئمــة والخطباء وحفظة القرآن إلى الإفتاء، ومنصب الإفتاء لا يحصل لطالب العلم إلا بعد اطلاع واسع وفهم عميق بدلالة الكتاب والسنة، وعلم بالواقــع، ومعرفة بالناسخ والمنســوخ، والعام والخاص، والمطلــق والمقيد، والمجمل والمبّين، مع تقوى وورع وفقه نفس، ولكن أئمة المساجد والخطباء اختصروا المسألة وقفــزوا إلى وسائل الإعلام يفتــون الناس طلباً للجاه والله المطلع على المقاصد، يا طلبــة العلــم، أريحوا العامة وارحموا الناس من هــذه الفوضى في الإفتاء، واتركوا الأمور لمن أُسندت إليه ورحم الله امرأً عرف قدر نفسه.

obeikandl.com

العالم الثالث في غيبوبة

نحـن في العـالم الثالث نهتـم برفع العمـارات ومد الجسور ونصـب الكباري وإنشـاء النوافير وهذا شيء جميل ولكن الأهم من ذلك هو بناء الإنسان في العالم الثالـث وتأهيله وتدريبـه وتمرينه ليكون عنده روح نظاميـة وذائقة جمالية ولياقة أخلاقيـة واحترام للنظام ولطـف في المعاملة ورقة في المشاعر، وكلما حدثنا قومنا عـن العالم الأول ورقيه المادي وذوقه الراقي ونجاحه في أمور دنياه وترتيبه لشؤون حياتـه صاح بنا بعض إخواننا وضجوا وصجوا، وقالوا لنـا: اتقوا اللّه ولا تنقضوا عُـرى الإسلام عروة عـروة وكأن وضعهم السيئ من الجلافـة والعجرفة والقسوة والفظاظـة والغلظـة هو مـا يمثل الإسلام الديـن العظيم، والحقيقـة أن الإسلام رسالـة مشرفـة ومنهج قويم لكنـه شيءٌ وواقعنا شـيءٌ آخر نحـن نفشل كثيراً في تطبيق تعاليم الإسلام وأخلاقياته السامية ومثله العليا، فإذا انتقدنا أحد تترسنا بالإسـلام واحتمينـا به أمام النقـد والتقويم، فهل في الإسلام أيهـا العالم الثالث النائم، إفساد البيئة والتعـدي على النظام ومخالفة الذوق العام وإهمال النظافة والدروشـة ورفـع الصوت في الأسـواق والعبوس والتفاخر بالأنسـاب والطعن في الأحساب والعصبية الجاهلية والتمييز العنصري.

كلمـا ذهبنـا ،إلى الشرق والغرب وخرجنا من العـالم الثالث إلى العالم الأول وجدنـا الفـرق الشاسـع والبـون الكبـير، وأشهد باللّه إنهـم قوم سـيروا حياتهم وصناعتهـم وإنتاجهـم بدرجـة عالية مـن الدقة والاحـتراف والاتقـان مع علمي بانحرافهـم العقـديّ وإفلاسهم في عالم الروح وتدهـور صلتهم باللّه العظيم لكن الإيجابيـات التـي حققوها في عـالم الدنيا جديـرٌ أن نستفيد منهـا، باللّه عليكم انظـروا إلى وضعنـا في العـالم الثالث لتجـد أن هذا العالم صار عبئـاً على العالم الثاني، فالعالم الثالث فيه يجتمع الفقر والجهل والمرض والأمية والمجاعة والبطالة والاستبـداد والقتـل والاغتيالات والتفجـيرات والانقلابات وإن كنـت في شك من

كلامي هذا فطالع نشرات الأخبار بتركيز وانظر إلى الصحف والمجلات باهتمام، بل إن العالم الأول يصنع لنا الإنترنت فيحوله سفهاؤنا إلى مزبلة من السباب والشتم والتهديد والوعيد والغيبة والنميمة ثم إن العالم الثالث عالم استهلاكي فوضوي غير منتج ولا منظم ولا مرتب وهو يحتاج إلى مئة عام حتى يصل إلى العالم الثاني فضلاً عن العالم الأول حتى استخدامنا لمنتجات العالم الأول ليست سليمة على ما يرام كالسيارة والطيارة والثلاجة والبرادة والسخانة والفرامة والحراثة والحصادة والحفارة وليتنا استعملناها استعمالاً لائقاً وقلنا لهم: شكراً لكننا أخذنا نهجوهم ونتهددهم وندعو عليهم في القنوت ونلعنهم بعد كل صلاة ولم نفرق بين العدو المحتل والمخالف المسالم ومَنْ بيننا وبينه مصالح مشتركة، بل بعضنا جعلهم في سلة واحدة ولعنهم جميعاً وتوعدهم بالغزو المسلح في عقر دارهم مع العلم أنهم هم أهل النووي والقنبلة الذرية وحاملات الطائرات والصواريخ والقاذفات والراجمات والمدفعية والكلاشنكوف.

أما نحن فاكتفينا بالعرضة والدبكة وإخراج التراث القديم البائس من الخناجر وجفان العود وصحاف الخشب والحبال البالية والقرب الممزقة والحجارة المهشمة والأبواب المخلعة وبيوت الطين المنهارة وقلنا للعالم: هذا تراثنا العظيم الذي ورثناه من الآباء والأجداد مع العلم أن العالم أصبح ينزل المركبات الفضائية على عطارد والمريخ وما هي ميزة تراثنا الشعبي البائس على ثراث أجداد اليابان والكوريين والإنجليز، إن العالم الثالث مازال في غرفة العناية المركزة ويحتاج إلى منشطات وأدوية حتى يفيق من الغيبوبة ويصحو من النوم، ولا يغرك ما تسمع من العنتريات وبيانات التمدن والتحضر وأننا محسودون وأن العالم مدهوش منا ومذهول من تقدمنا، فهذا كله كلام فارغ والعالم إلى الآن يرى أن العالم الثالث عبئاً ثقيلاً عليه يصعب التعامل معه.

ضبط الفتيا مهمة الحاكم المسلم

الشريعة الإسلامية ليست نهباً مشاعاً ولا حراجاً مفتوحاً لكل من هبَّ ودبَّ، إنها رسالة ربانية يحملها الأتقياء العقلاء العلماء، ويمكن للإنسان أن يُتاجر في كلّ مباحٍ إلا الدِّين؛ فإنه يحرُم المتاجرة بشرع ربِّ العالمين، وقد سبق لخلفاء الإسلام أن وقفوا بحزم أمام من أراد أن يخوض في الشريعة دون أهليّة، وأوقفوه عند حدّه، وأخذوا على يده، وتحديد الفتيا هنا في السعودية لأهل الاختصاص من العلماء قرارٌ موفق ومسدَّد؛ لأنَّ الساحة بُليت بطُلابٍ وأساتذة وأئمة وخطباء خلطوا بين الدعوة والفتيا، وبينهما بونٌ شاسع؛ فالدعوة تبليغ عن الله وعن رسوله ﷺ وهدايةٌ للناس بالحكمة والموعظة الحسنة.

ومن يفهم آيةً من المسلمين وجب عليه أن يبلّغها غيرَه، قال ﷺ: «**بلّغوا عني ولو آية**»، لكنّ الفتيا شيء آخر، إنها رسوخ للعلم، وفهم للنص، واطّلاع على الواقع، وعلم بمقاصد الشريعة مع عقل راجح، وتقوى وورع. وقد أصبح الناس في أمرٍ مريج قبل أن يُبدأ بضبط الفتيا؛ فكثير يلبس بشته، ويتصدّر القنوات، فيفتي في كل سؤال، ويجيب عن كلّ إشكال، ومواقع الإنترنت صارت نوادي ليلية بالمجان لمن أراد فتوى سهلة ميسرة في المزاد العلني.

وليس عند المسلمين- كما قال خادم الحرمين الشريفين- أعزّ من دينهم دين الإسلام، فهو أعزّ من النفس والولد والوطن والمال، وبما أن في السعودية مهبط الوحي ومهد الرسالة ومنطلق النور وأرض الحرمين وجب علينا حاكماً ومحكومين أن نجعل رسالة الإسلام وشريعة الله أعظم ما نفاخر به، ونباهي به الأمم، ونستميت في الذبّ عنها، وحماية حياضها، والدّفاع عن حرماتها وقداستها بالقول والفعل وبالنفس والنفيس.

ونأمل من دول الإسلام كافة أن تتّخذ موقفاً إيجابياً من شريعة الله، وتحفظها وتصونها، وتمنع المتخرّصين والمتعجلين من الخوض فيها، وتسند أمور الفتيا لأهل الاختصاص من العلماء الراسخين؛ فليس كلّ من وعظ أفتى، وليس كل من حبّر خطبة أو أعدّ محاضرة أو ألقى درساً جديراً أن يفتي الناس في أمور دينهم، لماذا نتسرع في الفتيا ونتبرع بالإجابة عن الأسئلة بالتخمين والظن والوهم؟ وقد ندّد الله بهذا المسلك المشين، وهو الافتراء على كتابه وسنة رسوله ﷺ فقال سبحانه: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾، حرامٌ علينا أن نخدع الناس في أمر دينهم، ونغرّر بهم، ونقدّم لهم إجابات خاطئة، وحرامٌ علينا أن نتنافس في التصدّر وطلب المنزلة عند الناس ونسيان رقابة ربّ الناس.

قد تخمّن في السياسة، فتُصيب وتخطئ، وقد تتكلم في الفكر بالصحيح والغلط، وقد تُلمّ في الثقافة العامة بوجهات النظر، لكن الشريعة المقدّسة المطهّرة شيءٌ آخرُ؛ إنها رسالةٌ أتى بها الرسولُ ﷺ عن جبريلَ الأمين عن ربّ العالمين: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ﴾.

إخواني طلبةَ العلم والدعاة والخطباء والوعّاظ والمثقفين والمفكرين، قدّسوا الشريعة المحمدية، احترموا الرسالة الخالدة، وقّروا تعاليم الله وتعاليم رسوله ﷺ لا يُفتِ إلا عالمٌ، ولا يُجبْ إلا فقيهٌ، ولا يتصدّرْ إلا مقتدرٌ، ويا أيتها الأمة الإسلامية، لا تأخذوا دينكم من أي متكلم، قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، وأهل الذكر هم العلماء المؤهلون للفتيا.

وكما أننا ندعو لاحترام التخصص الشرعي، فإننا ندعو لاحترام التخصصات كافة، فلا يجوز للطبيب أنْ يكونَ مهندساً بلا علم ولا خبرة، ولا يجوز للخيّاط أنْ يأخذَ مهنة النجّار بلا مِرانٍ ولا دُربة، فقد علمَ كلّ أناسٍ مَشربهم، وأعطوا القوس باريها، وليت رابطة العالم الإسلامي ومنظمة المؤتمر الإسلامي واتحاد

علمـاء المسلمين والأزهر الشريف ومجالس الإفتـاء في أوروبا وآسيا أن تحذوَ حذوَ السعودية في حفظ الفتيا ومنع الخوض في أمور الشريعة والتلاعب بالدِّين وتضليل المسلمين وإشاعة الفوضى وتضارب الأقوال والأجوبة على عوامّ الناس.

obeikandl.com

قتلتنا الجزئيات

نحن قوم شغلتنا الجزئيات عن الكليات والفروع عن الأصول والقالب عن المضمون والصوت والصورة عن السمت والسيرة، تطاحنّا فيما بيننا على مسائل خلافية وتركنا الدعوة إلى أصول الملة من تصحيح التوحيد وتقوية الإيمان وتهذيب الأخلاق وإقامة العدل ونشر السلام والدعوة بالحكمة وإشاعة الأخوة وعمارة الأرض بالزراعة والصناعة والاكتشاف والبناء، العلماء مشغولون بمسألة الغناء وإرضاع الكبير وكشف وجه المرأة والاختلاط وقيادة المرأة للسيارة، وفي العالم الإسلامي ملايين يجهلون التوحيد وإخلاص العبودية لله، فهم يطوفون بالأضرحة ويلوذون بالقبور ويعلقون التمائم وينوحون عند مقابر الأولياء، والشباب تعصف بهم موجة الغلو والمخدرات والتحلل من الدين، الناس مشغولون بالحياة اختراعاً وبناءً وتعميراً، ونحن مشغولون بالجدل والخلاف المذموم والقيل والقال، انهمكنا في مسائل طُبخت واحترقت من أكثر من ألف عام ومازلنا نعيد الكلام ونكرر العبارات ونجترّ الخلاف، تشاغلنا بالتقليد والمحاكاة على حساب التجديد، ورضينا بحفظ كلام الأئمة على حساب الاستنباط والفهم من الكتاب والسنة.

صنّع الغرب الراديو والتلفزيون والميكرفون وآلة التصوير فتقاتلنا نحن في حكم استعمالها، قدّم الغرب الثلاجة والبرادة والسخّانة والفرّامة والطيّارة والسيّارة والحفّارة والحرّاثة وكان المفروض أن نقدم لهم الإيمان والأخلاق والسكينة والرحمة والسلام والهداية لكننا تشاغلنا بسبهم وتهديدهم والدعاء عليهم بالويل والثبور وعظائم الأمور وقاصمة الظهور، أرسلوا لنا أطباء ومهندسين ومخترعين، وذهب بعض شبابنا إليهم مفجرين ومدمرين، كان أسلافنا يفتحون الشرق والغرب بكلمة التوحيد «لا إله إلا الله، محمد رسول الله» مع العدل والمساواة والحرية والسلام، ونحن قعدنا في أماكننا نلوم أنفسنا ونندب حظنا ونتغنى بماضينا ونتناحر فيما بيننا على جزئيات المسائل ومفردات من السنن، كل سنة نخرج للعالم بحملة هائلة من الضجيج والصجيج، والصياح والنواح والصراخ في

مسألـة قيادة المرأة للسيـارة وسفرها إلى مكة بالطائرة بـلا محرم واستخدامها للعدسات اللاصقة وحكم الموسيقى ومشاركة الدعاة في بعض القنوات الفضائية.

بالله هل انشغل عمر بن الخطاب وخالد بن الوليد وصلاح الدين الأيوبي ومحمد الفـاتح ويوسـف بن تاشفين وعلمـاء الأمة من المجدديـن والمصلحين بالخلافيات والردود علـى بعض والجدل السقيم العقيم أم سارت كتائبهم وأشرقت شموسهم بالفتـح المبين والنصـر المكين والدعـوة إلى توحيد رب العالمين، آسـف وأنا أطالع صحفنـا ومواقع النت وأشاهـد قنواتنا، وإذا الردود الساخنـة والأجوبة الطاحنة على المخالف في مسائل يسع فيها الخلاف، لماذا لا تُعطى كل مسألة حجمها؟ ولماذا لا نتشاغـل بكبـار المسائل وأصـول الملة وعظائم الأمور؟ لمـاذا لا ترتفع هممنا إلى القضايـا المصيرية ونكون على قدر المسؤولية؛ ليصدق فينا قول الباري: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾.

وإذا كـانـت الـنـفـوسُ كـبـارًا
تـعـبـتْ في مـرادِهـا الأجـسـامُ

لقـد صارت الفتوى عندنـا فوضى، أصبح كل من حفظ شيئـاً من القرآن مع حديثـين من السنـة ولبس بشتـاً وأعفى لحيته يفتـي الأمة تبرعاً مـن عنده وحبًّا للتصـدر، شباب في القنـوات الفضائيـة يُسألون في مسائل لـو عرضت على عمر ابـن الخطاب لجمع لها أهـل بدر، فيجيب هؤلاء بلا تأمل ولا روية، والكتّاب عندنا والمثقفـون يصفقون لمن يحلل لهم ويسهّل ويفتح أبواب المباح دون ضوابط شرعية، فكلمـا أفتيـت بالجواز وقلت للنـاس: خذوا راحتكـم، وما عليكم، ومالـه؟ والأمر سهل، وسع صدرك، والمسألة بسيطة، وافعل ولا حرج، والموضوع هيّن، فأنت النجم اللامع، والقمـر الساطع، والفقيه الذكي والملم بأحـوال العصـر، ولو كانت الفتوى غلطـاً والجواب شططاً، أيها الأخوة، اليهـود زادوا مجرد نقطة، فوقعوا في ورطة، وسقطوا سقطة، وارتكبوا غلطة، قيل لهم: ﴿وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ﴾، فقالوا: حنطة.

الحوار عندنا لم يُفعَّل

شاركت كفيري في حضور بعض لقاءات مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني وقد استبشرنا كلنا خيراً بهذه اللقاءات وظننا أنها ستترجم إلى أرض الواقع وتنتقل من خطابات شفوية وتوصيات عامة إلى عمل ميداني على مذهب: (الميدان يا حميدان) ولكن مرت سنوات ولا تزال هذه اللقاءات تنتهي بتوصيات شفوية أشبه بتوصيات مجلس التعاون والجامعة العربية.

أتلمَّس أثر الحوار الوطني في المجالس والمدارس والجامعات والمساجد والأندية والأحياء فلا أجد أثراً، لقد شبع الناس من الكلام، يريدون أعمالاً لا أقوالاً، وإصلاحات لا تصريحات، لماذا لا يدخل الحوار الوطني مادة الحوار في المدارس والجامعات؟ لماذا لا يُنشأ معهدٌ لهذا الخصوص؟ لماذا لا يعرض الحوار في خطب الجمعة والدروس العامة؟ لماذا لم يقم الإعلام بحملة قوية لتفهيم الناس وتثقيفهم بأساليب الحوار؟ لماذا لم تُطبع كتب في هذا الباب؟ لماذا لم تُنشأ نوادٍ في المدن والقرى والأرياف تعلم الناس فن الحوار؟ نحن في الحوار ما زلنا في أولى ابتدائي نحتاج إلى سنوات طويلة لتعلم هذا الفن والعمل به وممارسته خلقًا وثقافة، نحن مازلنا نتفاهم بالعصا والمشعاب والعجراء والهراوة والملاكمة والعض والنهش والرفس والشتم والسب واستعداء السلطة والجمهور، سنوات على الحوار الوطني ولم ألاحظ أي تغيّر في تعاملنا.

فبعض الأساتذة يُضربون من الطلاب ضرب غرائب الإبل، وشاب رفس أمه حتى ماتت، وفتىً عنيد مريد قتل أباه بالمسدس، وزوج شرير فاجر كسر ضلعين لزوجته وشج رأسها، وشيخ قبيلة يرفض آراء كل القبيلة ويجبرهم على رأيه فحسب، ومدير مدرسة حوّل المدرسة إلى ثكنة عسكرية وكأنه ضابط من ضباط الكومندوز، وخطيب جمعة يهدد ويتوعد العُصاة ويتربص بهم الدوائر، وكاتب يجلد الناجحين بقلمه كل يوم، وصياح وصراخ وزعيق ونعيق ونهيق في النوادي

والمجالس، نحن لا نحتاج إلى مزيد من المؤتمرات واللقاءات والتوصيات، نحن نريد عملاً مثمراً وأثراً ملموساً نعيشه ونلمسه ونحسُّه؛ ليغيّر من حياتنا الصاخبة الهائجة المائجة إلى حياة حوار وأمن وسكينة وحب وسلام.

إن الشريعة الإسلامية مليئة بنصوص الحوار والمجادلة بالتي هي أحسن والرفق واللين ولكنها تبقى نصوصاً محفوظة لا ننتفع بها ما لم نفعِّلها في حياتنا، آمل أن نسحب من قاموس حياتنا كلمات التهديد والوعيد والتنديد، والعذاب الشديد، والبطش الأكيد لمن خالفنا، نحن نحمل غضبات مضرية جوفاء ولكننا لم نقتل ذباباً، نحن في حاجة إلى صوت هادئ ودليل مقنع وحجة واضحة وحوار بنّاء، فقد تعبنا من النهر والزجر والتوبيخ والتعنيف الذي حرمه الله ورسوله ﷺ، إن العظماء قوتهم في عقولهم وحجتهم في أفكارهم وإنجازاتهم في أعمالهم، وإن الأغبياء والحمقى أدلتهم في عضلاتهم، وبراهينهم في صراخهم، وآثارهم لا تتجاوز حناجرهم، قال الله تعالى في البلداء الفاشلين الساقطين الذين عطلوا التفكير، وألغوا العقل وردوا الحق وصرخوا في وجه البيّنة: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾، الأمم الناجحة يَقِلُّ كلامها، وتسمو أخلاقها، ويهدأ غضبها، ويتلاشى صراخها، والأمم الفاشلة كالطبل الأجوف صوت ولا أثر، وكالمزمار الأخرق نغمة بلا صدى، وكالبالون المنفوخ بهرج بلا قيمة.

لمن أراد دخول جامعة الحياة

الحياة معرفة الواجب والقيام به، وما عداهما غثاء، الحياة في سبيل الله بناء وفتح وانتصار، والحياة سوف تكون أكثر جمالاً بلا أشرار ولا فاشلين، لكن كتب على الدنيا النقص والفناء، سهل على الإنسان أن يعيش لكن الصعب أن يعيش كما يحب، الحياة كتاب من فهم نصوصه عاش سعيداً لكن الأغبياء لا يقرؤون أصلاً، الحياة خليّة تستقبل الأحياء وتلفظ الأموات، الحياة صراع لا يفوز بخيراتها إلا الشجعان، أما الجبناء فحظهم الحرمان، الحياة فرصة واحدة لا تتكرر إن حرصت عليها فزت وإن فاتت فمتّ أسفاً، الحياة ليست ملكاً لأحد إلا للواحد الأحد ولن يحجبك عن المجد أحد، إذا أردت فصمم وتقدّم ولا تحجم فتندم، لن يتصدق أحد عليك بالنجاح فالكل هلوع منوع جزوع، فاعتمد على نفسك وتوكل على الله، إذا رسبت في مدرسة الحياة فلن يقبلك أحد ولو نزلت الملائكة تشفع لك، وإذا نجحت في جامعة الحياة انحنى لك العظماء احتراماً وتقديراً، إذا كانت الحياة مائدة وكأساً وسريراً وحريراً فالبهائم أسعد بها، ولكن الحياة عقل يفكّر، ويد تعمّر، وقلم يحبّر، وثناء معطّر، وعلم مسطّر.

في الحياة لوحة مكتوب فيها: (خطر ممنوع الاقتراب) يقرؤها الجبناء والكسالى فيبتعدون، ولكن الشجعان والأذكياء يخلعون اللوحة ويقتحمون، الحياة ليست شهادات فخريّة ولا مجداً حصل بالوراثة، وإنما هي زخات من عرق التضحية، وقطرات من دم الفداء، وآهات من أنين الكادحين، إذا خضت بحر الحياة ورُميت بالطوب من الحساد فمعناه أنك وصلت بلاط المجد وأصبحت مدفعية الشرف والفخر تطلق إحدى وعشرين طلقة احتفاء بقدومك، في الحياة لو جلس أبوك على الجوزاء وأنت صفر لما أجلسك الناس إلا في المؤخرة، الحياة ترحب بالعجوز المناضلة وترفض الشاب الخامل، الحياة لا تقيس الناس بالأمتار، ولا تزن لحومهم بالأرطال، وإنما تُقَايس بين العقول وتفاضل بين الهمم، الحياة

سـوق كبيرة فيها عرض وطلب بقدر ما تعطي تأخذ، في الحياة لن تشتري الذهب بالخشب، ولن تحصل على وجبة غداء مجاناً.

الحيـاة سباق ولن يسبق الحمار الفرس أبداً، إذا نظرت للحياة بروح جميلة صارت أمامك حدائق غناء من الخمائل والجداول والبلابل، وإذا نظرت لها بروح بائسـة تمثلت لك أطـلالاً بالية من الصـروح الخاوية والأجـداث الزائلة، الحياة السعيـدة ضمير حي، وروح طاهـرة، وجسم سليم، ونفس قنوعة، والحياة التعيسة لهث وراء المادة، وفكر خواء من المعرفة، ونفس متدنسة بالآثام، وجسد مرتع للوباء، حـرر نفسك من طاغوت المال وصنم الأنانية وشيطان الحسد، كن في الحياة نخلة طلعهـا هضيـم، ولا تكن حنظلة ثمرها مر سقيم عقيـم، فالنخل باسقات لها طلع نضيد، والحنظل خاويات لها ثمر سام يقطع الوريد، كن في الحياة كالنحلة تطوف على الزهور ترشف الرحيق ثم تضع عسلاً مصفّى، ولا تكن ذباباً يقع على الأذى، ويحمل القذى، ويلوّث الجروح، ويدنس الأجسام.

وصفة بمليار دولار

قال حكيم: نصحني الناصحون فلم أجد أنصح من الشيب، ووعظني الوعاظ فلم أجد أوعظ من الدهر، واستضأت بنور الشمس وضوء القمر فلم أجد أحسن ضياء من الطاعة، واستوحشتُ من الظلام فلم أجد أوحش من الظلم، وذقتُ السم الزعاف والدواء المر فلم أجد أمرّ من الفقر، وعاداني الرجال فلم أجد أعدى من نفسي التي بين جنبي، ونازلت الأبطال وصارعتُ الأقران فلم أجد أشرس من المرأة السوء، وأكلت ألذ الطعام وأحلى الشراب فلم أجد أحسن من العافية، ورميت بالسهام وجرحت بالسيوف فلم أجد أشد ألماً من الكلام الجارح، وذقتُ العزلة وقاسيت الوحشة فلم أجد أقسى من قرين السوء، ودخلت السجون وقيدت في الأغلال فلم يهدّني كالهم والحزن، وشيدت القصور وبنيت الدور فلم أجد كالثناء الحسن.

وتصدقت بالكنوز وأنفقت الذخائر فلم أجد صدقة كهداية ضال، ولبست مطارف الخز ووشي الحرير وناعم الديباج فلم ألبس أجمل من لباس الصلاح، وجمعتُ الأموال وحصّلت الخزائن فلم أجد كالقناعة كنزاً، ودافعت عن نفسي بلا عوان، واستعنت بالإخوان فلم أجد ناصراً كالجود، وخذلني القريب وحاربني البعيد فلم أجد أشد من شماتة العدو، وتنعمت بالحدائق الغناء والبساتين الفيحاء فلم أجد أجمل من مجالسة العلماء، وصاحبتُ الأصدقاء وأنست بالرفقاء فلم أجد جليساً خيراً من كتاب، وخذلني قومي وخاب ظني في أصحابي فلم أجد من نصرني مثل مالي، وتذكرت من أحسن إليّ وأنعم علي فلم أجد منعماً إلا الله، ومرت بي المكاره ووقعت في الكربات فلم أجد أشد كربة وأكثر غربة من القبر، وهبت الملوك وخفت السلاطين فلم أجد أهيب ولا أرهب من الموت.

وبحثت عـن السرور وما يجلب راحة القلب فما وجدتُ كفعل المعروف، ورأيت صـور الشناعة ووجوه البشاعة فما رأيت أقبح من الكذب، وذقت الأسقام وعانيت الآلام فلـم أجـد أكثر داء ولا أخبث زاداً من البخـل، والتمست النجاة وفتشت عن السلامة فلم أجد أنجى ولا أسلم من الصدق، وجربت كل دواء لطرد الهم وبحثت عن كل وصفة لإزالة الغم فما وجدتُ أهنأ ولا أمرأ من ذكر الله.

obeikandl.com

متى يكون النجاح خطيئة؟

إذا عاشت الشعوب الجهل والتخلف أُصيبت بداء التّعصب المذهبي والتّحجر الفكري والاستبداد السياسي، فلا تعرف إلا ما وُلدت عليه وورثته من الآباء والأجداد ولو خالف الحق، قال تعالى عن المشركين: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾، حينها يُعدّ الرأي المخالف لهذه الشعوب ولو كان صحيحاً منكراً ومردوداً ويُهاجم كل مبدع وناجح، يقول فولتير كما في كتاب (متعة الحديث) للداود: النجاح خطيئة يرتكبها بعض الناس بحسن نيّة لكن زملاءه لا يغفرونها له، وأقول: كم من كرامة لعظيم مرّغها الجهّال بالتراب وانظر لما واجهه الأنبياء عليهم السلام من هجوم وعداوة من الحمقى والسفلة عبدة الأصنام، ويسكت بعض العظماء عن قول الحقيقة؛ خوفاً من سطوة الدهماء وغضبة الغوغاء، حتى يقول شوقي:

قالتِ الضفدعُ قولًا
فهمته الحكماءُ

في فمي ماء وهل
ينطقُ مَنْ في فيه ماءُ؟!

ومثله بالشعبي قال الشاعر الكبير أبو زيد محمد بن أحمد السديري:

كم واحدٍ له غايةٍ ما هرجها
يكنّها لو هو للأدنين محتاجْ

يقضب عليك المخطيه من حججها
نباه وقلبه اسود من الصاجْ

والمعنى: كم من إنسانٍ عنده سر خاص لا يبوح به حتى على أقرب قريب

منه؛ لأن من الناس من لا يؤتمن على الأسرار وليس محلاًّ للشكوى ويفرح بالخطأ والزّلة بينما تجد ظاهره معك فهو يظهر لك الصداقة والمودة بينما باطنه أسودّ من الحقد والحسد، أشدُّ سواداً من صاج الحديد الذي غيّرته النار والدخان، وأنا أُعزّي اللامعين والناجحين الذين يواجهون هجوماً ساحقاً من الأغبياء بسيرة سيد الخلق ﷺ وهو يُجابه بجاهلية جهلاء تكوِّن أحزاباً ضده وضد دعوته من مشركين أوغاد ومنافقين خونة ويهود ماكرين ونصارى حاقدين وأقارب جفاة فيصبر ويحتسب ويواصل وينتصر ويتوج بتاج: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾. يقول الشاعر عبدالله البردّوني يحيي سيد الخلق ونبي الأمة ﷺ ويصف شجاعته وصموده وصبره:

وشبَّ طفل الهدى المحبوب متشحاً
بالمجد متزراً بالنورِ والنارِ

في كفه شعلة تهدي وفي دمه
عقيدة تتحدى كل جبارِ

وانظر لعصر فتوحات المسلمين كيف حصل التجديد والإبداع، واتسعت الصدور للخلاف السائغ واشتغلت الأمة بالفتوحات والانتصارات والبناء والتّمدن، فلما ضعف حال الأمة وأصابها الهزال وقعت في حروب وهميّة من الخلاف المذهبي والتّعصب والتقليد في ظل ظلم وجبروت من خلفاء بعضهم صبيان وبعضهم كبار سفهاء حتى يقول عن بعضهم الذهبي وابن كثير: واشتغل هذا الخليفة بالجواري والشرب والغناء وكان مغرماً بمهارشة الكلاب ونطاح الكباش، فانحصر في عهدهم الإبداع العقلي والتجديد العلمي واُضطهد الأئمة والعباقرة والنبغاء فوُضع ابن تيمية في الحبس وطُورد ابن خلدون وقُتل المتنبي في الصحراء وحُجر على ابن رشد في بيته وأُحرقت كتب ابن حزم وطُرد من مدينته وأُغتيل لسان الدّين بن الخطيب، إذاً الإبداع والنجاح والتّفوق والموهبة خطيئة لا تُغتفر عند المحبطين

والفاشلـين والكسالى والأدعياء، أما في مجتمع القيم والهمم والعزائم فإن الموهبة تُحترم والمتميز يُقدّر والنابغة يُكرم وأهل الفضل يُصدّرون وهذه قاعدة اجتماعيّة وسُنّة تاريخيّة: ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا﴾.

obeikandl.com

العرب طلّقوا الدنيا فتزوجها الغرب

يردد بعض الوعاظ في خطبهم قول الناظم:

إن للــــــه عبـــــــاداً فطنًـــــا

طـلـقـوا الـدنـيـا وخـافـوا الـفـتـنـا

وهـذا البيـت له معنـى صحيح وخاطئ، أمـا المعنى الصحيح فـإن عباد الله لا تشغلهـم الدنيـا عن طاعـة الله ولا يجعلـون الدنيا أكبر همهـم ولا مبلغ علمهم ولا غايـة قصدهم بل يجعلونهـا ممرًّا للآخرة، والمعنى الخاطـئ هو رفض الدنيا بالكليـة وعدم التـزود من حلالهـا وترك عمارهـا والله يقـول: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾. أي لتقوموا بعمارتها، وكان الشيخ محمد الغزالي المفكر الإسلامي يقرأ هذا البيت هكذا:

إن للــــــه عبـــــــاداً فطنًـــــا

طـلـقـوا الـدنـيـا فـتـزوجـهـا الـغـرب

وكلامـه صحيح، فبعـد أن أسس أجدادنـا في القرون السابقـة المفضّلة أروع حضـارة عرفها الإنسان تخلـف العرب في عصور الانحطـاط الحضاري والثقافي إلى أن صـاروا يستجـدون الشـرق والغرب في بـاب الحضارة الدنيويـة والوسائل المادية، وإلا فمن الذين عمروا عواصم العالم بالعلم والمعرفة إلا المسلمون الأوائل، أمـا أرسل أجدادنا أشعة النور والرقي والتمدن من مكة والمدينة والقاهرة ودمشق وبغـداد والزيتونة والقيروان وقرطبـة والحمراء والزهراء، وأقامـوا أقسام الفقه والتاريخ وعلم الاجتمـاع والكيمياء والفيزياء والأحياء والطـب والهندسة وأسماء العباقـرة المسلمين تزدان بها العواصـم الغربية إلى اليوم، ثم وصل بنا الحال إلى أن صـار غالبنـا قبل عشرات السنوات أعراباً يرعون الإبـل والغنم، ولا يعلمون أن تحـت أقدامهم آبار البترول والغاز حتى وفد الخواجـة أزرق العينين أشقر الشعر

من قبيلة بني الأصفر من أسرة بني الأشقر فأخرج البترول والغاز ومد الأنابيب وأقام المصافي وجهز البراميل وصنع ناقلات البترول كالمدن العظيمة وأخرج من البترول والغاز عشرات الأنواع من البتروكيماويات فصنع بها آنية وملابس وحقائب ووسائل للحياة وأخذنا نلبس ونأكل ونرقص حاملين الهراوى والمشاعيب، ونردد:

خبر إسرائيل واللي وراها

وأخبروه عن بطولاتنا

وأصبحنا نهدد الحلف الأطلسي وحلف النيتو، وهذا لا يجوز لأن فيه تخويفًا وإرهابًا لهذه القوى العظمى الضاربة، ولا أدري لماذا العرب إلى اليوم يتركون العلوم العملية الميدانية التطبيقية ويكتفون بالعلوم التنظيرية والقصص الخيالية والأسمار والأشعار كقصة داحس والغبراء وعبس وذبيان ونقائض جرير والفرزدق التي تقرر على الطلاب في المراحل المتقدمة؛ ليتعلم الطالب فن السب والشتم والانتقام، أما مراكز البحوث والاكتشاف والاختراع فقد ظفر بها بنو الأصفر فملكوا بها العالم واستولوا على خيرات الأرض، فكل ما في بيتك أيها العربي، الآن هو من صُنع الخواجات واقرأ موسوعة: (إبداع الخواجة، في صنع الثلاجة، وتركيب الزجاجة، وإثبات أن من لا يسعى للمجد دجاجة)، أين تطبيق العرب للقرآن وهو يدعوهم للعمل والجد والمثابرة وعمار الأرض واستخراج خيراتها والإنتاج والإتقان والإبداع، والواجب على العرب أن يتواضعوا وأن يخففوا من شرب خمر المديح الذي ما قتل بعوضة ولا أقام نهضة، ولكن الأمل معقود في الله، وبشائر الأمل موجودة في جيل جديد مهيب صاعد مسلم، أصبح الآن في بلادنا وغيرها يأخذ مقعده اللائق به في كل مجالات التقدم والرقي والحضارة والمدنية:

﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

الصحيح أننا لا نقاتل إلا من قاتلنا

لشيخ الإسلام ابن تيمية رسالة بعنوان (قتال الكفار ومهادنتهم وتحريم قتلهم لمجرد كفرهم)، حققها الدكتور عبدالعزيز بن عبدالله الزير، وهي رسالة مهمة ومؤصّلة، ونحن بأمسّ الحاجة إليها في هذا العصر الذي فُتح فيه قتال الكفار على مصراعيه من جماعات كثيرة باسم الإسلام ينقصها كثير العلم الشرعي المؤصّل، يقول ابن تيمية: الكفار إنما يُقاتلون بشرط الحراب كما ذهب إليه جمهور العلماء وكما دل عليه الكتاب والسنة، وقال تلميذه ابن القيم: ولأن القتل إنما وجب في مقابلة الحراب لا في مقابلة الكفر، ولذلك لا يُقتل النساء ولا الصبيان ولا الزمنى والعميان ولا الرهبان الذين لا يقاتلون، بل نقاتل من حاربنا. ولم يُكره ﷺ أحداً قط على الدِّين وإنما كان يقاتل من يحاربه، وأما من سالمه وهادنه فلم يقاتله ولم يكرهه على الدخول في دينه امتثالاً لأمر ربه سبحانه.

وفي رسالة ابن تيمية هذه تحقيق وتدليل لهذا القول الصحيح إننا لا نقاتل من الكفار إلا من قاتلنا، وهو رأي جمهور العلماء أما إطلاق المسألة ومقاتلة غير المسلمين بحجة الكفر ولو لم يقاتلونا فهذا غير صحيح، ويجر علينا من المفاسد والشر والأضرار ما لا يعلمه إلا الله، فالواجب نشر هذا القول الذي دلَّ عليه الكتاب والسنة وهو أن من سالمنا من الأمم سالمناه، وأننا لا نكره أحداً على الدِّين، وأنه لا يجوز لنا أن نفتح حرباً مع العالم بذريعة أنهم كفار ولا نحمل السلاح عليهم إلا إذا حملوا السلاح علينا بل ينبغي لنا أن ندعوهم بالحكمة والموعظة الحسنة ولا نرغمهم على اعتناق ديننا تحت التهديد والوعيد، بل ينبغي أن نفي معهم بالعقود والمواثيق التي لا تخالف ديننا ماداموا ملتزمين بها، ولا نقاتلهم وهم مسالمون لنا حتى يقاتلونا، وعلى هذا فإن نقل المعركة إلى دول الشرق والغرب بحجة كفرهم منهج ليس بصحيح ورأي ليس بسديد، وقد وقع على المسلمين من آثار هذا المسلك أضرارٌ عظيمة وأشرارٌ وخيمة وشُوِّه الإسلام عند غير المسلمين، ووقع فساد عظيم

في الأنفس والأموال والأعراض، وما ذاك إلا لأن من قام بهذا القتال شباب لا يحملون علماً راسخاً ولا فهماً لمقاصد الشريعة ولا معرفة لفقه المصالح والمفاسد.

ومن يقرأ رسالة ابن تيمية هذه يقتنع تماماً بهذا القول الصحيح الذي دلنا عليه ابن تيمية وساق البراهين الساطعة والحجج القوية وكلام أئمة الإسلام، بحيث انتهى إلى هذا القول الذي فيه الخير العظيم لأمة الإسلام والحل الصحيح لما ابتليت به من فتنة تحت اسم «الجهاد» وهو في كثير من صوره اعتداء لا جهاد، وإني أهيب بالعلماء والدعاة ووسائل الإعلام أن تنشر هذه الرسالة القويمة والحجج المستقيمة التي أوردها هذا العالم الرباني والإمام الموفق المجدد شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- فقد أوضح أن الإسلام دين رحمة وعدل وإنصاف وأنه بريء من العدوان والظلم والحيف حتى على غير المسلمين، وأقول: لو عملنا بمدلول هذه الرسالة لحصل للأمة الإسلامية الخير العظيم من انتشار الإسلام وكثرة معتنقيه وإظهار سماحته ويسره وما فيه من تعاليم جليلة وآداب جميلة اشتملت على مصالح العباد والبلاد، فبالله عليكم أنأخذ بكلام هذا الإمام المحقق الذي دلَّ عليه الكتاب والسنة وكلام أئمة الدِّين أم نأخذ بكلام شاب غرٍّ قليل البضاعة بالعلم ضحل التجربة، فقير المعرفة بالواقع والمصالح والمفاسد؟

مشاهد هزت الضمير العالمي

شاهدت شاه إيران وهو يُخلع من ملكه خلعاً ويُنزع من سلطانه نزعاً ويُطرد من وطنه طرداً بعد ما تجبر وتكبر وبغى وطغى وأذاق شعبه صنوف الإذلال وجرّعهم كأس الهوان، فقلت: سبحان المعز المذل الذي يمهل ولا يهمل، وشاهدت تشاوسيسكو رئيس رومانيا وكان رعديداً جباناً مستبداً طاغية اتخذ شرطة سرية تحرسه وتذيق الشعب أنواع البلاء وأشكال العذاب فخلعه شعبه ثم ذبحوه هو وزوجته ذبح الشياه فلم يكن له من أولياء ينصرونه وما كان من المنتصرين، وشاهدت سوهارتو الرئيس الإندونيسي يبكي أمام الميكرفون ويعتذر لشعبه بعد سنوات من الاستبداد والاستحواذ على خيرات إندونيسيا ثم يُحاسب هو وحاشيته حساباً عسيراً، وإنَّ في هذه المشاهد وغيرها عبر التاريخ براهين ساطعة على عظمة ملك الملوك تقدس اسمه وكيف تتحقق سنّته في الظالمين كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾.

وشاهدتُ ابن علي رئيس تونس المطرود المنبوذ بعدما أرهب شعبه وتفنن في أذية المسلمين وإغلاق المساجد وفتح المعتقلات وكنت قبل عشرين سنة في مجلس سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز في الطائف مع أكثر من عشرين من العلماء والدعاة فأمر الشيخ أن تُقرأ علينا رسالة من السجون التونسية فيها صرخات الأسرى والمعذبين وفيها من صنوف الابتلاءات ما يشيب له الرأس ويتفطر له القلب وقد أشرنا جميعاً على سماحة الشيخ أن يكتب لجلاد تونس نصيحة سرية يعظه، وبعد فترة أخبرنا الشيخ بوصول رسالة من مفتي تونس الرسمي يدافع عن سيده ويبرر أفعاله ودارت الأيام وما ربك بظلام للعبيد فيخرج شعبه مكبرين كالبحر إذا انفجر فما كان منه إلا أن فر بنفسه تاركاً حاشيته وأعوانه وخدمه وحشمه ودوره وقصوره عبرة للمعتبرين وعظة للمتعظين، وشاهدتُ حسني مبارك يحيط

بـه الشعب المصري كالريح الصرصر العاتية يطالبونـه بترك الحكم بعد سنوات مـن الاستبداد والفساد والكبت والإقصاء فيُؤخذ هو وزوجته وأبناؤه وحاشيته من القصـور إلى المعتقـلات ليواجهوا الجـزاء نفسه الذي تفننـوا في إلحاقه بالشعب ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾.

وشاهدتُ القذافي المصـاب بجنون العَظَمَة وداء الهستيريا يُخيّر شعبه بين أن يحكمهم أو أن يقتلهم وفي الأخير يجتمع عليه العالم فيُقصف جوًّا وبرًّا ويفرُّ كالفأر مـن جحر إلى جحـر إلى أن قتـل، ﴿أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴾، ومما يهزُّ الضمـير ما فعله النظام السوري حيث ينهزم أمام إسرائيل ويسلّم الجولان لجيش الصهاينـة ولا يطلق طلقة تجاه العـدو، وكل الشعوب حررت أراضيهـا إما سلماً أو حربـاً إلا النظـام السوري فإنه فرَّ أمـام جحافل الصهاينة وتـرك لهم الأرض ثم وجّـه جيشه إلى شعبـه يحاصرهم ويقتلهم ويعتقلهم ويعذّبهـم وينتهك أعراضهم ويصادر حرياتهم، لكن الفرج قادم ﴿أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾.

الكاتب السبّاب الشّتّام

بعض الكتّاب سبّاب شتّام لا يعرف إلا تصيُّد الأخطاء وجمع الأغلاط والفرح بالعثرات واكتشاف الزلات، وهذا زير أجوف وطبلة خرقاء، فمنكوس الفطرة، ومقلوب الإرادة، ومطموس البصيرة يعمى عن المحاسن، ويغفل عن الإصابة، ولا يرى الإنجازات؛ لأن نفسه سقيمة، وأخلاقه عقيمة، في غدته سموم يفرغها على الناس، وفي فؤاده ديناميت يثوّره على الآخرين، إن المعوقين نفسيًّا يجدون لذة في صلب الناجحين على خشبة الموت، وإن الأغبياء الحمقى يحسون بمتعة إذا مرغوا كرامة الشرفاء الأذكياء، الحسود الكنود يرى النعم على غيره تهديداً لأمنه وراحته فيسعى في تدميرها. أين الإنصاف عند بعض الكتّاب وهو ينقد خصمه فلا يرى له حسنة ولا إصابة ولا إنجازاً؟ حينها يسقط من عين القراء؛ لأنه أصبح معروفاً بالحيف والتزوير وكتمان الحقيقة، إنك لن تستطيع بنَفَسِكَ الضعيف أن تنفخ في وجه الشمس لتطفئها؛ فالشمس أكبر وأعظم من ذلك، ولن تستطيع بطرف ثوبك أن تغطي وجه القمر، والقمر أجلّ وأجمل، الكاتب العياب السبّاب الشتّام النمام ذباب وقع في مجزرة فهو يحمل القذى ويدور بالأذى ويوزع الوباء على الناس، أما الكاتب العفيف الشريف فهو كالنحل تمص رحيق الزهور وترشف ماء الورود ثم تنتج عسلاً مصفى فيه شفاء للناس.

يا حسرة على أعداء النجاح، صارت قلوبهم أفران غيظ وبراكين عداوة ومزابل حقد وحسد، ولو أنصفوا لاغتسلوا بماء الحب ولبسوا ثياب السلام ووزعوا على الناس ابتسامات الأمان وكلمات الرضا وورد البشرى، دع المفتري الناقم والحاسد الجاحد يلقى جزاءه بفعله ويقتل نفسه بخنجره ويتجرع كأس السم بيده، فهو وحده الذي أسهر ليله بحقده وأتلف أعصابه بحسده، ومزّق روحه بانتقامه: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلۡعَبِيدِ﴾، إذا لم تُثنِ على خيرٍ فلا تسبّه، وإذا لم تشجع ناجحاً فلا تثبّطه

وإذا لم تساعد عاملاً مثابراً فلا تطعنه، عداوتك لأرباب النجاح معناها أنك فاشل، وغيظك من المتفوقين يخبرنا أنك راسب، فلا تشهد على نفسك بالسقوط والخمول فإن مزبلة التاريخ تنتظر كل وغد بليد، وكل جبار عنيد، لعل من حكمة الله أن جعل للأبرار أشراراً يكفرون عنهم السيئات بالسب والشتم؛ لحمايتهم من داء الكبر والعُجب، ولا بد للتحف من مناشف ومناديل تمسح عنها الغبار: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾، النقد الآثم للناجحين براءة اختراع وشهادات حسن سيرة وسلوك؛ لأن الرذيل الهزيل يضيق ذرعاً بأهل الفضائل، والجعلان تزكم من روائح الزهور، والخنفساء يقتلها ماء الورد.

مر الأسد بغدير فنقنقت الضفدع تحذّره، فقال لها: يا ضفدع، أنت في مكان مهين أسفلك في الماء وأعلاك في الطين، أما علمت أني كسرت قوافل الجمال، وهابني الرجال، واهتزت لزئيري الجبال. ألف تحية للناجحين وللحسّاد، كرت أحمر للفاشلين مكتوب عليه: ﴿قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ﴾.

رعاية الشباب للعقل والجسم

في زمن الأمير فيصل بن فهد دُعيت أنا وغيري لإلقاء محاضرات وندوات بنادي الهلال والنصر والوحدة والأهلي وغيرها من الأندية، فقد صاحب السطوع الرياضي سطوع علمي وثقافي، ثم مرت سنوات عجاف من الخمود والهمود، حصل فيها هزال رياضي وعلمي وثقافي، وقد استبشرنا خيراً بالأمير الشاب الطموح نواف بن فيصل ليعيد للأندية وهجها العلمي والثقافي والرياضي، فالاهتمام برياضة الأجسام لا بد أن يتبعها الاهتمام بثقافة العقول؛ لأن قيمة الإنسان بعقله لا بجسمه وقد يتمدد الجسم ويضمر العقل إذا ما غُذّي بالمعرفة والعلم والثقافة، ونريد من رعاية الشباب أن تملأ قلوب الجيل بالإيمان وأفكارهم بالمعرفة وأجسامهم بالقوة؛ لأن ديننا أتى بهذه المعاني وقصد إليها، ونحن أهل رسالة ربّانيّة كلما نسيناها ذكّرنا بها العلم الأخضر المكتوب عليه: (لا إله إلا الله، محمد رسول الله) الذي نحمله معنا في ملاعب العالم، وهو العلم الوحيد الذي لا يُنكّس في الأحزان والكوارث ولو نُكِّست كل الأعلام؛ لقداسة وعَظَمة هذه الكلمة التي يحملها، والتي دفعت الأمة الإسلامية من أجلها ملايين الشهداء على مر التاريخ.

إن علينا أن نجعل الأندية الرياضيّة مسجداً ومكتبةً وقاعةً؛ فنجمع بين العبادة والعلم، والقراءة والرياضة، ونطمح أن يعود للأندية وهجها وسطوعها ولمعُها، وأنا أذكر يوم استقبل نادي الهلال محاضرةً قدّم لها الأمير عبدالله بن سعد عن (دور الإيمان في حياة الشباب) وغيرها من المحاضرات، وأذكر محاضرات نادي النصر كمحاضرة (النصر لنا) مع فعاليات ثقافية أخرى، وصاحب ذلك حيازة الكأس والنجاحات المتتالية، ثم جاءت فترة جفّت فيها المحاضرات واختفت فيها الإنجازات، فهل من عودة لروح جديدة مع شاب جاد مثابر يغار على رسالته ووطنه وأمته، إن الرياضيين هم إخواننا وأبناؤنا، وواجب العلماء والدعاة والمفكرين التواصل معهم والالتقاء بهم؛ للاستفادة والحوار تحت

مظلة ديننا العظيم، ولكن هذا يأتي بإعادة النشاط الأول والوهج القديم حيث يكون هناك لرعاية الشباب جهازيّ دعويّ ثقافيّ يتابع ويطور هذه الأنشطة حتى نقدّم شبابنا إلى العالم بأجمل صورة، نقدّم شباباً يحملون فكراً سليماً ومنهجاً قويماً مع ما يتمتعون به من لياقة بدنيّة ومعرفة رياضيّة، ماذا تنفعنا أجسام قوية وعضلات ضخمة تحمل عقولاً صغيرة وأفكاراً هزيلة وثقافة هشة، وقد وصف الله قوماً أهملوا نور المعرفة وبركة العلم، فقال عنهم: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُواْ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾.

كل رياضي عندنا لا يختلف في الواجبات عن أي مسلم آخر من طالب علم أو طبيب أو مهندس أو عسكري أو عامل، عليه أن يصطحب في سفره مصحفاً وكتاباً؛ ليجمع بين واجب العقل وواجب الروح وواجب البدن، وإني بالمناسبة أُحيي شبابنا الذين سجدوا في الملاعب العالمية يوم تسجيل الأهداف وهي سجدة تهز الضمير، وترفع الهمة، وتملأ الرؤوس شمماً وعزة ونخوة، وهذه السجدة في الملاعب عند تسجيل الهدف رسالة أبلغ من ألف محاضرة؛ لأنها يشاهدها ملايين البشر، ولأن لها معنى وإيحاء في ذاك الزمان والمكان.

إلى الحوار الوطني: نريد أندية حواريّة

كانت العرب لها أندية في جاهليتها وفي إسلامها، وهذه الأندية مكان للأشعار والأخبار والأسمار، وجاء الإسلام فوجّهها الوجهة الصحيحة من حيث سمو الهدف وآداب المجلس وكمال الفائدة، ونحن اليوم في حاجة إلى أندية حواريّة علميّة أدبيّة تُفتح كل يوم إلى شطر الليل الأول تستقبل الوافدين من شبابنا، ويكون النادي كالمقهى قريباً من كل حي مرتباً منظماً فسيحاً، به مكتبة وأماكن مهيأة للجلوس وأساتذة في العلم والأدب والثقافة والفكر يشرفون على هذه النوادي، وتتولى هذه النوادي شركة كبرى عالميّة تقوم على النظافة والترتيب وتوفير سبل الراحة للزائرين، وسوف تكون هذه الأندية حلاًّ لمشكلات الفراغ التي عصفت بكثير من الشبان، فعاشوا الفوضى والقلق والاضطراب، وأخذوا يجتمعون في استراحات ومتنزهات مع كل من هب ودب بلا إشراف ولا رعاية ولا توجيه ولا تربية، فربما تأثروا بجليس السوء وعادوا إلى أهلهم بأفكار مشبوهة وسلوك ذميم.

وأنا أعلم أن عندنا مطاعم كثيرة ومتنوعة في المدن لكنها لتناول الطعام، والذي نريده مقاهي حوارية مرشّدة في كل حي، فيها أسباب المتعة المباحة مع الإرشاد السليم، وكانت القاهرة قديماً مشهورة بهذه الأندية، والآن تتصدر باريس ولندن مدن العالم بهذه المقاهي، ولكننا أصحاب رسالة سماوية نحتاج إلى مقاهٍ تتفق مع رسالتنا، وقد وُجدت عندنا النوادي الرياضيّة والنوادي الأدبيّة الحوليّة التي يجتمع أصحابها نادراً على محاضرات يحضرها عشرات في رأس السنة، والذي ينقصنا هو نوادٍ للحوار كل يوم يُذهب فيها الشاب ملله وضجره بالحياة، حيث يجد فيها الصديق الصادق وطالب العلم والطبيب والمهندس والمفكر والشاعر والمثقف، ولا بأس أن يكون في هذه الأندية أمسيات شعرية وخطابية وحوارية ومطارحات ومساجلات ولقطات فكاهية ومسابقات وجوائز.

وقد ذكر الكاتب الشهير بهذه الصحيفة الأستاذ سمير عطا الله أن الفرنسيين أطول أعماراً؛ لما يجدونه من مقاهٍ تذهب الملل والأرق والقلق، ولكننا نحن في حاجة إلى مقاهٍ مهذّبة من كل سوء، تجمع بين متعة النفس المباحة وزاد العقل من العلم والمعرفة، وإذا لم تقم شركة بهذا العمل فعسى أن يُسند إلى الجامعات والمؤسسات والشركات القيام بهذه الأندية الحوارية في كل حي ومدينة وقرية بإشراف روّاد الحوار الوطني الكرام؛ لتتحول التعليمات من التنظير إلى التطبيق ومن الهم والهاجس إلى العمل والميدان؛ حتى يكون عندنا لياقة ودُربة على الحوار، ولا نكتفي فقط بعقد مؤتمر سنوي في مدينة من المدن دون مباشرة لهذا الحوار في كل زمان ومكان؛ لأن الحوار عمليّة دائمة وقضيّة ملازمة لنا في بيوتنا ومدارسنا وجامعاتنا وحياتنا اليوميّة، ولن تصلح كثير من مشكلاتنا وتُهذّب أخلاقنا إلا بممارسة صادقة جادّة واعية يوميّة للحوار.

وأقول للإخوة الفضلاء بالحوار الوطني: إذا أراد شبابنا في وقت فراغهم كل يوم أن يذهبوا إلى مجلس مفتوح ونادٍ يرحّب بهم ومقهى يستقبلهم بالكلمة الجميلة والفكرة الصائبة والقصيدة العصماء والنكتة البريئة والصداقة النافعة والحوار البنّاء والثقافة الراقية وحفظ الوقت في النافع المفيد، فأين يذهبون؟ وإن من يطالع شكاوى الشباب ويداخلهم ويستمع إليهم يعلم علم اليقين أنهم في حاجة ماسة إلى نادٍ حضاري علمي أدبي ماتع في كل حي مفتوح الأبواب فسيح الجنبات يلبي طموحهم ويحفظ أوقاتهم، وعسى أن يجد هذا الرأي من يحتضنه ويجعل منه مشروعاً وطنيًّا نجد أثره في مئات المقاهي الحوارية والأندية العلمية الأدبية؛ ليتحول كل حي إلى نادي عكاظ بصبغة إسلاميّة وروح شبابيّة تحفظ العقل والجسم والوقت والخلق والوطن.

العرب وعقدة المؤامرة

يقول القذافي: إن العالم متآمر على ليبيا؛ حسداً لها على ما ينعمُ به شعبها، ثم قرأ: ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾، ويقول الإعلام الرسمي السوري: إن سوريا تتعرض لمؤامرة خارجية لدورها النضالي البطولي في المقاومة والصمود والتصدي والممانعة -يا لطيف يا لطيف، يا ساتر يا ساتر- مع العلم أن الجولان مازال تحت الاحتلال لما يقارب نصف قرن، وإعلام اليمن الرسمي ذكر أن اليمن مستهدف لأنه العمق الحضاري للعرب والبعد الإستراتيجي القومي للأمة إلى آخر هذا الهذيان والهلوسة والهبال، وإعلام الأردن الرسمي شكا من مؤامرة خارجية بأصابع خفية يتعرض لها الأردن ولا حول ولا قوة إلا بالله، وأقول: متى تكفون يا أعراب، عن عقدة المؤامرة والفرار من الاعتراف بالخطأ إلى البحث عن كبش فداء؟

متى تتوبون يا أعراب، من هذه المسرحية الهزيلة باتهامكم الخارج وتعليق أخطائكم على الغير؟ من أنتم حتى يتآمر عليكم العالم؟ من حضرتكم حتى تشتغل بكم القوى العظمى؟ لماذا يستهدفكم العالم وعلى ماذا يحسدكم؟ ألثرواتكم وشعوبكم تذوق الجوع والعري والجهل والمرض والتخلف؟ أم يستهدفكم لصناعاتكم وإنتاجكم ومراكز البحوث عندكم ومصادر الطاقة وصروح المعرفة ومخازن الأسلحة والمدمرات والبارجات والمراكب الفضائية وحاملات الطائرات وأنتم لا تستطيعون صناعة سيارة هايلكس، بل أنتم في ذيل قائمة دول العالم صناعةً وزراعةً وتعليماً وتنميةً وإنتاجاً، إن ميزانية شركة غربية واحدة أكبر من ميزانية هذه الدولة مجتمعة، وإن الشعوب خرجت في مظاهرات سلمية تريد الغذاء والدواء والهواء والماء والكهرباء والحرية والكرامة، وهذه الدول عجزت عن تلبية الحاجات الضرورية لمواطنيها، فاتهمت العالم بالتآمر عليها، وكم الجرادة أصلاً وثمنها ولحمها ومرقها؟

ومَثَلُ هذه الدول العربية المذكورة التي اتهمت العالم الخارجي باستهدافها كمثل بعوضة وقعت على نخلة، فلما أرادت البعوضة أن تطير قالت للنخلة: تماسكي فإني أريد أن أطير، فقالت النخلة لها: واللّه ما شعرت بك يوم وقعتِ، وما شعرت بك يوم طرتِ.

أمريكا وأوروبا والصين واليابان وكندا وروسيا منهمكون في المصانع والمعامل وصنع النووي وإنتاج الطاقة وغارقون في الاكتشافات والاختراعات، وقد يكون لهم وجهة نظر في هذه الأنظمة، أما آن لنا نحن العرب أن نشتغل بعيوبنا ونصلح أخطاءنا ونراجع أنفسنا ونتوب من عقدة المؤامرة التي أصبحت نكتة سامجة ولعبة مكشوفة؟ قال صديقي وزميلي أبو الطيب المتنبي في رجل نكرة مجهول تمنى أن يمدحه المتنبي أو يهجوه على الأقل؛ ليشتهر:

صَغُرْتَ عَنِ المديحِ فقُلْتَ: أُهجَى
كأنَّكَ ما صَغُرْتَ عَنِ الهِجاءِ

إن القرآن أحال سبب هزيمة أُحد إلى اختلاف الصحابة، فقال: ﴿قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡ﴾، والأخطاء والتجاوزات يتحملها أصحابها، قال تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ﴾، أما اتهام الآخرين واستخدام العالم مشجباً لتعليق الأغلاط فهذا من عمى البصيرة وفساد الرأي، وإن المريض لن يتعافى حتى يعترف أولاً بأن عنده مرضاً، وأنه لن يتشافى إلا بدواء ناجع يستعمله، لا فرار إلى الأمام ولا تستر في الظلام، بل الحق في الشجاعة والاعتراف بالخطأ والتغيير إلى الأصلح، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾.

السعوديّون والمشروع الإسلامي

نحن في السعودية توحّدنا على مشروع الإسلام فحسب، فليس عندنا شعار ولا مشروع يجمعنا ولا منهج يؤلف بيننا إلا الإسلام، مؤسس الدولة الملك عبدالعزيز أعلن أن الدولة إسلامية شرعية شعارها: (لا إله إلا الله، محمد رسول الله) ليس عندنا مكان لدولة قومية أو علمانية أو ليبرالية أو شيوعية أو رأسمالية، الشعب السعودي متديّن بالفطرة لسنا ملائكة ولا أنبياء ولسنا شعب الله المختار، لكننا مسلمون مؤمنون بالله، خيارنا الإسلام، وقدرنا الإسلام، وقضيتنا الإسلام، نموت ونحيا بالإسلام، كل الشعب بدرجاته في التدين يرفض المساس بالدين، من أراد أن يجرب حب السعوديين للإسلام فليرسل في أي مدينة أو محافظة أو قرية مهبولاً أو معتوهاً ليقول: لا، للقرآن أو لا، للسنة ليرى كيف يكون الرد أو الجواب على هذا المهبول المعتوه، سوف يعود إلى بيت أهله جنازة، أتحدّى في أي تجمع سعودي أن يقوم أفاك أثيم فينتقد الرسول الكريم- بأبي هو وأمي ﷺ- فلن يُكتفى بالرد على هذا الأفاك الأثيم بالقول لكنْ بالضرب بالأحذية والصفع بالنعال.

نحن أعلنّا للعالم أن خيارنا ومشروعنا الإسلام منذ بعث الرسول ﷺ. والكلمة التي هزت مشاعر السعوديين وأثلجت صدورهم وألهبت حماسهم يوم قال خادم الحرمين الشريفين يوم البيعة (أعاهدكم أن أجعل الإسلام منهجي والقرآن دستوري).

لو نثرت الرمل في بلادنا لفاحت منه رائحة دماء الشهداء في سبيل الله ونصرة لاإله إلا الله، لو قلبت الصخر عندنا لوجدت بقية جماجم الأبطال الذين صنعوا ثورة الإسلام في بلادنا، ونقلوها إلى العالم فاتحين ومصلحين، لو نطق الحجر في أرضنا لقال: لا إله إلا الله، كل مشروع يخالف الإسلام مرفوض ومكتوب عليه الفشل سابقاً، نحن جنود لهذا المشروع، رضي من رضي، وغضب من غضب، من لم يعجبه مشروعنا مشروع الإسلام فليضرب برأسه الحائط.

إذا كان عندنا إصلاح أو تجديد أو تطوير أو تغيير فتحت مظلة المشروع الإسلامي، ونحن لا ندّعي احتكار الإسلام أو أننا مثّلنا الإسلام تمثيلاً كاملاً أو أننا معصومون من الخطأ والتقصير، لكن نقول: نحن أبناء الرسالة وأبطال البعثة وأنصار التوحيد وحماة الشريعة، وجنود الله، نحن لن نستورد مشروعاً أجنبيّاً وقد أغنانا الله بالوحي المقدّس، نحن شريعتنا من فوق وشريعتهم من تحت، نحن دستورنا من أعلى ودستورهم من أسفل: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾، فنحن نريد الإصلاح المستمر على نهج الكتاب والسنة، ننشد الكمال عن طريق الشريعة، نحن في مهبط الوحي كباراً وصغاراً، أطفالاً وشبّاناً وشيوخاً رجالاً ونساءً، علماء وعامة، حاضرة وبادية، لا نريد إلا شرع الله وهو الذي ألّف بين قلوبنا، نحن أكثر من مئة قبيلة كانت قبل الوحدة متناحرة متقاتلة فكان سبب جمعها وتوحيدها كلمة التوحيد المسطّرة على علم الوطن: (لا إله إلا الله محمد رسول الله).

شكراً للمنصفين

حقٌ علينا أن نعترف للآخر إذا أنصف وأحسن، وفي القرآن: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ وفي هذا اعتراف لبعض أهل الكتاب بأنه محسن، وقد وقّع بعض مشاهير الغرب ونجومه شهادات صادقة في حق الإسلام ورسوله ﷺ، فهذا المؤرخ الفرنسي الشهير جوستاف لوبون يقول: ما عرف العالم فاتحاً أعدل ولا أرحم من محمد ﷺ. وهذه الشهادة زادت من قيمة هذا المؤرخ عند أهل الشرق من المسلمين، وشكره عليها العقلاء، وفي ديننا إنصاف لمن خالفنا إذا أجاد في باب من الأبواب، ففي صحيح مسلم عنه ﷺ أنه قال: «**لا تقوم الساعة إلا والروم أكثر الناس**»، والروم أجداد الأوروبيين والأمريكان فعلّق على الحديث عمرو بن العاص بقوله: إنهم أمنع الناس لظلم الملوك، أي إنهم يعدلون فيما بينهم ولا يقرون الظلم في مجتمعاتهم، ولهذا كان كل عاقل شريف يحترم علمه وقلمه ينصف من خالفه فيستحق بذلك وسام التقدير كما فعله الكاتب الأمريكي مايكل هارث في كتابه (العظماء المئة) وهؤلاء العظماء يقصد بهم عظماء الخليقة منذ آدم إلى الآن، ولك أن تتصور من كاتب أمريكي أن يجعل العظيم الأول في كتابه هو محمد ﷺ؛ لأنه قصد الحقيقة فأرضى ضميره وصان اسمه من الحيف والزور.

وإنما أسوق هذه الأمثلة ليستفيق من يوقّع شهادات الزور ومن يصدر أحكاماً جائرة منّا على الغير ومن الآخر علينا، إن من بني جلدتنا من لا يرى في الغرب إلا الهمجية والتحلل والحياة المادية والاستعلاء بالقوة ونحو ذلك من المعايب والمثالب، حتى إنني سمعتُ لأحد العرب ممن يقيم في بريطانيا عبر قناة فضائية يصب جام غضبه على المجتمع الغربي، ويصفه بأبشع الصفات، وتساءلتُ: فلماذا يقيم بين أظهرهم ويدرس في جامعاتهم ويستفيد من الخدمة المجانية من مؤسساتهم، بل يلجأ البعض إليهم بحجة الفرار من القهر والكبت، ثم تُفاجأ وإذا هو يهجوهم صباح مساء ولا يعترف لهم بحسنة واحدة، والقرآن يرفض هذا المسلك المشين

من تزوير الشهادات والظلم في الأحكام حتى مع الأعداء: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾. وأيضاً فعند الغرب ساسة وكتّاب وفلاسفة ظلموا الإسلام ولم يعترفوا له بأي حسنة، فهو عندهم دين القهر وإلغاء الآخر وإقصاء المخالف والاستيلاء على مقدرات الغير وهذا ظلم صارخ للإسلام، وكان الواجب على هؤلاء لو أرادوا الإنصاف أن يقرؤوا الإسلام بتجرد، وأن يحاكموه إلى المنطق والعقل وأن يسلكوا مسلك حملة الضمير من مشاهيرهم كبرناردشو، والقائد نابليون والكسيس كارليل وغيرهم، والواجب علينا أيضاً نحن أن ننصفهم فيما أجادوا فيه من رقي مادي وتقدم صناعي واقتصادي ونحوه، ولو لم يكن عند الغرب إيجابيات في نواحٍ كثيرة لما أقدم كثير من أبناء الشرق على اقتحام البحر؛ هرباً إلى تلك البلاد، فمنهم من يغرق ومنهم من يخرج من البحر سالماً ليقول لسان حاله وهو يلتفت إلى وطنه الأم: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَـٰلِمُونَ﴾.

فهل هذه حسنة للغرب أو سيئة؟ إن الإجحاف في الحكم من الطرفين الشرق والغرب أوصلنا إلى حالة تأزم في العلاقة وضيق في الأفق وانسداد في طريق التواصل والتحاور، فكيف يقبل المسلمون أفكار من يزعم أن الإسلام دين سيف وعدوان، وكيف يقبل الغرب من يقول منا: إنهم قطيع من الأنعام ليس لهم أي خصلة حميدة، إن الذي يريد أن يلتقي مع الغير على مصالح مشتركة ويريد أيضاً أن يفهمه الآخر فعليه أن يكون عادلاً منصفاً، كما قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ وإن مصيبتنا مع من خالفنا أنه لا ينصفنا فتجده يلغي كل حسنة لديننا ويشطب على كل فضيلة لتاريخنا وبعدها يريد منّا أن ننصفه!! وأيضاً يقابل هذا طائفة منا تنظر لمن خالفها بنظارات سوداء، ترى الدنيا كلها سواد في سوادًا، والمنصفون حتى في مجتمعنا قليلون وهم من يستحق الشكر والثناء الجزيل، وكثير تحمله روح الانتقام على إصدار الأحكام الجائرة في حق من خالفه ولو كان معه في دائرة الإسلام،

فتجد لافتات التكفير والتفسيق والتبديع ويوحي لك بحكمه الظالم أن الجنة له ومن وافقه فحسب: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡ﴾ وإنني أقول دائماً: الحمد لله الذي جعل مفاتيح الجنة عنده ولو كانت عند بعض الناس لما أدخل إلا من وافقه على رأيه: ﴿قُل لَّوۡ أَنتُمۡ تَمۡلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحۡمَةِ رَبِّيٓ إِذٗا لَّأَمۡسَكۡتُمۡ خَشۡيَةَ ٱلۡإِنفَاقِۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ قَتُورٗا﴾.

في الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ أمر بجلد رجل شرب الخمر، فقال بعض الصحابة للشارب: لعنه الله فأنكر عليه الرسول ﷺ قوله وقال له: «لا تقل ذلك فإنه يحب الله ورسوله»، فانظر لهذا الإنصاف لرجل اشتهر عنه كثرة شرب المسكر؛ لأن في الحديث أنه أُتي به مراراً ومع هذا فقد بيَّن الرسول الكريم ﷺ أن هذا الرجل يحمل حب الله وحب رسوله، فلا يجوز أن يُلعن، إنني لا أفسر عدم إنصاف الأشخاص أو الدول أو الشعوب أو الأفكار إلا بضيق الأفق وركاكة العقل ونقص العلم وضحالة الثقافة:

والذي نفسُه بغيرِ جمالٍ

لا يرى في الوجودِ شيئاً جميلاً

إن صاحب الكتاب الواحد والفن الواحد الذي لم يسمح لنفسه بالاطلاع والسماع والحوار لا يحق له أن يتصدر الجموع ليصدر أحكاماً في حق الآخرين، إذاً صار من الواجب على حملة الأقلام وصنّاع الحرف ورواد المعرفة أن يقتلوا القضية بحثاً، وأن يستولوا على المسألة دراسةً واطلاعاً حتى يصلوا إلى الرسوخ العلمي: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ وحتى ينالوا اليقين المعرفي ويخرجوا من دائرة الوهم والظن: ﴿إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـًٔا﴾ شكراً للمنصفين منا ومن غيرنا، وشكراً لأخينا وصديقنا أبي الطيب المتنبي حيث يقول:

وَلَم تَزَل قِلَّةُ الإنصافِ قاطِعَةً

بَينَ الرِجالِ وَلَو كانوا ذَوي رَحِمِ

الضحك على الذقون

كثرة عدد السكان مع الجودة فضيلة عند الأمم لكن الخطأ أن يكثر العدد بلا نفع ولا إنتاج، والإسلام يحث على طلب الذرية الطيبة الصالحة، ولكن إذا تحولت كثرة النسل إلى عبء اجتماعي صار هذا خطأ في التقدير، ونحن في الشرق أكثر الأمم نموًّا سكانيًّا مع ضعف في التربية والتعليم، فقد تجد عند الواحد عشرين ابناً لكنه أهمل تأديبهم وتعليمهم فصار سهرهم في دبكة شعبية مع لعب البلوت وأكل الفصفص بلا إنتاج ولا عمل، بل صاروا حملاً ثقيلاً على الصرف الصحي والطرق والمطارات والمستشفيات، بينما الخواجة ينجب طفلين فيعتني بهما فيخرج أحدهما طبيبًا عالميًّا والآخر يهبط بمركبته على المريخ، وأنا ضد جلد الذات لكن مادام أن الخطأ يتكرر والعلاج يستعصي فالبيان واجب، مازال بعض العرب يرفع عقيرته عبر الشاشات ويقول: **أنا ابن جلا وطلاع الثنايا**، ثم تجده في عالم الشرع لا يحفظ آية الكرسي، وفي عالم الدنيا لم يسمع بابن خلدون وابن رشد.

وتجد الغربي ساكتاً قابعاً في مصنعه أو معمله يبحث وينتج ويخترع ويبدع، أرجو من شبابنا أن يقرؤوا قصة أستاذ ثورة اليابان الصناعية «تاكيو أوساهيرا» وهي موجودة في كتاب (كيف أصبحوا عظماء؟) كيف كان طالباً صغيراً ذهب للدراسة في ألمانيا، فكان ينسل إلى ورشة قريبة فيخدم فيها خمس عشرة ساعة على وجبة واحدة، فلما اكتشف كيف يدار المحرك وأخبر الأمة اليابانية بذلك استقبله عند عودته إلى المطار إمبراطور اليابان، فلما أدار المحرك وسمع الإمبراطور هدير المحرك قال: هذه أحسن موسيقى سمعتها في حياتي، وطالب عربي في المتوسطة سأله الأستاذ: الكتاب لسيبويه مَنْ ألَّفه؟ قال الطالب: الله ورسوله أعلم، والتمدد في الأجسام على حساب العقول مأساة، والافتخار بالآباء مع العجز منقصة، لن يعترف بنا أحد حتى نعمل وننتج، فالمجد مغالبة والسوق مناهبة، وإن النجاح قطرات من الآهات والزفرات والعرق والجهد، والفشل زخّات

من الإحباط والنوم والتسويف، كن ناجحاً ثم لا تبال بمن نقد أو جرّح أو تهكم، إذا رأيت الناس يرمونك بأقواس النقد فاعلم أنك وصلت بلاط المجد وأن مدفعية الشرف تطلق لك إحدى وعشرين طلقة احتفاء بقدومك، ويعجبني قول صديقينا وزميلنا أبي الطيب:

لا يُدرِكُ المَجدَ إلا سَيِّدٌ فَطِنٌ
لِما يَشُقُّ عَلى السَاداتِ فَعّالُ

لَولا المَشَقَّةُ سادَ الناسُ كُلُّهُمُ
الجودُ يُفقِرُ وَالإِقدامُ قَتّالُ

لقد هجر الكثير منّا الكتاب وأصبح يعيش الأمية فلا يحفظ آيةً ولا حديثاً ولا بيتاً ولم يقرأ كتاباً ولم يطالع قصة ولا رواية، ولكنه علّق في مجلس بيته شجرة الأنساب؛ ليثبت لنا أنه من أسرة آل مفلس من قبيلة الجهلة، والوحي ينادي: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾، والتاريخ يخبرك أن بلالاً مولى حبشي وهو مؤذن الإسلام الأول وأن جوهر الصقلي فاتح مصر وباني الأزهر بربري أمهُ تبيع الجرجير في مدينة سبتة، ولكن النفس الوثّابة العظيمة لا تعتمد على عظام الموتى؛ لأن العصامي يشرّف قبيلته وأمته وشعبه ولا ينتظر أن يشرفه الناس، لقد كان نابليون شابًّا فقيراً لكنه جدّ واجتهد حتى أخذ التاج من لويس الرابع عشر، وفتح المشرق وصار في التاريخ أسطورة، وهو القائل: الحرب تحتاج إلى ثلاثة: المال ثم المال ثم المال، والمجد يحتاج إلى ثلاثة: العمل ثم العمل ثم العمل، لقد أرضينا غرورنا بمدح أنفسنا حتى سكرَ القلب بخمر المديح على مذهب جرير: **أَلَستُم خَيرَ مَن رَكِبَ المَطايا؟** وقد ركب الآخر بساط الريح وإف ١٦ والكانكورد، ولو اجتمعنا ما أنتجنا سيارة فلوكس واجن فضلاً عن كراسيدا، ورحم الله امرأ عرف تقصيره فأصلح من نفسه ولا بد أن تقنع المريض بمرضه حتى يستطيع أن يعالج نفسه، على أني أعترف أن عندنا عباقرة ونوابغ يحتاجون إلى مراكز للبحوث ومؤسسات

لرعايتهم ومعامل ومصانع لاستقبال نتاجهم، لقد تركت اليابان الحرب وتابت إلى الله من القتال وتوجهت للعمل والإنتاج، فصارت آيةً للسائلين وكدّس العراق قبل الغزو السلاح واشتغل بحروبٍ مع الجيران فانتهى قادته إلى المشنقة، وجُوِّع الشعب ثم قُتِل وسُحِق، سوف نفتخر إذا نظر الواحد منّا إلى سيارته وثلاجته وتلفازه وجواله فوجدها صناعةً محلية، وأرجو أن نقتصد في الأمسيات الشعرية فإن عشرة دواوين من الشعر لا تنتج صاعاً من شعير، يقول نزار قباني:

وطالعُوا كتبَ التاريخِ واقتنعُوا

متى البنادقُ كانتْ تسكنُ الكتبا؟

وعلينا أن نعيد ترميم أنفسنا بالإيمان والعمل وتهذيب عقولنا بالعلم والتفكر، وهذا جوهر رسالتنا الربانية الخالدة وطريق ذلك المسجد والمكتبة والمصنع، والخطوة الأولى مكتبة منزلية على مذهب الخليفة الناصر الأندلسي يوم ألزم الناس بإنشاء مكتبة في كل منزل وقراءة يومية مركزة، وهذا خير من مجالس الغيبة والقيل والقال وقتل الزمان بالهذيان: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾.

خطاب النخبة

الشرائع السماوية خاطبت الجمهور بلغة قريبة سهلة، لكن المشكلة أن البعض يصعّب العبارة ويعقّد المعلومة؛ حتى لا يفهمه إلا نفرٌ يسير، فإذا تكلم تقعَّر وتشدَّق، والبياض إذا كثر أصبح برصاً، وكان ينبغي على رجال العلم والثقافة وحملة الأقلام عموماً أن يتنـزّلوا بخطابهم إلى جماهير الناس، ولا ينتهي عجبي من كبار المثقفين وهـم يلوكون مصطلحات لا يعرفهـا إلا ابن رشد وجان جاك روسو، وفولتير، ولقد سمعـتُ أحد المفكرين الفلاسفة الكبار وقد جـاوز الثمانين في إحدى القنوات وهو يتكلّـم بحذر وتكلّـف وتنطع، ثم سعل ثم عطس ثم تثاءب ثـم عبس وبسر ثم أدبر واستكبر، يحدثنا عـن الجوهر والعَرَض عند سقراط ونظرية الشك عند ديكارت بعبارات ملغَّزَة كأنها طلاسم فقلت في نفسي: من يفهم هذا الكلام؟

وبعض طلاب الجامعات العرب لا يعـرف هل سقراط صيني أو روسي أو من عمّـال الفحم في ساحـل العاج، وبقيـتُ أشاهد هذا الفيلسوف وهـو يعصر ذهنه ويقطّـب جبينـه؛ ليقول لنا: «إن المعرفـة تنطلق من أُطـر المصطلحات وتنبثق من بوتقـة العلم ألاّ متناهي لنجد فيها الأفكار الماضويّة والأيديولوجيات حسب ذهنية المتلقي المحايد» فقلت: الحمد لله على السلامة ورجعتُ إلى نصوص الوحي وكلام الأنبيـاء وحِكَم العلماء، فوجدتُ السهولة والإشـراق والوضوح، هل نحن في حاجة حتـى نثبت للناس أنا مثقفـون وفلاسفة أن نمطرهم بمصطلحـات غريبة شائكة يُصـاب منها السامع والقـارئ إلى بدوار ودواخ؟ لمن نتحـدث إذا كان جمهورنا لا يفهم ما نقول ولا يعي ما نكتب؟

إن التعصيـب والتعسـير يجيده الكثـير ولكن التيسير والتسهيـل لا يجيده إلا القليـل، وكلام بعض الفلاسفة كلحم جملٍ غثٍّ في إناء مـن ذهب على رأس جبل وعـر، فلا اللحم سمين يستأهل أن يُحمل، ولا الجبل سهل يُرتقى فيه، ثم إن كثيراً

من القضايا الفلسفية قد عفا عليها الزمن وجدّت هناك مصطلحات علمية، فلماذا نخاطب القوم بخطاب أرسطاطليس وجالينيس.

ولقد قرأنا لأساطين العلم والأدب شعراً ونثراً كالشافعي والجاحظ وابن تيمية والمتنبي فوجدنا إشراق العبارة، ووضوح الفكرة وسهولة الجمل وعذوبة اللفظ، بل إن بعض الأدباء يعدُّ مقدمة ابن خلدون لوحات أدبية جميلة مع العلم أن توبني المؤرخ الإنجليزي الشهير يقول: «ما أنتج عقل بشري كمقدمة ابن خلدون، إن بعض مثقفينا يحتاجون إلى دورات تدريبية مع كتب الجاحظ ولسان الدين الخطيب وابن الجوزي؛ ليخرجوا من عقدة التكلّف والأحاجبي والألغاز التي يمطروننا بها صباح مساء وكأنها طلاسم المنجمين، إن أكبر مثقف في عالم الأدب عند العرب هو الجاحظ ومع هذا فلا زال كلامه عذباً سهلاً يذوب رقةً ويفيض إشراقاً ويشع جمالاً كما قال ابن الرومي في محبوبته:

وحديثُها السحرُ الحلال لوَ انَّها
لم تجن قتلَ المسلم المتحرِّزِ

إنْ طال لم يُملَل وإن هي أوجزت
ودَّ المحدَّثُ أنها لم توجزِ

سلام على من أحسن الخطاب وطالع بيان القرآن الآسر؛ ليعيش تلك الفصاحة الباهرة مع ظهور المعنى وحسن السياق وجماليات التركيب، ولقد انبهر العلّامة الزمخشري وهو أحد أساطين البيان العربي من أسرِ وفخامة وحلاوة القرآن، بل لقد دُهِست قريش وهم روَّاد الفصاحة من هذا الكتاب الخالد وأعلن الجميع عجزهم عن معارضته ومجاراته، بل عجبت منه الجن وتواضع له الإنس وسجد في محراب فصاحته العقل مع العلم أن القرآن ميسَّر في فهمه، سهل في معرفة مقاصده بخلاف كلام النخبة الذين وعَّروا مسلك الخطاب وصعَّبوا طريق الفهم على المتلقي، فصارت كتبهم جثثاً هادمة لا روح فيها ولا حياة، فصار يطبع

مـن كل كتاب لهم ألـف نسخة وباعوا منها ثلاثين نسخة بعـد التخفيض، كما قال أحـد فلاسفة العصـر: إن الفلاسفة تقـول كلاماً غير مفهوم إلى قـوم لا يفهمون شيئـاً، وبعض العباقرة يحسن تسهيل العبارة وتيسـير المعلومة ولكنه أحياناً يبتلى بلوثة فيصعِّب، ولهذا لما قال أبو الطيب المتنبي يمدح عضد الدولة:

فَـمـا يُـسـمـي كَـفَـنّـا خُـسـرَ مُـسـم

وَلاً يُـكَـنـي كَـفَـنّـا خُـسـرَ كـاني

فضحك منه الأدباء.

obeikandl.com

فن الحياة

نــوِّع ثقافتك، شكِّل مواهبك، غاير بــين حالتك في المعيشة؛ لأن الرتابة مملة، والاستمرار سأم، ولذلك تنوعت العبادات من صلاة وصيام، وزكاة وحج، وتنوعت الصلاة من قيام وقعود وركوع وسجود.

الزمن يتجدّد: ليل ونهار، وصيف وشتاء، حر وبرد، مطر وصحو.

المكان يتجدّد: جبل وسهل، رابية وهضبة، غابة وصحراء، نهر وغدير.

الألوان تتجدّد: أبيض وأسود، أحمر وأصفر، أخضر وأزرق.

الحيــاة تتجـدّد: فرح وحـزن، محنة ومنحـة، ولادة وموت، غنــى وفقر، سلم وحرب، رخاء وشدة.

كان المأمون ينتقل في بيته وهو يقرأ، وأنشد قول أبي العتاهية:

لا يصلحُ النفسَ ما دامت مدبّرةً

إلاّ التنقل من حال إلى حالِ

اجعـل وقتاً للتلاوة، ووقتاً للتفكُّـر، وثالثاً للذكر، ورابعـاً للمحاسبة، وخامساً للمطالعة، وسادساً للنزهة، وهكذا وزِّع العمر فيما ينفع.

النفـس نفورة، والطبيعة متقلبـة، والمزاج يتضجر، فحـاول أن تكون مسافراً خرّيتاً، وتاجراً صيرفيًّا، تأخذ من كل شيء أحسنه، ومن كل فن أجمله.

إنّ كـدّ النفس على طريقة واحدة، ونسج واحد، قتل لإشراقها وأشواقها، وإن أخذ الطبيعة بالصرامة المفرطة والجد الصارم انتحار لها.

ولكـن ساعـة وساعة، إن هناك بدائـل من أعمال الخير، وأصـول الفضائل، وسنن الهُدى، يمكن للعبد أن ينتقل بين حقولها، ويراوح بين جداولها.

obeikandl.com

ما أحسن الحديقة يوم تضم أشكال الزهور، وأنواع الفواكه، وسائر الأذواق والطعوم، وكذلك حالات النفس وأطوارها، لا بد أن يكون عندها من سعة الأفق، ورحابة المعرفة، ووسائل الحياة، وصنوف الهيئات المباحة ما يسعدها.

وإن كبت النفس في مسارات ضيقة، ورتابة باهتة، ما أنزل الله به من سلطان، يجعل النفس ذاوية منهكة محطمة: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾.

والأجدر بالإنسان أن يضرب في كل غنيمة من أعمال الخير والبر بسهم:

يَوماً يَمانٍ إذا لاقَيتُ ذا يَمَنٍ
وإنْ لَقيتُ مَعَدِّيًّا فَعَدناني

إذاً، فكن ذكيًّا في توزيع الوقت على أعمالك واعلم أنك بعقلك المبدع وفكرك الخلاَّب تحول كوخك الضيق إلى قصر مشيد، وقد تحول بإحباطك وتشاؤمك حديقتك الغناء إلى مقبرة؛ لأن السعادة تنطلق من النفس وليس مما يحيط بالإنسان فتجد العاقل لا يأنس لحياة الجسم فحسب بل يريد مُثُلاً عُليا وأهدافاً سامية، أما الجاهل فهمُّه مطعمه وملبسه، كما قال صديقنا أبو الطيب:

ذو العَقلِ يَشقى في النَّعيمِ بِعَقلِه
وَأَخو الجَهالَةِ في الشَقاوَةِ يَنعَمُ

الحياة جميلة متى نظرت إليها بأمل وحب واستثمار، والدنيا سوداء كالحة متى نظرت إليها بنظارات سوداء، كما قال إيليا أبو ماضي:

أترى الشوك في الورود وتعمى
أن ترى فوقه الندى أكليلا؟

إن قصيدة: (أغنية الفجر) للشاعر العالمي (طاغور الهندي) ملخصها أنه سأل الله أن يرزقه مالاً؛ ليشتري دراجة تحمله إلى السوق، ولكنه التفت فوجد

رجـلاً جالساً مبتور القدمين، فصاح: يا ربّ، شكـراً شكراً ما أريد دراجة تكفيني قدمامي.

لمـاذا لا نستثمر عيوننا الجميلـة وأيدينا القوية وقلوبنـا الحية في صنع حياة كريمـة؛ إنّ عندنا مواهب ربانية عظيمة، لكن الكثير يعطلها ولا يستثمرها فيعيش منكداً محروماً، فلله الحمد على ما أنعم به.

obeikandl.com

القوة العادلة

الإسلام يأمر بالقوة العادلة لا الباغية الظالمة، يقول سبحانه: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾. ونهى عن الاعتداء بالقوة والظلم فقال: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾. وأي حق في الأرض لا تحميه قوة إنما هو نهب مشاع، يقول أبو الطيب:

لا يَسلَمُ الشَّرَفُ الرَفيعُ مِنَ الأَذى
حَتّى يُراقَ عَلى جَوانِبِهِ الدَمُ

وقد قامت دولة الإسلام الأولى بالقوة العادلة، فبسطت الأمن والسلام ونشرت الرحمة والعدل وأنهت كيانات الظلم والاستبداد، وفي تاريخنا المعاصر قام الملك عبدالعزيز آل سعود بمشروع الوحدة والتوحيد وكنا قبل الوحدة خمس دول متناحرة متقاتلة وقبائل متصارعة متشاكسة فأنهى بالقوة العادلة السفك والسلب والنهب، ولو لم يقم بالقوة لما تمت الوحدة أبداً، وهذا جورج واشنطن وحَّد الولايات المتحدة الأمريكية بقوة الحديد والنار وكذلك بسمارك في ألمانيا وهذا مجمع عليه عند عقلاء العالم غير الموسوسين والحمقى، والغرب الآن يمد ذراعاً قوية يملك بها الجو والبحر والبرّ، ولسان حاله يقول:

مَلأنا البَرَّ حَتّى ضاقَ عَنّا
كَذاكَ البَحرُ نَملَؤُهُ سَفينا

ولكن الغرب في المقابل يريد منا نحن المسلمين أن نكون مهذّبين مؤدّبين سامعين طائعين حلوين طيبين متواضعين، فإن سعينا إلى امتلاك القوة فنحن عندهم أشرار فجّار، وفرق بين القوة العادلة والإرهاب الممقوت الذي نرفضه بكل أشكاله وصوره، لكن أن نبقى ضعفاء منزوعي السلاح والدسم ليصدر بحقنا شهادة حسن سيرة وسلوك من أصحاب سجون جوانتانامو وأبي غريب ومجازر

الفلوجة وبعقوبة وغيرها فهذا أمر ممجوج سامج، ثم هل عندنا عهد نطمئن إليه ونثق به من أصدقائنا وأعدائنا ألا يطلقوا علينا الرؤوس النَّووية لتصل من تلّ أبيب ومن طهران إلى الرياض مباشرة مع حسن النية طبعاً وحسن الجوار! لكن عن طريق الخطأ، إن على السعودية وهي الدولة المحور في المنطقة أن تتنبَّه ألف مرة لما يحصل، فرسالتها وموقعها وحجمها يوجب عليها أن تكون الأقوى، فهي في الدين قبلة، وفي الاقتصاد الأولى، وللرسالة المهد، وللعروبة العرين، لكن أخشى أن الثقة في الإخوان والجيران والفرس والرومان سوف تثمر واقعاً مريراً وتاريخاً مختلفاً، والأيام قادمة، والغيب مستور، وعلينا أن نُعدّ العدة بحماية مقدساتنا ورسالتنا وأمتنا، وأشكر صديقي الشاعر خلف بن هذال إذ يقول:

وإن دندنتْ طبلة الحرَّاب دندنا
بآيات حقٍّ عليّ وبلال دندنها

ولي بيتان قلتُ فيهما:

كن أحمرَ العينِ إن المجدَ منتهبٌ
وكن فديتُك مغضوباً ومرهوبا

لم ينفع الشاةَ في الدنيا سكينتُها
والليثُ ما ضرَّه أن ليسَ محبوبا

ويجوز عند الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية أن تكون الدولة قوية، حتى لو صارت نووية وإلا أصبحت مهلبيّة!! لن يُحترم إلا القوي ولا يرحم في هذا العالم إلا الشجاع، حتى القوي يحبه الله تعالى، يقول الرسول ﷺ: «**المؤمن القوي خير وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف**» وشكراً لشوقي القائل:

وَما نَيلُ المَطالِبِ بِالتَّمَنّي
وَلَكِن تُؤخَذُ الدُّنيا غِلابا

إن الحُـروز والتمائـم لا تحمي الأوطـان، وإنما تحميه قـوة عادلة يحسب لها ألف حساب، إن المسلم الصادق لا يَعتدي ولكنه لا يرضى أن يُعتدى عليه وإذا كان الأمريـكان والرومان وإيران وأبناء بن جوريـون وموشى دايان يجهزون النووي في الأفران فلن ينفعنا جماليات ناجي في (**يا حبيبي رحم الله الهوى**).

والحقيقـة أنّا حرصنـا كل الحرص على أن نكون مهذّبـين مؤدّبين ومحبوبين ولكن الغرب رفض ذلك، نقل ديل كارنيجي عن الرئيس الأمريكي إبراهام لنكولن قولـه: «إذا كنت قويًّا احترمنـي الجميع، وإذا كنت ضعيفاً فلـو نزلت الملائكة من السماء تشهد لي ما صدقني أحد».

تحياتي للمؤمنين الأقوياء

obeikandl.com

صح النوم يا عرب

في الحديث الصحيح: «**ويل للعرب من شرٍ قد اقترب**»، ولكن العرب في غفلة عما يُراد بهم، يعقد العرب قمماً محفوظة التوصيات فإن وجّهت لإسرائيل كان النص: (يجب على إسرائيل أن تنسحب من دون قيد ولا شرط)، وإن كانت في الخليج كان النص: (يجب على إيران أن تنسحب من جزيرة طنب الكبرى وطنب الصغرى وجزيرة أبي موسى)، لكن إسرائيل وإيران أذكى من أن تخادعا كما يخادع الصبيان، ويلعب عليهما كما يعلب على الولدان، فلذلك قام الآيات في طهران بتخزين النووي في الأفران، وقام الحاخامات أتباع موشى دايان بتجهيز المزدوج لوقت العدوان: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

ونصيحتي أن يحوّل العرب تكاليف القمم ويصرفوها في مجمعات سكنية للفقراء، أو ملاجئ للأيتام، أو حفر آبار للمساكين، أو يجمعوا هذه التكاليف الباهظة التي تُصرف في الفنادق والتشريفات والضيافات فيقيموا بها مفاعلاً نوويًّا ولو كان في ذلك عقوق للغرب وخروج عن طاعته (لكن ما باليد حيلة)، وأرجو من العرب التخفيف من حسن النية بالجيران والإخوان، فوالله لو حلف الآيات في إيران، بين الركن والمقام في رمضان على القرآن في ساعة الاستجابة أن قصدهم بالمفاعل النووي كمبوديا والخمير الحُمر لما صدّقهم عاقل، وليت العرب سمعوا صديقي الشاعر خلف بن هذال:

ولا تامن فروخ الداب لو عاشن وبوهن مات

تجيك الصبح بانيابٍ تناسل كنّها انيابه

وإلى متى نصدق عواطفنا المجنّحة؟ فجمال عبدالناصر وعدنا أنه سوف يرمي إسرائيل في البحر ثم سلّم لهم سيناء وسجن علماء وطنه ثم شنقهم، وصدام حسين حلف أن يحرق نصف إسرائيل بالكيماوي المزدوج فأحرق الكويت

ونجت إسرائيل، وأحمدي نجاد طلّق بالثلاث أن يزيل إسرائيل من على الخارطة، وأخشى أن يزيلنا نحن وتبقى إسرائيل!!

أيها العرب، يسلم عليكم زهير، ويقول:

وَمَن يَذُدْ عَن حَوضِهِ بِسِلاحِه
يُهَدَّم ومن لا يظلم الناس يظلمِ

ويقول لكم أبو الطيب صباح الخير يا عرب، صح النوم يا إخوة، أما قرأتم أنشودة الكفاح لي:

وَمَن عَرَفَ الأَيّامَ مَعرِفَتي بِها
وَبِالناسِ رَوّى رُمحَهُ غَيرَ راحِمِ

فَلَيسَ بِمَرحومٍ إِذا ظَفِروا بِهِ
وَلا في الرَّدى الجاري عَلَيهِم بِآثِمِ

يقول عوام نجد: (يا زين الطرير، ولو بحلقي) يعني ما أحسن السيف الحاد البتَّار ولو قطع حلقي، ويقول الشاعر الجنوبي ابن عزيز (جعل راس بلا ناموس تكسر عظامه) لن تنفعنا العرضات الشعبية إذا التهب الجو، وأظلمت السماء: ﴿بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ﴾.

إن المواثيق والكتب لا تجدي مع قوة الآخر وسلاحه وفتكه، يقول ستالين: (لا تحدثني كم عند البابا من كتاب، ولكن كم عنده من دبّابة) ذكر ذلك الداود في كتاب (متعة الحديث)، يقول نزار قباني:

يا ابن الوليد ألا سيف تُؤجِّره
فإن أسيافنا قد أصبحت خشبا؟

ومن حقنا كمواطنين عرب أن نطلب من القيادات حمايتنا والاستعداد للخطر القادم، وعلينا أن نتوب من حفلات الانتصار ورفع أقواس النصر، كما قال الدكتور غازي القصيبي عن الزعيم المزعوم:

تمشي الهزيمةُ مشياً فوقَ منكبِه
لكنّه باحتفالِ النصرِ في شُغُلِ

أيها العرب: والله لو جدَّ الجد وأرسلت عليكم الشهب من خرم شهر وتل أبيب ما تنفعكم الأسهم والبورصات والجلسات والكبسات والأمسيات والحفلات، ومن أنذر فقد أعذر، يقول الدكتور سلمان العودة: (لقد استغرقنا حياتنا في جزئيات صغيرة قضّينا فيها العمر على حساب قضايا مهمة ومسائل كبرى، فتخلَّف بنا الركب).

ولعلمكم، فقد اتجهت مركبة فضائية إلى كوكب عطارد ونحن مشغولون بالتراث الشعبي، وكلما نصحناهم قالوا: (الذي ما له قديم ما له جديد)، فهل قديمنا جفنة مكسَّرة وآنية فخار بالية، ورشى حبال ممزّقة، وفأس ومنجل ومطرقة، فأصبحنا نخجل من العالم أن يشاهدوا وضعنا، يقول الدكتور أحمد التويجري:

إذا تفاخرَ بالأهرامِ منهزمٌ
فنحنُ أهرامُنا سلمانُ أو عمرُ

أهرامُنا شادَها طه دعائمُها
وحيٌ من اللهِ لا طينٌ ولا حجرُ

اشكر حسّادك..!

النقد الموجّه إليك يساوي قيمتك تماماً، وإذا أصبحت لا تُنقد ولا تُحسد فأحسن الله عزاءك في حياتك؛ لأنك متَّ من زمن وأنت لا تدري، وإذا أصبحت يوماً ما وجدت رسائل شتم وقصائد هجاء وخطابات قدح فاحمد الله، فقد أصبحت شيئاً مذكوراً وصرت رقماً مهمًّا ينبغي التعامل معه، إن أعظم علامات النجاح هو كيل النقد جزافاً لك، فمعناه أنك عملت أعمالاً عظيمة فيها أخطاء، أما إذا لم تُنقد ولم تُحسد فمعناه أنك صفر مكعَّب: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ﴾. يقول صاحب كتاب (دع القلق): إن الناس لا يرفسون كلباً ميّتاً، ولكن أبا تمام سبق لهذا المعنى فسطَّره وعطَّره وحبرَّه، فقال:

وَإِذا أَرادَ اللهُ نَشرَ فَضيلَةٍ
طُوِيَت أَتاحَ لَها لِسانَ حَسودِ

يقول أحد الكتّاب: عليك أن تشكر حسّادك؛ لأنهم تبرعوا بدعاية مجانية نيابة عنك، وإذا وجدت هجوماً كاسحاً ضدك من أصدقائك الأعداء أو من أعدائك الأصدقاء فلا ترد عليهم، بل سامحهم واستغفر لهم وزده في إنتاجك وتأليفك وبرامجك فإن هذه أعظم عقوبة لهم، يقول زميلي أبو الطيب:

إِنّي وَإِن لُمتُ حاسِدِيَّ فَما
أُنكِرُ أَنّي عُقوبَةٌ لَهُمُ

إن نقد أعدائنا الأصدقاء يقوِّم اعوجاجنا الذي ربما أعمانا عنه مديح الجماهير وتصفيق المعجبين، يقول غوته: إن الدجاجة حينما تريد أن تبيض وتقول: قيط..قيط تظن أنها سوف تبيض قمراً سيّاراً، فالعالِم لكثرة ما يمدح يظن أن الله لطف بالخلق لمّا أوجده في هذا الزمن، والمسؤول إذا أُثني عليه بقصائد يحسب أن الملائكة في السماء تصفّق له، إذاً فلا بد من وخزات نقدية؛ ليستيقظ

العقل المبنَّج بإبر أهل المدح الزائف الرخيص، يقول أحد الفلاسفة: إذا رُكِلتَ من الخلف فاعلم أنك في المقدمة، إن التافهين ليس لهم نقّاد ولا حسّاد؛ لأنهم كالجماد تماماً، وهل سمعت أحداً يهجو حجراً أو يسب طيناً؟! وتذكر أن الكسوف والخسوف للشمس والقمر، أما سائر النجوم فلم تبلغ هذا الشرف.

يقول زهير:

مُحَسَّدونَ عَلى ما كانَ مِن نِعَمٍ
لا يَنزِعُ اللهُ مِنهُم ما لَهُ حُسِدوا

ذكروا عن العقاد أن أحد الكتّاب شكا إليه تهجم الصحافة عليه، فقال: اجمع لي كل المقالات التي هاجمتك، فجمعها فقال له: رتّبها وضع قدميك عليها فلما فعل، قال له: لقد ارتفعت عن مستوى الأرض بمقدار هذا الهجوم ولو زادوا في نقدهم لزاد ارتفاعك، يقول ابن الوزير:

وشكوتُ من ظلمِ الحسودِ ولنْ تَجِد
ذا سؤددٍ إلا أصيب بحُسَّدِ

إن أصدقاءك الأعداء وإن أعداءك الأصدقاء لم ينقموا عليك لأنك سرقت أموالهم أو اغتصبت دورهم ولكنك فقتهم علماً أو معرفة أو مالاً أو حققت نجاحاً باهراً، فلا بد أن يقتصّوا منك جزاءًا وِفاقاً لتصرفك الأرعن؛ لأن الواجب عليك عندهم أن تبقى تحتهم بدرجة، إذاً فلا تنتظر من حسّادك شهادات حسن سيرة وسلوك ودعاء في السحر، بل توقَّع قصائد عصماء مقذعة وخطباً نارية بشعة ومقامات أدبية مشوّهة.

والمشكلة أن صديقك الحاسد يرفض دستور المودة وأنت تعرضها عليه ويبحث عن آخرين يصنع معهم الصداقات، كما قالت الشاعرة البارعة رضي الله عنها:

الّلي يبينا عيّتْ النفسْ تبغِيهْ
والّلي نبي عيّا البَختْ لا يِجيبه

العفو العام

ينبغي للإنسان أن يصدر كل ليلة عفواً عامًّا قبل النوم عن كل من أساء إليه طيلة النهار بكلمة أو مقالة أو غيبة أو شتم أو أي نوع من أنواع الأذى، وبهذه الطريقة سوف يكسب الإنسان الأمن الداخلي والاستقرار النفسي والعفو من الرحمن الرحيم، وطريقة العفو العام عن كل مسيء هي أفضل دواء في العالم يصرف من صيدلة الوحي: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾، ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، يا من أراد الحياة في أبهج صورها وأبهى حُللها، اغسل قلبك سبع مرات بالعفو وعفّره الثامنة بالغفران، قام رجل يسبُّ أبا بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ويقول: والله لأسبنَّك سبًّا يدخل معك قبرك، فقال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بل يدخل معك قبرك أنت، وسبَّ رجلٌ الإمام الشعبي، فقال الشعبي: إن كنتَ كاذباً فغفر الله لك، وإن كنتَ صادقاً فغفر الله لي.

إن تحويل القلب إلى حيّات للضغينة وعقارب للحقد وأفاعٍ للحسد أعظم دليل على ضعف الإيمان وضحالة المروءة وسوء التقدير للأمور، وكما يقول شكسبير: لا توقد في صدرك فرناً لعدوك فتحترق فيه أنت، ما أطيب القلب الأبيض الزلال، ما أسعد صاحبه، ما أهنأ عيشه، ما ألذّ نومه، ما أطهر ضميره، ثم هل في هذا العمر القصير مساحة لتصفية الحسابات مع الخصوم، وتسديد فواتير العداوة مع المخالفين؟ إن العمر أقصر من ذلك، وإن الذي يذهب ليقتصّ من كل من أساء إليه وينتقم من كل من أخطأ عليه سوف يعود بذهاب الأجر، وعظيم الوزر، وضيق الصدر، وكثرة الهم مع قرحة المعدة، وارتفاع الضغط، وقد يؤدي ذلك إلى جلطة مفاجئة أو نزيف في الدماغ ينقل صاحبه مباشرة إلى العناية المركّزة ليضاف لقتلانا ممن مات في قسم الباطنية صريعاً للتخمة بعد أكلة شعبية قاتلة، إن أفضل أطباء العالم هم ثلاثة: الدكتور بهجت وتخصصه السرور والفرح والعفو والصفح، والدكتور هادئ وتخصصه أخذ الأمور بهدوء والدفع بالتي هي أحسن،

والدكتـور رجيم وتخصصه عمل رجيم للجسم؛ لمنعه من كل ضار ومن الإكثار من المشتهيات التي يدعو إليها الشيطان الرجيم.

أيهـا النـاس: الحياة جميلة، ألا تـرون النهار بوجهه المشرق وشمسه الساطعة وصباحـه البهيج وأصيلـه الفاتن وغروبه الساحر، لماذا لا تشـارك الكون بهجته؟ فتضحـك كمـا تضحك النجوم، وتتفـاءل كما تتفاءل الطيـور، وتترفق كما يترفق النسيـم، وتتلطـف كما يتلطف الطّل، الحيـاة جميلة إذا أخرجتـم منها الشيطان والشر والشك والشتم والشؤم والشماتة وشارون، والمشكلة أن بعضنا متشائم تريه وجـه الشمس فيشكـو حرّها، وتخرج له الزهرة فيريـك شوكها، وتشير إلى نجوم الليل فيمتعض من ظلمته، إذاً أقترح عليك أن تصدر الليلة مرسوماً بالعفو عن كل من أساء إليك وبعدها سوف تنام ليلة سعيدة لم يمر بك ليلة أجمل منها، كما قال صديقي الشريف الرضي:

يـا لَـيـلَـةَ الـعـفـو أَلَاّ عُـدتِ ثـانِـيَـةً؟
سَـقـى زَمـانَـكِ هَـطّـالٌ مِـنَ الـدِيَمِ

هنيئاً للعافين عن الناس، قبلات على رؤوس الكاظمين الغيظ، باقات ورد لمن سامح وأصلح، مع الشكر الجزيل للمقنع الكندي حيث يقول:

وَلا أَحـمِـلُ الحِـقـدَ الـقَـديمَ عَـلَـيهِمُ
وَلَـيسَ كَـريمُ الـقَومِ مَـن يَـحمِلُ الحِقدا

الإنسـان السـوي والمؤمـن الراشد يكـون منـزوع الدسـم من السم، عنـده براءة اختراع لمكارم الأخلاق، مختومٌ على جبينه خاتم: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾، غفر الله لنا إساءتنا للغير، وغفر الله لمن أساء إلينا وغداً نلتقي في الجنة إن شاء الله تحت مظلة: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾، وقد قلتُ في قصيدتي (أنشودة الطفولة):

فيـا أيـهـا الإنـسـانُ هـاكَ صـداقـةً
أبــرّ مــن الأمِ الــرؤومِ وأحدبــا
تـعـالَ نـعـيـد الـوصـلَ عـهـداً مباركاً
وخـذنـِي أخـاً إذ كـانَ آدمُ لـي أبـا
إذا كنـتَ قــابيـلَ الـعـداوةِ والـرّدى
فـإنِّي أنــا هـابيـلُ رأيًــا ومذهبا

obeikandl.com

هل يجوز بيع دم القتيل..؟

انتشرت في الآونة الأخيرة ظاهرة العفو عن القاتل مقابل ملايين من الريالات، قد تصل إلى العشرة أو أقل أو أكثر، وما أدري كيف تُسمى هذه الطريقة عفوًا لوجه الله؟ إن الإسلام أوجب القصاص أو الدية أو العفو، فإما قصاص تذهب فيه النفس بالنفس؛ ليأمن المجتمع وتنكسر شوكة القتلة وتُصان الدماء وتُحفظ الأنفس: ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاأُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ وإما دية محددة يأخذها ولي الدم ويتفق عليها من قبل الدولة ويرعى تحديدها ولي الأمر بما يراه العلماء مناسباً للعصر، وإما عفوٌ لوجه الله لا يأخذ فيه ولي الدم قطميراً أو نقيرًا، بل له الأجر من الله وحده، كيف نفهم العفو من ولي دم يقول: عفوت لوجه الله مقابل ٨ ملايين ريال وأربعة جيوب لكزس ٨ سلندر!! وآخرٍ يقول: عفوت لوجه الله مقابل مخطط في شمال الرياض ودار سكنية في مكة ومزرعة للعيال!! فكيف يكون هذا من أهل العفو والصفح؟!

وقد أشرفتُ على قضايا طلب بعضهم الستة والسبعة والثمانية ملايين وهو عند نفسه قد عفا لوجه الله وقد تفضل مشكوراً على القاتل وأهله، ومن أين يجمع ولي الدم هذا المبلغ الذي تعجز عنه القبيلة بأسرها؟ فيركبه هم الدين وشماتة الشحاذة أمام الناس، وهنا واجب الدولة التدخل السريع أمام هذا البيع العلني لدم القتيل ومخالفة الشريعة؛ لأن ولي الدم لم يأخذ بالقصاص ولا بالدية المحددة ولم يعفُ لوجه الله وإنما انتقل إلى المزاد العلني في بيع دم القتيل، هل دماء المسلمين تُباع بهذا الرخص؟ إن قطرة من دم الإنسان أفضل من كنوز الدنيا، فلماذا نترك الحبل على الغارب أمام الجشع والطمع لأناس لمّا قُتل إخوانهم وأبناؤهم أخذوها فرصة لجمع الملايين وأخذ المخططات والفلل واشتراط سيارات المرسيدس مع تحديد الموديل والمواصفات، ولماذا يتدخل بعض الأعيان والتجار في غياب الدولة لبذل أموالهم، وأحدهم لا يستحي من الله وجاره يبيت جائعاً بجانبه، وآخر يرى

الأطفال الأيتام يتسوّلون في الشوراع فلا يرفّ له جفن ولا تفيض منه دمعة ولا تجود يده بريال.

نحن إذاً أمام مشكلة اجتماعية كبرى غاب عنها المسؤولون والعلماء، وهي: المزايدة في بيع دم القتيل تحت اسم العفو لوجه الله وهذا تضليل للمصطلحات الشرعية، وأعرف بعض القضايا باع فيها أهل القاتل دورهم ومزارعهم؛ ليدفعوها لولي الدم الذي عفا بزعمه لوجه الله، أي عفو يا أخي، ورصيدك وصل العشرة ملايين ريال وبعض الأسر عجزت أن تجد ألف ريال تشتري به لحماً وخبزاً، إذاً لنعد إلى الشريعة في القصاص أو الدية المعروفة أو العفو بلا مقابل ولترعَ الدولة المسلمة هذه الأحكام التي فيها صلاح العباد والبلاد، أما أن تترك الأمور لتخمينات الطامعين والجشعين الذين لا يعرف بعضهم نواقض الوضوء فهذا إهمال وتفريط، إن الشريعة عظيمة؛ لأنها ربّانية ولهذا حدّدت المسارات في القصاص والدية والعفو وحثت على العفو والمسامحة، ولكنها لم تترك الأمر نهباً مشاعاً للقبائل والعشائر يحددونه هم، بل أوجبت على ولي الأمر أن يرعى تنفيذ هذه الأوامر الشرعية، ثم أقول لمن يدعي أن في القصاص همجية: تبّت يدك وسحقاً لك، والله لقد رأينا الأمن استتب، والقاتل ارتدع، وعصابات الجريمة دُمِّرت، وأمِنَ الناس على دمائهم وأموالهم: ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ ولقد عادت بعض الدول الغربية الكبرى إلى مسألة إعدام القاتل؛ لأنهم وجدوا أن القتل انتشر وأنه لا يردع القتلة إلا قتل النفس بالنفس، فسبحان الله الخالق الحكيم ما أعدله في خلقه وما أعلمه بما يصلح الدولة والأمة والمجتمع والفرد:

من بلادي يُشرقُ الحقُّ ولا
يشرقُ الحقُّ من الغرب الغبي

وبها مهبطُ وحي اللهِ بلْ
أرسلَ اللهُ بها خيرَ نبي

قل: هو الرحمن آمنا به
واتبعنا هادياً من يثربِ

أنقذونا من سرطان العصبية القبلية

يهـدد مجتمعنا اليـوم سرطان العصبيــة القبلية التي أصبحت تُثــار بشكل بشع ممقوت، يقـوم بذلك بعض الشعراء الشعبيين العـوام، تساندهم بعض القنوات التي لا تفكـر في العواقـب، فأصبحنا نُمطر صباح مساء بقصائد هوجاء يمدح بها الشاعر قبيلتـه ويمجدها ويرفعهـا فوق النجوم وكأن هـذه القبيلة صاحبـة البطولات في بدر والقادسية واليرموك ويعرِّض بغيرها من القبائل، وإذا نظرت إلى هذا الشاعر وجدت تعليمـه لا يتجاوز (خامس ليلي) من محو الأمية في يسـاره سيجارة يشعلها بسيجارة قـد تفحّمت أسنانه واسـودت شفتاه وأعفـى شنبه حتى وصل أذنيه، ثـم تقوّس حتى كأنه قرنا خروف نعيمي، لماذا هذه الصرخات القبلية والعصبية الجاهلية؟ لماذا تُثار الآن بعدما وحدَّنا الإسلام ثم اجتمعنا تحت راية لا إله إلا اللّه محمد رسول ﷺ؟ هل يؤمـن هؤلاء حقاً بمبدأ: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾ اللّه أعلم بما في قلوبهم، أنــا أعـرف أن الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقِهوا، لكن أن نسلم ديننا ومبادئنا ووحدتنا واجتماع شملنا لبعض الشعراء الجهلة السفهاء وبعض القنوات التي لا تفكر إلا في الشهرة وابتزاز الأموال فهذا أمر خطير جد خطير، أنقذوا البلاد والمجتمع من سرطان العصبية القبلية ومن ريح العنصرية الجاهلية.

سمع الرسول ﷺ رجلين يفتخران بالقبيلة على حساب القبيلة الأخرى، فقال: «**دعوهـا فإنها منتنة**»، من أشد الحـرام أن نربي أجيالنا على النعرات الجاهلية، ومـن أعظم المنكر أن نسعى في هـدم كيان الدولة المسلمة بمعاول الهدم والتفرقة، عيـب علينا أن نفـرّق الصف بالفخـر بالقبيلـة والتعريض بالقبائـل الأخرى، إن الفاسـد في حياته والمحبط في نفسه والذي يشعر بمركَّـب النقص يريد أن يعوّض ذلك بمدح قبيلته فحسب وإضفاء الثناء عليها وحدها وإهمال غيرها من القبائل، إن المجتمعـات التي مازالت القبائل فيها تكوِّن بـذور المجتمع كدول الخليج عموماً سـوف تقع فريسة لهؤلاء الحمقى الذين سوّل لهـم الشيطان تقديس القبيلة حتى

إن بعضهم لا يحفظ له قصيدة في الثناء على الله -عز وجل- أو الدفاع عن رسوله المصطفى والمجتبى ﷺ أو الإشارة بالرسالة الخالدة، أو الدعوة لمكارم الأخلاق أو التنويه بالوحدة وجمع الكلمة، وإنما قصائده كلها نعرات جاهلية وعصبية قبلية، فمثل هذا يُوقف عند حده ولو قالوا له: لا تلعب بالنار أيها السفيه، فمثلاً نحن في المملكة العربية السعودية جمعنا الله بفضله في كيان واحد ودولة واحدة فضلاً من الله ونعمة وكنّا قبل نتقاتل ونتهاجى بأبشع السّب وأقذع الشتم، حتى قامت القبائل ببناء حصون الحرب مع القبائل الأخرى وما زالت بعض هذه الحصون قائمة للعيان وأدعو إلى هدمها؛ لأنها تذكر بالإحن والعداوات والثأر.

فلما تمّت الوحدة واجتمع الشمل صار الثناء على الكيان كله والمدح للمجتمع بأسره، حتى استيقظ الشيطان في رؤوس بعض الشعراء الأغبياء فقاموا بتقسيم البلاد في قصائدهم وتشتيت الشمل في أبياتهم وعادوا إلى كهنوت القبلية ونسوا الدين والدولة وأغفلوا التوحيد والوحدة ولو كان عمر حيّاً لبطح الواحد منهم على بطنه وأدبه بالدِّرة حتى يخرج وساوس الشيطان من رأسه، ماذا نفع أبا لهب الهاشمي القرشي نسبه؟ وماذا ضرَّ بلال بن رباح المولى الأسود الحبشي نسبه؟ أيها الشعراء، احترموا أنفسكم، ارفعوا رؤوسكم، طهِّروا ألسنتكم، قبل أن تؤدِّبكم سياط الدولة ومن أنذر فقد أعذر، نحن أمة واحدة، ربنا واحد، ورسولنا واحد، وديننا واحد، وقبلتنا واحدة، فلماذا التفرقة والعنصرية والدعوة الجاهلية وبث بذور الفرقة والفتنة:

مجدُنا ملحمةٌ عنوانُها:
نحنُ في بدرٍ قتلْنا الوثنا

وطني لا وطنٌ يشبهُهُ
تعشقُ الأوطانُ هذا الوطنا

هواة الفتوى يُغرِقون السفينة

أصبحت الفتيا الشرعية في المزاد العلني، وصار الكثير ممن عنده حد أدنى من العلم الشرعي يفتي في المسائل الكبرى العامة بلا ورع ولا تأمل، وفي الأثر: (**أجرؤكم على الفتيا أجرؤكم على النار**) بل بعضهم معه ستة تلاميذ يرى أنهم الطائفة المنصورة والفرقة الناجية وما عداهم ضلّال مرتدون أفّاكون آثمون، فالحكام كفّار، والكتّاب زنادقة، والشعراء فجرة، والعلماء علماء سلطة، والدعاة مدلِّسون، والموظفون ظلمة، والتجار غشّاشون، ففعل فعل أبي حمزة الخارجي يوم قال لصاحبه: لن يدخل الجنة إلا أنا وأنت، قال صاحبه: سبحان الله جنة عرضها السماوات والأرض لا يدخلها إلا اثنان؟ تركتها لك!! فهذه ليست بجنة الله التي وعد عباده، حاورتُ أنا والدكتور سعد البريك شابًّا يحمل شهادة الثالثة المتوسطة ترك الدراسة وعكف على الكتب يفهمها بنفسه، فحرَّف النصوص وتأوّل الأدلة وخرج بفهم مضحك للشريعة، وذكرنا له ابن باز وابن عثيمين فهوَّن من شأنهما وحطَّ من قدرهما، والعجيب أنه يفتي في المعتقد والدماء والولاء والبراء التي هي من أصعب المسائل على الإطلاق وبعد جلسات غُسل دماغه من الوسوسة والحمد لله.

كان في عهد عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رجل يُدعى صَبيغ بن عَسَل يفتي ويضارب بين الأدلة بلا فقه ولا ورع، فدعاه عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وبطحه أمام الناس وعلاه بالدِّرة حتى أغمي على الرجل، فلما أفاق قال: أصبحنا وأصبح الملك لله، فقال عمر: كيف تجدك؟ قال الرجل: ذهب عني ما أجد يا أمير المؤمنين، وشُفيتُ بإذن الله، عندنا مواقع للإنترنت وقنوات فضائية تعجّ بمفتين لا يملكون أهلية الفتيا، فلا حفظ ولا فهم ولا علم بمقاصد الشريعة ولا معرفة بالواقع، أخرجوا فتاوى مشوَّهة شاذّة متناقضة متضاربة، فأحدهم يُردّد في إحدى القنوات كلما سُئل عن مسألة: لا بأس بذلك لا بأس بذلك، والآخر يردد: أظن والله أعلم والظاهر والأحوط ونحو ذلك من العبارات التي تنبئ عن ضحالة في العلم ونقص في العقل وضمور في المعرفة، كيف

تسلّم الأمة دينها ودنياها لمفتين لم يُعرف عنهم الصبر على طلب العلم ولا الرسوخ في فهم الأدلة ولا التّفقه في الدِّين؟

كيف نضع مستقبل أجيالنا ومصير أمتنا بأيدي أناس يفتون في مسائل توقف فيها كبار العلماء، ولو عُرِضت على عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لجمع لها أهل بدر، متى تُوحَّد الفتيا في العالم الإسلامي من جاكرتا إلى نواكشوط بل في الدنيا بأسرها؛ لأن في كل صقع مسلمين ويكون لهذا الاتحاد إمكانيات ويُزوّد بالعلماء المقتدرين الراسخين، مع عشرات المترجمين بقنوات فضائية وخطوط هاتفية حيّة على مدار الليل والنهار، يا من تعجل في الفتوى، يا من تسرّع في التكفير والتبديع والتفسيق والتضليل: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ٤ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾؟ إن الفتوى توقيع عن رب العالمين فويل لمن أخطأ في التوقيع عن الواحد القهار، إن الإنسان عنده من الذنوب والتقصير ما يغرقه في بحار الندم، فكيف يتحمّل ذنوب الناس وأخطاء البشر؟

أيها العلماء، اضبطوا الفتوى السائبة، وامنعوا التلاعب بالشرع المطهَّر، وخذوا على يد السفيه الذي يلعب بالنار؛ لأنه لما تُرك الحبل على الغارب تجرأ صغار طلبة العلم على الفتيا في المسبحة وزكاة الحلي وإسبال الثوب والتصوير، فلما سُكِتَ عنهم أفتوا في النوافل والفرائض والشروط والواجبات، فلما سُكِتَ عنهم أفتوا في العقيدة والدماء والولاء والبراء فصارت الفتيا نهباً مشاعاً فهلك بهؤلاء الحرث والنسل، إن نصف عالم يفسد الأديان، ونصف طبيب يهلك الأبدان، ونصف مهندس يخرِّب العمران، كان الصحابة يتدافعون الفتيا ورعاً وخوفاً من الله، وسُئل الإمام مالك عن أربعين مسألة فأجاب عن ثماني مسائل وقال في اثنتين وثلاثين مسألة: لا أدري، فقال له السائل: الإمام مالك لا يدري؟! فقال مالك للرجل: اذهب إلى الناس وقل لهم: مالك لا يعرف شيئاً، مع العلم أن الإمام مالك قال عنه العلماء من معاصريه: لا يُفتى ومالك في المدينة، وقال عنه الشافعي: إذا ذُكر العلماء فمالك النجمُ، يقول الشاعر:

ومـالـكُ حـيـثُ أفـتَـى في مـديـنـتِـه
فـلـسـتُ أرضَـى بـفـتـوى غـيـر فـتـواهُ

فقل لي بربك: ما مقدار علم هؤلاء المتسرعين الجهلة مع علم مالك، بل بعضهم أصبح منظِّراً لمذهب أهل السنة والجماعة، فمن وافقه فهو على الصراط المستقيم، ومن خالفة فهو في ضلال مبين:

ويـفـتِـي -جـاهـلاً- في كـلِّ فـنٍّ
ولا يـدرِي طـحـاهـا مِـنْ دحـاهـا

يقول تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾.

obeikandl.com

أعوذ بالله من السياسة

ينبغي على العلماء والدعاة ألا يغرقوا في السياسة؛ فإنها مشؤومة تدخل العالِم والداعية في دهاليز مظلمة، والسياسة متقلِّبة، كالحرباء كل يوم لها لون، وهي تقوم على لعبة النفاق الدبلوماسي، وتغيير المواقف حسب المصلحة، وهذا ينافي العلم النافع القائم على الوضوح والصدق والصراحة، وهذا لا يعني أنه ليس في الإسلام سياسة؛ فالإسلام جاء للدين والدولة والدنيا والآخرة والرسول ﷺ هو مؤسس دولة الإسلام، وخلفاؤه الراشدون هم أفضل حكّام في العالم، لكن تغيّر الزمان، واختلط الحابل بالنابل، وكثرت الفتن والمحن ما ظهر منها وما بطن، فإذا زجَّ الدعاة والعلماء بأنفسهم في السياسة، وتهالكوا على طلب الحكم والمنصب خسروا علمهم ودينهم، ثم خسروا رؤوسهم، فعلى العالِم أن يكون ربّانيًّا حكيماً مصلحاً يدعو الناس إلى جنّات النعيم، ويهذِّبهم بالوحي، ويربيهم على مكارم الأخلاق، ولا ينشغل بالبحث عن الكرسي؛ فإن هذا خذلان وضياع للزمان، وبالله هل علماء العصر أذكى من الأئمة الأربعة والغزالي وابن تيمية وقد فرّوا من المناصب، فرفضوا الولايات، بل إن بعضهم جُلِد وهُدِّد كأبي حنيفة ليتولّى القضاء فرفض؟

فخلف من بعدهم خلفٌ يسعون بكل ما أُوتوا من قوة إلى الولاية والمنصب والكرسي مهما كان الثمن، لتصبح دروس الواحد منهم ومحاضراته وخُطَبُه وتوجيهاته كلها سياسة في سياسة، فيهجر القرآن والسنة النبوية، ويصبح منظِّراً سياسيًّا يذكّرك بمنظّري الحزب الواحد والضباط الأحرار وقادة الثورة والبلاشفة الحُمر، فيذهب عنه بهاء العلم ووقار الشريعة، ويشغل نفسه بالهذيان وهجر القرآن، ولو كان الاشتغال بالسياسة رأياً حكيماً لرأيت سعيد بن المسيب وسفيان الثوري والحسن البصري أحرص الناس على ذلك، لكنهم هربوا من الفتنة، واشتغلوا بفهم الكتاب والسنة، وربوا الأجيال بالوحي المبارك، وتركوا لنا علماً غزيراً مباركاً. وانظر لمن تأوَّل مجتهداً في طلب الرئاسة والاشتغال بالسياسة ماذا

حصل له؟ ويكفيك أن تقرأ أخبار الحكّام ومصارع من قتلته السياسة، فالحسين بن علي قُتِل مظلوماً شهيدًا، وابن الزبير مصلوبًا، وأخوه مصعب مذبوحًا، والأمين مخلوعًا، والمعتمد بن عبّاد مسجونًا، وابن بقية مقطّعًا، وابن مقلة ممزَّقًا، ومروان الحمار محترقًا، والقاهر مسمولاً، وابن المعتز معفَّرًا، والوليد بن يزيد مسحولاً، والمتوكل منحورًا، وابن الفرات مخنوقًا، والسادات مقتولاً، ويحيى حميد الدِّين مغتالاً، والأرياني منفيًا، والحمدي مشدوخًا، والغشمي مرضوخًا، وابن بِلاَّ مفصولاً، وعيدي أمين مضاعًا، وشاه إيران مبعدًا، وهتلر منتحرًا، وضياء الحق ملغَّمًا، وكندي مغدورًا، وصدام مشنوقًا، حتى انتهى الحال بالأستاذ الشيخ محمد عبده إلى أن قال: أعوذ بالله من (ساس يسوس فهو سائس)، وقال النورسي: لعن الله (ساس يسوس)، ولكن الكثير لا يتوب منها حتى تعضّه بأنيابها، وتطؤه بأخفافها، وتنطحه بقرونها. قال حكيم لابنه: يا بني، لا تكن رأساً؛ فإن الرأس كثير الأوجاع. ويقول أبو العلاء المعري:

يَسوسونَ الأُمورَ بِغَيرِ عَقلٍ
فَيَنفُذُ أَمرُهُم وَيُقالُ: ساسَة

ويقول الشاعر اليمني محمد الشامي:

عِفتُ السيَاسَةَ حتى ما ألِمُّ بها
وقد رددتُ إليها كلَّ ميثاقِ

لأنَّها جَشَّمتني كلَّ نائبة
وأنَّها كلَّفتني غيرَ أخلاقِي

وقال الشاعر السوري عمر أبو ريشة:

ودَعِ (القادةَ) في أهوائِها
تتفانَى في خسيسِ المغنمِ

وقال البردوني:

جربوا في الشعب شعبيّتكم
واخرجوا فضلاً بلا أقوى حراسة

وأنا أقول:

تبْتُ من (ساس) وطلّقتُ السِّياسَةْ
فالسياسات بلاء وتعاسَةْ

وصحبتُ الحرف فجراً مشرقاً
عاشقاً للعلم صبّاً بالدِّراسَةْ

إنما الملكُ الذي لا ينتهي
حكمةٌ تشرقُ من رأسِ الكياسَةْ

أتغنَّى بكتابٍ محكم
طيَّبَ اللهُ على الدَّهر غراسَهْ

والصحيحان فلي شدوٌ بها
والقواميسُ وديوانُ الحماسَةْ

فدعِ اللاهينَ في دنياهمُو
يشترون الحزنَ من سوقِ النخاسَةْ

السياسات حمى مشؤومةٌ
كلُّ من صادقَها قد باع راسَهْ

فاعتبروا يا أولي الألباب، بما حصل لمن عشق السياسة من الدعاة، كيف وقع في الصدام مع الحكّام، ثم وُضع في الظلام، ثم حُكم عليه بالإعدام، فصاروا في ويلات ومصيبات، وآهات وزنزانات، والناجي منهم اشتغل بصناديق الاقتراع، أو انهمك بالهتافات فضاع، وما حصل إلا على ما يبكي العين، ويدمي القلب. وراجعوا

obeikandl.com

بـاب (في أنَّ العلماء من بين البشر أبعد عـن السياسة ومذاهبها) لابن خلدون في المقدمة، والحل أن تتفرغ طائفة من عقلاء الأمة للسياسة، أما طلبة العلم والدعاة فلإصلاح الأمة.

obeikandl.com

الوصفة السحرية للحياة الزوجية

ينبغي للرجل أن يكون واقعيًّا في اختياره لزوجته فلا يذهب وراء الخيال والمثاليات في البحث عن الزوجة التي تسعده، فإن بعض الناس يشترط في الزوجة شروطاً كشروط المجتهد المطلق عند الأحناف، فيريد زوجةً في حسن يوسف وعفاف مريم وصوت داود وتكون على حد قول الأعشى:

غَـرّاءُ فَرعاءُ مَصقولٌ عَوارِضُها
تَمشي الهُوَينا كَما يَمشي الوَجي الوَحِلُ

كَأَنَّ مِشيَتَها مِن بَيتِ جارَتِها
مَرُّ السَحابَةِ لا رَيثٌ وَلا عَجَلُ

أما وجهها وشعرها فعلى حد قول صديقي أبي الطيب:

كَشَفَت ثَلاثَ ذَوائِبٍ مِن شَعرِها
في لَيلَةٍ فَأَرَت لَيالِيَ أَربَعا

وَاستَقبَلَت قَمَرَ السَماءِ بِوَجهِها
فَأَرَتنِيَ القَمَرَينِ في وَقتٍ مَعا

وهذه الأوصاف لا تنطبق إلا على إحدى الحور العين في جنّات النعيم، بينما هو قد يكون أحمق من هبنّقة وأبخل من مادر وأغبى من باقل وأجبن من أبي حيّة النميري، وعلى المرأة أن تكون واقعية في اختيار الزوج ولا تهيم مع الخيال المجنّح في اختيار شريك حياتها، فبعضهن متشدّدة موسوسة في شروطها التي يتصف بها الزوج، فتريده على حد قول أبي تمام:

إِقدامَ عَمرٍو في سَماحَةِ حاتِمٍ
في حِلمِ أَحنَفَ في ذَكاءِ إِياسِ

في زهد الحسن البصري وفِقْه أبي حنيفة وحفظ الأصمعي، بينما هي قد تكون آية في الغباء ومضرب المثل في ثقالة الدم وقمة في سوء الخُلُق، لماذا لا نعيش واقعنا ونرضى بما تيسَّر؟ وإذا حصل خلاف بين الزوجين فهناك وصفة سحرية اُكتشفت في الأخير على يد أحد خبراء علم التربية بعد بحث طويل وسهر مضنٍ وهي أن يجلس الزوجان بعد كل مشكلة جلسة مصارحة ومكاشفة تسمى جلسة (فضفضة) يشترط فيها ألا يشاهد الزوجان التلفزيون ولا يشتغلان بالقراءة ولا بالنظر إلى الحديقة وإنما ينصت كل واحد منهما للآخر فيبدأ أحدهما بالحديث حتى يخرج كل ما في جعبته وينصت الآخر ولا يقاطع، فإذا انتهى المتكلم قال المستمع: هذا كلام جميل وأنا موافق عليه وآسف على كل خطأ، ولا يحاول يعترض على أي كلمة سمعها أو يرد عليها، بعدها سوف تتحوّل الجلسة إلى مصالحة ومسامحة؛ لأن ٩٠٪ من مشكلات الزوجين صغيرة وتافهة أو (كلام فاضي) فهي عن تأخر الزوج عن البيت أو انشغال جواله أو كثرة ضيوفه أو عدم مدحه لطعامها أو لأنه لم ينظر للزوجة بإعجاب عند دخول البيت، أو أن الزوجة أخَّرت الطعام، أو لم ترتب الملابس أو نسيت المناشف أو أن الشاي بارد أو أن ملح الطعام زائد قليلاً.

وهذه المشكلات العالمية الكبرى تحتاج إلى جلسة طارئة فيها فضفضة ولا يتخذ فيها أي قرار إنما إنصات وحسن استماع وهزّ رأس بالموافقة وبعدها تعود الحياة أجمل ما تكون، أرجو ألا يكثر الزوجان من الجدل العقيم والمناقشات والحرص على الردود، فهذه لا تزيد النار إلا اشتعالاً، قيل لأحد الحُكَماء: كيف تعالج المشكلة مع زوجتك؟ قال: أنصت لها حتى تقول كل ما لديها، ثم أوافق على كلامها وأعترف بالتقصير والخطأ، فتبدأ هي تبحث لي عن أعذار، ولو ذهب الرجل يرد على زوجته ويغلِّطها لرفعت صوتها وسبَّتهُ ثم كذَّبها حينها تشتمه ثم يضربها فتقوم فتلطمه فيطلقها حالاً ويُهدم البيت، إذاً المشكلات الزوجية سهلة في الغالب بل تافهة إنما تحتاج إلى واقعية وفضفضة وسعة بال واعتراف بالخطأ وعدم الحرص دائماً على أن يثبت أحد الزوجين للآخر أنه على حق وسوف

تصلح الحال، ويُشرح البال، ويزول الإشكال، وينتهي القيل والقال، وعلى الرجل أن يستعمل المجاملة مع زوجته، فإذا نظر إليها وهي معبِّسة مقطِّبة أسمعها قول الشريف الرضي:

يا ظَبيَةَ البانِ تَرعى في خَمائِلِه
لِيَهنَكِ اليَومَ أَنَّ القَلبَ مَرعاكِ

وإذا ذكرت له امرأةً أخرى جاملها وهوَّن من شأن الأخرى وقال كما قال شاعر الزُّلْفي ابن عويس:

الزّين ما ودّك تحطّه مع الشّين
ودّك تخلي كل شيٍّ لحالَهْ

وعليها أن تجامله فإذا رأتهُ نائماً وله شخير قالت:

يا ذيب ياللّي جرّ صوت عوى بهْ
هو ذا هوى والاّ من الجوعْ ياذيبْ

وإذا كحَّ وتنحنح فعليها أن تقول:

باللهِ لَفظكَ هذا سالَ من عسلٍ
أَم قَد صَبَبتَ على أَفواهِنا عَسَلا

وعلى الزوج أن يمدح الشاي والمكسرات، ويثني على الصحون والملاعق وينظر بإعجاب إلى زوجته ويرفع يديه فيحمد الله على أن رزقه بها وهو يتمنّى في نفسه أن تموت في أقرب وقت، وعلى الزوجة أن تنظر بإعجاب إلى وجه زوجها العبوس القمطرير وتقول له قول أبي الطيب:

خَفِ اللهَ وَاستُرْ ذا الجَمالَ بِبُرقُعٍ
فَإِن لُحتَ ذابَت في الخُدورِ العَواتِقُ

وهو يبادلها النظر إلى وجهها المكفّهر ويقول:

تبدَّتْ لنا كالشمسِ تحتَ غمامة

بدًا حاجبٌ منها وضنَّتْ بحاجبِ

والمقصود استعمال الدبلوماسية والمجاملة (ومشّوا الأمور) وأصلاً الحياة قصيرة جدًّا.

obeikandl.com

الشيخ الشيطان وعلاج المرضى

قامـت بعض القنوات الفضائية بالضحك على الذقون عبر تخصيص برامج عن السحر والشعوذة، فلعبت بذلك على عقول الحمقى، وتحول الموقف إلى مهزلة مضحكـة ومسرحية عابثـة، وتصدر هذه البرامج كل أفّـاك أثيم وكل مفترٍ دجّال ممن أُصيب بمرض انفصام الشخصية أو الكبت القهري أو المرض النفسي، فصار يخـبر المتصل بترّهـات وسخافات؛ فيسأله عن مولده متـى كان، ثم يجيبه بقوله: أنت من فصيلة برج الثور أو الحمل أو الأسد، وأنت تهوى كذا وكذا، ومصاب بكذا وكـذا، ثم يصف له علاجـاً يخالف الدِّين والعقل والطـب؛ فيوصيه- مثلاً- بذبح ديـك أسـود- سوَّد الله وجهه- أو بسحـق قرون الثوم ونشرهـا في غرفة النوم، أو بصيـد حمامة بيضاء وذبحها وغمس ريشها بالـدم، ثم يأمره بوضع الريش تحت رأسـه إذا نـام، ومنهم من يسأل عن اسم أم المريض؛ فإذا قال السائل مثلاً: اسم أمي فاطمة قال: أنت مصاب بعين المحبة، وعلاجك أن تغمس يديك في دم خروف أسود- سوَّد الله وجهه- ثم تمسح بها وجهك، وبعضهم عنده عملة نقدية يقلبها في أثناء الحلقة وفي أثناء اتصال المتصل يخبره بمرضه، وهذه القنوات جعلت مصدر دعمها اتصال الحمقى والسفهاء والمعتوهين؛ فبمجرد الاتصال يبدأ رصيد القناة المـالي في الارتفاع، وقد سمعنا ورأينـا مئات الاتصالات من هؤلاء المرضى، ولكننا لم نشاهـد واحـداً منهم تعافى وتشافـى بهذه الوصفة المكذوبـة، والعجب أن هذه القنـوات المدمِّرة للدِّين والعقل والعرض والمـروءة تنتشر في ربوع العالم الإسلامي جهـاراً نهـاراً، ولم تتخذ أي دولة تصرفـاً حازماً أمام هذا الدَّجـل وابتزاز أموال النـاس والتلاعب بعقولهم والعبث بصحتهم وتدمير بيوتهم، وكأن أبا الطيب معنا يوم قال: **يا أُمَّةً ضَحِكَت مِن جَهلِها الأُمَمُ**.

أيـن الحكومات التـي تراقب أنفاس النـاس وتسجل عُطاسهـم، وتصورهم وهـم يتثاءبون؟ أين هذه الحكومات من عصابات الشعوذة والإفك والخرافة التي

حوَّلـت بعض الشباب والفتيات إلى مجانين ومعتوهين؛ لأنهم صدقوا الوهم وآمنوا بالخرافة؛ فركبهم الشك، وتلبَّس بهم الوهم؛ فأصبحوا مرضى عاطلين عن العمل والإنتـاج؟ ثم إن الأخطـر من ذلك أنها تحول المؤمـن إلى ملحد شرير، وقد حمى سيـد الخلق ﷺ جناب التوحيـد من هؤلاء الفجرة الأشرار بقوله: «**من أتى عرَّافاً أو كاهنـاً أو ساحـراً فصدَّقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد**». أفٍّ لهذه العقـول السخيفة التي باعـت طاعة الله بطاعة الشيطان، تـفٍّ على هذه القنوات الحقيرة التي خرَّبت البيوت ودمَّرت القيم، الخيبة والندامة لشياطين الإنس الذين تصدروا الشاشات ليقدِّموا الدَّجـل والزور والبهتان للناس، حتى الرقية الشرعية الصحيحـة أصبحـت تمارس بطرق مضحكة غايـةً في المهزلة ونهايـةً في الغباء؛ فأحدهم وضع له قناة يرقي ويقرأ وينفث عبر الشاشة على المشاهدين الكرام من إندونيسيـا إلى موريتانيا؛ لتنالهم بركة ريقـه الطاهر المطهَّر عبر ذبذبات الأثير، وعـلَّ لعابه المبارك ينقل لهم عبر الأقمار الصناعيـة، ولا يستحيي أن يخبرنا بأن الله شافٍ بريقه -عبر الشاشة- الملايين، وقد كذب وافترى، بل هو في حاجة ماسة إلى من يبرك على صدره، ويقرأ عليه آية الكرسي، ثم يودعه المارستان، ومثل هذا يجب أن يُحجر عليه؛ لئلا ينقل عدواه وهِباله إلى الأمة.

مخجل ما تعرضه قنوات السحر والشعوذة، مؤسف ما نراه من هذه العصابات المشبوهة والوجـوه الكالحة. أيها الحكام، أيها العلمـاء، أيها العقلاء، أوقِفوا هذا الخزي، تصـدوا لهذه الظاهرة البشعـة القبيحة، أنقذوا عقـول الشعوب ودينهم وأموالهـم، أحيلوا القائمين على هذه القنوات والكهـان والسحرة والمشعوذين إلى العدالـة، قدِّموهـم إلى القضاء، أنصفـوا الناس الذين ذهب إيمانهـم وأموالهم وعقولهـم، كفـى شماتة بنـا، وكفى ضحـكاً على ذقوننـا، الشرق والغـرب تزخر مصانعهـم وتعج معاملهـم بالإبداع والإنتـاج، وعندنا القنـوات الوثنية الخرافية تعيدنا إلى مغارات سحرة بابل وكهوف شعوذة قدماء الهند، وعهود اللاّت والعزّى ومنـاة الثالثة الأخـرى، الغرب يشاهـد روّاد فضائه عبر الشاشـات يهبطون على

المريخ، وبعضنا يشاهد الشيخ الشيطان عبر الشاشة يكذب على الله وعلى الأمة وعلى التاريخ: ﴿لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾، ولعن الله المشعوذين والأفَّاكين والدَّجالين، أفٍّ وتفٍّ على سماحة الشيخ الشيطان المشعوذ المشرك: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾.

لا تقتلوا الطفولة

من حق الطفل أن يضحك وأن يمزح وأن يلعب وهو حق طبيعي اتفق عليه العقلاء وأتت الشريعة بتأييده، ففي الحديث: «**مروا أبناءكم بالصلاة لسبع**»، فبعد السبع ابدأ التعليم والأمر والنهي، قال سفيان الثوري: لاعب ابنك سبعاً وأدِّبه سبعاً وصاحبه سبعاً ثم اتركه للتجارب، فينبغي لنا أن نترك أطفالنا يستمتعون ببراءة الطفولة وفي القرآن حكاية عن أبناء يعقوب قولهم لأبيهم: ﴿ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ ﴾ ثم قالوا: ﴿ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ ﴾. أرجوك أن تترك طفلك يمزح ويلعب ويضحك ويسابق ويعيش كما يعيش العصفور تماماً ولا تثقل عليه بحفظ المتون، وقراءة مقدمة ابن خلدون، ومعارضة قصيدة ابن زيدون، وشرح حاشية ابن القاسم على موطأ مالك، فقد وجدتُ آباءً بدؤوا يحفِّظون أطفالهم المتون في الثالثة والرابعة من أعمارهم فعاش الطفل في همٍّ وغمٍّ ونكد، فإذا ضحك الطفل صاح به أبوه: انتبه يا ولد، وإذا تبسّم قال له: «وش هذا؟ وإذا لعب قال له نسيت الآية: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا ﴾ وإذا سأل أباه أن يشتري له لعبة انتهره قائلاً:

وَيَنشَأُ ناشِئُ الفِتيانِ مِنّا
عَلى ما كانَ عَوَّدَهُ أَبوهُ

فإذا استأذنه أن يلعب مع الأطفال أنكر عليه، وقال: أين أنت من قول الأول:

إذا بَلَغَ الفِطامَ لَنا وَليدٌ
تَخِرُّ لَهُ الجَبابِرُ ساجِدينا

بعض الآباء عذاب واصب وعقوبة من الله على أطفاله، تجدهم يمزحون ويمرحون فإذا دخل عليهم البيت سكتوا وصاحوا: جاء الوالد جاء الوالد، فدخل عليهم كالموت: ﴿ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ﴾. لا تقتلوا البسمة في شفاه الأطفال.

كان سيد البشرية ﷺ رحيماً بالأطفال يمازحهم، يضاحكهم، يحملهم، كان الحسن والحسين يصعدان على ظهره وهو ساجد وكان يحمل الطفلة أمامة بنت ابنته زينب وهو يصلي بالناس، كان يأخذ الحسن والحسين في حضنه ويقبِّل هذا مرّة وهذا مرّة ويقول: «**هما ريحانتايا من الدنيا**»، فيقول له رجل: عندي عشرة أبناء ما قبَّلتُ واحداً منهم، فيقول له الرسول ﷺ: «**وهل أملك أن نزع الله الرحمة من قلبك**».

إن الطفل في حاجة إلى متعة ذهنية ورياضة جسمية تجعله مستعداً للحياة القادمة حياة العمل والإنتاج، فلماذا نستعجل الأيام ونحرمه حقّه الطبيعي في اللعب والمزاح والبهجة؟ أتحرم البلبل من النشيد في البستان؟ أتمنع العصفور من التَّمرغ على بساط الروض؟ أتسكِّت العندليب أن يتغنّى بآيات الحب على غصون الزيتون؟ إن الإعاقة الفكرية قد يكون سببها أب ظالم شرس يجلس مع أطفاله كأنه الحجاج بن يوسف فيقمع في نفوسهم البسمة ويكبت في أرواحهم الفرحة، فيكبرون وفي قلوبهم مرض القهر النفسي والكبت الأسري فيبقى الواحد منهم غير سويّ، تشاهد على وجهه سحابة سوداء من الكآبة والحزن الدفين من آثار الطفولة البائسة المحرومة، إن بعض الآباء أسد هصور على أطفاله ولكنه نعجة في مواقف الحق، إذا لم يصل أطفالك لدرجة الفرحة الغامرة والاستقبال الحار بقدومك بحيث إنهم يتسابقون إلى فتح الباب إذا أقبلت فراجع تربيتك لهم وتحول أنت طفلاً وديعاً بينهم فتنزَّل إلى مستواهم في الحديث، أسرد عليهم نكاتاً وداعبهم بلطائف وشاركهم لعبهم وسباحتهم وقفزهم، ولا يعني ملاطفة الأطفال ومداعبتهم وتركهم يلعبون إهمال الأدب، بل سوف تغرس في قلوبهم الفضيلة بلطفك بهم فتهذِّبهم برفق وتربيهم بعفويّة دون أوامر عسكريّة، إن الطفل لا يعرف إلا أباه فهو يراه أشجع من عنترة وأكرم من حاتم وأحلم من الأحنف.

فمن أراد أن ينشأ ابنه صادقاً كريماً حليماً فليكن هو صادقاً كريماً حليماً، فلنجعل الحب مكان السوط والرفق محل العنف واللطف مكان الكبت حينها نسعد

بأبنــاء أسوياء يحملون رسالتهـم في الحياة بجدارة ويصلـون إلى كرسي الريادة باقتـدار، وإذا لم يلعـب الطفل ويضحك في السنـوات السبع الأول من حياته فمتى يضحك؟ هل يضحك يوم تقبل عليه الحياة بمتاعبها وهمومها وأحزانها يوم يحمل مسؤولية البيت والوظيفة والرزق والحقوق الاجتماعية والواجبات الشرعية وعقوق الناس وتنكر الأصدقاء وركلات الأعداء؟ حينها يصرخ القلب المفجوع بحنين:

ألا لَـيـتَ الـشَـبـابَ يَـعـودُ يَـومـاً
فَـــأُخـــبِرُهُ بِمـــا فَـعَـلَ المَـشـيـبُ

الإنسان المفترس..!!

سمعتم عن الحيوان المفترس ولكنني سوف أخبركم اليوم عن الإنسان المفترس وهو الإنسان العدواني الذي لا يعيش إلا على الكراهية والخلاف والشقاق، ولا يهدأ حتى يكون له كل يوم ضحيَّة، فهو إما يعادي زوجته أو ابنه أو صديقه أو جاره، فتجد المشكلات تحل وترتحل معه، وهو دائماً يشكو من ظلم الناس له وتآمرهم عليه وعدم معرفتهم بمكانته، وفي الحقيقة أنه هو الظالم ولكنه أصبح كما قال أبو الطيب:

وَما انتِفاعُ أَخي الدُنيا بِناظِرِه
إِذا استَوَت عِندَهُ الأَنوارُ وَالظُلَمُ

وهذا الإنسان المفترس يختلق كل يوم أزمة، فهو يشاكس مدير المدرسة بسبب أنه ظلم ابنه، ويخاصم القاضي؛ لأنه جار عليه في الحكم، ويعادي الشيخ؛ لأنه أخطأ في فهم سؤاله، ويكره الطبيب؛ لأنه خدعه في الدواء، وناقم على إمام المسجد؛ لأنه يتعمَّد إطالة الصلاة، وهذا الإنسان المفترس يتحاماه الناس ويدارونه كما يداري أهل المجنون مجنونهم ومع ذلك لا يسلمون من بطشه وغضبه وسبِّه وشتْمه، وهو دائماً متهيئ للمنازلة، ففي سيارته هِراوة لوقت اللزوم، وفي بيته مسدس للطوارئ، وهو يحفظ أخطاء الناس ويتصيَّد مثالبهم ويكشف معايبهم لوقت الحاجة حتى إذا اختلف معهم فإذا هو قد أعدَّ للأمر عدَّته وجهَّز لهم ملف العيوب؛ ليوقعهم في شرِّ أعمالهم، وهو أبداً غاضب على الجو في الصيف؛ لشدة الحرارة، فينظر إلى الشمس ساخطاً ناقماً، وهو غاضب على الشتاء القارس بسبب الريح الباردة كلما هبَّت، وهو يلعن الظلام، ويشتم الغبار، ويغتاب الرطوبة، وهو لكثرة غضبه وحقده وحسده مصاب بالضغط والسكري والربو، وحمَّى الوادي المتصدع وجنون البقر، في جيبه بخّاخ ودواء ومسكِّنات ومهدئات وفيتامينات، وقد ذكر صاحب كتاب (**المستطرف**) أنَّ رجلاً حاداً غضوباً شرساً دخل على زوجاته الأربع وهن

مجتمعات، فقالت الأولى له: ما الذي أخَّرك عنّا ونحن ننتظرك؟ فقال لها: وأنت رقيبة عليَّ، أنت طالق، قالت الثانية: تطلقها وما صدر منها شيء؟! فقال: وأنت طالق معها، فقالت الثالثة: استعجلت هداك الله، فقال: وأنت طالق أيضاً، فقالت الرابعة: سبحان الله تطلق ثلاث نساء في مجلس واحد؟ فقال: وأنت طالق معهم، فقالت امرأة جاره: أعوذ بالله من الشيطان ما رأيت أفظ ولا أغلظ منك، فقال: وأنت طالق إذا رضي زوجك، فجاء زوجها وقال: رضيت.

وقالوا: إن رجلاً عصبي المزاج غليظ الطبع سيئ الخُلُق أتى إلى الخيّاط بقماش في يده وقال له: فصِّل هذا القماش أربعة ثياب ولا تلعب في التفصيل وأحذِّرك من التأخير في الموعد، ولا تضيّع مقاسات الثياب، وانتبه لا تماطل في الموعد حسبي الله عليك وأعوذ بالله منك والشرهة ليست عليك، الشرهة على الذي جاء يفصِّل عندك، أقول: اترك القماش الله ينتقم منك، ثم أخذ قماشه وأدبر يسب ويشتم، وهذه طبيعة الإنسان المفترس فالأمور في البيت قبل أن يصل هادئة وإذا جاء حوَّل البيت إلى خصومة وشقاق، والمجلس تجده قبل أن يحضر في أمن وسلام فإذا أطلَّ عليه حوَّله إلى شجار وخصام، وهذه النوعية لا تعيش إلا على الأزمات ولا ترتاح إلا مع الخلاف مثل الذباب لا يقع إلى على الجرح، أيها الإنسان: ارفع راية السلام وتذكر أن دينك الإسلام جعل تحية اللقاء: السلام عليكم، فهل تدبَّرت هذه الجملة العظيمة التي معناها إلقاء سلاح العداوة وإعطاء الناس العهد والأمان من كل أذى وشر، وهي عنوان لكتاب الأخوة ودفتر الصداقة ومن مقاصدها لا حرب بعد اليوم ولا خصام من الآن ولا تنافر ولا تباغض وفي الحديث: «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده**»، هيا أيها الإنسان، نتحوَّل إلى إخوة أصفياء، وإلى أصدقاء أوفياء وقد قلت في قصيدة (أنشودة الطفولة):

فيا أيها الإنسان هاكَ صداقةً

أبـرَّ مـن الأم الرؤومِ وأحدبا

تـعـالَ نـوفِّ الـوصـلَ عـهـداً مبـاركاً
وخـذنـي أخـاً إذ كـان آدمُ لي أبـا

إذا كنت قـابيـلَ العـداوة والـرّدى
فـإنِّي أنـا هابيـل رأيـاً ومذهبـا

obeikandl.com

ضحايا الوهم

لا شك أن الحسد حقيقة لا مناص منها وقد أثبته القرآن والسنة ويدخل فيه العين، والعين حق، لكن المشكلة أن بعضهم تلبّس به الوهم فأصبح يظن أنه مصاب بالعين في كل شيء فكلما أخفق حوّل هذا الإخفاق مع التحية للعين والحسد، وإذا فشل في عمله فلأنه مصاب بالعين من حسّاده، وإذا رسب في دراسته فالسبب شياطين الإنس، فهو عند نفسه عبقري لكن أعداءه منعوه من النجاح، وهذا الصنف من الناس قد ضحك عليهم الشيطان، وهم يعيشون وهماً لا حقيقة له فأذكياء العالم من المسلمين وغيرهم بلغوا النجومية ولم يعيشوا هذا الوهم، فالشافعي وابن تيمية وابن خلدون وابن رشد وسقراط وإينشتاين وإسحاق نيوتن أجبروا التاريخ على أن يخلّد أسماءهم ولم يشتكوا من الحسد والعين، ولكن المرضى بوهم الحسد هم أشبه بما قال غوته: (إن الدجاجة حينما تقول قيط.. قيط وتريد أن تبيض تظن أنها سوف تبيض قمراً سيّاراً)، ورأيتُ الناجحين في مجتمعنا واثقين من أنفسهم قد شقّوا طريقهم إلى المجد بثبات في التخصصات كافة، ولكن الأغبياء والحمقى بقوا في آخر الصف بحجة أن الحسد والعين أصابهم ولم يصب غيرهم من اللامعين.

قابلتُ طالباً رسب في الجامعة مرات عدة فسألته: ما السبب؟ قال: محسود أصابتني العين، فقلت له: إخوانك الأربعة نجحوا بتقدير «ممتاز» وكانوا الأوائل وأنت الوحيد المحسود الراسب، لكن السرَّ أنك تركت المذاكرة وتغيّبت عن الجامعة ونمت في الفصل وضيّعت الكتب، وبعض النساء رزقها الله ٣٪ من الجمال وتغطي وجهها عند أمها وأخواتها؛ خوفاً من العين، الله أكبر يا فتاة الغلاف، وبعضهن حامل في الشهر العاشر وقد أخفت ذلك عن جدتها؛ خوفاً من العين وكأنها سوف تلد خالد بن الوليد أو صلاح الدين، والحقيقة أن الشيطان قد لعب على الكثير منّا خاصة الأغبياء والحمقى، أما الأذكياء والعباقرة فقد لعبوا هم على الشيطان

وانتصروا عليه ونجحوا؛ لأنهم لم يصدقوا الأوهام، ورجائي أن يخرج هؤلاء الموسوسون والموسوسات من زنزانة الوهم ويمارسوا أعمالهم على سجيّتهم ويريحوا الأمة من نشر أمراضهم النفسية المعتمدة على الوهم، وكلما رأيتُ بليداً فاشلاً وسألته: ما سبب هذا الإحباط؟ أجابني بأنه مصاب بالعين! فأقول له: من هذا الغبي الأحمق الذي أصابك بالعين؟! وما الذي أعجبه فيك؟! كيف ترك الموهوبين واللامعين يشقّون طريقهم إلى الجوزاء وقصدك أنت؟! وإذا تساقط شعر امرأة بمرض حمّى الوادي المتصدع ادعت أن العين ألمّت بها والحسد دمّرها وقد سلّم الله شَعر رأس بوران بنت الحسن بن سهل أجمل امرأة في الدولة العباسية.

وبعض الطالبات انزوت عن زميلاتها بحجة الخوف من العين، وإذا لم يستطع طالب حفْظ القرآن؛ لإصابته بمرض جنون البقر!! زعم أن حارس المدرسة أصابه بالعين، وكيف توحّدت بنا العين ونحن أهل الإيمان والقرآن ولم تصب العين أعضاء وكالة (ناسا) الذين أنزلوا مركبة الفضاء هندرد (٦٦) على سطح المريخ؟ إننا باختصار (ضحايا الوهم).

فأريحونا من هذا الوهم وتوبوا من هذه الوسوسة واهجروا هذه الظنون: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾.

صرخة فتاة

اشتكت فتاة وتظلَّمت ولم تجد سامعاً ولا مجيباً من الناس، ظلمها زوجها ثم طلَّقها وأخذ أبناءها الثلاثة وأحرمها رؤيتهم، ومنعها من النفقة، فذهبت لأهلها شاكية باكية متفجعة، فوجدت أباها ضعيفاً عاجزاً أمام إخوانها الفجرة الجبابرة الذين صبوا جام غضبهم على أختهم المسكينة الحسيرة الكسيرة المطلقة، وأرادت أن تذهب للقاضي فأقسم أحد إخوانها لئن ذهبت للقضاء ليجرنَّها بشعر رأسها، فبقيت حائرة مظلومة حزينة لا يجف لها دمع، ولا تكتحل عيناها بنوم، ولا يسكن خفقان قلبها، أما نهارها فسبٌّ من أهلها وشماتة وسخرية، وأما ليلها فبكاء وعويل على أطفالها ومستقبلها، وأنين من جور زوجها وضعف أبيها وظلم إخوانها، فلا هي حيّة فتُرجى ولا هي ميتة فتُنعى، محبوسة في البيت تصارع الهموم وتقاتل الأحزان، وتبعث الآهات الحارة كأنها حمم البركان، وتتنهّد بالزفرات الملتهبة كأنها شهب نار، ما تدري ماذا تفعل، اتصلت ببعض العلماء فقالوا: اصبري واحتسبي، فصبرت واحتسبت ولكن صبرها انتهى واحتسابها نفد، وقد طوَّقها اليأس، وأحاط بها الكرب، كلّمت بعض قرابتها فقالوا: اذهبي للقضاء، فأخبرتهم أنها لو ذهبت للقضاء لعذّبها إخوانها عذاباً شديداً، فأصبحت لا يسمح لها أن تشتكي أو تبكي.

فما هو الحل أمام زوج ظالم، وأبٍ مسكين، وإخوة عاقين، ومجتمع قاسٍ، أليس من الأجمل أن يقوم أهل الحل والعقد بمتابعة هذه القضايا وإخبار الناس بعناوين يمكن الاتصال بها لرفع هذه الضائقة وكشف هذه الملمة وتقديم هؤلاء الجناة العتاة الجفاة للعدالة، وفي الحديث الصحيح أن امرأة دخلت النار في هرة حبستها حتى ماتت لا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض، فكيف بمن حبس امرأة وظلمها وأحرمها أطفالها ومنعها من نفقتها بل منعها من الشكوى والتظلم، وبمثل هذه الأفعال يجف القطر من السماء، وتُؤدب الأمة بسياط من البلاء وبنكبات خفية ومعلنة: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴾ اسمعوا صرخات المظلومين،

وافتحوا قلوبكم لأنين المضطهدين، وساعدوا في رفع السوط عن المعذَّبين، إن مسح دمعة على خدٍّ مظلوم أفضل من ألف محاضرة في الثقافة البالية التي أصابت الأمة بالدِواخ والغثيان، وإن إشباع بطن جائع أفضل من مؤتمر للفكر العقيم، ومن أراد أن يتصوَّر المشكلة فليجعل أمه أو أخته أو بنته في هذا الموقف، ألا قلوب ترحم؟ ألا ضمائر تستيقظ؟ ألا أكباد تخفق؟ ألا عيون تدمع؟

في حديث قدسي يقول الله للظلمة العتاة: «**وعزتي وجلالي لولا شيوخ ركَّع، وأطفال رضَّع، وبهائم رُتَّع، لخسفت بكم الأرض خسفاً**»، وتبدأ معاناة بعض النساء مع أبٍ غشوم ظلوم أو أخٍ قاطع جبّار أو زوج فاجر شرِّير، وقد تعيش المعاناة بسبب مالها أو راتبها وهي تُساوم عليه وقد تُحرم الزواج بسببه، وقد عرفنا من رفض زواج ابنته؛ ليستولي على راتبها، وعرفنا من نكَّل بها زوجها؛ ليحصل على مالها وأصبح يخيِّرها بين البقاء مع الدفع أو الفراق إن أبت ذلك، ومنهم من أمسك زوجته لا مطلقة ولا معلّقة؛ ليجرعها الغصص وهي مضطرة للقبول بهذا الوضع المأساوي مراعاةً لأبنائها أو حاجتها أو وضعها الاجتماعي.

أيها المتقلِّبون على جمر الظلم، فصبر جميل، ودعوة في سحر، وانتظار لفرج، وتذكر لبقية نِعَم، ويا أيها الناس، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء، الراحمون يرحمهم الرحمن، ويل للظلمة من يوم لا حاكم فيه إلا الله يوم تُقام محكمة العدل الإلهية يوم العرض الأكبر، فانتظروا إنا منتظرون.

وجّه الدّربيل إلى نفسك

في قلب كل إنسان منا دربيل اسمه البصيرة، قال تعالى: ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴾ وهذا الدربيل إن أراد الله بك خيراً وجهته لنفسك، فاكتشفت به عيوبك، فأصلحتها وقوّمتها على الحق، وإن أراد الله بالإنسان خذلاناً سلّط هذا الدربيل على الآخرين، وأهمل نفسه، فتجده ينقب عن عيوب الناس، ويبحث عن زلاّتهم، ويجمع أغلاطهم، فهو كالذباب لا يقع إلا على الجرح كما في الأثر: «**يبصر أحدكم القذى في عين أخيه، ولا يرى الجذع في عينه**». هل فرغنا من عيوبنا الكثيرة حتى نتفرّغ لعيوب الناس؟ هل بقي لدينا وقت نشغله بتتبع أخطاء البشر؟ إن توجيه مصباح الله في القلب إلى نفسك نعمة كبيرة من نعم الله، معنى ذلك أنك اكتشفت عيوبك، وعرفت مواطن الخلل في نفسك. وفي الأثر: «**طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس**». ولكن المشكلة يوم تحمل هذا الدربيل لتضعه على أسرار عباد الله، فتفحص بعناية كل زلّة وكل خطيئة، ومن يفعل ذلك يُسمى سبّاباً عيّاباً، ليتنا نوجّه دربيلنا إلى ذواتنا، ونترك الناس لرب الناس. اتركوا الخلق للخالق، ودعوا العبيد للمعبود. ليس مطلوباً منّا مراقبة البشر فيما أضمروه وأسروه من أخطاء، ولسنا نحن الذين نحاسبهم، يقول الرسول ﷺ: «**إني لم أومر أن أنَقُبَ عن قلوب الناس ولا أشُقَّ بُطونَهم**». وهذه الجملة النبوية دستور مهذّب في التعامل مع الناس، ولو عمل بها المسلمون لما رأيت من تفرغ ليحصي على الناس زلاّتهم، ويؤلّف في مناقبهم، ويجمع عثراتهم. واحسرتاه على من يحمل الذنوب، ويتلبس بالعيوب، ثم لا يعنيه ذلك، إنما شغله الشاغل بعيوب الناس وذنوب البشر.

قيل لحكيم: أما رأيت فلاناً يصنع كذا وكذا من الذنوب؟ قال: ما تبت أنا من ذنوبي. واغتاب أحد الناس رجلاً في مجلس العالم الزاهد الربيع بن خثيم فقال له: تذكّر سكرات الموت. أيها الباحثون عن زلاّت الخليقة، عدتم بالفشل، ورجعتم بالخيبة. أيها المكتشفون أخطاء الناس، حققتم الإفلاس، وأدركتم سوء العاقبة.

كان الواجب علينا لو رأينا عيباً في الآخرين أن نغض الطرف، ونتغابى أو ننصح، كما قال أبو تمام:

لَيسَ الغَبِيُّ بِسَيِّدٍ في قَومِهِ
لَكِنَّ سَيِّدَ قَومِهِ المُتَغابي

إن الإنسان الحقير يعشق تصيّد الزّلات ويفرح بعيوب الناس؛ لأنه رديء كما قال الشاعر الشعبي:

ما يستشك يا حسينْ كود الرديّينْ
والا ترى الطيّبْ وسيعٍ بطانَهْ

يقول أحمد بن حنبل: التغافل تسعة أعشار حسن الخُلُق. قلت: لو سلكنا منهج التغافل مع الزوجة والابن والصّديق والناس لعشنا الحياة السعيدة، فكيف إذا استعملنا قدراتنا العقلية من الذكاء والدهاء والألمعية في تشخيص أخطاء البشر، وعشنا مع أخطائنا بغباء وبلاهة؟ يقول ديل كارنيجي: عندي ملف في درج مكتبي عنوانه (حماقات ارتكبتها) أسجل فيه أخطائي؛ لأتلافاها مع الزمن. وقال سفيان: لي ثلاثون سنة أجاهد نفسي في ترك عيب، ومازلتُ أجاهد. فيا أيها الإنسان، اجعل معك قائمة سوداء من عيوبك تراجعها بينك وبين نفسك، أما الناس فأطمئنك أنك لن تدخل معهم قبورهم لتحاسبهم، ولن تكلّف بمناقشتهم على أخطائهم يوم القيامة، بل أؤكد لك جازماً أنك سوف تحاسب على اغتيابك لهم وكشف أسرارهم. إن الذي بيته من زجاج لا يحقُّ له أن يرمي بيوت الآخرين بالحجارة، كفى اشتغالاً بالآخرين على حساب أنفسنا. والشكر لأبي معاذ الرازي على قوله:

وغير تقيٍّ يأمر الناسَ بالتقى
طبيبٌ يداوي الناسَ وهو عليلُ

obeikandl.com

إن النّجـار الذي ذهب يصلح أبواب الناس وبابـه مكسّر أحمق، وإن الخياط الـذي يخيط للآخرين وثوبه ممزّق أبله، والذي سلّط دربيله على تضاريس العباد وترك الحفر والمطبات في نفسه غبيّ مخذول.

obeikandl.com

كن هابيل ولا تكن قابيل

مـن أراد أن يعيش سعيداً وأن يموت حميـداً فليلقِ سلاح العداوة وليجتث من نفسـه شجرة الشَّر، ارفع رايتك البيضاء معلناً العفو والصفح وسوف تجد القلوب تشيِّعك، والأرواح تحفُّ بك، والحب يحوطك أينما حللت وارتحلت:

مَـنْ سـالَمَ الـنّـاسَ يسلَمْ مـن غـوائلِهمْ
ونــام وَهْــوَ قَــريــرُ الـعَــيـنِ جَـذْلانُ

كن من فصيلة هابيل حينما أقدم على قتله أخوه قابيل، فقال: ﴿ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾، دع الظـالم يلقى حتفه أو يسلط الله عليه أظلم منه، واتركه للأيام والليالي، يقول المثل الصيني: «اترك عدوك وقف على شاطئ النهر فسوف تشاهد جثته تمر بك»، لا تحـاول فتح ملفات العداوات، لا تقم للناس محاكم تفتيش في صدرك، لا تُذهب حياتـك الغالية في التربص بالآخرين والاقتصاص منهـم، كل دقيقة تصرفها في عـداوة إنمـا هي كأس من السم تتحساه، سوف تجـد أن الحلم والعفو أقوى سلاح أمـام أعدائـك، قال الأحنف بن قيـس: والله لقد نصـرني الله بالحلم أعظم من نصر العشيرة، يقول أبو الطيب:

وَأَحــلُــمُ عَــن خِـلّـي وَأَعــلَــمُ أَنَّــهُ
مَـتـى أَجــزِهِ حِـلـمـاً عَـلـى الجَـهـلِ يَـنـدَمِ

إذا سـلَّ أخـوك في وجهك سفياً فمدّ لـه وردة، إذا بات يخطـط لاستئصالك فتوجه أنت بالدعاء له أن يصلح الله قلبه ويطهر ضميره، وإذا نالك خصم في مجلس بـكلام بذيء سافل فأثنِ عليه وادعُ له، إن منطق القرآن يخبرك أن العَظَمَة هي أن تحول العدو إلى صديق لا أن تحول الصديق إلى عدو: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ﴾ قال رجل لحكيم: غداً نتحاسب، فقال

له: بل غداً نتسامح، فلا تستكثر ألف صديق ولا تستقل عدوًّا واحداً ولو كان ضعيفاً، فإن البعوضة تدمي مقلة الأسد، وإن فأراً صغيراً خرَّب سد مأرب.

إن أعمارنا أقصر من أن نصرفها في القصاص والانتقام وإن معارك داحس والغبراء التي يقيمها الشيطان في قلوب البعض هي من مقررات مدرسة إبليس التي من أصولها: الظالم مهيب والمعتدي شجاع والحليم ذليل والمتسامح جبان، ولكن مدرسة الوحي تخبرنا بأصدق من ذلك: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾، وفي الحديث: «**صل من قطعك وأعطِ من حرمك واعفُ عمن ظلمك**». إذا لقيت أحداً من الناس فابدأ بتصرفين جميلين: ببسمة وسلام، فالبسمة عنوان لكتابك وهي دلالة على رجاحة العقل وسلامة الطبع وكرم المعشر، والسلام عليكم ميثاق شرف وعهد وفاء معناه مصالحة لا حرب، ومسامحة لا عداوة.

هل سمعت أن غضوباً شرساً حادًّا كسب حبًّا أو بنى صداقة أو حاز ثناءً جميلاً، إنما الحب الصادق والحفاوة البالغة والإجلال الكبير للسمح الحليم والجواد الكريم الذي جلس بحبه على عرش القلوب، فحفَّت به الأرواح وشيَّعته النفوس، وطوَّقته العيون، من أراد أن يكتب تاريخاً لنفسه من البر والإحسان فعليه بمسالمة الناس ومسامحة الآخرين وكظم الغيظ والتجافي عن الزلة والصفح الجميل عن الخطأ ودفن المعايب، فعليك أيها الإنسان السوي، أن تنزع الغدد السامة من نفسك، وأن تضع السلاح من يدك وأن تغمد سيف العدوان وناد في الجميع:

أهلاً وسهلاً والسلام عليكمو
وتحيةً منَّا نزفُّ إليكمو

العالم سوف يكون جميلاً بلا عداوة والكون سوف يصبح أماناً بلا كراهية، والأشرار وحدهم هم الذي عكَّروا صفو الحياة، ودمَّروا بناء الإخاء، ومزَّقوا ثوب المحبة ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾، ﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ﴾ ويلٌ لكل حاقدٍ شرير من سوء الذكر وضيق الصدر وظلمة القبر، وبشرى لكل كريم مفضال ولكل ليّن

سهلٍ رفيق، إن الرجل الفاضل يكتب تاريخه بنفسه لجميل سيرته وحسن تعامله، فلا ينتظر شكراً من أحد، وسوف يكون بعد موته قصة جميلة يتحدث بها الرواة في المجالس وتُنقل أخباره الجميلة على ألسنة البشر، إن ألسنة الخلق أقلام الحق، فاحذر أن تذكرك هذه الألسن بسوء أو توقّع عليك هذه الأقلام بقبيح.

obeikandl.com

دعوة لتطبيع العلاقات

أدعـو الأمة إلى تطبيـع العلاقة مع كل أحد إلا مع الشيطـان وإسرائيل، نحن في حاجـة إلى تطبيع العلاقة بـين الحاكم والمحكوم والرئيـس والمرؤوس والأستاذ والطالـب والأب والابـن والـزوج والزوجة، نحن نفتقـر إلى مصالحـة اجتماعية وميثـاق شرف أخوي يكون أصلاً للتفاهم فيما بيننا؛ لأن في الأمة صراعات فكرية وحزبية ومذهبية وقبلية وجهوية حدثت يوم نسيت الأمة رسالتها الربانية العالمية، رسالـة الإيمان، فالحكام يوجهـون اللوم للشعوب في الخروج علـى الطاعة وإثارة الفـتن والشغب، والشعوب ترى أن الحكام أهـل استبداد وقتل للحريات ومصادرة للحقـوق، والمتدينون طوائـف كل طائفة ترد علـى الأخرى وتجمـع مثالبها وتذكر معايبهـا، والمثقفـون يتراشقون بالتهم بـين إسلامي وليـبرالي وعلماني وحداثي، والعـوام مشغولون بمدح القبيلة وذكـر مآثرها ومناقبها وأمجادها التي ما صنعت طبشـورة، وبعض الرجال يـرون أن المرأة أخذت أكثر مـن حقوقها وتعدّت طورها وأجحفت بحق الرجل، وبعض النساء يصرخن من ظلم الرجل وقهره وجفائه وقلّة وفائه، والأستاذ يرى في الطالب قلّة الأدب وعدم المبالاة مع الإهمال، والطالب يرى في الأستـاذ الشراسة وضحالة المادة وقلّة الأمانة، فأصبح المجتمع يتراشق بالتهم والـردود، ومـن يقرأ صحفنا يجـد مئات الأعمـدة كلها ردود وانتقـام وقصاص، وبيانـات متضاربة، كل يكذّب الآخـر ويتهمه ويستعدي عليه مـرة السلطة وأخرى المجتمع فإن لم ينفع دعا عليه فإن لم يجدِ توعّده بنار جهنم وسوء المصير.

يا دعاة التطبيع مع القتلة من أحفاد بن جوريون وطلاب موشى دايان والأفاقين وشـذّاذ العالم دعونا من هذا التطبيع القبيح، وتعالوا إلى التطبيع الجميل الراقي بين أبناء الأمة الواحدة، تعالوا نتسامح ونتصافح ونتناصح ويعفو بعضنا عن بعض ونتمثل قول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾.

أوقفوا بيانات التشنيع والتجريح، أغلقوا محاكم التفتيش عبر الصحف ومواقع الإنترنت، أغمدوا الألسنة الطويلة البذيئة عبر القنوات والمنابر الإعلامية، تعلموا من أدب الوحي، يقول تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾. توبوا من الهمز والغمز واللمز؛ لأن هذا شأن الخسيس الذليل التافه الحقير الساقط الأرعن الجبان: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ نريد من العقلاء والعلماء والأسوياء أن يسمعونا كلمة طيبة وجملة مفيدة وعبارة حلوة مشرفة، يقول ﷺ: «**الكلمة الطيبة صدقة**»، قبل ما تتهمني حاورني، وقبل ما تحاكمني اسمع مني، وقبل ما تفضحني انصحني، وقبل ما تشنقني امنحني فرصة لأُدافع عن نفسي، لقد أمطرنا صباح مساء بدعاة التطبيع مع إسرائيل لكنه في المقابل يستحلّون السخرية بإخوتهم والتهكم برسالتهم والاستهزاء بأمتهم، حتى صدق عليهم قول الشاعر: (**أسدٌ عليّ وفي الحروب نعامة**) نحن في أمس الحاجة إلى سلم اجتماعي ومصالحة وطنية شاملة تبدأ من رأس الهرم إلى الرجل البسيط، بيننا فجوة اجتماعية، عندنا قسوة في التعامل مع من خالفنا، فبعض أهل العلم إذا أراد أن يرد على عالم خالفه شنّع عليه وشهّر به واستعدى عليه الناس، فتجد عبارات: فاسق، زنديق، كافر، ضال، مبتدع، وبعض المفكرين يثير قاموس الشتائم على من اعترض عليه، فهو يصف خصومه من الدعاة بمتزمّت ومتطرف وخارجي وإرهابي ومتعصب، وبعض الفئات حجزت لأنفسها مقاعد في الجنة وأغلقت أبواب الجنة الثمانية عن الآخرين والويل لمن يطمع في الجنة بعد هذا.

بعد أن كنّا خير أمة أُخرجت للناس صرنا نتقاتل ونتهاجى ونتطاحن فيما بيننا، فالعراقي يقتل العراقي، والفلسطيني يذبح الفلسطيني، والصومالي ينحر الصومالي، والأفغاني يمزّق الأفغاني، ومن نجا من القتل ما سَلِمَ من السّب والتّخوين والسخرية، إذاً فنحن أحوج ما نكون إلى مد جسور الإخاء وتطبيع العلاقة ونزع فتيل العداوة واجتثاث شجرة الشّر ونبذ الكراهية.

ابتســـــم

كـلُّ مَـــنْ لاقـيـتُ يـشـكـو دهــرَه
لـيـتَ شـعـري هـــذه الـدنـيـا لمن؟

هـذه الـدار مشوبـة بالكدر، ممزوجـة بالهـم معروفة بالنّكـد: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾، وكل عاقـل وعالم وأديـب وفيلسوف يقدم لك وصفة في مواجهة أحزانها ومصائبها، فأبو الطيب المتنبي يقول لك:

لا تَـلـقَ دَهــرَكَ إلا غَـيـرَ مُـكـتَـرِثٍ
مــادامَ يَـصـحَـبُ فـيـهِ روحَــكَ الـبَـدَنُ

فهو يدعوك لعدم المبالاة ومواجهة الأمور بعدم اكتراث، ولكن إيليا أبو ماضي يدلّك على التّبسم في وجه الحوادث:

قـــال: الـلـيـالي جـرّعـتْـنـي عـلـقـمًا
قـلـتُ: ابـتـسـم ولـئـن جَـرعـت الـعـلـقـما

إذاً، ابتسـم أمام كل أزمة وعنـد كل مصيبة ومع كل ألم؛ لأن التّحسر والبكاء والنـدم لا يجـدي، لكن التّبسـم إعلان للانتصـار وإظهار للظفـر وتعزية للنفس وإثبـات للصبر ورضا بالقـدر واعتراف بالواقع، يوم مـات ابنك فبكيت هل عاد؟ يـوم خسرت المال فتأسّفت هل رجع مالك؟ قهـرك العدو فصرخت وضجرت فهل انتصـرت عليه؟ إذاً لا تحـوّل المصيبة إلى مصيبتين ولكن عنـد الأزمة اصنع من الليمـون شراباً حلـوًا، وقد حفظ لنا التاريخ عظماء صارعـوا الأحداث وعاركتهم الملمـات وهـم يتبسّمون في عـين العاصفة ويضحكون في وجـوه الخطوب، كما قال أبوالطيب لسيف الدولة:

وَقَفتَ وَما فِي المَوتِ شَكٌّ لِواقِفٍ
كَأَنَّكَ فِي جَفنِ الرَّدى وَهوَ نائِمُ

تَمُرُّ بِكَ الأَبطالُ كَلمى هَزيمَةً
وَوَجهُكَ وَضّاحٌ وَثَغرُكَ باسِمُ

ولما مات ابن الفضيل بن عياض ضحك الفضيل، فقال له أصحابه: ما لك؟ قال: ليعلم ربي أني رضيتُ، ولما وقعت الهزيمة في أحد على المسلمين وكثر القتل والجراح في المؤمنين قال الرسول ﷺ لأصحابه: «**صفّوا ورائي لأثني على ربي**». بل بعضهم كان يقابل النوائب بالنعاس وقد جعله الله حلاً للمؤمنين فقال عنهم في أحد: ﴿إِذۡ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنۡهُ﴾ وكان مع الحجاج بن يوسف ثلاثة آلاف مقاتل ومع شبيب الخارجي ستون فارساً فأخذ شبيب من قوة قلبه ومضاء عزيمته ينعس على بغلته ثم دارت الحرب فانتصر على الحجاج وهزم جيشه وطاردت زوجته غزالة الحجاج بجند قليل معها، حتى خرج من قصر الإمارة فقال الشاعر يهجو الحجاج:

هَلاّ بَرَزتَ إِلى غَزالَةَ فِي الوَغى
بَل كانَ قَلبُكَ فِي جَناحَي طائِرِ

أَسَدٌ عَلَيَّ وَفِي الحُروبِ نَعامَةٌ
فتخاء تجفلُ مِن صَفيرِ الصافِرِ

إذاً، ليس لي ولك من حل أمام أي معضلة أو نكبة إلا التّبسم إذا لم تستطع النوم والنعاس.

إن في الناس عظماء وصابرين يتبسّمون عند كل ملمّة ومع كل مصيبة وهم أهل الرضا والأمن الداخلي والإيمان القوي، إنهم أصحاب القلوب الكبيرة منهم المقعد على كرسيّه الذي يوزع البسمات على الجمهور، ومنهم المريض من سنوات

على السرير الأبيض الذي تزين وجهه بسمة الرضا، ومنهم من خسر ثروته فسلّم للقـدر وتبسّم أمـام الأمر الواقع، أيها الراضون بقضـاء الله، أيها المتبسمون عند الخطوب: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾.

obeikandl.com

ضحايا التقليد الأعمى

الأمم المغلوبة تقلّد الأمم الغالبة هذا ما قرره رائد علم الاجتماع ابن خلدون وهي نظرية معتبرة وقد تحققت في أمتنا الإسلامية في هذا العصر وهي تعيش الغثائية والهامشية في كثير من نواحي الحياة، وليت بعض شبابنا الذين قلّدوا الغرب كانوا قلّدوهم في الصناعة والإنتاج والإبداع ولكنهم مع لأسف قلّدوهم في بعض الصور الباهتة البائسة كقصة الشعر عند مايكل جاكسون والعزف على الناي وفن أكل الهامبرجر والشّره في تناول البيتزا، وكما قلت في أرجوزة أمريكا:

منهم أخذنا العود والسيجارة
وما عرفنا نصنع السيارة

استيقظوا بالجد يوم نمنا
وبلغوا الفضاء يوم قمنا

وليت عدوى العمل والإنتاج والتقدم المادي انتقل إلينا نحن معشر العرب من الغرب ولكنه قفز إلى الشرق وتركنا في الوسط وذهب إلى الصين وسنغافورا وماليزيا وبقينا في الوسط العربي نحافظ على التراث الشعبي وكل منّا بيده هراوة يؤدي عرضة قبيلته ويُنشد بافتخار (القبيلة عزوتي يا عمى، عين الحسود) وما أدري من هو هذا الحسود الغبي الأحمق الذي أصابنا بالعين ولم يصب بعينه المشؤومة المعامل والمصانع والتكنولوجيا في الشرق والغرب، لكن الذي يعيش الوهم يبدع في الخيال الخصب ويتحدث عن إنجازاته الوهمية بإسهاب.

إن بعض شبابنا أراد أن يثبت لنفسه التمدن الحضاري والتطور فعلّق سلسلة على صدره وشدَّ الجنز على خصره وجعل على رأسه قبعة تحتها قصة شعر وهي آخر موضة في (هوليوود)، ليت شبابنا أعفوا أنفسهم من هذه القشور وأراحوا عقولهم من هذه التفاهات واتجهوا إلى حياة الجد والعمل والمثابرة، إن الحياة

قلب واعٍ وضمير حي ولسان صادق وقلم حكيم وريشة موحية وساعد مثابر، وليست الحياة خيال هائم ولا شعرَ مائل ولا تقليد أجوف ولا تصرفات رعناء ولا محاكاة بلهاء، وعجبي لا ينتهي ممن يمطرنا صباح مساء بقصائد في مدح الغرب ومقامات الثناء على الحضارة المادية ثم لا تجد في حياته من آثار هذا التقدم والحضارة إلا الأكل بالشوكة والملعقة وتناول الوجبة على موسيقى (بتهوفن)، لماذا الارتماء في أحضان الغير والاستخذاء للآخر ونحن أصحاب أعظم رسالة عرفها الكون وأحفاد من أسس أروع حضارة شهد لها التاريخ، ومن كان في شك من ذلك فليسأل بطاح مكة ومنابر بغداد وميادين دمشق ومقاصير القاهرة ومتاحف الزيتونة والقيروان ومغاني الزهراء والحمراء:

يومٌ من الدهرِ لم تصنعْ أشعّتَه
شمسَ الضُّحى بل صنعْناه بأيدِينا

الأرض بتتكلّم أردو

يهـدد الخليج طوفـان جارف مـن العمالة الآسيويـة السائبـة والمنظمة التي استولـت على سوق العمل وغـيّرت لهجات سكان الوطن فأصبـح الخليجي يرطن للعجـم بلغتهـم وصـار المواطـن يبحـث عـن عمل ولـو في سيـارات الأجـرة وبيع الخضـراوات، فـإذا بالسوق كلّها تعجُّ بـالأردو والبشتو، وصاحـب الشركة والعمل يقـدّم العمالة الوافـدة؛ لرخص أجرتهـا، ولأن المواطن في الغالـب يعمل بشروط وقيـود، والواجـب علينا أن ندرس الأخطـار المستقبلية لهذه السيـول البشرية من العمالـة الوافدة؛ لأنهم يشكّلـون قنبلة موقوتة قد تدمّر الدولة في الخليج وفي جدة بالسعودية مثلاً عمالة سائبة هاربة تشكل خلايا نائمة تنتظر من يشعل لها الفتيل لتأتـي على الأخضر واليابس، ومن درس التاريخ باعتبار عرف ذلك كما حصل في عهد المعتصم لما غلب العنصر الوافد على العنصر العربي وكذلك الخليفة المتوكل حتى وقعت دولة بين العباسية في الأفشين وأشناس وجوهر وغيرهم.

وفي الخليج مئـات الألوف من المواطنين العاطلين عـن العمل مستعدون للعمل سائقـين وخبّازين ونجّارين وبنشريين وخيّاطـين وهذه أعمال شريفة؛ لأن كل عمل يحفظ ماء الوجه فهو عمل نبيل شريف، وكان أنبياء الله يعملون في أعمال فاضلة، كان نـوح نجّـارًا، وداود حدّادًا، وإدريس خيّاطًا، وما مـن نبي إلا رعى الغنم، ولكن عندنـا شباب أهلكهم الكبر والفقر كما قيـل: (أحشفاً وسوء كيله)، وقالت العامة: (أعمى ويناقر) وما علموا أن عرق العامل أزكى من مسك العاطل، وأن فأس الفلاح أشرف من وتر الهائم، وأنا أشكر شباباً ألقوا رداء الكسل، وودّعوا الأماني، واتجهوا للأعمال؛ لأنهم يعلمون أن قيادة (التاكسي) في طلب المعيشة أشرف من حمل ملف الشحاذة والوقوف على باب تاجر شرس عابس الوجه صفر من الخير.

وأصـل المشكلـة في العمالة الهاربـة السائبة والوافدة أن الكثـير يغلب عليهم الجهـل والتّلبس بمخالفات كبرى كالسحر والشعـوذة وتعاطي المخدرات والترويج

للسلب والنهب وهم يشكلون طابوراً منظّماً قابلاً للانقضاض في الوقت المناسب كما حصل لثورة الزنج في بغداد في القرن الثالث وكما حصل في ثورة العيّارين والحشّاشين في القرن الرابع والتاريخ يعيد نفسه ومن أنذر فقد أعذر.

ليتنا نُنشئ معاهد للتدريب على أعمال الفنادق والخدمة وسائر الحِرَف من تجارة وسباكة وخياطة وننفض عن الجيل غبار الوهم والكسل الذي سبب لهم القلق والقهر النفسي والانهيار العصبي ونقتصد في الحفلات الشعبية والإسراف في ذبح البقر والجمال والخراف وختم ذلك برقصات يعلن فيها الشاعر تفوّق قبيلته على كل القبائل وأنها بلغت الجوزاء شرفاً وفخراً وأنها حجبت الشمس بسيوفها وهذا كله كلام فارغ؛ لأن كثيراً من القبائل لم يحفظ أحدهم ثلاثة أحاديث ولم يقرأ عشر صفحات من كتاب نافع ولو سألته عن أحكام سجود السهو أو السنن الكونية في الأمم أو أخبار الدول أو بيت حكمة أو مَثَل شارد لما أجابك بحرف.

ودِّع همومك

ينبغي على من أراد السعادة في حياته أن يتخذ ثلاث قرارات مصيرية ويعمل بها لكن بحزم وإصرار.

القرار الأول: نسيـان الماضي بأن يغلق على ملفات الماضي في زنزانة الإهمال والإغفال فلا يفتحها أبداً ولا يقرؤها مطلقاً ولا يتذكر أي مصيبة أو مأساة أو كارثة مرّت به وكأنه وُلد اليوم فليس له علاقة بأمس الذاهب الذي مات وكُفِّن رحمه الله؛ لأنَّ تذكـر الماضي حُمق وجُنـون ولا يمكن أن يصلحه دمع أو عويل أو تحسر وأسف فلمـاذا إعادة عقارب ساعات الزمن وإخـراج الأموات من قبورهم ونشر النشارة وطحن الطحين، وهذا ما يفعله من يستجرُّ ويتذكر أحداث الماضي.

القرار الثاني: ترك المستقبل حتى يأتي، بحيث لا تشغل ذهنك بالأيام القادمة فقـد لا تصل إليها أصـلاً، فأنت حينما تعيش في المستقبل معناه أنك تصارع الظل وتقاتـل الأشباح، وفي المثل الياباني (لا تعبر جسـراً حتى تأتيه) وهذا صحيح فقد لا تصل إلى الجسر أصلاً وقد ينهار قبل أن تصل إليه وقد تعبره سالماً، والاشتغال بالمستقبل وترك الحاضر معناه ضياع الفرصة الوقتية الحاضرة في العمل والإنتاج وليس معنى هذا الكلام عدم الاستعداد للمستقبل؛ لأن النـاجح في يومه هو المستعد حقيقة لمستقبله.

القـرار الثالث: (عش في حدود يومـك) فتعتقد اعتقاداً جازماً أنك لن تعيش إلا هـذا اليـوم، وأن حياتك يوم واحد فقـط فتخطط لهذا اليـوم وتعمل له وتملؤه نجاحـاً وفلاحاً وصلاحًا وتجتث من نفسـك شجرة الشَّر وتستلَّ من قلبك عقارب السمـوم والهموم والأحـزان وتحرص على الاستفادة مـن كل دقيقة في هذا اليوم الـذي هو ملكك فقط؛ لأن الماضـي ذهب إلى غير رجعة، والمستقبل في عالم الغيب وهو غير مضمون، كما قال الشاعر:

مــا مـضــى فـــات والمــؤمــل غـيــبٌ
ولــك الــســاعــة الــتــي أنـــت فيـهـا

إذاً، فاكتب على جدار قلبك عبارة (يومَك يومَك) وإن كتبتها في مكتبك فحسن جميل؛ حتى تعلم أنك لن تعيش إلا يوماً واحداً، وفي الحديث: «**إذا أصبحت فلا تنتظر المساء**»، يقول زميلي وصديقي أبو الطيب المتنبي:

لا تَـلـقَ دَهـــرَكَ إلا غَــيرَ مُـكـتَرِثٍ
مــادامَ يَصـحَـبُ فـيـهِ روحَـكَ الـبَـدَنُ

فَـمـا يـدـيمُ سُــروراً مـا سُــرِرتَ بِـه
وَلا يَــرُدُّ عَـلَـيكَ الـفـائِتَ الحَــزَنُ

وسلامتكم.

obeikandl.com

اللغة العربية في خطر

اللغة العربية أكثر لغات الأرض مفردات وتراكيب وهي لغة العلم والفن والعقل والروح والصوت والصورة ولكنها اليوم في خطر أمام مد التغريب الزاحف والعاميّة الجارفة فكثير من العرب يفخر بغير لغته حتى صار من الموضة عند كثير منهم الرطانة بالإنجليزية والتباهي بترداد مفرداتها، ومن سافر من العرب إلى الغرب عاد يرطن بكلمات عدة؛ ليوهم الناس أنه قد عاد بثقافة الغرب وحضارتهم وكأنه الدكتور أحمد زويل أو البروفسور زغلول النجار، بينما تجده كان ماسحاً للسيارات في شوارع لندن أو نادل مطعم في تكساس، والعربية مهدّدة بلغات العمالة الوافدة إلى بلاد العرب وبالخصوص الخليج العربي؛ فالأرض تتكلم أوردو أو بشتو ولغة التاميل، حتى صارت المربيات يلقنّ أطفالنا لغاتهم على حساب لغتنا فضعفت لغتنا، أمام هذا السيل الطاغي من اللغة الوافدة، وتهدد العربية أيضاً باللهجة العامية فأكثر الأشعار الآن باللغة المحلية وهي لغة بلدية محليّة دارجة سوقية ويعقد لشعرائها مسابقات وجوائز ثمينة بينما شعراء العربية أكلتهم الوحدة والإهمال والتجاهل، وزاد الطين بلّة قيام وزارات التربية والتعليم في الدول العربية بتدريس العلوم والرياضيات باللغة الإنجليزية أو الفرنسية وأصل هذه العلوم كان بالعربية في عهد الفارابي وابن سينا وابن النفيس وجابر بن حيان فضعف، فهم الطالب هذه العلوم ونسي لغته العربية الأم.

واليوم أصبح من الواجب على كل عربي غيور أن يهب؛ لحماية لغته من الفناء وينقذها من الموت، كلٌّ في حقله وتخصصه فأهل التربية والتعليم والمفكرون والمثقفون والأدباء ورجال الإعلام هم المسؤولون عن العربية أمام الله ثم الأمة والتاريخ وكما قال أبو منصور الثعالبي: من أحب الله أحب رسوله ﷺ ومن أحب رسوله أحب القرآن ومن أحب القرآن أحب العربية؛ لأن القرآن نزل بها ومن الشرف العظيم والمجد المنيف لهذه الأمة أن كتابها عربي ونبيّها عربي، ولكن المتسوّلين على

أبواب الأجنبي والمتطفلين على موائد الغير يرفضون هذا الشرف ويفرّون من هذا المجـد، والحل أن تتبنى الحكومات العربيـة ميثاق شرف حماية العربية وأن تلتزم بالعربيـة لغة رسميـة في كل شؤونها كما فعلت كل أمم الأرض، ويُعلَّم الجيل لغته الأم، ويُوقـف في وجه كل دعـوة للتغريب والتشويه والعاميـة؛ لنحافظ على هويتنا كعرب اختارنا الله للرسالة الخاتمة والدين العظيم والملة السمحاء.

obeikandl.com

بشِّروا ولا تنفِّروا

بشِّروا ولا تنفِّروا ويسِّروا ولا تعسِّروا، هذا كلام الرسول المعصوم ﷺ وإعلان صريح وخطاب واضح موجّه لحملة الإسلام، معناه التبشير بالدِّين الجديد والتّيسير على الناس وعدم تنفيرهم بالغلظة والفظاظة بل دعوتهم بالحكمة والموعظة الحسنة وتذكيرهم برحمة أرحم الراحمين، إن العلماء والدعاة وحملة الهم الإسلامي هم رسل سلام ورحمة في الحقيقة، فإذا خالف أحدهم هذا المنهج وأصبح ينفِّر الناس بشدّته وقسوته ويقنّطهم من رحمة الله فإنما لخلل في نفسه هو، وإلا فإن رسالة الإسلام رسالة حب وسلام ورحمة وهداية، يقول الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾، ولهذا أنهى إخواني من الدعاة الذين يهدِّدون الناس بخطبهم ويتوعَّدونهم وكأن الرحمة والعذاب بأيديهم، والبعض يتكلم للناس بمثالية وتعال، وكأنه في برج عال أو من فصيلة أخرى لا يذنب ولا يخطئ، والله يقول: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾.

لماذا لا نعترف بإنسانيتنا وقصورنا وعجزنا؟ ولماذا لا نخاطب الناس على أننا مثلهم وهم مثلنا كلّنا بشرٌ نصيب ونخطئ، نذنب ونستغفر، ننجح ونخفق، لا أحد منّا يملك الوصاية المطلقة على الإسلام، ولا أحد منّا هو الناطق الرسمي الوحيد باسم الدِّين، فليس عندنا في الإسلام (بابا) ولا (ماما) كلّنا أهل رسالة ربّانيّة عالمية هي رسالة سلام وإخاء وبشرى وهداية ورحمة، لا أحد أذكى ولا أطهر ولا أنبل ولا أكرم من محمد ﷺ، ولهذا ذكّره ربه بالأسلوب الجميل في الدعوة، فقال: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾.

إن كلمات الوعيد والتهديد في الموعظة والتّنفير والحِدّة المتناهية معناها أن المتكلم لم يفهم إلى الآن مقاصد هذه الشريعة المحمدية، فهو يتكلم على حسب طبيعته هو المركَّبة من الفظاظة والغلظة والقسوة، فأخذ يعبِّر عن الإسلام لكن بفكرته التشاؤمية السوداوية وكيف يصغي لخطابنا من نخبره أنه شرّير وأن الله

لا يغفر له وأن النار تنتظره ونمطره صباح مساء بالويل والثبور وعظائم الأمور، مع العلم أن الكتاب والسنة بشّرا بالتوبة واللطف من الله والرحمة الواسعة والمستقبل الجميل والمنقلب الحسن: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾. إن مفاتيح الجنّة بيد الله وحده جل في علاه، وهو الذي خلقنا من تراب وعلم ضعفنا، وهو غني عنّا ومع ذلك دعانا بالرفق واللين ووعدنا رحمته وهو أرحم الراحمين، فكيف يأتي بعضنا يستعرض علينا قدراته البيانية وملكاته الخطابية ويحاصرنا بالتّبكيت والتأنيب والتّسفيه والتّجهيل؟ وفي الحديث الصحيح أن رجلاً عابداً نصح أحد العصاة، فلم يستجب له العاصي، فقال العابد للعاصي: والله لا يغفر الله لك، فقال الله تعالى: من الذي يتألّى عليَّ؟ أشهدكم أني غفرت لهذا العاصي، وأحبطتُ عمل هذا العابد.

إذاً، أيها الإخوة الفضلاء دعونا نقدِّم بشرى للناس لهذا الدِّين الخاتم ونجعله حلاًّ لمآسيهم ومشكلاتهم؛ لأن رسوله الكريم ﷺ جاء كما وصفه ربُّه: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ فمهمّته إزالة العُسر والمشقة والعنت وإدخال السرور والأمن والرضا والسكينة، إن ديننا العظيم بريء من كهنوت الكنيسة التي تدعو إلى قتل الإنسانية في الإنسان وتحريم ما أحلَّه الله ونسف مباهج الحياة وإلغاء إشراق الروح، ولهذا قال الله عنهم: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ﴾. فديننا غذاء للعقل وزاد للروح ومتعة للعاطفة، ورسالتنا حياة للجسم ونور للقلب وسعادة للدنيا وفوز في الآخرة وإصلاح للفرد واستقامة للأمة، فهو توازنٌ بين الحقوق والواجبات، والفرائض والنوافل، والمكاسب والمواهب، والأخذ والعطاء؛ لأنه نزل بميزان العدل: ﴿أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ﴾، فلا بد لمن يدعو للهداية أن يفهم دين الله وأن يتفقَّه في شريعته سبحانه ليدعو إلى الله على فهم عميق، كما قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

أوقد شمعة ولا تلعن الظلام

الذكـي الموفَّق يحـوّل خسائره إلى مكاسـب، طُرد الرسـول ﷺ من مكة إلى المدينـة فأنشـأ دولة عادلة ملأت سمع الزمان وبصـره، سُجن ابن تيمية فكتب في السجن ثلاثين مجلداً من العلم النافع، وُضع السرخسي في بئر معطّلة تحت الأرض فألَّـف كتاب «**المبسوط**» عشرين مجلداً، أُقعد ابن الأثير فصنَّف «**جامع الأصول**» أنفـع كتاب وأفيـده في الحديث، تعطَّل عطـاء بن أبي رباح عـن المكاسب الدنيوية لأمراضـه وضعفه فجلس في الحـرم ثلاثين سنة يتعلم العلم فصـار عالم الدنيا، أصابت الحمى أبا الطيب المتنبي فأرسل للعالمين قصيدته الرائعة الذائعة:

وَزائِـرَتـي كَـأَنَّ بِـهـا حَـيـاءً
فَـلَـيـسَ تَـزورُ إِلا فِي الـظَّـلامِ

وعمـي طه حسين فواصل دراسته حتـى نال العالمية، وبُتِرت رجل الزمخشري فلـزم بيته يقرأ ويصنِّف فصار أعجوبة الدهـر، إذاً استثمر الوجه الآخر للمأساة وانظـر إلى الجانـب المشرق للمصيبة وحـاول أن تصنع من الليمـون شراباً حلواً، وتكيّـف مـع ظرفك القاسي واعلم أنّ العظماء إنما شقّـوا طريقهم إلى المجد على الجمر وعلى الشوك والتعب والمشقة؛ لأن طريق الراحة التعب، والتفوق والانتصار قطـرات من الدمـوع والآهـات والدمـاء والعـرق، أما الإخفـاق والهزيمـة فإنها كبسـولات مسكِّنة من الفشل والكسل والتّسويف والإحباط والراحة، فإذا واجهتك أزمـةٌ وصدمتك مأسـاة فلا تقابلها بالعويل والثبور والبـكاء والتّحسر، بل واجهها بالاحتساب والصبر والإصرار على الانتصار والثبات والاستمرار.

إن العباقرة في الغالب لم تكن ظروفهم مهيأة ولا النعم لديهم مكتملة ولا الوسائل متاحة، فمن عنده مالٌ ليس لديه صحة، ومن رُزق ذكاءً خسر الثروة، ومن مُتِّع بسمعه قـد يفقـد بصره، فحال الدنيا عدم الاكتمال، فلو أن الدنيـا تمّت لأحد من العز والمال

والصحة والجاه والسرور والأمن لصارت جنّة، ولما كان في الآخرة جنّة ثانية، لكن هذه الدنيا (**من سرَّه زمنٌ ساءته أزمان**) فلا تنتظر أن يصفو لك العيش وتسالمك الأيام وتُتاح لك الفرص وتُفرش لك طريق المجد بالورود، ولكن انطلق بما أعطاك الله من موهبة ونعمة ووظِّفها أحسن توظيف واجتهد غاية الاجتهاد، وإذا ضمك الليل فلا تلعن الظلام ولكن أوقد شمعة، وإذا تعطّلت بك سيارتك فلا تُلقِ خطبة رنّانة في سبّ من صنعها أو الطريق الذي مشت عليه، ولكن أصلحها وواصل السير، وإذا تنكّر لك صديق فلا تنظم فيه قصائد الهجاء وتضيّع وقتك ولكن ابحث عن صديق آخر أو عش وحيداً، وكن كالنملة تحاول الصعود ألف مرَّة ولا تؤمن بالإحباط أبداً، وكن كالسيل إذا وُضعت في طريقه صخرة انحرف ذات اليمين وذات الشمال.

الفرص أمامك كثيرة والأيام المشرقة تنتظرك، والانتصار حليفك إذا بذلت واجتهدت وتوكّلت على الله، لا تعترف في الحياة بالهزيمة أبداً وقاوم إلى آخر نَفَس من حياتك فإن أبا الريحان البيروني بقي يدرّس حتى في يوم وفاته، وأبو يوسف القاضي يناقش طلابه وهو في سكرات الموت، وابن سينا يكمل مصنَّفه والموت يدبُّ في أطرافه؛ لأن الحياة لا تعترف بالخاملين الكسالى، والدهر لا يصفق للفاشلين، والمؤمن القوي خير وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف، قال شوقي:

وَما نَيلُ المَطالِبِ بِالتَمَنّي
وَلَكِن تُؤخَذُ الدُنيا غِلابا

وقلت أنا (وأعوذ بالله من كلمة أنا):

كنْ أحمرَ العينِ إن المجدَ منتهبٌ
وكن فديتُكَ مرجوّاً ومرهوبا

لم ينفعِ الشّاةَ في الدنيا سكينتُها
والليثُ ما ضرّهُ أن ليس محبوبا

اخلع النظارات السوداء

التشاؤم هو مادة من مقررات مدرسة الشيطان، وقد حذَّرنا الله تعالى من ذلك فقال: ﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةً مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾. فإذا أوحت لك نفسك الأمَّارة بالسوء بأنك سوف تفشل وتخفق وتفتقر غداً وبأنك في المستقبل سوف تُصاب بمصيبة وتقع في كارثة فهذا كلّه كذب وأراجيف، ومشكلتنا أننا إذا خلونا بأنفسنا انتقلت بنا النفس إلى الخانة السوداوية فحدَّثتنا عن الآلام والمصائب، والأوجاع والنّكبات، ولكن مع الأسف لا تنقلنا إلى خانة التفاؤل ولا تخبرنا بما عندنا من النِّعم وما حققناه من النجاح وما أحرزناه من التّفوق والانتصار، فتجد الكثير منّا يفكر في المفقود ولا يشكر الله على الموجود ويبقى عمره ينتحب على فقد ولد أو ولدين ولكنه لا يفرح ببقاء العشرة من أبنائه، وتجد البعض يتحسَّر لأنه سوف يمرض غداً، ويتأسَّف لأنه سوف يفتقر بعد سنة، ويتحسَّر لأنه سوف يموت بعد ستين عاماً، وأنت إذا أنصفت من نفسك وجدت أن الحياة أجمل مما تتصور وأنها أروع مما تتخيّل، فمكاسبك فيها أكبر من خسائرك، ونِعَمَ الله عليك أعظم من المصائب التي حلَّت بك.

الحياة جميلة متى ما نظرت إليها بتفاؤل ومتى ما أحسنت توظيف نِعَمَ الله عليك ومتى ما استقبلت المواهب الرّبانية بقبول حسن، لكنَّك لن تجد للحياة طعماً لذيذاً ولن ترى لها صورة حسنة ما دمت تحمل بين جنبيك نفساً متشائمة ونظرة سوداوية، فلو سكنت قصراً مشيداً وحللت حديقة غنّاء وأشرفت على نهر مطّرد وملكت كنوز الدنيا فسوف تبقى كئيباً تعيساً منغَّصًا؛ لأنك صدّقت الشيطان في أخباره السيئة ووعوده الكاذبة، ولو صدَّقت الرحمن وآمنت به لرضيت بقضائه وقدره ولقنعت برزقه، فتجدك متبسِّماً سعيداً وأنت تسكن كوخاً وتأكل خبزاً جافًّا وتنام على الرمل، إن أكثر الشقاء الذي يعيشه كثير من الناس أوهام مزيّفة وأخبار مغلّفة بالكذب؛ لأنهم وضعوا على عيونهم نظارات سوداء من التشاؤم والنظر إلى

الجانب السلبي المظلم من الحياة، فأصبحوا لا يرون إلا سواداً في سواد، فهم لا يتمتَّعون ببهاء الشمس الساطعة وإنما يشكون حرارتها، ولا يتلذّذون بشرب الماء الزلال ولكنهم ينزعجون من برودته، وإذا ناولت أحدهم وردة جميلة نظر إلى شوكها، ولهذا يقول إيليا أبو ماضي:

أيُّها المشتكي وما بك داءٌ
كيفَ تغدو إذا غدوتَ عليلا؟

وترى الشوكَ في الورودِ وتعمى
أن ترى فوقَها الندى إكليلا

والذي نفسُه بغيرِ جمالٍ
لا يرى في الوجودِ شيئاً جميلا

فاخلع نظاراتك السوداء التشاؤمية ونظِّف ذاكرتك السوداوية من الأوهام والإحباط والخرافة واقبل على الحياة بإيمان ورضا وعزيمة وسوف تجد الحياة تعطيك أكثر مما تطلب، وسوف تراها أبهى وأبهج مما تتوقع، وقد ذكروا في التاريخ المعاصر أن فرنسا في ثورتها العارمة سجنت شاعرين من شعرائها متفائلاً ومتشائمًا، فأما المتفائل فأخرج رأسه من النافذة ونظر نظرة في النجوم وضحك، وأما المتشائم فنظر إلى البائسين في الشارع المجاور فبكى، وقد قسَّم الوحي الناس في استقبالهم للقرآن العظيم إلى قسمين حسب نظراتهم في الحب والتفاؤل والكره والتشاؤم: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾.

كم مرّة ظننا أنها النهاية فإذا هي البداية، كم من يوم اعتقدنا أنه الإخفاق والإحباط فإذا هو الانتصار والنّجاح، كم من مصيبة حسبنا أنها ساحقة ماحقة

فإذا هي نعمة وهبة ربّانيّة قوَّتنا وأيقظتنا، كم مرّة خِفنا ولكن لم يحدث ما نخاف، وكم مرّة تشاءمنا ولكن لم يحصل مكروه، فعلينا جميعاً أن نستقبل أيامنا بالتفاؤل والنفس الراضية والهمة العالية: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

obeikandl.com

نقد التعليم الديني

لا يزال التعليم الديني في الجانب الفقهي على حالة واحدة عندنا منذ ألف سنة، فهو متون فقهية مذهبية مجردة من الدليل كُتبت قبل قرون من الزمن يحفظها الطلاب عن ظهر قلب كزاد المستقنع في الفقه الحنبلي ومختصر خليل في الفقه المالكي والتقريب لأبي شجاع في الفقه الشافعي والقدوري في الفقه الحنفي، وهذه المتون كُتِبت باختصار شديد العبارة وإلغاز في الجمل واختزال للمعاني، والخطأ فيها من وجهين:

الأول: تجريدها من النصوص كتاباً وسنة؛ لأن المقصود الاستدلال لها بدليل شرعي لا الاستدلال بها هي مجردةً من الدليل.

الثاني: فَهِم الكثير أن هذه الآراء الفقهية قاطعة راجحة وما سواها باطل فحصل التعصب للمذهب والبعد عن الدليل فحينما تطالع مثلاً أول زاد المستقنع تجد عبارة (وأقسام المياه ثلاثة) وهذا خطأ، بل هما قسمان فقط، ثم يقول: (وإذا اشتبهت ثياب طاهرة بنجسة صلى بعددها وزاد صلاة) يعني أن من عنده عشرين ثوباً فعند الاشتباه يصلي إحدى وعشرين صلاة وهذا خطأ بل عليه أن يتحرى، والمشكلة أن هذه المتون تذهب بالطالب بعيداً عن الآية والحديث ويكدُّ ذهنه في عبارات مغلقة مقفلة دون طائل، ولماذا نشتغل بعبارات الفقهاء الملغزة الغامضة ونشرحها ونعصر الذهن في فهمها ومعنا كتاب عظيم فيه الهدى والنور مع البيان الشافي والجواب الكافي ومعنا سنة مطهرة سهلة ميسَّرة، حتى إننا نعرف من الفقهاء من تصدَّر للإفتاء وهو لا يميز بين الحديث الصحيح والضعيف ولا يستحضر الدليل، وإنما يحفظ هذه المتون الفقهية المذهبية، فهل فينا رجل رشيد يُصلح هذا التعليم الفقهي؛ ليدرس الطلاب فقه الكتاب والسنة كما فعل أئمة الحديث وابن تيمية وابن عبدالبر وابن عبدالوهاب والصنعاني والشوكاني وغيرهم.

وقد درسنا في المتوسطة والثانوية سبع عشرة مادة في الدِّين والرياضيات والجبر والهندسة والفيزياء والكيمياء والأحياء والإنجليزي مع الأدب والنحو والثقافة والتاريخ والجغرافيا وغيرها وكان معنا في تلك المراحل د. سلمان العودة ود. عبدالرحمن السديس ود. عبدالوهاب الطريري ود. محمد التركي وغيرهم من تلك الفرقة الناجية والطائفة المنصورة فتخرَّجنا لا نعرف الإنجليزي ولا نجيد الفيزياء ولا نفهم الكيمياء ولا نحسن الأحياء ولم يُفتح علينا في الجبر ولم نوفَّق في الهندسة ولم نبرع في الحساب وغرقنا في الجغرافيا بين صادرات ساحل العاج ومستوردات بركونافاسو، ومنتجات الكامرون وأخشاب زائير والكاكاو في غينيا بيساو، فصار المنهج (خويضة) وصارت دراسة هذه المواد على حساب المواد الشرعية واللغة العربية، وبالله عليكم هل هذه طريقة في تعلم العلم؟ ويحق للطلاب في العالم العربي ألا يخرج منهم فقيهٌ بارعٌ ولا مفسرٌ حاذقٌ ولا أديبٌ لامعٌ ولا نحويٌّ ساطعٌ؛ لأن التعليم في المتوسطة والثانوية (كوكتيل) قل يعني على طريقة: (صِبحتَ بالخير).

أغلقوا محاكم التفتيش

لـن تسلموا مـن تصنيف النـاس ولو كنتم في بـروج مشيّدة، فـإذا تكلّمت أو حاضـرت أو كتبـت أو ألّفت فسوف يقوم أناس موكّلون بـك ويصنّفونك تماماً فإن كنـت طالب علم ومدحت آراء الفقهاء ونقلت عن أهل المذاهب فأنت عندهم مقلّد متعصّب جامد، وإن أخذت بالدليل واعتمدت على النص فأنت ظاهري جلف، وإن رفعـت صوتك وأغلظت في العبارة وأنكرت على بعض المخالفات فأنت (خارجي)، وإن أكـثرت من البشارة وذكّرت النـاس بعفو الله وفتحت باب الأمل لهم في التوبة فأنـت (مرجئ)، وإن رفقـت بأهل الشأن وألنت لهم الحديـث فأنت عالم سلطان مداهـن، وإن كتبت عـن الآخر ونقلت عـن الغرب فأنت (ليـبرالي)، وإن تحدّثت عـن التمـدن وخبرات الغير فأنـت (علماني)، وإن حاضرت عـن الحكم وما والاه فأنـت (إخـواني)، وإن ذكرت الـولاء والبراء فأنـت (سـروري)، وإن أكثرت من المبشـرات وأعرضت عـن المنكرات فأنـت (تبليغي)، وإن حاضـرت عن الخلافة فأنت (تحريري).

وإن دعـوت إلى منهـج السلف ونبذ الشركيّـات والبدع فأنـت (وهّابي)، وإن أكـثرت من الشمائـل والمدائـح النبوية فأنت (صـوفي)، وعندي كتابـات ورسائل تحدثـت عنـي من البعض فذكرت عنـي وأنا العبـد الفقير أنني (حـلولي) لبيت شعـر قلته مـن قصيدة، وآخر ذكـر أني (صوفي) لعبارة قلتهـا في شريط، وثالث ذكـر أني (خارجـي) لأن لي قصيدة وأنا طالـب بالثانوية بعنـوان (دع الحواشي واخـرج)، ومقصـودي: أيها العـالم، اخرج للنـاس معلماً ومربيـاً ولا تكتفِ فقط بتحقيـق الحواشي، فقـال الأخ معلّقاً على كلامي: فانظر إليـه يا أخي كيف يقول: (دع الحواشـي واخـرج) ومقصوده اخرج على والي الأمر!! فبـالله عليكم هل في كلامـي مـا يُفهم عند المسلمين أو اليهود أو النصـارى أن قصدي اخرج على والي الأمـر، وذكر آخر أنني (مرجئ) لأنني أُكـثِر من ذكر التوبة والرحمة حتى سهّلت

المعاصي للناس، وأنا لا أنكر أن هذه المذاهب والجماعات والأفكار موجودة، ولكن الإنكار على من نصبوا أنفسهم قضاةً على عباد الله يصنِّفونهم على كل كلمة وقصيدة ومحاضرة وكتاب، قال الزمخشري عن تصنيف الناس:

إذا سألوا عَنْ مذهبي لم أبُحْ به
وأكْتُمُه كتمانُهُ ليَ أَسلَمُ

فإن حَنَفيًّا قُلتُ قالوا: بأنّني
أُبيحُ الطِّلا وهو الشرابُ المحرّمُ

وإن مالكيًّا قلتُ قالوا: بأنَّني
أبيحُ لهم أكْلَ الكلابِ وهمْ هُمُ

وإن شافعيًّا قلتُ قالوا: بأنَّني
أُبيحُ نكاحَ البِنْتِ والبنتُ تحْرُمُ

وإن حنبليًّا قلتُ قالوا: بأنّني
ثقيلٌ حُلوليٌّ بغيضٌ مُجسِّمُ

وإن قلتُ من أهل الحديث وحِزْبِهِ
يقولون: تيسٌ ليس يَدْري ويَفْهمُ

تَعَجّبتُ من هذا الزمانِ وأهلِهِ
فما أحدٌ مِنْ أَلسُنِ الناس يَسْلمُ

أيها الناس، أغلقوا محاكم التفتيش في أذهانكم، وأوقفوا ثكنات التجسس والاستخبارات في عقولكم، وارفعوا المشانق التي نصبتموها للآخرين، ويا أيها العلماء والدعاة، صونوا ألسنتكم من الخوض فيما نهى الله عنه، ويا أيها الكتّاب، اغمدوا أقلامكم عن التجريح والتشويه والهمز واللمز والغمز ولا تحكموا إلا ببيّنة كالشمس في رابعة النهار (إلا من شهد بالحق وهم يعلمون)، أما الظنون والأوهام

والوساوس فهي تليق بمرضى النفوس، فقراء القيم، خواة الضمائر، يقول ابن رشيد (بالشعبي):

ما يستشكْ يا حسين كودْ الرديْنّ

وألا ترى الطيّبْ وسيعٍ بطانَهْ

opeikandl.com

الفكر العربي بلا هوية

لا يوجد للفكر العربي المعاصر معالم ثابتة ولا مسارات محدّدة، بحيث يتميز عن غيره من أفكار الأمم والشعوب، فهو متماهي وعشوائي إلى درجة دخول الديني واللاديني والمؤمن والملحد تحت اسم الفكر العربي، وإذا لم يكن لهذا الفكر شخصيته البارزة والمتفردة عن الأفكار الأخرى فلماذا نسميه الفكر العربي؟ فهو إذاً كغيره من الأفكار كالفكر الغربي والصيني والكوري ونحو ذلك، ونحن العرب شرفنا الوحيد هو رسولنا ﷺ الخاتم وما جاء به من عند ربه تعالى، أما مآثر الجاهلية الجهلاء، أو شجاعتها الهوجاء، أو مكارمها الرعناء، فعند الأمم والشعوب أضعاف مضاعفة من هذا الكم من الأخبار والروايات والقصص، ولماذا لا يعلن الفكر العربي بصراحة وشجاعة ووضوح أن رسالته هي رسالة الإسلام، وأن منطلقاته من الوحي المقدس، وأن هويته ربّانيّة محمّدية لا مساومة في ذلك ولا تنازل، حينها يُعرف الفكر العربي بهذه البصمة ويصبح له لون معروف، ومكان مرموق، ورسالة محدّدة محترمة، وإذا لم يحصل هذا التحديد فما الفائدة فيما أن يُقال: الفكر العربي بل الأفكار العربية من إسلامية وقوميّة وبعثية وعلوية ودرزية ونصيريَّة وناصريَّة ونصرانيَّة، وسوف يدخل في هذا الفكر الشعارات القومية الزائفة، يقول الشاعر العربي القومي البعثي (طبعاً بلا إسلام):

آمنت بالبعث ربًّا لا شريك له
وبالعروبة ديناً ما له ثاني!!

وسوف يشمل الفكر العربي هتافات الشاعر القومي العربي (طبعاً بلا إسلام).

القائل:

هبُوا لي ديناً يجعلُ العربَ ملةً
وسيرُوا بجثماني على دينِ برهمِ

سـلامٌ علـى كـفـرٍ يـؤلّـفُ بيننا
وأهـلاً وسـهـلاً بـعـده بجهنَّمِ

ويصبح الفكر العربي بلا هوية كثمن شاة الأعرابي التي عرضها بالسوق للبيع فقيل له: بكم شاتك؟ فقال: شاتي بسبعة دراهم وقد طُلبت مني بثمانية فإن كنت تريدها بتسعة فخذها بعشرة، لماذا يخجل الفكر العربي المعاصر من إعلان هويته الإسلامية، بينما أعلن الرفاق الشيوعيون قديماً في عدن هويتهم، وأعلن البعثيون في أول بيان لهم رسالتهم، وصرّح الضبّاط الأحرار بتوجههم، وكل دعوة أو منظمة أو مؤسسة أو كيان يعلن بقوّة وبشجاعة عن مبادئه وهويته إلا الفكر العربي فإنه غامض ومتردد رمادي اللون: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾. كما قال عمران بن حطان:

يـومٌ يمـانٍ إذا لاقـيـتُ ذا يمنٍ
وإن لقـيـتُ مـعـدّيـاً فـعـدنـاني

لا نريد للفكر العربي أن يعود إلى ملاعب الوثنية في داحس والغبراء، وعبس وذبيان، ومراتع الجهل، والتخلف في مغاني اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى، نريد فكراً مؤمناً بالله في قافلة أبي بكر وعمر ومالك والشافعي والغزالي وابن تيمية وابن رشد وابن خلدون وإمام القافلة سيد الخلق محمد ﷺ:

فـإمَّـا حـيـاةٌ نظّم الـوحيُ سيرَها
وإلا فـمـوتٌ لا يـسـرُّ الأعـاديا

وتأكد من بضاعة الفكر الوافدة إليك بأن يكون الطابع المسجل ربّانيًّا محمديًّا والشركة المنتجة: ﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾، والوكلاء الوحيدون: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾، والعلامة الفارقة ﴿سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾، والفكر العربي بلا وحي هو المسؤول عن

هزائمنا ومآسينا، فهو الذي هزمنا في حزيران وسلَّمَ سيناء وباع الجولان واحتل الكويت وضرب الرياض بصواريخ الأسكود، وحارب دعوة التضامن الإسلامي التي أطلقها الملك فيصل، وكل شؤم دخل علينا فهو من الفكر العربي الأرضي المحارب للدّين، وكل انتصارات حصلت لنا هي ثمرة لاعتصامنا بحبل الله في بدر وحنين واليرموك والقادسية وعين جالوت، مع الشكر للشاعر الفيلسوف العالمي محمد إقبال وهو يحيي التاريخ الإسلامي في المشرق، حيث يقول مخاطباً ربّه عز وجل:

إذا الإيمانُ ضاع فلا أمانَ
ولا دنيا لمن لم يُحيي دينا

ومن رَضِي الحياةَ بغير دينٍ
فقد جعلَ الفناءَ لها قرينا

فيا صاحب الجمرك، لا تتأمرك، وأحذّرك من مزدك، وفوّض إلى الله أمرك، واعرف قدرك، ووحّد الله ولا تشرك.

obeikandl.com

أيتها العير إنكم لسارقون

ينبغي أن نستحي من ممارسة التزوير الذي نقوم به صباح مساء، فقد عرفت بعض الناس جعل لنفسه لقب الدكتور وهو لم يحصل على الدكتوراه، وبعض طلبة العلم تظاهر بأنه يحفظ كذا وكذا متناً وهو لم يحفظها، وبعض التجار أوهم الناس أن لديه مشروعات مساهمة فتورّط الناس معه، وساهموا فأفلسوا، وبعضهم ضحك على البسطاء حتى باعوا بيوتهم وأودعوا أموالهم عند هذا المفتري فأخذ المال وهرب لكنه لا يستطيع أن يهرب يوم القيامة، واستمعتُ لرجل يكتب في التاريخ ادّعى في المجلس أنه شاهد سد ذي القرنين على حدود الصين وقد كذب بعد ظهور برهان كذبه، وبعضهم يدعي أنه رأى رؤيا منامية هائلة وهو كاذب، وقس على ذلك صنوف التزوير، فلماذا هذا؟! أمن أجل الناس؟! ومن هم الناس؟ ما قدرهم حتى يُعصى الله من أجلهم؟

قد كان السابقون الأخيار ينادون بأسمائهم المجردة، ويذكر للواحد إنجازات عملية، فيقولون: أبو بكر الصديق حضر الغزوات كلها، وأنفق ماله كله في سبيل الله، وكان مع الرسول ﷺ في الغار والهجرة والعريش يوم بدر ونحو ذلك، فلما جاء المتأخرون قالوا للواحد: سماحة العلامة الفهّامة، وحيد العصر، أعجوبة الدهر، النظّار المجتهد، البحر الجهبذ، وآية الله، وحجة الإسلام، فلان بن فلان، ولهذا عَلَت وسبقت الأمة في أول عهدها، وأخفقت ورسبت في عصرنا، حتى إني رأيت بعض من يذكر سير بعض المتأخرين يقول: ما رأى مثل نفسه، وعجزت النساء أن يلدن مثله، ولو كان في بني إسرائيل لكان عجباً، ولو حلفت بين الركن والمقام ما رأيت مثله لصدقت، ونحو هذا الكلام الفارغ الفاضي الفاشل.

ونحن نحتاج إلى كتابة تاريخ صادق لنا وشفاف وعادل، بدل تاريخنا الذي أغرق في سيرة الملوك والخلفاء فقط، حتى ذكر لنا جواريهم وموائدهم

وملابسهم، وأهمل تاريخ الأمة العلمي والإصلاحي والاجتماعي، ثم الواجب أن تذكر الحسنات والسيئات بلا أهواء ولا عواطف ولا ظلم، وإنما الإنصاف مع ذكر سنن الله في الأمم والشعوب واستخلاص الدروس النافعة من كل حادثة وواقعة تستحق الدراسة، تاريخنا في أكثره سرد قصصي، وتهويل مع ذكر عجائب وغرائب أحياناً لا يصدقها العقل مع المبالغة في الأوصاف والأرقام، ونحن بحاجة إلى من يمحص تاريخنا، ويغربله من الأوهام، ويقدّمه في أحسن صورة، ويقوم بذلك فريق من العلماء الملمين بالتاريخ وفقه التاريخ، وحبذا لو ربط هذا التاريخ بالقرآن، بحيث تتجلى سنة الله في كتابه في الأمم والدول والعبر المذكورة في كتابه عن هذا الباب.

فالتاريخ لا يجوز أن يزوَّر، ومن التزوير الثقافي اعتداء بعض المؤلفين على كتب سابقة أو معاصرة وسلخها في مؤلفاتهم دون الإشارة للمؤلف السابق، ومنهم من أخذ قصائد لغيره ونسبها لنفسه، وذكروا في السير والأخبار تهاويل وغرائب مثل كتاب «بدائع الزهور» و «مروج الذهب» و «الزير سالم» ونحوها، حتى ذكروا أن أحد ملوك العمالقة كان طويلاً ضخماً إلى درجة أنه كان يدخل يده في البحر، فيصيد سمكة ثم يرفعها ويشويها عند الشمس ويأكلها!! وهذا هذيان، وذكروا في عدد الجيوش في منطقة صغيرة ألف ألف مقاتل أي مليون، وأرضهم لا تتسع لهذا، وعدد سكانهم لا يُخرِج عُشْر هذا العدد من المقاتلين.

وقد رد مثل هذه الغرائب ابن خلدون وبعض المعاصرين من المؤرخين والكتّاب يذكر أن الزعيم الفلاني الميت حدّثه بكذا واتصل به وشاوره ومازحه وأكل معه؛ ليعظم هذا المتكلم عند الناس وهو مطمئن لعدم انكشاف كذبه، لأن هذا الزعيم مات من زمان، وبعض طلاب العلم يذكر أنه حفظ عشرات المتون، وقرأ آلاف المجلدات، وكان يحفظ في اليوم مائة بيت، ولكنه للأسف مرت به ظروف فنسي كل شيء حتى جزء عمَّ، وهذا من التزوير العلمي، وقبل أربعمائة سنة حكم مصر

حاكم ظالم طاغية، وأصاب مصر زلزال خاف منه هذا الحاكم وأراد أن يتوب، فقام شاعر متملّق فأنشد الحاكم قوله:

ما زلزلت مصرُ من كيدٍ ألمَّ بها
لكنها رقصَتْ من عدلِكم طربا

فعاد الحاكم إلى ظلمه، وهذا من التزوير الأدبي، والقرآن هدّد الجميع بقوله تعالى: ﴿سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ﴾.

opeikandl.com

كفّوا عن النياحة

الكثير منّا يقيم حفلاً جنائزياً، ويحيي مناحة ويعيد ويبدئُ في البكاء على أطلال الماضي وجلد الذات، ونكرر دعاةً وكتّاباً وإعلاميين مدح مجدنا الماضي وسبّ حاضرنا، ونصبّح الناس ونمسّيهم ببطولاتنا السابقة، ونذكرهم بأن عمر بن الخطاب وخالد بن الوليد وصلاح الدين منّا، والعالم يعرف ذلك تماماً حتى جولدا مائير وموشى ديان، ومن المعلوم عالمياً أن دين الإسلام دين عالمي حضاري عظيم، وقد اعترف بعظمته أساطين الشرق والغرب، وفي لقاء الحوار الوطني عند خادم الحرمين نقل الشيخ صالح الحصينّ عن الرئيس الأمريكي السابق (نكسون) في كتابه «الفرصة السانحة» قوله: «أمريكا دولة قويّة، ولكن للأسف الأفكار العظيمة في الإسلام».

والمقصود: أن نثق بأنفسنا، وأن نرفع رؤوسنا، وأن نفرح بنعمة الله علينا كما أمرنا ربنا، قال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ وقال تعالى ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾، أما أن نسبَّ أنفسنا صباح مساء، وننوح على أطلال ماضينا، ونحوّل أفراحنا إلى عزاء، وأعيادنا إلى بكاء، فهذا إحباط وضعف وخور.

وقد كنت قدّمتُ قبل سنتين في (قناة المجد) لقاءً عن فرحة العيد، فاتصل بي أحد الإخوة منزعجاً من دعوتي للسرور والابتهاج بالعيد، ثم أخذ يقول: كيف نفرح والقدس سليبة؟ كيف نفرح وفلسطين محتلة؟! كيف نفرح والعراق تعيش الدمار؟ كيف نفرح وأفغانستان تحترق؟! إلى آخر تلك القائمة من ذكر المآسي، وأنا أعلم أنه بعدما (صعقنا وصقعنا) بهذا الاتصال، وغسّلنا بهذا الكلام سوف ينقض على كبسه أو مثلوثة ويلتهمها إلى درجة التخمة، وسوف ينسى فلسطين والعراق وأفغانستان في ستين داهية، إن علينا أن نعترف بسنن الله التاريخية، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ وقال تعالى: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ﴾، صحيح أننا حكمنا العالم في فجر الرسالة المحمدية،

وأسسنا أعظم حضارة عرفها الإنسان، ولكننا كما أراد الله حسب السنن الكونية والتاريخية انحصرنا كما انحصر غيرنا، ليأخذ غيرنا دورته الفلكية في الحضارة، ونحن لم ننته من العالم فصوتنا مسموع، ومكاننا معروف، وبطولتنا حاضرة، وديننا الآن هو أعظم دين مؤثر وحيّ في الكون، نعم خسرنا أشياء وربحنا أشياء، وتقدمنا في ميادين وتأخرنا في ميادين أخرى، ولكن العجيب أنه لما فتح أجدادنا العالم بالإسلام تحوّل أكثر الشعوب المفتوحة إلى الإسلام لعظمته ولصلاح حامليه وصدق أبنائه، لكن بالله عليكم هل سمعتم اليوم أن واحداً من الشعوب التي احتلتها أمريكا تحول إلى أمريكي؟ ها هي أمريكا تدخل البلدان بالدبابات والطائرات، تبشّر بالعدل والديمقراطية، وتستقبلها الشعوب بالرصاص واللعنة، وتسحب جنودها في الطرقات، وتبصق على صور زعمائها وتدوسها بالأقدام، ومن شك في كلامي عن مسألة ابتهاج العالم بالفاتحين المسلمين، فليقرأ شهادات (جوستاف لوبون، وتونبي، وغوته).

فيا أيها الناس، عيشوا المواسم الإسلامية كما أرادها الله ورسوله ﷺ من الفرح والابتهاج وذكر النعمة، وتذكروا الماضي المجيد لأخذ العبرة، واستلهام المثُل العليا، وعيشوا الحاضر بتفاؤل، وثقة بالنفس، وانتظروا المستقبل الواعد بفجره المشرق، ونصره الموعود، وفتحه المرتقب، إن صنّاع النياحة والقائمين على حفلات التأبين والمناسبات الجنائزية لم يزيدونا إلا جرحاً إلى جرح ووهناً على وهن، ومن كان الله ربّه ومحمد ﷺ نبيه والقرآن كتابه والكعبة قبلته والجنة موعده، فلماذا يُصاب بالإحباط والخور والضعف والخذلان؟.

نحن أبناء الفاتحين، نحن أحفاد المجددين، وإذا صدقنا الله واجتهدنا وثابرنا، فسوف نعود إلى محل الصدارة وصنع القرار في العالم، وأخذ كرسي القيادة في المعمورة، أما العويل والنياحة فلم تبنِ قصراً، ولم تفتح مصراً، ولم تصنع حضارة، ولم تستردَّ وطناً، ولم تحي شعباً.

نحن العرب قساة جفاة

أكتب هذه المقالة من باريس في رحلة علاج الركبتين، وأخشى أن أُتَّهم بميلي إلى الغرب، وأنا أكتبُ عنهم شهادة حق وإنصاف، ووالله إن غبار حذاء محمد بن عبد الله ﷺ أحبُّ إليّ من أمريكا وأوروبا مجتمعَتين، ولكن الاعتراف بحسنات الآخرين منهج قرآني، يقول تعالى: ﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ﴾، وقد أقمت في باريس أُراجع الأطباء، وأدخل المكتبات، وأشاهد الناس، وأنظر إلى تعاملهم، فأجد رقة الحضارة، وتهذيب الطباع، ولطف المشاعر، وحفاوة اللقاء، حسن التأدب مع الآخر، أصوات هادئة، حياة منظمة، التزام بالمواعيد، ترتيب في شؤون الحياة.

أما نحن العرب فقد سبقني ابن خلدون لوصفنا بالتوحش والغلظة، وأنا أفخر بأني عربي؛ لأن القرآن عربي والنبي عربي، ولولا أن الوحي هذّب أتباعه لبقينا في مراتع هبل واللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى، ولكننا لم نزل نحن العرب من الجفاء والقسوة بقدر ابتعادنا عن الشرع المطهر، نحن مجتمع غلظة وفظاظة إلا من رحم الله، فبعض المشايخ وطلبة العلم، وأنا منهم جفاة في الخُلُق، وتصحّر في النفوس، حتى إن بعض العلماء إذا سألته اكفهرَّ وعبس وبسر. الجندي يمارس عمله بقسوة ويختال ببدلته على الناس، من الأزواج زوج شجاع مهيب وأسدٌ هصور على زوجته، وخارج البيت نعامة فتخاء، من الزوجات زوجة عقرب تلدغ وحيّة تسعى، من المسؤولين من يحمل بين جنبيه نفس النمرود بن كنعان كِبراً وخيلاء، حتى إنه إذا سلّم على الناس يرى أن الجميل له، وإذا جلس معهم أدى ذلك تفضلاً وتكرماً منه، الشرطي صاحب عبارات مؤذية، الأستاذ جافٍ مع طلابه، فنحن بحاجة لمعهد لتدريب الناس على حسن الخُلُق، وبحاجة لمؤسسة لتخريج مسؤولين يحملون الرقة والرحمة والتواضع، وبحاجة لمركز لتدريس العسكر اللياقة مع الناس، وبحاجة لكلية لتعليم الأزواج والزوجات فن الحياة الزوجية، المجتمع عندنا يحتاج

إلى تطبيق صارم وصادق للشريعة، لنخرج من القسوة والجفاء الذي ظهر على وجوهنا وتعاملنا، في البلاد العربية يلقاك غالب العرب بوجوه عليها غبرة ترهقها قترة، من حزن وكِبر وطفشٍ وزهق ونزق وقلق، ضقنا بأنفسنا وبالناس وبالحياة، لذلك تجد في غالب سياراتنا عُصي وهراوات لوقت الحاجة وساعة المنازلة والاختلاف مع الآخرين، وهذا الحكم وافقني عليه من رافقني من الدعاة، وكلما قلت: ما السبب؟ قالوا: الحضارة ترقق الطباع.

نسأل الرجل الفرنسي عن الطريق ونحن في سيارتنا، فيوقف سيارته ويخرج الخارطة، وينزل من سيارته ويصف لك الطريق، وأنت جالس في سيارتك، نمشي في الشارع والأمطار تهطل علينا فيرفع أحد المارة مظلته على رؤوسنا، نزدحم عند دخول الفندق أو المستشفى فيؤثرونك مع كلمة التأسف، أجد كثيراً من الأحاديث النبوية تُطبَّق هنا، احترام متبادل، عبارات راقية، أساليب حضارية في التعامل، بينما تجد أبناء يعرب إذا غضبوا لعنوا وشتموا وأقذعوا وأفحشوا، أين منهج القرآن: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَـٰمًا ﴾ ﴿ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴾ ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴾.

وفي الحديث: «**الراحمون يرحمهم الرحمن**»، «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده**»، «**لا تباغضوا ولا تقاطعوا ولا تحاسدوا**».

عندنا شريعة ربّانيّة مباركة لكن التطبيق ضعيف، يقول عالم هندي: (المرعى أخضر، ولكن العنز مريضة).

امرأة تنادي، فهل من مجيب؟

أصبح مـال المرأة وسيلة لابتزازها وقهرها من قبل زوج غشوم ظلوم، أو والدٍ قاسٍ جاف، أو أخ قاطع عاق، وهناك عشرات القصص تثبت أن سبب عضل المرأة عـن الـزواج وظلمها هو مالها، الـذي كسبته: إما من مـيراث أو وظيفة أو تجارة، هنـاك أب عامي جلف جاهل بالشرع المطهر منـع ابنته المطلقة أم ثلاث بنات من الزواج؛ لأنه يبتز راتبها كل شهر، فكلما تقدم لها الكفء وضع في طريقه ألف عقبة مـن شروط وتعهدات حتى يفشل موضوع الـزواج، ومات رجل عن زوجته ولها منه أربعـة أبناء، فذهبت لوالدها الضعيف الهش وأخويها العاقين مدمني المخدرات، فأذاقوها صنوف العذاب؛ لأنها مدرسة لها راتب شهري، وكلما استنجدت بوالدها خـارت قـواه وجبنت نفسه أمـام سطـوة الابنين الفاجريـن الفاشلـين، والتجأت بأطفالها إلى الجيران، خوفاً من ضرب أخويها في مشهد مأساوي.

وُجد آباء جشِعون طامعون حبسوا بناتهم من أجل رواتبهن، حتى فاتهن ركب الزواج، وذبلت عندهن زهرة العمر، وفي المجتمع رجل شرس الأخلاق جاف الطباع بخيـل النفس قاسي القلب، منع بناته الست مـن الزواج؛ لأنه يسلبهن رواتبهن في آخـر كل شهر، حتى اتصلت إحداهن بأحد العلماء وهي تبكي، وتدعو على والدها بـأن يحرمه الله الجنة كما حرمها الزواج، وزوّج رجـل مسن أحمق بنته فاشترط لنفسـه ألفي ريـال في كل شهر من راتب ابنته حتى بعد الـزواج، ضريبة على هذه المسكينـة الأسيرة، مقابل أن يسمح لها بالـزواج، وطلّق عشرات الأزواج زوجاتهم لأنهـن رفضـن إعطاءهـم رواتبهن كاملـة غير منقوصـة، وكأن المـرأة سلعة تُباع وتُشترى، أو (بقّالة) تُدر الربح لصاحبها، لقد صار مال المرأة عبئاً عليها في كثير من الحالات، فشقيت به بدل أن تسعد به، وأذلّها به أبٌ رعديد جبان شره، أو زوج مخـذول ناقص الأهلية فاقـد القوامة، أو أخ حاقد ضحل المـروءة فاقد الشهامة، وإذا اشتكـت المـرأة للقضاء ردوهـا لأوليائها القساة الظلمـة، فصار الخصم هو

الحكم، والشاهد هو العدو، والمرأة هي الضحية، هناك سيل جارف من الشكاوى في المحاكم من هذا الظلم الواقع على المرأة بسبب راتبها، وعسى أن تقام لجنة لحقوق المـرأة تستقبل هذه القضايا وتحلها، ويكون للدولة سلطة على هؤلاء الأوغاد المردة، يُبتدأ بنصحهم ووعظهم وإرشادهم، فإن لم يُجْدِ فبتأديبهم بأسواط وحبسهم أياماً وأخـذ التعهد عليهم، فإن الله يردع بالسلطان ما لا يردعُ بالقرآن، أين تذهب المرأة وإلى أيـن تشتكي؟ من يسمع صراخها؟ ومن يمسح دمعها؟ ومن يقيل عثرتها؟ ومن يجـبر كسرهـا؟ إذا كان أبوها جباراً عنيـدا، وزوجها شرساً مريـدا، وأخاها عاقاً عنيـدا، وابنها أحمـق بليدا، والقضاء يضيّـع شكواها في دهاليز التحـري والتأمل، والدولـة لا تعير هذا الأمر اهتماماً، ونستطيع أن نصنّف مجلدات في قصص القهر والكبت والظلم والعضل والإذلال، الذي تتعرض له المرأة في مجتمعاتنا.

لقـد أعلن أبو بكـر الصديق في أول يوم من خلافتـه سياسة حكومته الجديدة، فقال: (الضعيف فيكم قوي حتى آخذ الحق له، والقوي فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منـه)، ووقف عمر مع جارية حتـى ردّ الحق لها، وقبل ذلك يقول معلم البشرية ﷺ: «**الله الله في النسـاء، فإنهـن عـوانٍ عندكم**» يعني: أسـيرات، ارفعوا صوت الظلم عن المـرأة، شكِّلوا لجانـاً لمناصرتها، وخـذوا على يـد السفيه الأرعـن، وأنصتوا لآهات المحرومـات وزفـرات المظلومات وأنين المضطهدات وتوجّع المقهـورات، قبل أن تُشكّل لجان للرأفة بالحيوان، دعونا نشكل لجاناً للرحمة بالإنسان، وهيا نشارك الشاعر في صرخة استغاثة بالحي القيوم، إذ يقول:

إذا جـــار الظـــلومُ وزاد بغـياً
وقـاضـي الأرضِ أجـحـفَ في القـضـاءِ

فـــويـلٌ ثـــم ويـــلٌ ثـــم ويـــلٌ
لـقـاضـي الأرضِ مـن قـاضـي الـسـمـاءِ

ثقافة الموت

أكثرنا من ثقافة الموت قراءةً وتطبيقاً ومحاضرات ودروسا، نحن خُلقنا للحياة، ولكننا حوّلنا حياتنا إلى الموت، فغالب الخطب والدروس تتحدث عن الموت وتهمل الحياة، وأنا أعلم أن الموت لابد منه، والاستعداد له واجب، ولكن قبل أن نموت علينا أن نعيش، وقبل أن نرحل علينا أن نبني وأن نعمر، وقبل أن نودّع الحياة علينا أن نترك أثراً جميلاً وذكراً حسنا من عمل صالح وخُلُق نبيل ومشروع نافع وذرية طيّبة ومؤسسة رائدة وكتاب مفيد، ونحو ذلك من صنوف البر والإحسان.

إن الحياة في سبيل الله أعظم من الموت في سبيله؛ لأن الحياة في سبيله سبحانه طويلة وجميلة، فيها علم وعمل، ومعتقد وأخلاق، وأخذ وعطاء، ودنيا وآخرة، وحقوق وواجبات، أما الموت فهو لحظة انتقال من الدنيا إلى الآخرة، إن كثيراً من الخطب تدعونا إلى ترك الدنيا واليأس والقنوط والإحباط، فأصبح الناس لا يفكرون إلا في طريق التخلص من الحياة، وصار عندهم قناعة أن هذه الحياة لا تستحق الاحتفاء والاهتمام بها، وتكونت لدى الكثير فكرة أنه لا داعي أن نعيش طويلاً، وأن الأفضل اختصار هذه الحياة والانتقال للآخرة.

إن الأبرار وعلى رأسهم رسول الهدى ﷺ بنوا الحياة، وشادوا الحضارة، وأسسوا القيم الراشدة، وبنوا صروح المعرفة، أما أرسل جيوش الفتوح تنشر العدل والأمن والإيمان في العالم؟ أما سار الخلفاء بعده يواصلون مسيرة الإعمار والبناء ونشر ثقافة الحب والسلام؟ فخلف من بعدهم خلف ضاقوا بالحياة وبأهلها لأمراضهم النفسية وعقدهم الروحية، فزهّدوا العالم في علمه، والمهندس في آلته، والنجار في فأسه، والمزارع في حقله، والطبيب في مشرطه، وأرادوا من الجميع أن يتركوا دورهم في الحياة، ويلبسوا الأكفان استعداداً للموت، لا وألف لا، سوف تكون الحياة أكثر جمالاً دون هؤلاء المنفرين القانطين المحبطين، إن الحياة في

سبيل الله رسالة عظيمة ربّانيّة، يتحول بها الإنسان من صفر لا قيمة له إلى رقم صعب له قيمته، فيصبح التاجر فرحاً مسروراً بتجارته المباركة، حيث يأخذها من حلال ويصرفها في حلال، ويصبح الفلاح مغرداً منشداً في حقله؛ لأنه يعلم أنه مأجور من الله ومشكور من خلقه، ويصبح الأستاذ مستبشراً بفضل الله وهو يعلم أنه يُعلِّم جيلاً ويثقف أمة ويهدي قلوباً، ويصبح الجندي مطمئناً لمهنته وهو يحمل بندقيّته يحرس بها الأمة ويحمي بها الوطن ويدافع عن المكاسب.

أيها العلماء حببوا الحياة في سبيل الله للناس، ليشعر الإنسان أن لوجوده معنىً، ولخلقه حكمةً، ولحياته هدفًا، حينها نترك حياةً جميلة وحضارةً مباركة كما تركها أجدادنا لنا، إن الذي يفكر كيف يموت سوف يقف نتاجه، وينتهي إبداعه، ويموت نفعه، أما الذي يفكر كيف يعيش فسوف يشرق كما تشرق الشمس، ويسطع كما يسطع الفجر، وينفع كما ينفع الغيث، إن القرآن دعا لحياتين ومشهدين ومرحلتين: للحياة في سبيل الله والموت في سبيل الله:

﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾.

كارثة: (قَبِيلي وخَضِيري)

انتشـرت في مجتمعاتنـا مقولـة: (قبيلـي وخضـيري)، وهـي مـن مخلّفات الجاهليـة، ومـن نفايـات العصبية القبليـة التي جـاء الإسلام بكسـر أصنامها، وتمريغ أنـوف أصحابهـا بفأسـ ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾، والفاشل في الحيـاة يتعلّق بعظـام الأموات، فيفتخـر بالآباء والأجداد، والمحبـط والتافه يغنّي بأمجاد ليست له.

وقـد رفع الإسـلام أقواماً من كافة الألـوان والشعوب والأسـر؛ لأنهم اعتزوا بدينهـم، وحقّقـوا الفضيلة في حياتهـم، وحملوا رسالتهم بصـدق، وأدّوا أمانتهم بإخلاص، وكان من نجوم التاريخ أناسٌ لا تُعرف قبائلهم ولا عشائرهم، ولكنهم احتلّوا مكان الصـدارة، وجلسوا في كرسي الرّيادة، واستولوا على مقاليد السيادة بهمتهـم وطموحهـم وصلاحهـم وإبداعهم، كبـلال الحبشي، وصهيـب الرومي، وسلمـان الفارسي، وطارق بن زياد، وجوهر الصّقلّي، وأبـي حنفية، وألوف مألّفة مـن أمثالهم وقف لهـم التاريخ احترامـاً، ووقّع لهم الدهر بـراءة اختراع المكارم والـمُثُل العليا والسيرة الحميدة.

وحـاول محمـد بن عمرو بـن العاص الأمير بن الأمـير في مصـر أن يخرم قاعـدة: «الناس سواسيـة كأسنان المشط، كلكم لآدم وآدم مـن تراب»، لأن قبطيّاً سبـق فرس محمد بن عمـرو، فلطم محمد بن عمرو القبطي، وقـال له: أتسبقني وأنـا ابـن الأكرمين؟ فشكى القبطي إلى عمر بن الخطـاب هذه المظلمة، استدعى عمر أمير مصر عمرو بن العاص وابنه محمدًا إلى المدينة، وجمع الصحابة وأخذ درّته، وقال: والله لا يحول بيني وبينهما أحد، فطرح محمد بن عمرو أرضاً وبطحه وجلـده، وصاح في وجهه وفي وجه أبيه: متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا؟

عندنا اليوم مرض اجتماعي عند البعض يُسمى (عدم الثقة بالنفس)، فتجده لنقصه وتقصيره وخموله وفشله يبحث عن مشجب يعلّق عليه هزائمه وإخفاقاته، فيلمز هذا في نسبه، ويغمز ذاك في عرضه، ويهمز الآخر في أخلاقه، وقد شكى إليّ شاب جامعي اضطهاد زملائه له في الفصل بأنه خضيري، حدثني بذلك وعيناه تترقرقان بالدموع؛ لأن هؤلاء الطلبة الفاشلين لما أقفرت قلوبهم من القيم، وجفّت أرواحهم من المروءة، أرادوا أن يخرقوا سفينة الإخاء والمحبة التي أتى بها الإسلام.

ونقول لكل أحمق بليد يفرّق بين أبناء المجتمع الواحد على حسب أصولهم: (اخرس يا جبان)، فقد خالفت الشرع والعقل، وسعيت في الهدم والإفساد، ونقول لكل رعديد غبي يعيرّ الناس بأنسابهم ويعيبهم بأحسابهم: (اخرس يا جبان) لو كنت تحمل طيب المعدن وأصالة المحتد، كنت عرفت أن الإنسان بتقواه وبعلمه وصلاحه وإبداعه، إن أبا لهب الهاشمي القرشي لما حارب الله وكذّب الرسالة ورفض الحق عاد بالخيبة والندامة وأصبح من الخاسرين، وإن بلالاً الحبشي لما أطاع ربّه، واتّبع رسوله ﷺ، وملأ قلبه بالنور، صار رمزاً من رموز الفضل والخير والنبل والفلاح في أمة الإسلام.

أيها المثير النعرات الجاهلية، والموقد نار العصبية القبليّة: (اخرس يا جبان) إن الإسلام لم يترك لك أن تلغو في أعراض الناس كما يلغو الكلب في الإناء، بل حذّرك وأمثالك من اللعب بالنار، يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾ ويقول سبحانه: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾، ولا شك أن المعادن الطيّبة إذا صاحبها عمل صالح وإنتاج نافع وهمة عالية ومروءة سامقة، أن ذلك نور على نور، ولكن ماذا نفعل بمن أصله طيّب وأسرته عريقة، ولكنه كذّاب أشِر، وخبيث متمرّد، وأفّاك أثيم، تجده لصًّا في حياته، أو مروِّجًا للمخدرات، أو محاربًا للقيم، أو بخيلاً ذليلاً خاسئًا، أو تافهاً ناقصاً حقيرًا، يقول أبو الطيب:

وَإِذا أَتَتكَ مَذَمَّتي مِن ناقِصٍ
فَهِيَ الشَهادَةُ لي بِأَنّي كامِلُ

هل يريد هؤلاء (الطراطير) أن يعيدوا الأمة إلى عهد (داحس والغبراء) وعصر (عبس وذبيان)، أو إلى ملاعب الوثنية والتمييز العنصري في الولايات المتحدة قديماً وجنوب أفريقيا، يجب أن نُفَهم كل (أبله): أن ديننا أتى لإكرام الإنسان، وحفظ حقوقه، وأنه وُلد حرّاً عبداً لله لا عبداً لغيره، ليس عندنا في الإسلام خط (220) ولا خط (110)، عندنا خط واحد، يقول سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾.

ما هي حقيقة العيد؟

الكثير من المسلمين جعلوا من العيد مظاهر من اللباس الجديد والأفراح وتبادل الزيارات والجلوس على الموائد، وهذا مباح في حدود الشرع، ولكن أين المقصد الأسمى من العيد، وهو غسل القلب من الأحقاد، والمصالحة مع عباد الله، وتطبيع العلاقة مع المؤمنين، وتنظيف الضمير من الخيانة والخبث والمكر، وإصلاح الداخل بالإيمان والحب والسلام، ما معنى أن نلبس ثياباً جديدة فارهة على قلوب عشعش فيها الحسد والبغضاء، وفرّخ فيها الكره والضغينة والغل؟ ما معنى أن نتبادل يوم العيد ابتسامات صفراء، وقلوبنا تحترق بالإحن والشحناء؟ إن العيد مد جسور المحبة مع إخواننا وجيراننا، وإصدار عفواً عاماً عن كل من أساء إلينا، ومسامحة كل مقصر في حقنا؛ ليكون للعيد معنى، وتكون للفرحة قيمة؟!

كيف أجلس مع أخي وصديقي وجاري يوم العيد على مائدة الطعام، وأنا لا أحب له من الخير ما أحب لنفسي، وأكره له من الشر ما أكره لنفسي؟! إن العيد مناسبة إسلامية لإحياء الفرحة بالحق والدين الجديد الخاتم، وإظهار السعادة بنعمة الله علينا بالتآخي، فكيف نحوّله إلى مظاهر جوفاء، لا رسالة لها إلا المباهاة والتعالي على الناس؟! وهناك مسلكان مذمومان في العيد:

أحدهما: من يدعو إلى ترك الفرحة بالعيد تضامناً مع مآسي المسلمين في فلسطين والعراق وأفغانستان وغيرها، وكأن الحزن والتباكي سوف يحرر الأرض، ويحمي العرض، ويطرد المحتل، بل علينا أن نفرح بالعيد امتثالاً للرسول ﷺ، وإظهاراً لفرحتنا الكبرى برسالتنا العظيمة رسالة الإسلام، وإغاظةً للشيطان وحزبه، وانتصاراً على النفس الأمارة، وكبتاً لمشاعر الفشل والإحباط، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾، والمسلك الثاني المذموم: تفريغ العيد من محتواه، وتعطيل مقصده الأسمى، وتحويله

إلى صـور باهتة مـن ولائم ضخمة وعزائم فخمة ومشتريـات غالية، بينما المخبر معطّـل، والباطن مجمّد من فرحة العيد، فعقـوق الوالدين صارخ، وقطيعة الرحم حاصلة، والاعتداء على حقوق الآخرين قائم، والمسلك الصحيح في العيد أن نجمع بـين الجميل مـن لباس الأجسام والقلوب، وابتسام الفـم والروح، ومصافحة اليد والنفـس، وعناق أخوي يذهب كل بغضاء وهجر وقطيعـة، إن العيد تجديد للقلب؛ ليكـون بعد العيد أطهر وأنبل وأسمى، وليكون الإنسـان عضواً صالحاً في المجتمع، ولبنـة نافعة في صرح الأمـة، وسوف يُحرم فرحة العيد عنـد المسلمين فريقان، لا يجدون له طعماً، ولا يبصرون له نوراً، ولا يفرحون به مع من يفرح:

الفريـق الأول: الغالي في دين الله، والخارج علـى جماعة المسلمين، والساعي لسفـك دمائهم وإزهـاق أرواحهم، لأنه سيء الفهم للشريعـة، ناقم على المجتمع، رافض لمبدأ الإخوّة مع المؤمنين.

الفريـق الثاني: العـدو للدّين المتحلل من تبعات الشريعـة، المعرض عن النور الرّبـاني والهدي المحمـدي، فهذا لا دخل لـه بالعيد، وهو نكرة في هـذه المناسبة، وصفرٌ في هذه الفرحة الكبرى، وهو غريب على الأمة، نشازٌ في الملة، عقيم الإدراك عـن المعـاني الجليلة التي حفل بهـا الدين الإسلامي، وإنما يعيش الفرحة المؤمن العفيـف الطاهر، المتصالح مع الله ومع نفسه ومع النـاس، الهينّ الليّن، المتواضع للحـق، المحب للفضيلة، البعيـد عن الأذيّة، السليم من عقـارب البغضاء، وحيّات الشحنـاء، وثعابين الحقـد والحسد، هذا الـذي فهم معنى العيـد، وعرف رسالة العيـد، وعاش فرحة العيـد، فنقول له: عيد سعيـد، وعمر مديـد، ومنهج رشيد، ومنقلب حميد، ومثوى مجيد.

الإرهاب الفكري

منذ فجر التاريخ والعالِم والمفكر بين فكّي السلطة أو الجمهور، فإن وافق السلطة وسايرها في كل أمر، ظهر له من العامة من يدينه، وينشر معايبه، ويحذِّر منه، ويقمِّصه ألقاب التبعية والإمَّعة، وعالم السّلطة والمداهن، والمشتري بآيات الله ثمناً قليلاً. وإن خالف السلطة ووافق الجمهور، حذّر منه السلطان على مذهب فرعون، حيث قال للرأي العام عن موسى: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ﴾، فإن لم يردعه هذا أدِّب بالحبس وبالجلد، تأديباً له وردعاً لأمثاله، فإن استمر في عتوّه، وصعّد من معارضته، قُطِع رأسه؛ ليرتاح منه العباد والبلاد، وقد حوكِمَ سقراط، وحضر محاكمته في أثينا خمس مئة قاض ومحقق وشاهد ثم شُنِق، وسُلِّط الحجاج على سعيد بن جبير فأعدمه، صيانة للأمة من علمه الغزير وفهمه الثاقب، واجتهد الإمام مالك في مسألة فجلده أبو جعفر حتى خلع يده.

ووُشي بالشافعي عند هارون الرشيد فأُحضر مقيداً بالحديد من اليمن إلى بغداد، ووقف الإمام أحمد في فتنة القول بخلق القرآن فمزَّق المعتصم ظهره بالسياط، وأجلب العامة على ابن جرير الطبري فكبسوا بيته ورموه بالحجارة، ووُشي بابن رشد فحُكِم عليه بالإقامة الجبرية في بيته، واضطهد ابن خلدون بأفكاره حتى ترك القضاء، وهُدِّد حتى هرب إلى قلعة بشمال أفريقيا، كتب فيها مقدمته ثم مات، ووُشي بالمتنبي عند سيف الدولة ففرَّ إلى كافور بمصر فحوصِرَ، ففرَّ إلى عضد الدولة بشيراز فضُيّق عليه، فهرب إلى صحراء بني أسد فذُبِحَ كما تُذبح الشاة، وذهب حسّاد ابن حزم الظاهري إلى السلطان فشهدوا عليه أنه ضال مبتدع متمرّد، فنفاه إلى البادية، وأحرق كتبه، وحذَّر الناس من شرّه.

وقام أعداء شيخ الإسلام ابن تيمية بحملة شعواء ضده، وطالبوا بقتله صيانةً للدين بزعمهم، فخُفِّف الحكم عليه بسجنه حتى مات، فإذا أراد أعداء النجاح

وخصوم الحقيقة بأحد النابهين واللامعين شرّاً أوغروا صدر الحاكم عليه، بحجة الحفاظ على الأمـة والملّة والمكتسبات حتى يبطش به، فإن نجى من هذه العصابة قام الجمهور عليه، وانتقدوا آراءه، وسعوا في القضاء على تراثه، والغالب أن العالِم والمفكّر والشاعر يقع تحت سلطة الحاكم أو الجمهور، فإن أرضى الحاكم ورفق به ولم يخالفه في أي مسألة، صار من ندمائه وأصفيائه، حينها ينقضّ عليه الجمهور، محذِّرين ومنذرين ومتربّصين، فيفقد حضوره وجمهوره، وإن خالف الحاكم وأبدى رأيه وصدع بمخالفته، تعلَّق به الناس في الغالب، وجعلوه رمزاً للتضحية والشجاعة والتَّجرد، وحينها يعد له الحاكم العدّة، ويجهّز له مراتب التأديب من منع وحظر، أو جلد وحبس، أو تصفية جسدية في الثلث الأخير من الليل على يد مجهول، كما تفعل الحكومات الثوريّة الفاقدة للشرعيّة، التي دخلت الأوطان على دبّابة مستعمر.

على طالب الحق والمنصف أن لا يحاكم صاحب العلم والفكر من خلال رأي الحاكم أو الجمهور، لكن بالبحث والاستقراء في علمه وفكره، كما قال علي رضي الله عنه: «اعرف الحق تعرف أهله، ولا تعرف الحق بالرّجال»، وعلى العالِم والمفكر والشاعر أن يتقي الله في قوله وعمله، ويقصد الحق، ويتحرّى الصواب، سواءً وافق الحاكم والجمهور أو خالفهما، وليتجنّب أهل العلم والرأي والفكر طريقين: طريق التطبيل والتضليل للحاكم، ولكن الاعتراف بالصحيح والتنبيه على الخطأ، وأيضاً عليهم مع الجمهور أن يجتنبوا منهج (ما يطلبه المستمعون)، وهم الذين يبحثون عن كل ما يرضي الجمهور، ويثير الرأي العام، فيفعلونه طلباً للشهرة والمنزلة عند الرّعاع.

﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾.

العمل أو الموت

رفع الألمان بعد الحرب شعار: (العمل أو الموت). فتحوّلت ألمانيا إلى ورشة عمل، وبعد أربع سنوات صارت دولة صناعية مرموقة، وفي كتاب (متعة الحديث) يقول إسحاق نيوتن: النجاح يحتاج إلى ثلاثة عوامل: العمل ثم العمل ثم العمل، والعمل يبدأ بالعلم، قال تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ والعلم يبدأ بالقراءة، وأمة لا تقرأ لن تتعلّم، ولن تعمل، ولن تنال المجد، وفي مقال لي سابق بعنوان: (العرب لا يقرؤون) بيّنتُ ما يلزمنا في هذا الباب، وأمة لا تعمل لا تستحق البقاء، والإسلام جاء بالعلم والعمل، وقد أعطى الرسول ﷺ رجلاً فأساً وأمره أن يحتطِب ويبيع، لئلا يبقى عالة على المجتمع، وضرب عمر بن الخطاب شباباً جلسوا في المسجد، وتركوا الكسب، واعتمدوا على جيرانهم، وصاح في وجوههم: اخرجوا واطلبوا الرزق، فإن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة، وشارك الرسول ﷺ بنفسه في بناء مسجده، وحفر مع الصحابة الخندق، وقال: «**إن الله يحب من أحدكم إذا عمل عملاً أن يتقِنَه**»، وقال: «**المؤمن القوي خير وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف**»، وكان إدريس خيّاطاً، وزكريّا نجاراً، وداود حداداً، ورعى موسى الغنم بالأجرة.

ومن أسباب تقدم الغرب اعتماده على العلوم العملية التطبيقيّة فدخل المصانع والمعامل، واعتمدنا على العلوم النظرية فانشغلنا بالجغرافيا، حتى حفظنا عن ظهر قلب أسماء عواصم تشاد والسنغال وأوغندا، وحفظنا نقائض جرير والفرزدق، وهي لا تُطعم خبزاً ولا ترفع مجداً، وأسرفنا في الفنون والرياضة على حساب الإبداع والاختراع والصناعة. والإنتاج خدعة شيطانيّة ولعبة إبليسيّة، فمنتخب الكمرون الرياضي أقوى من منتخب الولايات المتحدة الأمريكية، بينما عجزت الكمرون عن إطعام رعاياها الخبز اليابس، وإذا أرادت الشعوب أن يحالفها الإخفاق، ويُختم لها بالخذلان تحوّلت من الجامعات إلى الكبريهات، ومن المصانع إلى مقاهي اللهو، ومن الإنتاج والإبداع إلى لعب الورق وأكل الفصفص.

رأيت في ألمانيا (مزاين المرسيدس)، وفي فرنسا (مزاين الكونكورد سابقة الصوت)، وفي أمريكا (مزاين أف ١٦ العاصفة القاصفة)، ولأننا أقمنا (مزاين الإبل)، فينبغي أن نقيم مهرجانات (مزاين العقول)، لنحيّي فيها الموهوبين، ونكرم المبدعين، ونشجع المخترعين والمكتشفين.

فينبغي أن نعالج مرضانا النفسيين بالإيمان والعمل؛ لأن الفراغ يولّد لهم الخيالات الفاسدة، التي توصل صاحبها إلى الانتحار، والعمّال أسعد الناس وأشرحهم صدوراً؛ لأنهم ليس عندهم فرصة للتفكير الخاطئ، وأي دولة لا تتحوّل إلى ورشة عمل هي دولة نامية نائمة كُتب عليها الموت، وإذا عملنا واجتهدنا فسوف تتقلّص مشكلاتنا وبطالتنا وفقرنا وأمراضنا، ولنرفع شعار (نأكل مما نزرع، ونلبس مما نصنع) وفي قصيدة: (أنشودة الصباح) للروائي الهندي كاليدا ساي: «استقبل يومك بالعمل، فإن هذا اليوم قد لا يُشرِق مرة ثانية».

إن عَرَق العامل أزكى من مسك الفاشل، وإن ساعد المثابر أكرم من جبين الكسلان، وإن زفرات البنّاء أجمل من غناء المترف:

لَقَد أَسمَعتَ لَو نادَيتَ حَيّاً
وَلَكِن لا حَياةَ لِمَن تُنادي

وَلَو نارٌ نَفَختَ بِها أَضاءَت
وَلَكِن أَنتَ تَنفُخُ في رَمادِ

شكراً لكل مسؤول جلس على كرسيّه يعدِلُ في القضايا، ويقمع الظالم، وينصر المظلوم، ويواسي المنكوب، شكراً لكل أستاذ وقف يصحح مفاهيم، ويصلح قلوباً، ويبني عقولاً، شكراً لكل طبيب يعالج مريضاً، ويداوي مبتلى، ويضمّد جراحاً، شكراً لكل مزارع يغرس شجرة، ويعدّل ماءً، ويحرث أرضاً، شكراً لكل جندي يحمي ديناً، ويحرس وطناً، ويدافع عن أمة، شكراً للسواعد القويّة، والهمم الوثّابة، والأفكار الخلاّبة، وشكراً للناجحين.

مستعدون لحوار الأديان

الدعوة التي أطلقها خادم الحرمين الشريفين لحوار الأديان دعوة موفّقة، متفقة مع منهجنا الإسلامي في حوار غير المسلمين؛ لأن معنا حجة من الله، وبرهاناً ساطعاً، ودليلاً قاطعاً، ومعنا دينًا عالميًّا ربّانيًّا، يدعو إلى الحوار والمجادلة بالحسنى، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾، بل أمرنا سبحانه وتعالى أن ندعوهم إلى المناظرة والمحاورة بالأجمل من القول والأفضل من الأساليب، قال تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾.

بل إن رسولنا ﷺ حاور أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وزارهم في أماكنهم، وأكل طعامهم، وزاروه في بيته، وأكلوا طعامه، وعرض عليهم الأدلة على صدقه وصدق رسالته، ونحن لا نخشى حوار الأديان؛ فعندنا -والحمد لله- من الحق الواضح الصريح والميراث المجيد من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ما يبهر العقل، ويشرح الصدر، ويجعل المخالف المنصف يذعن للحجة إذا كان قصده الحق، وإلا فكيف نُسْمِع دعوتنا العالم إذا أغلقنا أبواب الحوار، ورفضنا الجلوس مع غير المسلمين؟ ولماذا نخاف من مقارعة الحجة بالحجة والدليل بالدليل والفكرة بالفكرة، وليس عندنا شيء نخفيه؟ ومبادئنا قويّة صريحة واضحة وضوح الشمس، تُعلن كل يوم خمس مرات من على المآذن ومن فوق المنابر، وفي الجامعات والمنتديات، وعبر الفضائيات وفي الصحف والمجلات.

إن رسالتنا الإسلامية لم تأتِ لعدة ألوف من البشر، ولا لقبيلة من القبائل، ولا لدولة واحدة، ولا لجيل واحد، فالله يقول لنبيّه ﷺ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ كل العالمين؛ الأبيض والأحمر والأسود، في كل زمان وفي كل مكان، منذ فجر الرسالة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، والواجب على علمائنا ودعاتنا

أن يكـون عندهم من القـوة والرغبة في إيصال الحق الذي نعلمُ إلى كل العالمين، ولا بـد من أن يستمع لنا أهل الكتاب كما استمعنا لهم كثيراً، وأن يؤمنوا برسولنا محمـد بن عبد الله ﷺ، وأن يوقّروه وأن يحترموه، كما آمنا بموسى وعيسى وسائر الأنبياء عليهم السلام، ووقّرناهم واحترمناهم.

إن مِـن الأمم مَنْ وصله إسـلامٌ مشوَّه، قدَّمه أناس من المسلمين ليس عندهم الأهليـة لتمثيل الإسلام، فتعرّف أولئك القوم على صورة مشوَّهة للإسلام، ليست صورتـه الجميلـة الباهيـة، فمن هنا وجب على الثقات مـن أهل العلم والدعوة والفكر أن يقوموا بمهمتهم، فيشرحوا للآخرين تعاليم الإسلام الراشدة وأخلاقه الفاضلـة، ويزيلـوا اللّبس الذي علق بأذهـان خصوم الإسـلام، ويرفعوا الإشكال والشُّبـه، التـي تحكّمت في قلوب الجاهلـين بالإسلام، وأنا ضامـن أن مَنْ ينصت لنـا من غير المسلمين، ويستمع لحجتنا، ويتفهّـم رسالتنا وهو عاقل واعٍ، فسيذعن للحقيقة وينقاد للبرهان.

إن البيـان أقـوى من السـلاح، وإن البرهان أمضى من السيـف، وإن الحجة أنفذ من السهم، نحن في تاريخنا المشرق المجيد فتحنا القلوب والأسماع والأبصار بالحجج والبيّنات والآيات والعظات، أكثر مما فتحنا بالكتائب والجيوش والسيوف والرمـاح، واسألـوا إن شئتـم إندونيسيـا وماليزيـا ودول أفريقيـا والجمهوريات الإسلامية: هل وصلهم منّا جندي واحد أو دبّابة واحدة؟ بل أرسلنا لهم رسل سلام ووفود محبّة من السيّاح والتجار، فلما رأى أولئك سيرة أبنائنا وصدقهم وأمانتهم وأخلاقهم النبيلة، صاح لسان الحال منهم قائلاً: نشهد أن ديناً أخرجكم أنه دين حق. فاعتنقوا الإسلام ودخلوا في دين الله أفواجاً.

فيـا خادم الحرمـين امضِ بالعلماء في مشـروع إسلامي يقـوم على الحوار والدليـل، ويجمّـل صورة الإسـلام، ويشرح للعالمـين أهدافنا الربّانيّـة من توحيد الله عـز وجل، والرحمة بعباده، وإخراج النـاس من الظلمات إلى النور، والتعايش

السلمي مع البشرية، وإنقاذ الضالين الذين يحاربون الله ورسله، وهداية الحيارى إلى طريــق الحق المبين، وصــدق الله: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾.

obeikandl.com

من هو الإرهابي؟

ما زلتُ على إنصافي للغرب في جوانب من حياتهم في مجتمعاتهم، أما غيرها ففيهم متطرفون يتهمون المسلمين بالإرهاب، وهم أكثر إرهاباً، وأعظم تقتيلاً، وأشدُّ تنكيلاً، وسبب هذا الحديث: أن المتطرف الهولندي جيرت فيلدرزبسبت قدّم (فلْماً) قبيحاً عن الإسلام، وطعن في القرآن، واتهم المسلمين بالإرهاب، ومن ضمن (الفلم) أخذ مقطعاً لي أتكلم فيه عن جهاد المحتل، فمسخ الكلام وشوَّهه، ووظّفه في الدعوة إلى الإرهاب، فمن الإرهابي؟.

أليس الإرهابي من احتل العراق ودمّره، وقتل أبناءه، وذبح شيوخه، ورمَّل نساءه، وأحرق أرضه؟ أليس الإرهابي من أباد الشعب الفلسطيني وحاصره، وجوَّعه وعذَّبه، وحبسه ونكَّل به؟ أليس الإرهابي من اجتاح أفغانستان ومزَّق أشلاء الأطفال ولعب بجماجم الرجال، ودك المساجد، ومزّق المصاحف؟ واقرؤوا كتاب (كنت رئيساً لـ CIA لـ ألن دلس) لتعرفوا أي إرهابي لديكم، أنتم نهبتم خيرات الشعوب، وجوَّعتم أطفالها، وأنتم بنيتم حضارتكم على جماجم البؤساء وضلوع الزنوج الذين حملتموهم بضائع على سفنكم، وأنتم نشرتم في الأرض الرعب والخوف والنفايات النووية.

سلوا مياه الخليج والبحار والمحيطات عن حاملات الطائرات والصواريخ عابرات القارات: هل نحن إرهابيون، والقتلى منّا، والأرض المسلوبة أرضنا؟ والخيرات المنهوبة خيراتنا، والشعوب المسحوقة شعوبنا، والأطفال المروّعة أطفالنا؟ إن إرهابنا لكم مجرد نكتة عابرة، أما أنتم فأساطيلكم في بحارنا، وقواعدكم في أوطاننا وطائراتكم في سمائنا، وأنتم منذ قرنين من الزمان تعاملون غيركم معاملة المقهور المضطهد، ومنذ محاكم التفتيش في أسبانيا وحرب المائة عام بين فرنسا وبريطانيا وأنتم مُشْعِلو الحروب، أليست النازية من صنعكم؟ والمحرقة إحدى إنجازاتكم، التي تعترفون بها، ونحن ندفع كفارة محرقتكم في فلسطين،

وتريدوننا بعد هذا كله أن نكون معكم مسالمين طيّبين حلوين مهذّبين مؤدّبين (كويّسين)؟ قاتل الله الطيش والسفه، وسحقاً للجور والعدوان، وتباً للعنجهيّة والاستكبار، ولقد قلتُ في المقطع الخاص بي من (الفلم): (إن المحتل لا يخرج إلا بجهاد وتضحيات) فهل في هذا الكلام عوج أو خلل؟ أما أخرجتم أنتم المحتلين من بلادكم: كهتلر في هولندا وبلجيكا وفرنسا وبريطانيا بجماجم وتضحيات؟ أما وحّدتم بلادكم بالحديد والنار: كالولايات المتحدة وألمانيا؟

إن الإرهابي هو الملحد المحارب لله، المكذِّب للرسالات السماوية، إن الملحد هو المشوَّه فطرةً، البغيض خِلْقةً، الناكث للعهود، العدو للقيم والمواثيق والأعراف، إن الإرهابي هو الخارج عن الجماعة المسلمة، الناكث للبيعة، المكفِّر للمؤمنين، المستحل للدماء والأنفس والأموال، إن الإرهابي هو ناشر الدمار والرعب، والمستولي على مقدرات الشعوب وخيرات الأمم.

نحن دعاة الإسلام رُسُل سلام، وفود محبَّة، تحمل رسالة إنقاذ، ودعوة رحمة، وخطاب نجاة، ومشاعر فضيلة، ونصوص إيمان، ولقد آمنا برُسُلِكم: كموسى وعيسى عليهما السلام فآمنوا برسولِنا محمد ﷺ، ولقد أنصفناكم في جوانب إيجابيّة من حياتكم، فأنصفونا كما أنصفناكم، وأنصتوا لنا قليلاً فقد استمعنا لكم كثيراً: ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ﴾.

إن رسولنا ﷺ أخبرنا: أن الله عذّب امرأة بسبب أنها عذّبت هرّة في الدنيا، وأن الله أدخل امرأة عاصية الجنة، لأنها سقت كلباً بلغ به العطش مبلغاً عظيماً وإن ديننا يُحرِّم إحراق النمل وإيذاء البهائم فكيف بالإنسان؟ ديننا جاء لحياة النفوس لا لقتلها، والله يقول في كتابه العظيم: ﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمٗا﴾.

يا عقلاء السُنّة والشيعة

ما دمنا لم نستطع حل الخلاف بين السنة والشيعة وقد مضى عليها قرون، فعلينا أن نعترف أن الخلاف حاصل، وأن الواجب علينا ألّا نطور هذا الخلاف إلى صراع دموي، فكفانا جراحاً وتمزقاً، فعندنا نحن أمة الإسلام من المصائب ما يكفينا، والصهيونيّة العالمية تتربص بنا وتخطط لاجتثاثنا، ما فائدة إعادة خطب الشتم والتجريح والتحريض والاستعداء وذكر المثالب والمعائب عند الطائفتين؟ ما هو النفع المأمول من السعي لسفك الدم السنّي أو الشيعي؟ إن كل طائفة من السنّة والشيعة تعتقد صحّة مذهبها وبطلان المذهب الآخر، فلن تستطيع أن تغير قناعات الناس إذا أصروا عليها ولو كانت باطلة.

نحن أهل السنة نعتقد أن الحق معنا كتاباً وسنّة، وإذا كان الشيعة يرون أننا مقصرون في حق أهل البيت، فإننا نعلنها صريحة قويّة بأننا نبرأ إلى الله مِن كل مَنْ هوّن من شأن أهل البيت أو تعرّض لهم أو سبهم، ونطالب الشيعة بالكف عن انتقاص الصحابة وسبّهم وثلبهم؛ فالدفاع عن أهل البيت والصحابة واجب على كل مسلم ومسلمة، إن على عقلاء الطائفتين سنّة وشيعة أن يسعوا لوأد الفتنة، ومنع التصعيد، وحذف عبارات التخوين والتربص والوعيد.

يا عقلاء السنة والشيعة انزعوا فتيل الإحن، وأطفئوا نار الفتن، ولا تزيدوا الأمة محناً على محن، يا عقلاء السنّة والشيعة كلٌّ يعمل على شاكلته، وكلٌّ يسير على طريقته، حتى يحكم الله بيننا فيما اختلفنا فيه، يا عقلاء السنة والشيعة لا تعطوا أعداء الإسلام ذريعة لهدم صرح الأمة، وإلغاء وجودها، وطمس رسالتها، وإهانة مقدّساتها، يا عقلاء السنة والشيعة حرموا فتاوى القتل وسفك الدم وإيقاد نار العداوة والفرقة والبغضاء، نحن المسلمين سنّة وشيعة ندعوا إلى التعايش السلمي والحوار مع غير المسلمين، أفنعجز عن أن نعيش سنّة وشيعة بسلام؟ إن

الـذي يعجز عن إصلاح بيته عاجز عن إصلاح بيوت الآخرين، لمصلحة من يرتفع صوت طائش أرعن ينادي: يا شيعي اقتل سنيّاً وادخل الجنة؟ ويقابله صوت ينادي: يـا سنّي اقتل شيعياً فداءً لك من النـار؟ أي منطق؟ أي عقل؟ أي دليل؟ أي حجة؟ أي برهـان؟ بل نقول: يـا سنّي دم الشيعي حرام، ويا شيعـي دم السنّي حرام، أما آن لنا أن نصحو ونراجع نداء الضمير وصوت العقل وخطاب الشرع؟ لا عدوان، لا ظلم، لا تحريض، لا إرضـاء للأعداء بتمزيق صفوفنا، وهدم بيوتنا بأيدينا، وقتل أنفسنا بخناجرنا.

أحسـن طريقـة لحل الخـلاف بين السنّـة والشيعـة أن يفعلوا فعـل الأعراب (البدو)؛ فإنهم إذا صدم أحد منهم بسيارته سيارة الآخر، قالوا: كل واحد يصلّح سيارتـه، عندها تنتهي المشكلة بلا مرور ولا غرامـة ولا سجن، فيا سنّة ويا شيعة: (كل واحد يصلّح سيّارته).

لقد أمرنا الله تعالى بحسن المعاملة مع غير المسلمين ما لم يقاتلونا أو يخرجونا مـن ديارنا، قال تعـالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ وهـذا مع غير المسلم، والبرُّ هنـا: كف الأذى، وحسن الخطاب، وجميل التواصـل، والتعايش السلمي، فكيف مع طوائـف الإسلام ولو كانت مختلفة متنازعة؟ ماذا يقول عنّا الآخرون إذا شاهدونا نكيـل السِّبـاب لبعضنا: لعناً وشتمـاً وتجريحاً وإهانـة وسخريـة؟ إن الإخوة أبناء الرجل الواحد إذا لم يصلحوا شأنهم، ويقفوا صفاً واحداً أمام الناس، فهم عرضة للعـداوة والفرقة والفشل والهزيمة، دعونا من الخطـب النارية البغيضة والكلمات الرعناء الجوفاء الحمقاء: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾.

شيوخ الفضائيات

لما نشرت المجلة الأمريكية (فوربيز) أرقاماً بدخل الدعاة منهم: صاحب المقال العبد الفقير، وسلمان العودة، وطارق السويدان، وعمرو خالد، وعمر عبدالكافي، قام كثير من الصحفيين وبعض القنوات الفضائية بتوظيف الخبر والتعليق عليه والفرح به، ولي مع هذا الخبر وقفات:

١- إن دخلنا السنوي أنا وإخواني الدعاة والمذكور في المجلة الأمريكية لا يساوي مجتمعاً رواتب الخدم والسفرجية والقهوجية عند كثير من الأثرياء والوجهاء، فلماذا الصياح والنواح والدعوة بالويل والثبور، وعظائم الأمور، وقاصمة الظهور؟

٢- إن دخل الدعاة الخمسة لا يعادل دخل فنان واحد مشهور أو لاعب كرة عالمي، فهل المال حلال عليهم حرام على الدعاة؟

٣- هذه الأموال التي وصلت إلينا من كتبنا أو دروسنا هي نسبة قليلة مما تتقاضاه القنوات والمكتبات من حقوقنا، فلماذا نُلام ونحاسب على شيء زهيد أُخذ من مبالغ ضخمة حُوِّلت لصالح وسائل الإعلام وبرامج عليها رعايات ودعايات لغيرنا؟

٤- إن أخذ الأجرة على العمل ولو كان دينيّاً أو جمع المال من الوجه الشرعي حلال في الإسلام بالإجماع، حتى التجارة مع فريضة الحج جائزة، قال تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ﴾، وكان أبو بكر الصدّيق وعثمان بن عفان وابن عوف وغيرهم تجّاراً وأغنياء كباراً.

٥- كيف نعيش وكيف ننفق على أهلنا إذا لم نأخذ نسبة ضئيلة من دخل أعمالنا، وليس عندنا وظائف ولا أرصدة بنكية ولا أسهم ولا شركات؟ هل نبقى عالة على المجتمع وننضم للضمان الاجتماعي، حتى نثبت لبعض إخواننا أننا زهّاد وعبّاد وأولياء وأتقياء؟

٦- أمــا كوننا مشايخ فضائيات فنحن مشايــخ فضائيات ولا فخر، وهذا الشرف حصلنــا عليه بعد توفيق الله بجهدنــا ومثابرتنا، ولأننا نقــدّم خطاباً معتدلاً صحيحــاً وسطيّاً راقياً جذّاباً، يحطم أنوف الغلاة والمتحللين من الدِّين، ومن عنده قدرة على الحضور والمشاركة فالطريق أمامه رحب فسيح:

أَقِلّــوا عَلَيهِــم لا أَبــا لأَبيكُمو

مِنَ اللومِ أَو سُدّوا المَكانَ الَّذي سَدّوا

٧- أما المتاجرة بالدِّين، فقصم الله ظهر من جعل الدِّين متاجرة، أو احتال على المسلمــين، أو خدعهــم في أموالهم، أو غشَّهــم، أو زوَّر عليهــم، أو ظلمهم، أو تسترَّ بالدِّين ليلعب عليهم ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾.

٨- أيــن الأقلام الجريئة والألسنة الحادة التي تعرضت للدعاة ممن خدع الناس في أرزاقهم في الأسهم والشركات الوهمية واقتناص المال العام وأخذ الرشوة؟ ثــم لماذا لا تُنشر أرقــام بدخل الأعيان والفنانــين والرياضيين؟ وما معنى أن تقصد مجلة أمريكية إعلام الناس بدخل خمسة من الدعاة؟

٩- نحــن لا نأخــذ من جمهورنــا ولا محبينا ريــالاً واحداً، وإنما هــذا الدخل من جهات غنيّة وثريّة تجمع الأموال من الدعاة ومن غيرهم، بينما حضور المباراة وقاعــات الغناء والفن تُدخَــل ببطاقات مدفوعة الثمــن، والحمد لله أن دخْل الدعــاة الخمسة قد أُعلن في مجلة أمريكية، لــيردّ على من قال: إننا حصلنا على مئات الملايين من جهودنا الدعوية، وبإذن الله سوف يستمر حضورنا في المساجد والقنوات والصحف والمجلات، فأكرم البشر رسول الهداية ﷺ دعا إلى الله في المسجد والنادي والسوق والحضر والسفر، وخاطب الملوك وراسل أمم الأرض، وأسمع رسالته الخالدة كل العالم.

إنصاف الغرب لا يعني اتباعه

كتبت مقالتي (نحن العرب قساة جفاة) عن مشاهداتي في باريس، ولا أجدني ابتعدت عن الصواب؛ فقد ذكرتُ جانباً من جوانب حياتهم، وقد يجتمع في الشخص والدولة والشعب والأمة: حسنات وسيئات، ومناقب ومثالب، وأذكرُ هنا مسائل:

١- لا يجوز التعريض بالدعاة وطلبة العلم بأنهم لم يفهموا الواقع، ولم يطّلعوا على حضارة الغرب، ونحو هذه النغمة السائدة، وأنا قد سافرت إلى أوروبا وأمريكا مرات من قبل هذه الزيارة، ووالله ما سافرتُ من السعودية إلى فرنسا إلا وقد اطلعتُ على تاريخ فرنسا الحديث مع كثير من كتب مفكريها ومثقفيها، ولي إلمام بتاريخ الثورة الفرنسية وصولاً إلى شارل ديجول الثوري الرمز، مروراً بالرئيس بنبيدو السمين الضخم، تعريجاً على الرئيس المتألق (فلري جسكار دستان) تطويفاً على الرئيس الغامض النابه (ميتران) وصولاً إلى الرئيس المنظّر (شيراك)، وأخيراً الرئيس المستعجل المطفوق (ساركوزي)، فهل يُظن أني كتبتُ المقال بناءً على مروري في شارع (الشانزيليزيه)؟ وهذا لم يحصل.

٢- إن منهج الوحي كتاباً وسُنّة يقوم على الإنصاف والعدل حتى مع غير المسلمين، وقد أنصف الله النصارى في كتابه فقال: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ وقال: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ وفي صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة إلا والروم أكثر الناس**»، والروم هم أجداد الأمريكان والأوربيين، وعلّق عمرو ابن العاص على هذا الحديث بمدحهم، ثم قال: (هم أمنع الناس للظلم)، فلماذا لا ننصفهم في هذا الجانب، كما أنصفهم الله ورسوله والصحابة؟

٣- قبل أن أزور باريس بأيام نقلت (قناة العربية) و(قناة الجزيرة) مشهداً مؤثراً للرئيس الفرنسي (ساركوزي) وهو يصافح فلّاحين، فمد يده إلى أحدهم مصافحاً ومسلّماً، فقبض الفلاح يده وصاح في وجه الرئيس: أنا لا أصافحك، أنت رئيس كذّاب!! فردّ عليه الرئيس بقوله: وأنت أحمق، فمال الرأي العام كلّه مع الفلّاح ضد الرئيس، وهاجمت الصحافة الرئيس، ونقصت شعبيّة (ساركوزي) بسبب هذه الحادثة، فبالله لو قام فلّاح عربي على رئيس عربي من الأنظمة الثوريّة القمعية الاستبدادية، وقال له مثلما قال للرئيس الفرنسي فماذا ستكون النتيجة؟ طبعاً سوف ينادي الزّبانية والجلّادين بقوله: (خذوه فغلّوه، ثم الجحيم صلّوه)، فلماذا لا ننصفهم كما أنصفهم عمرو بن العاص في هذه المسألة؟

٤- حاضرتُ أنا والدكتور سعد البريك والدكتور عبدالعزيز المقحم والدكتور عبدالله الحارثي في مساجد باريس و(ليون) و(بروكسل) و(مدريد) وغيرها من المدن، وحضر من الجالية العربية التي فرَّ أكثر أفرادها من السجون والمعتقلات العربية من أنظمة قمعيّة ثوريّة استبدادية انقلابيّة، ترفض تحكيم الشريعة الإسلامية، فتعلّموا في أوربا الطب والهندسة والطيران والتكنولوجيا، ومارسوا الدعوة في المراكز الإسلامية والمساجد ووسائل الإعلام، فهل تسمح لهم كثير من الأنظمة العربية بذلك؟ فلماذا لا ننصفهم في هذا الجانب؟

٥- أننكِرُ أن الحضارة -ولو كانت ماديّة- ترقق الطباع، وهذا أمر معلوم متعارف عليه شرعاً وعقلاً، وفي حديث حسن يقول ﷺ: «من بدا جفا»، والمعنى: من سكن البادية وابتعد عن الحضارة صار في خُلُقه جفاء وفي طباعه قسوة، ولما سافرتُ إلى أمريكا مع الدكتور عبدالقادر طاش، وشاهدنا اصطفاف الناس بانتظام مع حسن الترتيب والنظام في الأخذ والعطاء، التفت إليَّ وقال: (الحضارة ترقق الطباع)، فلماذا لا نلمح هذا الجانب؟ ولماذا لا نتذكر

قسـوة كثير منّا، وأدلة هذه القسوة موجـودة؟ فمنها آثار الكدمات واللطمات في جباه بعضنا من آثار التضارب والتقاتل فيما بيننا، ومنها كثرة الصدمات في السيـارات نتيجة للعنف الاجتماعي، وهـل ننكر أن الكثير منّا يحمل عصاً وهراوة في سيارته لوقت الطلب والمنازلة؟

٦- أنـا لا أنكـر أن فرنسا احتلـت الجزائر، ولا أنهـا أيّدت إسرائيـل، ولكنني لا أنكـر ما وصلوا إليه من رقي مـادي وتفنن في أساليب الحياة، كما قال تعالى: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾، أليس في حياتهم الدنيـا التداول السلمي للسلطة بلا قتـل ولا انقلاب ولا غدر ولا خيانة؟ أليس في حياتهم الدنيا الطب الراقي، والصناعة الناجحة، والتنظيم والترتيب، مع جودة البناء، وسرعة القطارات، وإتقان الطائرات، ونحوها من الأمثلة؟

النفاق الاجتماعي

أصبح لكل رمز ديني أو سياسي أو وطني بطانةٌ، يمارسون معه لعبة التضليل والتَّملّق والتّزلّف والمديح المزيف، فشيخ العلم لديه أتباع من المحبِّين والمعجبين، يخلعون عليه صفات الكمال، ويوهمونه بأنه بركة العصر، ووحيد الدهر وشبيه البحر، وأن الله نفع بعلمه العباد والبلاد، وأن كتبه وفتاويه ودروسه شرّقت وغرّبت، فيصدّق المسكين، ويقع في الفخ، ويصاب بداء العجب والتيه، والسياسي عنده بطانة تقتات بكلمات الإطراء، ومقامات الثناء المجوج، وتوهمه بأنه الملهم، وقلب الأمة النابض، ومحبوب الجماهير، وتذكر له أحلاماً منامية كاذبة تدل على صلاحه وعدله، وإيمانه واستقامته، وتخبره هذه البطانة أن العجائز في البيوت يدعون له، وأن الشيوخ والأطفال يعيشون على حبّه، وأن عدله وصل الجميع، وبرّه وَجُوده عمّ الكل، (فيتوهّق) و(يتورّط) في دهاليز العلو في الأرض، والتّكبر على عباد الله، والتّجبر على الأمة.

والأعيان من العسكريين والتجار والمشاهير لهم جُلّاس وسُمّار، يمارسون معهم لعبة الضحك على الذقون، وتمويه الحقائق، ويعطونهم صورة خاطئة عن الواقع، ليكسبوا الحظوة لديهم، وينالوا شرف صحبتهم، ويبتزوا أموالهم، فإذا غابوا عنهم سلقوهم بألسنة حِداد شِداد، فإذا أتيتَ تريد المكاشفة والصدق والوضوح والشفافية ضاع صوتك بين الأصوات، وصرت ثقيلاً، وأصبحت نشازاً، فتضطر رغم أنفك للمشاركة في حفل تأبين الضمير وفي جنازة موت الحقيقة، وهذا يدلّك على الغثائية التي وصلت إليها الأمة.

أما كان الأعرابي يحاور عمر، ويناقشه وهو على المنبر؟ أما طلب عمر من الناس تيسير المهر وعدم المغالاة في الصداق، فقامت امرأة من آخر المسجد، فقالت لعمر: يا عمر كيف تريد تقليل المهر، والله تعالى يقول: ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْـًٔا﴾؟ فصاح عمر: أصابت امرأة، وأخطأ عمر.

نحن لا نطلب من الناس سوء الأدب مع الرموز الدينية والسياسية والوطنية وسائر الناس، ولا التجريح ولا التشهير، ولكن نطالب الجميع بالكف عن هذا النفاق الاجتماعي، وحجب الحقائق، وإدخال هذه الرموز في نفق مظلم من الوهم.

يقول الحسن البصري: «تولّى الحجاج العراق وهو عاقل كيّس، فما زال الناس يمدحونه حتى صار أحمق طائشاً سفيهاً»، فلما ضعف الوازع الديني عند الأمة وقلَّ الصدق أكثرتْ من ألقاب المديح وصفات التّزلّف بعدما كان الصحابة في عصر الخيريّة والقيادة والريادة ينادي بعضهم بعضًا، فيقولون: يا أبا بكر، يا عمر، يا عثمان، يا علي، وهم قد فتحوا القلوب والأسماع والأبصار والبلدان بالإيمان والعدل والسلام، ولكن الرئيس العربي ركَّبَ على صدره النياشين وعلى أكتافه النجوم، وفي الشوارع أقواس النصر وهو لم ينتصر في معركة واحدة، بل إن أجزاء من بلاده تحتلها إسرائيل.

إن تمويه الحقائق على الرموز وصنّاع القرار والمؤثِّرين معناه ضياع البلاد والعباد، فهؤلاء المتملّقون والمتزلّفون من البطانة همهم أنفسهم، وهم الذين يحملون شعار (كل شيء على ما يرام)، فتجد الشيخ مثلاً عنده أخطاء كبرى ومغالطات عظمى، لكن بطانته يصوّبون قوله وفعله، حتى يوصلوه إلى درجة العصمة، فيبقى على خطئه، ويستمر على أوهامه، والسياسي تُحجب عنه حقائق الوطن والناس، تحت مظلّة: (الناس مرتاحون، ويدعون لكم، وهم في أرغد عيش، وأحسن حال)، فيُعطَّل اهتمام الوالي بأحوال الناس وحاجاتهم، وتنحدر البلاد في التّخلّف والفقر؛ لأن هذه العصبة قد ضمنت مصالحها، واطمأنت لمستقبلها، فلا يعنيها حال أحد من البشر.

فينبغي أن تُخلع الأقنعة السوداء عن وجوه هذه البطانة، التي تحفّ بالوالي والعالم والوجيه والرمز؛ ليرى الأمور كما هي، وتتضح له الأشياء على حقيقتها، ويتخذ القرار المناسب، والقول المناسب، والرأي المناسب في الوقت المناسب،

وبإمكانك أن تسأل كل بطانة متنفّذة نفعية عن الرمز الذي تحفّ به، فسوف تسمع مـن التقديس والغلو والإطراء ما تنفر منه الأسمـاع، وتشمئز منه الطباع، ويورث الرأس الصداع.

obeikandl.com

الرجل الأسود في البيت الأبيض

إن في فوز (باراك أوباما) لعبرة لقوم يعقلون، ألا تعجب من رجل فقير بسيط مسكين سافر به أهله من بيت صغير في كينيا بأفريقيا، يبحثون عن لقمة العيش، فارين من الجوع والمرض والجهل؟ فيتعلّم ابنهم ويتزوج وينال منصباً، ويُعطى جنسية أمريكية، ويدخل الانتخابات ويفوز برئاسة الولايات المتحدة الأمريكية، بل بقيادة العالم، فهو المدير الإقليمي للدول جميعاً، وهو أقوى رجل في عالم الدنيا في القارات الست، أما وقفت مع نفسك متأملاً في هذا المشهد العجيب الغريب؟

كيف يقفز رجل غريب فقير مهاجر مسكين من كوخ في كينيا إلى أن يتربّع على كرسي الرئاسة في البيت الأبيض، وقل لي بربك: لو أن الأستاذ باراك أوباما التجأ إلى إحدى الدول العربية كيف يكون وضعه؟ إنه سوف يكون في الغالب في الترحيل لانتهاء مدة إقامته، أو سوف يُطرد من البلاد لمخالفة قانونية، وإذا كُرِّم سُمح له بأن يكون سائق تاكسي (ليموزين) أو حارس عمارة أو بائعاً في سوق الخضراوات أو الحراج، هذا ما سوف يحصل للأستاذ باراك أوباما لو كان في إحدى الدول العربية القوية الصامدة المتألقة النامية والنائمة في سبات عميق ﴿وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا وَهُمۡ رُقُودٞۚ وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾.

سبحان الله! مرةً واحدة وبسرعة هائلة يصل العامل البسيط والشاب الفقير والمهاجر المسكين إلى رئاسة أكبر وأقوى دولة في العالم، ليجلس أمامه رؤساء العالم وهم ينتفضون من حمّى الرهبة، ويرتعدون من هول الموقف؛ لأنهم في مجلس رئيس الولايات المتحدة الأمريكية.

سبحان الله! ينسى الأمريكان لونه الأسود وأصله الأفريقي وآباءه المسلمين، ويقولون لهذا الشاب الذي ما سكن قصراً، وليس في آبائه وزير ولا قائد ولا رئيس ولا ملك، وإنما فقير ابن فقير ومسكين ابن مسكين، يقولون له: تفضّل قُدِ البلاد،

واحكم الدولة والأمة، وبيده مفاتيح القوة النووية، والاقتصاد العالمي، والقرار الأول والأخير في عالم الدنيا الفانية، دُفعةً واحدة، يقفز هذا الشاب الأسمر الداكن الصعلوك من كوخ صغير، فيه قطعة من حصير، وأكواب من فخار، وكيس من دقيق الشعير، إلى أن يجلس أمام الكونجرس الأمريكي، يأمر وينهى، ويصدر المراسيم الرئاسية، ويسقط حكومات ويعيّن رؤساء ويتحكم في الفضاء والثروة والطاقة، وإذا غضب على دولة فلها الويل مما يصفون، ويا حسرة على رئيس لا يرضى عنه، وأحسن الله عزاء بلدٍ قرر محاربته.

فهل تفكرنا في هذا المنطق، وهذا المستوى الراقي الذي وصل به باراك أوباما إلى رئاسة (أمريكا)؟ أما قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (والله لو كان سالم مولى أبي حذيفة حياً لولّيته الخلافة بعدي)، وسالم هذا مولى أسود فقير مسكين، لكنه مؤمن مهاجر، حافظ لكتاب الله، قائم بحدوده، ولما ولّى أمير مكة عليها بعده ابن أبزى، وهو مولى أسود فقير مسكين، أقرّه عمر، وقال: سمعت نبيكم ﷺ يقول: «**إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين**»، الآن أصبحت أمريكا تطبق دون أن تشعر بعض تعاليم الإسلام: من احترام الإنسان وتقدير مواهبه، وإعطائه الحق في المشاركة، وإبداء الرأي، وأخذ مكانه المناسب مهما عظم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ وقال ﷺ: «**الناس سواسية كأسنان المشط**» وقال عمر: (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً).

إن إخوان وزملاء باراك أوباما يعملون قهوجية وسفرجية وطباخين وكناسين في البلاد العربية، ولو طلب أحدهم أن يكون مدير مدرسة ابتدائية لناله الويل والثبور، وعظائم الأمور، وقاصمة الظهور، وإن في فوز باراك أوباما برئاسة أمريكا لآية لأولي الألباب.

(يوم عرفة) أعظم ديمقراطية

نبهني الأمير سلمان بن عبدالعزيز لما كتبت مقالي (الرجل الأسود في البيت الأبيض) بهذه الصحيفة إلى أن الإسلام سبق الأمريكان في إعطاء الإنسان حقه، أيّاً كان أصله أو لونه، وذكر أمثلة من التاريخ السعودي المعاصر، والأمير سلمان مرجعية في هذا الباب، وذكر أن بعض رجال الملك عبدالعزيز ممن حكموا بعض أقاليم السعودية كانوا من القبائل ومن غيرها، فلم يميز أبيض عن أسود.

وعلى ذكر عدل الإسلام وإكرامه للإنسان بتقواه وإيمانه لا بأصله ولونه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ فقد قرب يوم عرفة، واجتماع الناس في ذاك الصعيد بلباس واحد في مكان واحد، لعبادة رب واحد، واتباع رسول واحد، لا يميزهم لون ولا عرق ولا جنس ولا لغة ولا دم، بل يحرمون في إزار ورداء أبيضين، الملك والأمير والعالم والغني والفقير والأبيض والأحمر والأسود والعربي والعجمي، فأي وحدة كهذه الوحدة؟ وأي مساواة كهذه المساواة؟

لقد وقف الرسول ﷺ قبل أربعة عشر قرناً في صعيد عرفة، وأمامه أبو بكر القرشي، وبلال الحبشي، وسلمان الفارسي، وصهيب الرومي وهو يقول للعالم: «كلكم لآدم وآدم من تراب، لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود، إلا بالتقوى»، فديننا سبق كل الدساتير والقوانين الأرضية الوضعية بإعطاء الإنسان قيمته وإكرامه والاعتراف بحقوقه، وقد أخذ كثير من المصلحين والمجددين والعلماء والحكام مكانتهم، بغضّ النظر عن أصلهم وفصلهم وحسبهم ونسبهم ولون بشرتهم وفصيلة دمائهم كبلال وعمار وصهيب وسلمان وأبي حنيفة وسيبويه والبخاري وعطاء بن أبي رباح ومجاهد، والآلاف المؤلفة من النابغين والمتفوقين، بل إن قيادة العالم الإسلامي توزعت ما بين عمر العربي، وصلاح الدين الكردي ونور الدين التركماني، ومحمد الفاتح التركي، وقطز المملوكي وسواهم، ومن كان في شك من ذلك فليشاهد الحجيج، وقد لبسوا البياض شعثاً غبراً، متجردين

من اللباس والزينة والطيب، اتحد زيهم ومكانهم وزمانهم ودعاؤهم وصلاتهم وحضورهم وانصرافهم، فلا تميز غنياً من فقير، ولا رئيساً من مرؤوس، الملك والخادم في زيّ واحد وصفّ واحد ومكان واحد، وهذا العدل والمساواة لم تأتِ بصناديق اقتراع، ولا بانتخابات مزوّرة، ولا لوبي يتحكم بالمال في ضمائر الناس، ولا رشوة ولا دعايات وإعلانات، وإنما جاءت من عند الله بصدق وحق ووضوح وصراحة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟﴾، فنحن المسلمين جمعية كبرى، أعضاؤها كل خيّر مؤمن صالح، وأفرادها كل محب للحق والعدل والسلام والفضيلة، وهذه الجمعية فيها الممتاز والجيد والمقبول: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾.

أما كان بلال بن رباح يصعد بسواده على سواد الكعبة، ليعلن كلمة الحق في أذانه (أشهد أن لا إله إلا الله)؟ أما ورد في الأثر (سلمان مِنّا آل البيت) أي: سلمان الفارسي؟ وقد عين سلمان أميراً للمدائن من قِبَل عمر، وقال عمر: أبو بكر سيدنا، وأعتق سيدنا بلالاً، فجعل بلالاً سيداً من سادات المسلمين، إن تاريخنا الإسلامي المجيد في القرون المفضلة أدهش المؤرخين وأذهل المطلعين، وما من فضيلة عند الأمم المعاصرة إلا وقد سبقهم الإسلام لها، ولكن المشكلة أن غير المسلمين ينظرون إلى واقع المسلمين الآن، فيجدون صوراً من الاستبداد والظلم والقهر والجهل والفقر والتطرف، فينسبونها إلى الإسلام، والإسلام منها بريء.

ولئن كان باراك أوباما فاز بثقة الأمريكان وهو من كينيا، فقد فاز قبله بلال وهو من الحبشة بثقة سيد الخلق ﷺ وثقة المسلمين، وفاز سلمان الفارسي بثقة الأمة وصار أميراً لها، وصدق الأمير سلمان، نحن سبقنا الأمريكان؛ لأن عندنا الإيمان والقرآن وسيد ولد عدنان، وإكرام الإنسان ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

وداعاً بوش

الفـراق صعب، ودموع الأحباب تخونهـم عند فراق الحبيب، فقد تابعت كيف ودع العـالم الرئيس اللامع، طيب الذكر والسيرة والسريرة الرئيس المجدد الموفق (جورج بوش)، فتذكرت قول ابن زيدون:

ودّع الـصـبرُ محـبًّـا ودعـك

ذائـعـاً مـن سـره مـا اسـتـودعك

سـوف يـترك الرئاسة والبيـت الأبيض ويذهـب، وقد ترك العـالم في حيرة بعـد إنجازات لم يسبقه إليها أحـد، فقد دمر الاقتصـاد الأمريكي، وقطع جسور العلاقـات الدولية، وداس سمعة الولايات المتحدة الأمريكية، ودمر العراق، وخرب أفغانستـان، وأعـان في حصـار غـزة، وصـدّر الديمقراطيـة على دبابـة، وأرسل العدالة علـى صاروخ، ووزع الغذاء على قنابل، وأفسد الماء، وحجب الهواء، وأسال الدمـاء، ومنع الغذاء، وعطل الدواء، وسجن الأبرياء، ورمل النساء، ويتّم الأطفال الضعفـاء، وعذّب الشرفـاء، وخذل الأوفياء، وخالف النصحـاء، وأطاع الأغبياء، وتنبأ بـأن الجيش الأمريكي سوف يُستقبل بالباقـات والبسمات، فإذا هو يُستقبل بالجزمات، وغضب الأحياء والأموات، وصرخات الأمهات، وأصيب جنوده بمرض الوسواس القهري وانفصام الشخصيـة والهذيـان والغثيان والإسهـال ومرض الأنيميا والأيدز، مـع التشوهات الجسمية مـن قطع الأيادي وبـتر الأقدام وجدع الأنوف وكسر الجماجم وتهشيم العظام.

والآن يرحـل الرئيـس بوشـ ونسـأل الله له طول العمـر، لـيرى بنفسه ثمار إنجازاتـه، ونتائج فتوحاتـه، ويتذوق حلاوة أعمالـه ﴿ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ﴾، وعزاء بوش السمعة الحسنة، والذكر الجميل، والحب الذي زرعه في القلوب، وأقترح أن يُبنَى له نصب

تـذكار في كل مـن جوانتنامو وأبو غريـب وتورا بورا ومعابر غـزة، وأرفع له الشكر باسـم القوميّة العربية من المحيط إلى الخليج، (أمـة واحدة ذات رسالة خالدة)، لكنهـا راكدة جامدة خامدة هامدة جاحـدة، وأشكره باسم دول الصمود والتحدي والتردي (والمهليّ ما يوليّ)، وأشكره باسم قتلى الرافدين وشيوخ أفغانستان وعجائز فلسطين وأطفال غزة، وأشكره باسم علماء البيئة على أن أراحهم من العمل بتدمير البيئة، وباسم علماء الاقتصـاد لأنهم أصبحوا في عطلة، وباسم صناعة السيارات لأنها تقلصت، وباسم البنوك التي (نيّلها بنيلة)، وطيّنها بطينة.

كمـا نرفع له أسمى آيات الاعـتراف بالجميل، لأنه أضعف (أمريكا) القطب الواحد لتكون القطب الرابع، وساعدنا في تشتيت الجيش الأمريكي، وتبديد الثروة، وتضييـع الطاقة، وغرس الهزيمـة النفسية في قلوب شعبه، كما نرفع له باقات من الورد بقدر القنابل العنقودية التي ألقاها على الفلوجة والبصرة وقندهار، ونبعث له باقات الورد بقدر الغازات السامة، التي نثرها في الخليج وكابول، باسم كل طفل معـاق وطفلة مشوهة وشاب مقعد وشيخ مخرف وعجوز كسيرة حسيرة، كان بوش السبب في شقائهم وتعاستهم، وباسم كل يتيم ومشرد ومضطهد ومسجون، ونتمنى له أياماً سعيدة، يتلذذ فيها بالنظر إلى الأجساد الممزقة والوجوه المحرقة والأنوف المقطعـة والعيون المفقـوءة والآذان المشرومة والصـدور المحطمة، كما نشكره على براعتـه في الخطابة، وسرعتـه في الإجابة، مع الوسامة وارتفـاع القامة وضخامة الهامة، مـع (الكريزما) الجذابة الخلابة، والهمة الوثابة، التي لا تجتمع لأحد إلا بخـذلان من الله، والآن نودع بوش وعزاؤنا في فراقك دعاء منا لك بظاهر الغيب، وذكـرى جميلة لن ننساها لـك، وتاريخ مشرق يبقى لك أبد الدهر، والآن مُتْ متى شئت، فالموتُ أستر، والقبر أجدر.

التجسس بين الزوجين

الغيرة مطلوبة في حدود الشرع، فإذا تجاوزت صارت مرضاً ووهماً ووسوسة، وبعض الأزواج تحول مع زوجته إلى جاسوس ورجل استخبارات من الدرجة الأولى، فلمرضه النفسي صار يشك في كل حركة ولفظة وتصرف من زوجته، فهو يفتش في غيابها أدراج غرفتها وملابسها، لعله يعثر عليها متلبسة بورقة أو رسالة أو هدية، ليحاسبها حساباً شديداً، وإذا وصلت إلى جوالها رسالة (مسج) قام وطالبها بقراءة الرسالة، وإذا اتصل بها ووجد جوالها مشغولاً شك فيها وحلّفها الأيمان المغلظة، وإذا خرجت من البيت أخذ يتجسس عليها في طريقها وذهابها وإيابها، فحوّل حياتها إلى نكد وعناء وعذاب شديد، وأسقاها السم الزعاف، وأذاقها المر، وجرّعها غصص الحياة، وأعرف شباباً تزوجوا ثم لعب عليهم الشيطان، فتحولوا إلى جواسيس على زوجاتهم، وصارت وظيفتهم استخباراتية لوجستيّة بامتياز، فأحدهم يفكر في طلاق زوجته، لأنه وجد في جوالها رسالة مشبوهة من مجهول، وآخر يخطط لفراقها لأنه رأى في المنام أن رجلاً جالساً مع زوجته، وثالث يتوعدها بالويل والثبور وقاصمة الظهور، إذا أشغلت جوالها.

فإذا تحوّل هذا الزوج إلى جاسوس عميل، فهذا مريض مرضاً نفسياً مزمناً، يجب معالجته والذهاب به إلى المصحات النفسية، ومثل هذا لا يطاق العيش معه، ولا يصبر على أذاه ونكده، وهو في زعمه غيور وأسد هصور، وهو في الحقيقة بطة عرجاء، ونعامة فتخاء، إنما شجاعته على امرأته المسكينة الضعيفة الغافلة البريئة، ولم يسأل هذا الجاسوس نفسه عن أخباره هو وأسراره ومغامراته وغرامياته وسوابقه وعلاقاته، فهو يجوز له أن يفعل ما يشاء وأن يتصل وأن يراسل من شاء، ومن حقه التكتم على أسراره وإخفاء أموره وسجله ووجهه الآخر، ولكن لا يحق لزوجته أن تخفي شيئاً عنه، ولا تكتم أمراً، وعليها أن تطلعه على كل رسالة وكل مكالمة وكل هدية وكل اتصال، ومن تحدث معها من جاراتها وعماتها وخالاتها

وصديقاتها، والإسلام لا يرضى بهذا التصرف المشين، وهذا المسلك الدنيء، ففي الحديث الصحيح عند أبي داود: «إنك إذا ذهبت تلتمس عورات الناس أفسدتهم أو كدت تفسدهم»، هذا هو تدمير البيوت، وخراب الأسر، وقطع أواصر الزوجية، وإفساد القلوب، لأن هذه النفوس المريضة البائسة تنظر بعين طبعها، كما قال أبو الطيب:

إذا ساء فعلُ المرءِ ساءت ظنونُه
وصدّق ما يعتاده من توهمِ

ويقول الشاعر:

ما يستشك يا حسين كود الرديّين
والا ترى الطيّب وسيع بطانه

مسكينة امرأة ابتليت بزوج مريض نفسياً، معاقٍ عقليّاً، مليء بالشك والريبة والوسوسة والوهم، وأحسن الله عزاءها في حياتها الزوجية، وفي راحتها وأمنها واستقرارها، إن هذا الزوج الجاسوس على زوجته همّه فقط تصيّد العثرات، والفرح بالزلات، وجمع الأخطاء، وهذا فعل رخيص، وعمل حقير، وتصرف مهين، يقول تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾، حتى صارت هذه الزوجة المسكينة تكتم عنه أخبارها وشجونها وأسرارها وشكواها، كما قال الشاعر:

كم واحدٍ له غايةٍ ما هرجها
يكنّها لو هو للأدنين محتاجْ

وبالمقابل، فإنه يوجد أيضاً -والحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه- بعض الزوجات الجاسوسات، اللواتي تحوّلنّ إلى عيون راصدة على الزوج، فهو في عذاب من هذه المرأة الجاسوسة المريضة الموسوسة، فهي تشك في ملابسه وقلمه وجواله وخاتمه والطيب الذي في غترته، وتفتش حقيبته ومحفظته، وتبحث في

ملابسه، لعلها تعثر على ورقة إدانة، وشاهد على جرمه، وبينة على مكره وكيده، لتقبض عليه متلبساً بفعله لتحاسبه حساباً شديداً بلسان سليط، كأنه غرس في غاز خردل، وبوجه كالح قبيح كأنه جهنم، أفق أيها الزوج؛ آسف العميل والمخبر السري من دور عملاء الـ (K.G.B) وعملاء الـ (C.I.A)، وأفيقي أيتها الزوجة؛ آسف الجاسوسة الونّانة الرنّانة الحنّانة المنّانة. إن حياة التلصص والتربّص عذاب ونكد دائم.

فيا أيها الأزواج والزوجات أفيقوا، فإن الغيرة الشرعية شيء وما تمارسونه من تجسس وإدانات وكيد شيء آخر، إن عملكم هذا من تلبيس إبليس، ومن مقررات مدرسة الشيطان ﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴾.

يا أتباع الأديان تعالوا إلى كلمة سواء

قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾، إن دعوتنا للحوار مع أتباع الأديان دعوة ربانية عالمية، فديننا من أول وهلة عالمي، قال تعالى ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾، دعوتنا واضحة صريحة سهلة بسيطة، ملخصها: أننا نشهد أن لا إله إلا الله، ونؤمن برسل الله، فنشهد أن موسى رسول من عند الله، وأن عيسى رسول من عند الله، وأن محمداً رسول من عند الله عليهم السلام، ونشهد أن الدين عند الله الإسلام، وقد أمرنا بحسن التواصل، وجميل الحوار، ومد جسور التفاهم والتعايش السلمي مع الأمم، قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾، وأمرنا أن نكون رحماء بالناس، حكماء مع بني الإنسان، حلماء بالعالمين، أهل رفق ولين وصبر على الأذى، كما قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾.

وعندنا والحمد الله القدرة التامة والاستعداد الكامل لحوار أي فئة أو طائفة أو مذهب أو توجه، لأننا مؤمنون برسالتنا، معتزون بمبادئنا، واثقون من مسيرتنا، مطمئنون لسلامة منهجنا، ليس عندنا في دعوتنا أسرار خفية، ولا ألغاز ولا طلاسم ولا أحاجي، فليس في الإسلام مذهب بطائني ولا نهج فلسفي، وليس عندنا غموض الزنادقة وشبه الدجالين الأفاكين، ولكن عندنا الوضوح والصراحة مع النفس ومع الناس، رسالتنا سهلة ميسرة صريحة، يفهمها الأعرابي والعامي والطفل والعربي والعجمي والأبيض والأسود، تلخص في جملة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) وعندنا أجندة لهذه الرسالة منها العدل مع الأمم ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ﴾، العدل مع من عادانا وخاصمنا: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ

عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾، ولا نعتدي إلا على من اعتدى علينا ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾، ومن أجندتنا الدعوة إلى السلام وحسن التعايش مع البشر ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ﴾.

وأمرنا بجميل الخطاب مع الناس أجمعين، ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا﴾، نحن دعاة توحيد وعدل وسلام وعلم ومعرفة، رسالتنا تحرم الشرك، واتباع الشيطان، وتصديق الدجاجلة، والإيمان بالخرافة، وإلغاء العقل، وتدعونا رسالتنا إلى الإيمان بالله وحده، وتصديق رسله، وتحكيم شرعه، والسعي لعمارة الأرض وإسعاد البشرية، ودرأ الفتنة، وحقن الدماء، وحفظ الأنفس المعصومة، وصيانة الأموال، ونشر الخير والفضيلة والأمن، وقطع دابر الشر والفساد والخراب والتدمير، قال تعالى: ﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾، وقال عن الأشرار الظلمة المفسدين: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ﴾. الحوار مع أتباع الأديان من مقاصد شريعتنا ومن تعاليم ديننا، يحاورهم لأن عندنا دليلاً، ولدينا برهاناً، ومعنا حجة، وفي أيدينا وثيقة ربانية، وفي قلوبنا نورًا إلهيًّا، وفي ضمائرنا وازع الإيمان وصوت الحق ونغمة الصدق، يحاور الجميع على أن لا نتنازل عن شيء من ديننا، ولا نترك جزءاً من رسالتنا، لأنها من عند الله وليست من عندنا، ونحن لا نملك التحريف ولا التبديل ولا التأويل في هذه الرسالة المقدسة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥ﴾.

فليس عندنا زيادة على النص، ولا اعتراض على الوحي، ولا تبديل للشريعة، كلامنا في السر مثل العلن، وخطابنا في المسجد كخطابنا في النادي والجامعة

والمؤتمر، ليس عندنا رغبة في قهر الناس، ولا في السيطرة على عقولهم، ولا في إرهاب أفكارهم، ولا في اغتصاب بلدانهم، ولا في الاستيلاء على ثرواتهم، ولا في إكراههم على عقيدتنا ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ﴾، ﴿أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾، ﴿فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ﴾، ﴿لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ﴾، فيا أتباع موسى آمنوا بمحمداً فقد آمنا موسى، ويا أتباع عيسى آمنوا بمحمدٍ فقد آمنا بعيسى، لا نفرق بين أحد من رسل الله عليهم السلام.

السوط يذل الطالب

لما درسنا الابتدائية سُلّط علينا أساتذة جلّادون، فضربونا بالعصي ضرب غرائب الإبل، وكان بعض الآباء يشجعونهم على هذا الصنيع، ويقول أحدهم للأستاذ: لك اللحم ولنا العظم، بل تبرع بعض الآباء بإحضار العصي للأستاذ من الخيزران والشوحط والتين والسدر، فإذا غلط الواحد منا غلطة صغيرة قام الأستاذ الجلاد فجلده، ونكّل به، وشهّر به، وكسر رجولته أمام زملائه، وأذكر مرة ونحن في الابتدائية: أن طالباً غلط غلطاً ما فأخرجنا مدير المدرسة جميعاً وجلد الطالب أمامنا، وشهّر به، ففر الطالب من المدرسة إلى الآن، ومنذ أربعين سنة وهو فار، فخسر مستقبله بسبب هذا الموقف الحقير البائس، فإذا دخل الأستاذ الجلاد حيّنا هربنا منه، واختفينا وراء الجدران والحيطان، وإذا حضر مناسبة غبنا عنها، وإذا رأيناه يمشي في الطرقات فررنا من طريقه: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ۝٥٠ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾.

وكان الأستاذ الجلاد أثقل علينا من الحمّى، لا نفهم درسه، ولا نحب شخصه، ونتمنى موته، ونفرح إذا انتهت حصته، أما الأستاذ المربي اللبيب القريب اللين الرفيق – وهذا نادر فيهم – فكنا نعشق مادته، ونحيي قدومه، ونرحب بطلعته، ونفهم كلامه، ونحترم مقامه، فيا أيها الأساتذة والمربون: إن السوط لا يصنع رجالاً ولا أبطالاً، ولا يخرج أجيالاً، وإنما ينتج قطيعاً هائماً من البلداء والحمقى والمغفلين، الذين أُهينت كرامتهم في طفولتهم، وكُسرت رجولتهم في شبيبتهم، وقد اعترض أمير المؤمنين عمر بن الخطاب على الجلادين، وأُتِيَ بجلاد من الأمراء فبطحه أمام الناس وجلده، إذ إن محمد بن عمرو بن العاص ابن أمير مصر جلد قبطياً سبقه بفرسه، فشكا القبطيُّ الأميرَ إلى عمر، فأحضر عمرُ محمدَ ابن عمرو وجلده، وقال له: (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟)

أيها المعلمون، ارفعوا السوط، وألغوا (الفلكة)، وأساليب التعذيب، وطريقة محاكم التفتيش، فهي سراديب مظلمة، تدل على مرض النفس وعدوانية الروح، وطغيان الإنسان المفترس، واسلكوا سبيل محمد بن عبدالله رسول الهدى، الذي دعا بالحكمة، وعلّم باللين، ونصح بالرفق، فقال له ربه: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾، فدخل الناس في دين الله أفواجاً، وحفّت به القبائل، وشيعته الأرواح، واتبعته الأجيال، ورضي بدعوته الملايين، أما أهل العنف والقسوة فهم نكرات في صفحات التاريخ، ونقط سوداء في لوحة المجد البيضاء، وسوف يلفظهم الناس، وتشطبهم الذاكرة، وتمقتهم القلوب، يقول الله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾.

ترفقوا بأطفالنا، ارحموا أكبادنا، احرصوا على قلوبنا، إياكم وإذلال جيل المستقبل، وتحطيم رجال الغد، وتمريغ كرامة حفّاظ المبادئ، وإهانة أحفاد الفاتحين، واتركوا الأساليب المهينة المنبوذة العدوانية للجلاوزة والطغاة: ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾.

إن الرقابة على الأستاذ الجلاد والمعلم الجبار مطلب شرعي وحق إنساني، وإن من الجميل أن أدرك القائمون على التعليم أن جلد الطالب مذهب سقيم، وأن ضربه مسلك عقيم، فبدؤوا يمنعون الجلادين من استصحاب الهراوات والعصي والسياط في المدارس، وإن الأستاذ المحبوب المهاب لا يحتاج إلى كرباج بيده، فوقفته إجلال، ونبرته احترام، وكلمته تأديب، وخُلُقه مثلٌ عليا، كما قال البوصيري في سيد الخلق ﷺ:

كــأَنَّــهُ وَهْــوَ فَــرْدٌ مِــنْ جَلالَـتِـهِ
فِي عَـسْـكَـرٍ حِـيـنَ تَـلْـقَـاهُ وفِي حَـشَـمِ

غثاء كغثاء السيل

يقول ﷺ: «**تزوجوا الودود الولود؛ فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة**»، والرسول ﷺ إنما يكاثر بنا الأمم إذا كنا مؤمنين صادقين أقوياء متعلمين، أما إذا كنا جهلة متخلفين كسالى محبطين، فنحن لا نستحق أن يكاثر بنا الأمم، لأننا كالأصفار التي لا قيمة لها، ماذا نفع المسلمين الآن عددهم، الذي يقارب مليار مسلم ونصف؟ أين مكانهم في العالم؟ أين صوتهم؟ أين صناعاتهم؟ أين إبداعهم؟ أين اختراعاتهم؟ وأين اكتشافاتهم؟ شيء قليل لا يكاد يذكر، لقد تحقق فينا قول الرسول ﷺ: «**ولكنكم غثاء كغثاء السيل**»، وعجبي لا ينتهي ممن هو مستمر في الإنجاب والتوالد والتناسل والتناسخ والتبييض، والتفريخ، ثم إذا ملأ بيته بالأطفال تركهم بلا تعليم ولا توجيه، ولا تربية، ولا رعاية، فخرجوا فارغين عاطلين عن العمل بلا علم، ولا أدب ولا وظيفة، فمنهم من أصابه مرض نفسي ووسواس قهري، ومنهم من وقع في المخدرات والمنكرات، ومنهم من نظم نفسه في عصابات قطّاع الطرق والمحاربين والقتلة، فهل هذا من تكثير الأمة ومن تطبيق أمره ﷺ.

لقد حدثني أستاذ عن حارس في مدرسته راتبه ألف وخمس مائة ريال، ومتزوج بثلاث زوجات، وعنده سبعة عشر من الأبناء، وكلما ولد له مولود بشر المدير والأساتذة ورقص رقصة الفرح، وهو يدور بصك الإعسار وخطاب الشحاذة، يشحذ عباد الله، ويتسول لزوجاته وأطفاله، هل هذا الصعلوك المفلس قوة للإسلام؟ وهل يمكن أن ينجب علماء وأطباء وحكماء ومهندسين وأساتذة، وهو جاهل أمي ضعيف عقل، وقليل رشد؟ وقس على هذا الآلاف المؤلفة ممن همهم الإنجاب، حتى وقعنا في كثرة الإنتاج مع سوء التوزيع، وكثافة الكم مع ضعف الكيف، آمل من المسلمين أن يفهموا دينهم فهماً صحيحاً، وألا يسيئوا استخدام النصوص، وألا يحمّلوا الإسلام ما لا يحتمل، وألا يكونوا عالة على أمتهم ومجتمعهم، وليجتهدوا في بناء ذواتهم بناءً صحيحاً على الإيمان والمعرفة والرشد، والهمة العالية والعمل النافع المفيد،

ومن عنده طفلان فرباهما تربية صحيحة واعتنى بهما وعلمهما أفضل ممن عنده أربعون من الجهلة الكسالى قليلي الأدب، الذين يذرعون شوارعنا صباح مساء، بلا علم ولا عمل، وإنما يحملـون أجساماً سمينة مترهلة كأجسام البغال، عليها رؤوس مـا فيها إلا الغبـاء، وقد أضروا بالبيئـة، وأكسدوا الهواء، وأسهمـوا في أزمة الماء، وازدحـام الطرق والمواصلات وغـلاء الأسعار بلا فائدة مرجـوّة، ولا خير منتظر، والجيـد منهـم من لزم بيته ولم يـؤذ النـاس، ولكن المصيبـة إذا تحول أحدهم إلى غدة سرطانية في باب المخدرات أو التفجيرات أو المنكرات.

نريد توعيـة شاملة عن مقاصد الإنجاب في الإسلام، انظر إلى سكان إسرائيل خمسـة ملايين والعـرب أكثر من ثلاثمائة مليـون، وقد سامت إسرائيـل إخواننا في فلسطـين الخسف وسوء العـذاب، وضربتهم جواً وبحراً وأرضـاً، والعرب يتفرجون، ولا يحركـون ساكناً، ولا يجلبون نفعـاً، ولا يدفعون ضراً، إنما يملكون بيانات الشجب والتنديد والاستنكار. فهل ضر إسرائيل في عالم القوة قلة سكانها؟ وهل نفع العرب في العالم الدنيا كثرة سكانهم؟ أليس هذا غثاء السيل الذي أخبر به المصطفى ﷺ؟

إن الأمـة الإسلاميـة دمـوع هـادرة، وبحـور هائجـة، وسيـول متلاطمة من الجماهير، ولكن أكثرهم أمي فقير عاطل عن العمل، فكيف تريد من هذه الأمة أن تصنـع مجداً دنيوياً أو نصراً إسلاميـاً، وهي عجزت عن تربية أبنائها وتدريسهم وتوظيفهم وصارت أمة مستهلكة لصناعة وإنتاج الغرب والشرق.

إن الرسـول ﷺ يكاثر بنا الأمم إذا كنـا أتباعاً له بصدق، وأنصاراً له بحق، نحمـل الأمانة، نفي بالعهد، نحترم الكبير، نرحـم الصغير، ننصر المظلوم، نردع الظالم، نجتنب الحرام، نصدق في القول، نجد في العمل، نجتنب الغدر والخيانة والزور، نحمل روح الإخاء والصفاء، أهل همم عالية ومشاريع كبرى، وعمل صالح مثمر وإنتاج مفيد نافع، عندها يكاثر الرسول ﷺ بنا الأمم ويباهي بنا الشعوب.

يوم عاشوراء يوم شكر لا يوم نياحة

قدم ﷺ إلى المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء، فسألهم عن سبب صيامهم؟ قالوا: هذا يوم نجَّى الله فيه موسى من فرعون، فنحن نصومه شكراً، فقال: نحن أولى بموسى منكم، فصامه ﷺ وأمر بصيامه، فانظر إلى تضامنه ﷺ مع أخيه موسى عليه السلام، ومشاركته له في الفرحة، وشكر الله على أن نجاه ونجى بني إسرائيل معه. وليت ذريتهم من اليهود الآن يقدرون هذا الموقف النبوي الإنساني النبيل من نبي الرحمة ﷺ، يوم وقف مع المظلوم ضد الظالم، ويوم واسى المستضعفين ممن نجا من بطش فرعون، ولكنهم الآن يذبحون أتباع محمد بن عبد الله ﷺ في غزة، ويحاصرونهم ويهدمون بيوتهم ويتلفون أموالهم كما فعل فرعون بأسلافهم، فاليهود الآن يقفون في صف فرعون، ويفعلون ما فعله بأجدادهم، ويقاتلون أتباع نبي الرحمة، الذي صام شكراً لنجاتهم من الطغيان والاستبداد والقتل والتعذيب، فأي موقف أشنع وأبشع وأقبح من هذا الموقف الدال على الخسة واللّؤم ونكران الجميل وجحد المعروف، وهو مذهب نذل ومنهج رذل لا يفعله الأسوياء الشرفاء.

لقد كان المفترض على اليهود أن يستفيدوا من الدروس الغابرة التي حلت بهم على أيدي الطغاة: كبختنصر وفرعون وهتلر، ولكنهم وياللخيبة قلدوا الطغاة واقتدوا بالجلادين، فتحولوا إلى قتلة وسفاكين وإرهابيين، فهم يريدون تطبيق ما وقع عليهم من عذاب وتنكيل وإبادة جماعية وتشريد وطرد على غيرهم، فتراهم يتلذذون بقتل الأطفال، وذبح الشيوخ، وإحراق البيوت، ويتفننون في ترويع الآمنين وتعذيب الأسرى، وإحراق أكباد الأمهات، وذبح الأيتام أمام سكوت مطبق من العالم، فأين هذا الموقف المهين من موقف سيد المرسلين، وهو يشارك أخاه موسى في صيام عاشوراء، شكراً على سلامة اليهود الفارين من عذاب فرعون؟

ويوم عاشـوراء هو صيام وشكر وذكر وعبادة وليس نياحة، والحسين بن علي الشهيد رضي الله عنه ولعن الله قاتله، لا يرضى لو كان حيا ما يقع في ذكرى استشهاده من لطـم للخدود وشق للجيوب وتجريح للأجسام، فهـذا كله مما نهت عنه الشريعة، ونشكر عقلاء الشيعة الذين نهوا أتباعهم عن هذا العمل البدعي الخرافي، وأنكروا على من فعله، لأنه مخالف للسنة، وفيه تشويه لصورة الإسلام الجميلة البهية.

إن يـوم عاشوراء مناسبـة نبوية شريفـة، يصوم فيها يـوم العاشر من شهر محـرم، حمـداً لله علـى نجـاة المستضعفـين والمقهوريـن، ولكـن أحفـاد هـؤلاء المستضعفـين المقهوريـن تحولّوا إلى عصابـة إرهابية وحشيـة، لا تحمل رحمة ولا ضميراً ولا إنسانية.

إن الإسلام جـاء لنصرة المظلوم، ومواساة المنكـوب، وإغاثة الملهوف من أي جنـس أو بلد أو ديانـة أو ملَّة، بغض النظر عن عقيدته ولونـه ونسبه ووطنه، حتى جاء برفع الضيم عن الحيوان البهيم والطائر البريء، فرجل يدخل الجنة في سقيا كلب، وامرأة تدخل النار في تعذيب هرة، فيا أتباع نبي الرحمة وإمام الهدى، قفوا مع كل مظلوم ومقهور ومستضعف ومسكين ويتيم، لأنه الموقف الصحيح الشرعي، وإياكم ومسانـدة الظالم ومعاونة المستبد ومناصـرة الطاغوت، ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ﴾.

لماذا انتصرنا؟ لماذا انهزمنا؟

انتصرنا فيما سبق من الزمان يوم كان شعارنا لا إله إلا الله، يوم كان جنودنا يعفّرون وجوههم سجداً لله قبل المعركة، يوم كان جيشنا يكبر في الأرض، فتكبر الملائكة في السماء، فتهتز الجبال، وتتخلع قلوب الأعداء، ويحل النصر، ويحصل الظفر، يقول محمد إقبال:

نحن الذين إذا دُعوا لصلاتهم
والحرب تسقي الأرض جاماً أحمرا

جعلوا الوجوه إلى الحجاز فكبروا
في مسمع الروح الأمين فكبرا

يوم حضر خالد بن الوليد معركة اليرموك وكان جيش الروم كالبحر الهائج، فقال أحد المرجفين لخالد: اليوم يا خالد: نفّر إلى جبل سلمى وأجا، قال خالد وقد رفع سبابته ونظره إلى السماء: لا والله لا نفّر إلى جبل سلمى وأجا، لكن إلى الله الملتجى، فحصل الفتح المبين، ولما حاصر قتيبة بن مسلم كابل رفع أحد العباد أصبعه يقول: يا حي يا قيوم. فقال له قتيبة: والله إن أصبعك هذه أقوى عندي من مائة ألف شاب طرير، ومن مائة ألف سيف شهير، ولما حضر صلاح الدين في حطين انتظر حتى صعد خطباء الجمعة على المنابر لتكون ساعة إجابة، ولما حضر قطز عين جالوت صرخ في الجيش: «وإسلاماه» وسجد الأشرف خليل بن قلاوون عند فتح عكا، وسأل الله أن يحشره من بطون السباع وحواصل الطير، ويوم قال عبدالعزيز ابن عبدالرحمن لأحد عماله: إذا كان الله معك فمن تخاف؟ وإذا الله كان ضدك فمن ترجو؟

انتصرنا يوم كان الحاكم والمحكوم على قلب رجل واحد، انتصرنا يوم صاح عمر على المنبر عام الرمادة، قائلاً: والله لا أشبع حتى يشبع أطفال المسلمين،

opeikandi.com

انتصرنـا يـوم نصرنـا المستضعفين، وكفلنا الأيتـام، ورحمنا المساكـين، وواسينا الفقـراء، انتصرنـا يوم حملنـا القـرآن في قلوبنا، والعـزة في أنوفنـا، والهمة في رؤوسنـا، انتصرنا يوم انتصر العدل على الظلم، والحريـة على الاستبداد، ورأي الأمـة على رأي الفرد، انتصرنا يوم شيّدنا صروح المعرفة ومنارات العلم، فقدمنا للعـالَم الشافعي وابن تيمية وابن خلـدون وابن سيناء وابن رشـد وألوفاً أمثالهم، انتصرنا يوم قادنا عمر وسعد وخالد وطارق وقتيبة بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

ثـم انهزمنا يوم ألغـى بعض حكامنا الإسلام جهاراً نهـاراً، ووضع مكان الله الواحـد الحـزب الواحد، وألغـى لا إلـه إلا الله ورفـع مكانها: أمـة عربية واحدة ذات رسالـة خالـدة. ويوم رفض بعضنا السجـود لله وسجد للشيطـان والصنم والطاغوت.

وانهزمنا يوم أكلنا الربا والسحت، وكذبنا على أنفسنا والناس، وغدر بعضنا ببعضـ، وسفك سفهاؤنا دمـاء عقلائنا، وطففنا الكيل والـوزن، وهجرنا القراءة والكتـاب والصناعة والإبـداع، وتشاغلنا باللهـو والرقصات الشعبيـة، والنعرات القبليـة والشعـارات العنصريـة، والهتافات الحزبيـة، والغناء والغثـاء والهذيان والفراغ مع البطالة، وانهزمنا يوم كُسر القلم الحر، وكُمّم الفم الصادق، وصودرت حقـوق الناس، وسجن الأبرياء وجلـد الشرفاء، واغتيلت حرية الرأي، ولُعب بالمال العام، وعذّبت الشعوب بسياط الاستبـداد والاستعباد، ونصبت محاكم التفتيش، وصـارت كثير مـن الدول العربية سجونـاً كبيرة لمواطنيها، وصـار الإسلام تهمة، والمسجـد مهجورا، والمصحف مجلة، والمصنـع باراً، وهجرنا الاكتشاف والاختراع والعمل والإبداع، ورضينا بالذل، وآثرنا الخمول، وعشقنا النوم، وغلبنا الكسل.

انهزمنـا يوم تفرقنا واختلفنا وانقسمنا إلى طوائف وفرق وأحزاب ومنظمات وجماعـات، كل فئة تلعن الأخرى، وتكفرهـا وتستحل دماءها، وصار بعض العلماء والكتـاب والمفكرين يتبادلون التهم والتخوين والتكفـير، ونسينا مهمتنا في الحياة

بعدما كنا خير أمة لأعظم رسالة وأجلّ دعوة في أقدس بقعة، لأشرف هدف بأحسن منهج، وأكمل شريعة، وأنبل قيادة، وأكرم جيل، وأصفى منهج، وأروع حضارة، وأطهر إنسانية، فإلى الله المشتكى وعليه التكلان، وهو المستعان، وبه المستغاث، وإليه الملجأ ومنه الرشد، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

obeikandl.com

العولمة كشفت كل مستور

صار الإنسان مكشوفاً أمام العولمة ووسائلها من إنترنت وقنوات وجوال وأجهزة تنصّت وتصوير، وما أصبح عنده شيء مستور، ولا سر مخفي، ولا خاصة مخبوءة، وأصبح الإنسان داخل غرفة نومه الخاصة المغلقة هدفاً سهلاً واضحاً مكشوفاً، لأي تصوير أو تنصّت، ومهما حاولت الاختفاء والاختباء خلف الجدران والحيطان، فإنك لن تنجو من رقابة العولمة واكتشافها لك، ليس ببعيد أن تصور وتدبلج صورك في أوضاع غير لائقة، وليس بغريب أن يدبلج صوتك ويؤخذ منه مقاطع تدان بها، وقد يؤخذ صوتك من الجوال والإنترنت وأنت تتصل بزوجتك، فيوجه على أنك تكلم أجنبية، فما هو الحل أمام هذا السيل الجارف من الوسائل والأجهزة التي كشفت كل شيء، وفضحت كل مستور، وأظهرت كل مخفي، وجعلت سافل الدنيا عاليها، وصارت الغرف الخاصة كالحدائق العامة، والمكاتب السرية كالأسواق.

وقد تنبه كثير من حملة الضمير إلى هذا الوضع المأساوي الذي يواجه الإنسان، وفكروا في حلول تحمي مكانة الإنسان وعرضه وسمعته أمام طغيان العولمة والحضارة المادية، التي تفتقر إلى الرقابة والحياء والستر والعفاف، وفي القرآن حل لهذه المأساة لو اهتدت البشرية لهذا الحل، يقول تعالى: ﴿وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ﴾، وهذه الكلمة لا توجد في أي قانون ولا دستور أرضي، فالقوانين والدساتير الأرضية تراقب ظاهر الإنسان، ولكنها لا تستطيع أن تخوض في أعماقه، ولا تدخل نفسه، ولا تعرف ما في ضميره، ولكن الواحد الأحد علام الغيوب هدد البشر برقابته على تصرفاتهم وأسرارهم، وما تكنه ضمائرهم، وما تخفيه صدورهم، إذن فلا حل لنا إلا بمراقبة الله والخوف منه، وتربية الناس على سلامة الضمير، وعفاف القلوب، وحب الستر، والانتهاء عن هتك أستارهم وفضح أسرارهم، وقد حذّر الوحي من هذا المسلك المشين، والخلق الدنيء، والتصرف المهين، والفعل الرخيص، الذي يقوم به التافهون الأنذال الحقراء، فقال تعالى:

﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾، وقال الرسول ﷺ: **«يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن قلبه، لا تتبعوا عورات المسلمين، فإنه من تتبع عوراتهم تتبع الله عورته، ومن تتبع عورته فضحه ولو في عقر داره»**، للبيوت أسرار، وللناس أعراض، وللبشر كرامة، فيا من رخصت عليه نفسه، فأصبح شؤماً على عباد الله، يفرح بعثراتهم، ويجمع زلاتهم، ويكشف أخطاءهم، أنت عديم المروءة، فقير الخلق، مجدب الذوق، ميت القلب، أما عندك عقل يردع؟ أو إيمان يمنع؟

ينبغي علينا أن نربي الجيل على عفاف النفس، وحياة الضمير، وكريم الخلق، واحترام المشاعر، ورحمة الإنسان، والرفق بالناس، وستر البشر وعدم الاستهانة بأسرارهم وأخبارهم وأعراضهم، فيا أيها المتهور الطائش الأرعن النزق الأحمق أما لديك عرض تخاف عليه؟ أما عندك سمعة تحرص عليها؟ أما في بيتك زوجة وبنات وأبناء وعمات وخالات تخشى على أعراضهن وسمعتهن؟

أما فكرت يا من ينشر غسيل الناس، ويفرح بعثراتهم، ويظهر أخطاءهم، أنك في يوم ما سوف تنال الجزاء من الحكم العدل سبحانه، فتسقط سقطة، وتغلط غلطة، وتتورط في ورطة؟ حينها تحين ساعة الانتقام، ويحل يوم القصاص، فتذوق سوء المصير وعاقبة الظلم، لأنك طالما أبكيت عيناً، وأحزنت قلباً، وروعت أسرة، وهدمت مجداً، وهتكت عرضاً بتصرفك المشين، يوم نشرت صوراً، أو دبلجت صوتاً، أو فرحت بزلّة، أو نشرت عثرة، أو أذعت سراً، أو شمتَّ بإنسان، وقتها سوف يكون مصيرك مراً، وعاقبتك خزياً، ونهايتك بؤساً، نحن بحاجة لحياة ضمير وتقوى قلوب، وكرم نفوس أمام طوفان العولمة، الذي عرى العالم وكشف الدنيا، وفضح المعمورة.

القاتل المحترف

المخدرات من أعظم الأمراض فتكاً بالمجتمع؛ لأنها تفقد الإنسان عقله، وحينها يتحول الإنسان السميع البصير العاقل إلى حيوان بهيم وإلى وحش مفترس، وقد انتشر داء المخدرات بين شبابنا، فاشترك هو والإرهاب في تدمير الشخصية الإسلامية، وتشويه الصورة الجميلة للشاب المسلم ونتج عن المخدرات إعدام العقول، وضياع الأسر، والقتل، والمنكرات، والفواحش ما ظهر منها وما بطن، وأصبح للمخدرات عصابات إجرام ومافيا إفساد، وحمل أصحاب المخدرات السلاح يهددون به أمن الناس، ويبتزون أموالهم، ويهتكون أعراضهم، وكم من عقل ذكي وذهن عبقري تحوّل صاحبه إلى ثور بليد، ولص عنيد، وشيطان مريد، فصار خلف القضبان بعدما فقد إنسانيته، وخسر مستقبله، ودمّر ذاته ومجتمعه.

ونحن أمام المخدرات نحتاج إلى سلاحين قويين: سلاح التوعية والتربية، وسلاح القوة، أي: الحجة والبرهان والسوط والسِنان، فلا بد من أن يشارك المجتمع كله في حرب المخدرات، فالأب برعايته، والداعية بتوجيهه، ورجل الإعلام بتحذيره، والجندي بمراقبته، والشاب بتحصينه، والمخدرات بل المسكرات بأنواعها هي أم الخبائث؛ لأن كل جريمة ومعصية سوف تحصل بعدها، فمن رضي بإذهاب عقله وضياع رشده، فسوف يفعل كل ما يعيب وما يشين.

وفي المجتمع أسر تهدّمت، وذهب استقرارها بعدما وقع المسؤول عنها في المخدرات فأصبحت العائلة فريسة للجهل والمرض والفقر والجريمة، ولله كم من عبقرية مرّغتها المخدرات في التراب! وكم من ذهن وقّاد حوّلته المخدرات إلى مزبلة! وكم من قلب كبير وهمّة عالية صارت بعد التخدير لعبة في يد الشيطان! صاحب المخدرات غدة سامة في جسم الأمة، وعضو مشلول في بدن الوطن، وعين عوراء في وجه المجتمع، صاحب المخدرات عدو للأمن والعلم والاستقرار والتقدم والفضيلة، صاحب المخدرات بهيمة في مسلاخ إنسان ودابة في هيئة رجل؛ لأن الله عز وجل

شرف الإنسان بالعقل وميّزه بالإدراك وخصه بالوعي، ولكن صاحب المخدرات لا عقل ولا إدراك ولا وعي، فهو مسلوب الإرادة، منزوع الرشد، ذاهب البصيرة، فاقد التمييز، صاحب المخدرات كان يُنتظر أن يكون على كرسي التدريس وعلى منبر التوجيه وفي نوادي العلم والمعرفة وفي صروح المجد والعطاء، ولكنه رفض ذلك كله وتحول إلى مفسد شرير وإلى عضو فاسد وفرد منبوذ وإنسان حقير رخيص تافه فاشل، فتبرأت منه المساجد، وطُرد من الجامعة، وحورب من الأمة، وسُخط عليه من الوالدين، ونبذته القرابة، وأدانته المحكمة، وأهانه الرجال ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾، إن صاحب المخدرات تحول من عالم الاحترام والتبجيل والتقدير والإكرام إلى سجن المهانة والمذلة والضرب والزجر والتهديد، فسبّه الرجال وحكم عليه القاضي، وجلده الجندي، ودعا عليه الوالد، وتبرأت منه الوالدة، وصار نقمة على الأسرة، ومسبّة للقبيلة، ولعنة على نفسه، وخيبة لمستقبله.

إن الواجب علينا أن نقف صفاً واحداً أمام طوفان المخدرات، حمايةً لأمننا وبيوتنا وأعراضنا وشرفنا وإسلامنا ومستقبلنا، وقد حاول بعض الآباء عبثاً أن يدركوا أبناءهم بعدما وقعوا في المخدرات ولكن هيهات، فات الأوان، وقضي الأمر الذي فيه تستفتيان؛ لأن الإهمال وتضييع الأسرة والتفريط في التربية مع القدوة السيئة أنتجت ابناً عاقاً شريراً فاسداً مفسداً، انتهى به الحال من المسجد والجامعة والنادي والمصنع والمؤسسة إلى قاطع طريق إرهابي محارب للمجتمع لص محترف، تجده في عصابة يخطط في البوادي، ويهرب من وجه العدالة، ويختفي في المغارات والأودية ورؤوس الجبال، يُطارد كما يُطارد الثعبان، ويُقتل كما تُقتل الحيّة، ويُسحب كما تُسحب الشاة، وقد أصبح جثة مليئة بالدنس والرجس والنجس، فلا وضوء ولا طهارة ولا غسل ولا نظافة ولا قداسة ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

أيها العالم شدوا الأحزمة

أعلن الرئيس الأمريكي قبل أيام أن أمريكا في خطر، ويقصد بذلك تدهور الاقتصاد، وأقول: إن العالم في خطر منذ أن نزل آدم من الجنة إلى الدنيا، فليس في الدنيا ما يمكن الوثوق به والركون إليه إلا الله وحده، لا تظن أنك سوف تبقى غنياً أبداً، وأن المال حصنك الحصين أمام الأزمات والكوارث، فالغني يفتقر، والثري يفلس، والعملة تتبدل وتتغير قيمتها، فلا تثق بصحتك وتظن أنك سوف تبقى قوياً مكتمل الشباب، تام الفتوة مفتول العضلات، فالهرم قادم، والشيخوخة مقبلة، والمرض زائر مفاجئ، ولا تركن إلى الأبناء، وتعتقد أنهم العدة وقت الشدة، والملاذ عند الأزمات؛ فقد يخرج منهم العاق المارد والجاحد الكنود، ولا تثق بالعشيرة والقبيلة والأسرة، وتظن أنهم الدروع الضافية والحصون الواقية؛ فقد يخذلونك أحوج ما تكون محتاجاً لنصرتهم.

ولا تفرح بالمنصب وتطمئن إليه؛ فالكرسي دوار والأيام دول، وقد يأتيك خبر العزل من المنصب أسرع من البرق الخاطف، فتعود إلى بيتك بلا إمارة ولا سفارة ولا وزارة ولا تجارة، وتسكن في عُشّة بعد العمارة، ولكن كن كما قال الله تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾وقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾، ونحن البشر في ورطة منذ أن خُلقنا وسقطت رؤوسنا على الأرض، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴾، ولله در الشاعر حين أجاد في قوله:

وَلَدتكَ أُمُّكَ يا ابنَ آدمَ باكِيًا
وَالنّاسُ حَولَكَ يَضحَكونَ سُرورا

فاعملْ لنفسك أن تكونَ إذا بكوا
في يوم موتِك ضاحكاً مسرورا

ويرى صديقي وزميلي أبو الطيب المتنبي: أن الأحمق صراحة من يستعزُّ ويتقوى ويثق بالأمور الفانية، فيقول:

فالموت آتٍ والنفوس نفائسٌ

والمستعزُّ بما لديه الأحمق

وفي كتاب (الإيمان) للرئيس الأمريكي الأسبق (كارتر) يقول: إنه إذا عصفت به الأزمات في البيت الأبيض التجأ إلى الله، وقصده على طريقته المحرفة المنسوخة، وقد ذكر الرئيس الأمريكي السابق (جورج بوش الأب) في مذكراته (سيرة إلى الأمام) أنه حضر جنازة رئيس الاتحاد السوفيتي السابق (برجنيف) قال: فوجدتها جنازة مظلمة لا نور فيها، قلت: لأن بوش مسيحي أقرب إلى الهداية وعنده بصيص من نور، و(برجنيف) ملحد لا يؤمن بالله، فكيف لو عرف بوش الإسلام الدين الحق، إذن فنحن منذ أن وُجِدنا على هذا الكوكب ونحن في خطر من الموت والمرض والحرب والفقر والظلم والهم والكوارث والأزمات، وليس لنا من حلٍّ إلا الفرار إلى الله بتوحيده وعبادته، كما قال تعالى: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴾.

وأمريكا الإمبراطورية العظمى في هذا العصر سوف تدركها سنة الله في الأمم والدول، كما ذكر ذلك ابن خلدون في مقدمته، وسوف تضعف ويأتي غيرها كما قال تعالى: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ ﴾، وقد ذكر الرئيس الأمريكي السابق (رتشارد نيكسون) في كتابه (الفرصة السانحة) أن الصين قادمة لتأخذ مكانة أمريكا بالقوة والهيمنة، قلت: بل هي دورة التاريخ وسنة الله في عباده، وكل أمة أخذت دورتها من السؤدد والارتقاء ثم هبطت لتأتي أمة أخرى تأخذ الدور والقيادة، وليت البشرية في أزماتها ومصائبها وكوارثها تعود إلى ربها وخالقها لعبادته وحده- جل في علاه- واتباع رسوله ﷺ والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

وإن كانت أمريكا في خطر كما يقول (جورج بوش) فالكون كله في خطر؛ لأن العالم سوف ينتهي، كما قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾، أين الآشوريون والكلدانيون والكنعانيون؟ أين ذوو التيجان والسلطان والهيلمان والإيوان؟ صاروا خبراً بعد عين، وحكاية حلوة في المجالس، وسالفة غريبة في النوادي، وقصة مؤثرة في بطون الكتب.

يقول زميلي وصديقي أبو الطيب:

أَيـنَ الجَـبـابِـرَةُ الأَكـاسِـرَةُ الأُلى
كَـنَـزوا الـكُـنـوزَ فـلا بَـقـيـنَ وَلا بَـقـوا

مِـن كُـلِّ مَـن ضـاقَ الـفَـضـاءُ بِجَيشِه
حَـتّـى ثَـوى فَـحَـواهُ لَحـدٌ ضَـيِّـقُ

الحجة أقوى من الملاكمة

تابعت برنامج إضاءات (لقناة العربية) مع الأستاذ تركي الدخيل وضيفه الكاتب والمفكر الإسلامي حمد الماجد، وبين قوة المحاور المناور، وإشراق وإبداع الضيف الماجد، صاحب السجل المشرف في العمل الإسلامي النبيل الوسطي المعتدل، وصلا إلى قصة الصلاة على الشاعر نزار قباني في المركز الإسلامي بلندن، واختلاف المصلين في الصلاة عليه، بسبب مخالفاته الشرعية، التي لا تبرك عليها الجمال مع إبداعه الشاعري ونبوغه الأدبي.

وقفز إلى ذهني موقف مرَّ بي شبيه بهذا الموقف قبل سنوات بولاية أكلاهوما بالولايات المتحدة الأمريكية في مؤتمر الشباب العربي المسلم، الذي حضره أكثر من ستة آلاف، وقمت بإلقاء كلمة بعد صلاة المغرب على عادة الضيوف، وفي الحضور الشيخ عبدالله عزّام والشيخ أحمد القطان والدكتور طارق السويدان والدكتور عصام البشير، ونبَّهتُ في كلمتي على أن المعصوم عندنا هو رسولنا محمد بن عبدالله ﷺ وحده، أما غيره فيؤخذ من كلامه ويُرد، وأن علينا أن لا نغلو في تقديس الرموز، كما قال رسول الله ﷺ: «**إياكم والغلو**»، وقوله ﷺ: «**لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، إنما أنا عبدالله ورسوله**».

فقاطعني أخٌ من العراق وردَّ كلامي، فقام الشيخ أحمد القطان ودافع عني، فقام أخٌ من اليمن فردّ علي وعلى القطان، فقام أخٌ سعودي وردّ على اليمني، ثم قام آخر وردّ على السعودي، ثم قام الأخير فردّ عليَّ الذي ردّ على الأول، وتحوّل المسجد إلى فوضى وجلبة، وخفنا على أنفسنا، فزحفتُ أنا والشيخ أحمد القطان إلى الباب الأمامي من الصالة الكبرى، ودخلنا (اللفت) أي: (الأسنسير) أي: (المصعد) فلما دخلنا ضحكنا من حالنا، وقرأ الشيخ أحمد القطان: ﴿فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾.

انظر إلى حالنا في مؤتمراتنا حتى في الخارج، لا نكاد نسلم من الخلاف والشقاق، الذي حملناه معنا من بلاد العرب، وذهبنا ننشر غسيلنا على الناس، وليتنا إذ اختلفنا تحاورنا بهدوء، وتكلمنا بعقل، وتجادلنا بالحسنى، لكن بعضنا يفضل الملاكمة والمصارعة والمطارحة والمنازلة والضرب والعض والرفس والدهس والنهش، حتى إنني رأيت مجلس نواب (برلمان) في دولة عربية اختلف أعضاؤه ثم صاحوا، ثم ضجوا، ثم قاموا، ثم تماسكوا، ثم تضاربوا، ثم تدافعوا، ثم تراموا بالكراسي، وهذا عيب يا ناس، وخطأ كبير يا بشر، وغلط فاحش يا بني آدم، إن حجة الأحمق في يده، وبرهان العاقل في ضميره، ويعجبني جداً موقف نُقل على الهواء مباشرة من مجلس الأمن قبل احتلال العراق بأيام وإسقاط نظام صدام حسين إذ تحدّث وزير خارجية (أمريكا) آنذاك (كولن باول) وذكر أن أمريكا لا بد من أن تفرض بقوتها العدالة في العالم وكانت فرنسا معارضة لهذا التوجه، فردّ عليه وزير خارجية فرنسا وقتها الشاعر المثقف (دومينيك دوفيلبان) وقال له: إن كنتم عضلات العالم، فنحن ضمير العالم.

إن المسألة يا سادة يا كرام مسألة حجة ودليل، قال تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ ﴾ وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ﴾، ويقول البوصيري:

والدَّعاوَى ما لم يُقيموا عليها
بَيِّناتٍ أصحابُها أَدْعِياءُ

لكن من يُفهم العمي البكم الصم الذين يلغون المنطق، ويرفضون البرهان ويضيقون بالخلاف، قال آية الله أبو الطيب المتنبي:

وكيف يَصِحُّ في الأَذهان شَيءٌ
إذا احتاجَ النَّهارُ إلى دَليلِ

أئمة الضلالة

زرتُ أنا والدكتور يحيى الهنيدي من جامعة الإمام دولة عربية، وسمعنا برجل عندهـم يسمونه الولي الكبير، لـه أتباع ومريدون، يعتقدون فيـه الولاية، وبعضهم يعتقـد فيه العصمة، وجلسنا عنده وطلابه حوله جلوس، كأن على رؤوسهم الطير، يقبِّلون يـده وقدمه، وعنده من البدع والخرافات ما يشيب لها الرأس، فسألناه عن طريقتـه، فأخبرنا أنه ورثها عن علمـاء وأولياء كبار، قلنا: ما الدليل على صحتها؟ قـال: لا تسـأل عن الدليل، هذه أمور نحن أعرف بها، قلنـا: نحن وأنت إذا اختلفنا فمرجعنـا الكتاب والسنة، تعـالَ ببرهان من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ على صحة هـذه الأعمال التي تزاولونها، فأخذ يتهـرب، قلنا: أما قال الرسول ﷺ: «**من عمل عملاً ليس عليـه أمرنـا فهـو رد**»، وأعمالك هذه ليسـت على أمـر الرسول عليه الصـلاة والسـلام، بل هي مـن البدع التي نهى عنهـا ﷺ، فاستشـاط غضباً وخرج عـن الحوار، وتبرّم من مجلسنـا وغضب منّا، وعلمنا أنه لا يملك حجة، إنما هو الهوى والتقليـد الأعمى، وخرجنا وهو في ضلالته وبدعه وخرافاته، يضل الناس ويغويهم عن الصـراط المستقيـم، وعنده طلاّبه أسكنهـم بجواره في عماراتـه، اشتراها من أموال المساكين ومن جيوب الفقراء، الذين صدقوه واتبعوه في انحرافه وغيّه، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.

والعجيب أنه علـى هذا الاعوجاج والضلال معظَّم عندهم مقدّس عند العامة، ومـا ذاك إلا لانطماس معالم التوحيد، وانطفاء أنوار السنـة في قلوبهم، وإلا فهل يُعقـل أن يقوم هـؤلاء الضُّلّال الدجاجلـة الكذابون الأفّاكـون بصرف الجيل عن كتـاب الله وسنة رسوله ﷺ، وإغراقهم في بحار الشرك والبدع والخرافات في بلد عربـي مسلم، ثم يُكّرم هؤلاء الضلاّل ويُبجّلون، وتُهدى لهم الهدايا وتُصب عليهم الأموال؟

إن هذا يدلك على مستوى ما وصلت إليه الأمة من جهل بدينها، وإعراض عن سنة نبيها ﷺ، ووجدنا بعض أهل هذه الدولة ينقلون الكرامات المزعومة والمنامات الكاذبة عن هؤلاء الأئمة الضلّال، ويذهبون إليهم بالقرابين، ويطلبون منهم كشف الضر وشفاء المريض وإزالة الكرب وطلب الذرية وتسهيل أسباب الرزق، والله تعالى يقول: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾، ويقول تعالى في الحديث القدسي الصحيح: «**أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه**».

فأين علماء الإسلام من هذا الزور والبهتان، الذي يُمارس جهاراً نهاراً مع تشجيع من بعض الحكومات، التي تحبس العلماء الصادقين والدعاة المخلصين، وتفتح المجال للمخرِّفين والمنحرفين، وتسهل لهم كل الصعاب لإغواء الأمة، وصرفها عن منهج الله وسنة نبيه ﷺ؟ وإذا كنا في العالم الإسلامي نشكو من كثير من المعضلات الدينية والدنيوية، فإن أعظمها على الإطلاق جهل الناس بتوحيد ربهم -عز وجل- ووقوعهم في الشرك وانحرافهم عن السنة إلى البدعة.

فإن أعظم القضايا وأكبر المسائل هي توحيده سبحانه وتعالى، وإفراده بالعبودية لا إله إلا هو، وإخلاص العمل له واتباع رسوله عليه الصلاة والسلام، كما قال ﷺ في حديث معاذ بن جبل لما سأله ﷺ فقال له: «**يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد؟**» قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «**حق العباد على الله أن يعبدوه لا يشركوا به شيئاً**»، ثم قال: «**أتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟**» قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «**فإن حقهم إذا فعلوا ذلك ألا يعذبهم**».

فهل آن الأوان يا مسلمون لتدارك الحال وإصلاح الوضع وتصحيح عقيدة المسلمين وهدايتهم إلى دين ربهم وردهم إلى الطريق القويم والصراط المستقيم بالحكمة والموعظة الحسنة والرفق واللين؟

خذوا على أيدي المبذرين

المبذرون هم إخوان الشياطين؛ لأنهم يتجاوزون الحدود الشرعية والقواعد المرعية في نفقاتهم وتصرفاتهم، وعندنا في المجتمع أناس يلعبون بالمال لعب الأطفال بالطين؛ لأنه وصل إليهم بسهولة، فصرفوه بسهولة، فتجدهم ينفقون على ملاذهم وشهواتهم وموائدهم واستراحاتهم وأسفارهم الملايين المملينة، وجيرانهم شريحة هائلة من الفقراء المعوزين، الذين يقفون على أبواب المساجد والطرقات يسألون الأغنياء ولا مجيب، ألا يستيقظ ضمير المبذر وهو يرى نفسه مثخناً بجراح المترفين ومرض المتكبرين وداء المتجبرين؟ ويظن هؤلاء أنه على قدر إنفاقهم وكثرة صرفهم سوف يحصلون على الاستقرار النفسي والحياة الطيبة، ولكن هيهات، فالسعادة ليست شيكاً يُصرف، ولا رصيداً يُنمّى، ولا ثروة تُزاد، إنما السعادة فوق هذا كله، إنها إيمان ورضا وسكينة وقناعة، وأمن داخلي وسلام مع النفس ومع الناس.

فيا صاحب الموائد المستطيلة، ويا صاحب حفلات البذخ والإسراف أفِق من غفوتك، وتذكر أنك مسؤول عن هذا المال أمام الله، ثم أمام ضميرك وورثتك والناس، فلا تبالغ في السّفه والحمق إلى درجةٍ تلغي فيها مطالب الروح على حساب الجسد، فيامن يربي بدنه ويسمّن جسمه على حساب عقله وقلبه! إن كنت تفاخر بقوة جسمك فالبغل أقوى منك، وإن كنت تفاخر بضخامة أعضائك فالثور أضخم منك أعضاءً، وإن فاخرت بعدْوك فالغزال أسرع منك، بل ليس هناك باب من أبواب المفاخرة بالجسم إلا وتجد أن حيواناً يفوقك في هذا الباب، فأقْبِل على الروح واستكمل فضائل النفس، قال أبو الطيب:

لَولا العُقولُ لَكانَ أَدنى ضَيغَمٍ

أَدنَى إِلى شَرَفٍ مِنَ الإِنسانِ

وغالب شبابنا تكبر بطونهم وتضمر عقولهم، لأنهم أقبلوا على الوجبات الدسمة بنهم، وأغفلوا قوت القلوب من العلم والمعرفة، فتمدد الجسم على حساب العقل، فتجد أحدهم سميناً بطيناً ثخيناً، وتجد عقله سخيفاً خفيفاً رهيفاً، وإنما شرّف الله عباده بعقولهم وإيمانهم ومعرفتهم وفهمهم لا بأجسادهم، حتى قال عن أعدائه المردة الأغبياء: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾ وقد هجا حسان بن ثابت زعيم المنافقين عبدالله ابن أبي بن سلول وكان ضخماً سميناً لكنه فاشل حقير، فقال:

لا عَيبَ بِالقَومِ مِن طولٍ وَلا عِظَمٍ

جُسمُ البِغالِ وَأَحلامُ العَصافيرِ

أيها المبذرون كفى استهتاراً بالمال واستهانة بالنعم، وتعالوا إلى الترشيد في النفقة، وإحياء سنة المواساة الاجتماعية، وأشركوا في موائدكم الفقراء والأيتام والمحرومين، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ وعلى كل منعّم مسمّن أن يطمئن أن هذه الجثة الضخمة التي يحملها سوف يُحفر لها قبر في الأرض، وتُدسّ ويُحثى عليها التراب، وتجرّد من الثياب، ويتخلى عنها الأصحاب، ويفارقها الأحباب.

أيها المترفون! بطون الجائعين أولى من صناديق القمامة، وأجساد العراة أحق من كسوة الجدران والحيطان، وبناء بيوت للمساكين أفضل من شاليهات البذخ والإسراف، ويوم كنت أجمع مادة كتاب (لا تحزن) عثرت على كلمة لأحد أساطين الغرب تساوي مليون دولار، يقول: (كلما ترفّه الجسم تعقّدت الروح). ومقصوده أنك كلما بذلت وأنفقت في التنعم واللذة والمتعة دفعت ضريبة ذلك من استقرار نفسك وسعادة روحك واطمئنان قلبك، فتعيش قلقاً مكدّراً مهموماً، وانظر إلى حياة البسطاء أصحاب القناعة كيف يغردون بالأناشيد كأنهم الطيور، بينما يتناول كثير من المترفين العقاقير المسكنة، ويشكون من الأرق والقلق.

فاقتصدوا أيها المترفون رويداً رويداً، فقد سبقكم أباطرة وأكاسرة وقياصرة وجبابـرة، لعبوا بالذهـب والفضة كما يلعب الأطفال بالـتراب، ثم صاروا في خبر كان: ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴾، حتى استهزأ بهم الشاعر الكبير المتنبي بعدما سُحبوا من القصور إلى القبور، فقال:

أيـنَ الأكـاسِـرَةُ الجَبـابِـرَةُ الأُلى
كَـنَـزوا الـكُـنـوزَ فَـمـا بَـقـيـنَ وَلا بَـقـوا

مِـن كُـلِّ مَـن ضـاقَ الـفَـضـاءُ بِـجَـيـشِـه
حَـتّـى ثَـوى فَـحَـواهُ لَـحـدٌ ضَـيِّـقُ

خُـرسٌ إِذا نُـودوا كَـأَنْ لَـم يَـعـلَـمـوا
أَنَّ الـكَـلامَ لَـهُـم حَـلالٌ مُـطـلَـقُ

obeikandl.com

الصراع الدموي ليس من الدعوة

نصوص الكتاب والسنة تدعو إلى الدعوة بالحسنى واللين والرفق والحكمة، والتدرج حسب الطاقة في إقناع الناس برسالة الإسلام العظيمة، وعدم إرهابهم فكرياً، أو السيطرة على عقولهم بقوة السلاح، فقد قال سبحانه وتعالى لرسوله ﷺ: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾، وقال: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾، وقال: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾، وقال: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾، ولكن للأسف فإن بعض الداعين إلى الإسلام فهموا النص خطأً، وقرأوا الرسالة غلطاً، فقاموا بمشروع دموي تصادمي مع الحكّام ولو كانوا ظلمة، وهذا خلاف المنهج الإسلامي الصحيح، يقول ﷺ: «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**».

فكلما اجتمع في بعض البلاد جماعة للدعوة وبدأ نفعهم وأثرهم الطيب في تصحيح أفهام الناس وتربيتهم على النهج القويم، سوّل لهم الشيطان مصادمة الحاكم، فقام خطيبهم يصيح: من يبايعني على الموت، وكلما استبشرنا خيراً بطالب علم، وبدأ يصلح عقائد وأفكار الناس ترك ذلك كله أمام زهو الجمهور وإعجاب المحبين وهتف في الحضور: (يا خيل الله اركبي)، فيؤخذ إلى الزنزانة، ويوضع بين أربعة جدران حتى يخرج أحدهم، ولسان حاله يقول: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾. وبعض الجماعات الأخرى تطلب منازلة الحاكم من على المنابر، ونسيت أن ثكنات الجيش وطوابير العسكر ومخازن السلاح أكبر من المساجد والمخيمات والمعسكرات الكشفية، فيُسحب هؤلاء المجتهدون المغرر بهم ممن نقص فهمهم للدين، فيُعذَّبون ويُذبحون ويُسلخون ويُجلدون، وتُشرَّد أسرهم، وترمّل نساؤهم، ويُيتَّم أطفالهم، فلا يستفيد الآخر من الأول، وأين الاعتبار ﴿فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾، (مصائب قوم عند قوم فوائد).

هل هذه الممارسات صحيحة في الإسلام؟ أما كان منهجه ﷺ اليسر لا العسر، والرفق لا العنف، والحكمة لا الطيش ولا التهور؟ حتى وصفه ربه بذلك، فقال:

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾، وقال له: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾، حتى إنه ﷺ في العهد المكي لم يواجه الجاهلية بالقوّة بل بقي يدعو ويربي ويصبر على الأذى، ويصحح عقائد الناس، ويزكي نفوسهم، ويطهر ضمائرهم، ويجتث الشر من أرواحهم حتى أسس أعظم وأعدل دولة في العالم، وقال له بعض أصحابه: لو قتلت رأس المنافقين عبدالله بن أُبيّ ابن سلول؟ فقال ﷺ: «**لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه**».

ولكن في العصور المتأخرة تُرك هذا المنهج تماماً عند كثير من الدعاة وكثير من الجماعات الإسلامية، وآثروا المواجهة الدموية مع الأنظمة الحاكمة ولو كانت ظالمة، وسلكوا العنف، وحملوا السلاح، وتمنوا لقاء العدو، فعُطِّل مشروع الدعوة، وأُغلقت حلقات العلم، وأوقف النفع العام، ومُنعت الكلمة الطيبة، وشُوِّهت الدعوة، وفُتِحت السجون، وانقسمت الشعوب بين عدو وصديق ومحب ومبغض، ثم نُسب هذا كله إلى الجهاد الإسلامي، وهذا خطأ في فهم المصطلحات الإسلامية والمقاصد الشرعية؛ لأن غالب من يوجه هذه الجماعات والطوائف ليسوا من علماء الشريعة الراسخين في العلم، فمنهم الطبيب والمهندس والمبتدئ ونصف المتعلم والعامي، ودفعت الأمة ضريبة هذه الأخطاء، سواء من صفوف الدعاة أو من صفوف العسكر أو من سمعة الإسلام أو من حياة الأطفال والنساء.

فهل آن لنا أن نكون شجعاناً، وندرس ملفات الماضي بصدق ووضوح، ونأخذ منها العبر والدروس، ونزنها بميزان الشرع على خُطى رسول الله ﷺ، ولا نبقى في هذا النفق المظلم نفق المواجهات الدامية والصدام المسلح بين الحاكم والمحكوم، ونخسر رسالتنا ونكون سبباً في نار فتنة تأكل الأخضر واليابس؟ أيها الدعاة اقرأوا المشروع الرباني النبوي الحضاري لرسولنا ﷺ، فهو الإمام القدوة والنبي المعصوم الذي أُمرنا باتباعه وحده دون سواه ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾.

أزمة الخطـاب

حضـرت خطبة الجمعة في أحـد المساجد، فألقى علينـا الإمام خطبة تحتاج إلى شـرح لمفرداتها، وقد حشاها بكلمـات لا يعرفها كثير من طلبة العلم: كالوكس والشطـط ونحو ذلك. وكان عنوان الخطبة عائماً غائماً هائماً، ولم أدرِ ماذا يريد أن يقـول؟ واتهمت عقلي، ولكنني التقيتُ بعد الصلاة بعض طلبة العلم فشاركوني الـرأي، وعجبنا كيف ترك الخطيب منهـج الشريعة في السهولة واليسر والوضوح، وذهب بعيداً إلى الغموض والألغاز والتمويه؟

ألا يعلـم أن جمهوره هو السواد الأعظم من العامـة وأنصاف المتعلمين، فإذا كنّـا نحن طلبـة العلم لم نفهم خطبته الملغزة المطلسمـة فكيف بغيرنا من العامة؟ مـا الذي دعـاه إلى سلوك الطريق الوعـر الشائك، وترك السهـل الواضح؟ ومثل ذلك غالب الدروس التي تُلقى في المساجد، فبعضها يُبث في التلفاز، والشيخ يتكلم عـن شروط البيع والإجارة وميراث المفقود، وجمهوره من أصقاع آسيا ومن أدغال أفريقيا، وكثير منهم لا يعرفون العقيدة الصحيحة ولا أصول الدين، ولا أبجديات الشريعة.

لمـاذا لا يفهـم الشيخ مستوى هـذا الجمهور، وماذا يريد ومـاذا يحتاج إليه؟ لمـاذا تحـوّل كل الدروس إلى دروس أكاديميـة تخصصية؟ لماذا لا يكـون غالبها دروسـاً في المعتقـد الصحيح، وما يلـزم المسلم معرفته، وما يجـب عليه اجتنابه؟ مـا رأيـك إذا كان في الحضور من يطـوف بالقبور، ويتبرك بالأمـوات، ويبتدع في الدّيـن، ثم يأتـي الشيخ المحاضر ليدرس هذا العامي: خيار المجلس وبيع العينة وتلقـي الركبان ونحو هذه المسائل، التي غيرهـا أولى منها وأجدر؟ إن المساجد في حاجـة إلى دروس عامة سهلة ميسّرة بخطـاب بليغ، وبيان شـافٍ كافٍ، وأسلوب متميـز، وإلقاء جـذاب، وفي خطباء المساجد مـن أجاد وأفاد، ولكـن الغالب يعلق

الخطـاب ويغلقه، ويجعلـه نخبوياً ثقافياً تائهاً، لقد قـرأتُ كتب الخطابة وزاولتها سنوات طويلـة، وسافرتُ في شتى البلدان، وخرجتُ بنتيجـة مؤداها: أن البساطة في الخطابة، واليسـر في الحديث، والوضوح في العبارة، والكلام عن جوهر الدّين وقواعـد الملـة وأصول الشريعة، هـو أفضل سبيل لتفهيم المسلمـين دينهم، وغالب الخطبـاء والأئمة لم يتلقوا تدريباً من قبل علـى الخطابة والتدريس، ولم يمارسوه طويـلاً، ولكنهم فجأة وجدوا أنفسهم يخاطبون الناس بخطاب يصلح في مسجد فيه بعض طلبة العلم المتخصصين، ففقدوا بهذا الخطاب جمهور المسلمين.

وإن مـن الواجب علينا أن يكون عندنا قناة فضائية خاصة تنقل للمسلمين بلغاتهم خطبـة الجمعة والدروس بعد أن توجه هؤلاء الخطبـاء والأئمة، ليصبحوا قادرين على مخاطبـة الناس، آمل من الخطبـاء والأئمة أن يبتعدوا عن التعمق في العبارة، والتشدق في الألفـاظ، والتكلف في الجمـل، والغوص في مسائل عائمة، ليسـت هي المهمة للسامع والمشاهد.

إخـواني الأئمة والخطبـاء: إن الدّين يسر يقتضي منّـا أن نسهّل طرحه على النـاسـ، ولا نشق عليهـم في معرفته، ولا نبتعد عن هـدي الرسول ﷺ في السهولة والوضـوح، وترك التعمق والتنطـع والتشدق والتفيهق، فليسـت من صفات المسلم فضـلاً عن الإمام والخطيب والعـالم، آمل أن تُقبل نصيحتـي إشفاقاً على الأمة، ورحمة بهـا، وحرصاً على نفعها، وآمل من إخـواني الأئمة والخطباء التحدث عن العقيـدة الصحيحـة وما يضادهـا، وأركان الإسلام والإيمـان والإحسان، وأصول الأخـلاق، وما ينفع المسلم في الدنيا والآخرة، تحت مظلة الكتاب والسنة، بخطاب السلف السهل الأصيل، المفيد النافع المبارك.

الطائفيّة تدمّر الأمة

بين المسلمين تطاحن داخلي واقتتال طائفي، شلَّ حركتهم، ومزّق صفوفهم، وشمّت بهم أعداءهم؛ إذ إن كل طائفة تدّعي أنها المحقة الوحيدة وما سواها باطل، وأنا أعلم علم اليقين أن ليس كل الطوائف على حق، وأن الله لا يترك عباده كلهم على ضلالة، بل الحق في اتباع الكتاب والسنّة، وفهمهما على لغة العرب كما فهمها الرسول ﷺ وأصحابه، ولو قال قائل: كل طائفة تدّعي هذا فنقول: إن العلماء الراسخين يعلمون بصحة النقل المعتقد الصحيح، الذي كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه وما سواه باطل، وهذا لا يحتاج إلى إعمال ذهن ولا الاستعانة بصديق، لكنني هنا لستُ بصدد ذكر المحق من المبطل، ولكنني في موقف المحذّر المنذر بالخطر الداهم والطوفان القادم، الذي اجتاح الأمة، وهو خطر الطائفية، التي عصفت بأكثر من بلد مسلم، فأفغانستان بعدما دحر مجاهدوها الاتحاد السوفيتي قام قادتها السبعة بالاقتتال الداخلي، وكل قائد منهم يرى هو وأتباعه أنه المحق المصيب المجاهد في سبيل الله وقتلاهم شهداء، وأن أخاه القائد الآخر ضالّ مضلّ معتدٍ باغٍ من حزب الشيطان، فأسقط بعضهم بعضاً، وذبح المسلم أخاه بدم بارد، وصاروا ضحكة للعالمين، وأتت طالبان فقاتلتهم واستولت على أفغانستان، ثم قامت بتصرفات رعناء حمقاء بلهاء، فسقطت ودُمّرت أفغانستان.

وقام العراقيون بطوائفهم تحت مظلة قتال المحتل فقتل العراقي أخاه العراقي وصار قتلى العراقيين بيد العراقيين أكثر مما قتل الأمريكان، وكل طائفة ترى أنها الحقيقة بنصر الله، وأنها الملهمة المسددة، وكل طائفة سواها خارجة عن الإسلام، تستحق المقاتلة والحرب، وفي لبنان تهيأت كل طائفة لقتال الأخرى لتعيد الحرب الأهلية المشؤومة التي مزّقت لبنان، وعاد حزب الله من جنوب لبنان بسلاحه فصوّبه في نحور اللبنانيين؛ ليلغي كل إنجاز حققه، وفي اليمن شبّ القتال الطائفي بين الحوثيين والحكومة لاختلاف في فهم النص وتأويل الشرع ولا تزال الحرب طاحنة، وهناك طوائف ساكتة كامنة كمون البارود في الجمر، تنتظر أي حركة

لتقاتل في سبيل الله على زعمها، وتقتل كل مخالف لها من الطوائف الأخرى، ولقد تحقق قول الله عز وجل في الأمة لما ترك غالبها الاتباع الصحيح للكتاب والسنّة: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾، وكل طائفة يقوم أساطينها ورموزها بشحن أتباعه ضد الطائفة الأخرى.

فصارت بلاد الإسلام هي بلاد الاقتتال والنزاع والتفجير والتدمير، وإذا تابعت الأخبار العالمية وجدت المنطقة الساخنة هي بلاد الإسلام، حتى إن طائفة تدّعي الجهاد في سبيل الله اقتصرت عملياتها على المسلمين في الرياض والقاهرة ودمشق وبيروت والرباط والجزائر وموريتانيا، ونجا الجيش الإسرائيلي المحتل المغتصب من أي عملية لهؤلاء الفاتحين، ومن لم يحمل السلاح على أخيه المسلم حمل عليه القلم واللسان: سبّاً وشتماً وتجريحاً وتشويهاً وتشهيراً في الصحف والقنوات الفضائية والإنترنت، فشُغِلنا بأنفسنا، وتطاحنّا فيما بيننا، وتعطّلت حياتنا من الإنتاج والاختراع والإبداع والتصنيع، وذهب غيرنا يسافر بعلمائه في فضاء الله الواسع وكونه العجيب، يخترع ويكتشف ويحلل ويستنتج، ففريق منهم سافر إلى عطارد والمريخ، وغيرهم سبر أعماق البحار، وآخرون إلى أعماق التربة، فهدرت مصانعهم، وقامت معاملهم وصاروا في ورشة عمل، وبقي الكثير منّا يعدّ العدة: إما بالنيّة أو بالعمل للوقيعة بأخيه المسلم في غيابٍ لأهل العلم الراسخ والرأي السديد؛ ليقود القافلة حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام، الذي يصدر أحدهم فتوى في الدماء والقتل، وكأنها فتوى في زكاة الفطر والمسح على الخفين والسواك، فهل آن للعقلاء من كل طائفة أن يتداركوا أمرهم، ويهبوا هبّة رجلٍ واحد لتدارك أمر الأمة، وأخذ زمام المبادرة، وإنقاذ العباد والبلاد من الفتنة المشتعلة والطوفان الجارف؟

يوم أهملنا الرياضة

حث الإسلام على حفظ العقول والأبدان، ومن حفظ الأبدان تقويتها بالمشي والرياضة، وكان الرسول ﷺ وصحبه الكرام يمشون كثيراً، ويثبون على ظهور الخيل وثباً، حتى قال البوصيري:

كـأنَّـهـمْ فِي ظُـهُـورِ الخَـيْـلِ نَـبْـتُ رُبـاً

مِـنْ شَـدَّةِ الحَـزْمِ لاَ مِـنْ شِـدَّةِ الحُـزُمِ

ولهم في الصيد والمصارعة والمنازلة والسباق بالأقدام والخيل قصص مشهورة، وكانوا من أقوى الناس أجساماً، وقد أدركنا في حياتنا من الآباء والأجداد من بلغ المائة وزاد عليها محتفظًا بقوّته وصحته، يصعد الجبل بسهولة، ويشارك في العمل والزراعة والعرضة بنشاط ظاهر، ثم جاء جيلنا فجاءت السمنة والترّهّل والسكري والضغط والجلطة وأمراض أخرى من كثرة الجلوس وإهمال المشي وترك الرياضة مع كثرة الأكل، فوقع الغالب في مرض السمنة، والسمنة داء مزمن حذّر منه العقلاء والأطباء، ودعوا إلى المشي، حتى نقل الرازي أن أطباء العالم أجمعوا على أن أفضل رياضة هي المشي، ومن ترك المشي تركه المشي، أي: إن من أهمل المشي في شبابه فسوف يتمنى المشي إذا شاخ ولن يستطيع، وكان الشافعي يقول: «السمين زمين» أي: مريض دائماً، ويقول: «ما أفلح سمين قط إلا محمد بن الحسن الشيباني» يقصد العالم الحنفي، أي أن غالب أهل السمنة أهل أمراض وأزمات، وكان عمر بن الخطاب يأمر رعيته بالتقشف والخشونة والرجولة وركوب الخيل وترك الترّفه والبذخ والإسراف. وقد ذكر العلامة ابن خلدون: أن هرم الدول وشيخوختها يبدأ مع البذخ والسرف، ونحن بحاجة ماسة إلى توعية شاملة بالرياضة خاصة المشي، وأن تكون في كل مدينة طرق واسعة للمشاة، وتنبيه دائم بضرورة المشي في وسائل الإعلام، ورعاية مستمرة من الدول

بِحـثِّ رعاياها على الحركة والمشـي، وبعض الأطباء ذكـر أن السمنة تنتج أكثر من خمسة وعشرين مرضاً، ويقضي المشي عليها جميعاً، ومن مشى طويلا عاش طويلاً، والبركـة مـع الحركة، ومن رضـي بالجلوس الطويـل وأهمل الرياضـة والمشي زارته الأوهـام، وتعاهدتـه الأسقام، وباغته الهرم في أعـوام، وأجسادنا مهدّدة بالسقم ما لم نُعِـد سياسة حياتنا، ونراجع حسابنا مع الرياضة والحركة والمشي، فهل آن الأوان لأن نجعـل في برنامجنا اليومي حصة المشي: إما صباحـاً أو مساءً لا تقل عن نصف ساعـة، نمشي ونذكر الله كثيراً مع شرب الماء، لتعود لنـا اللياقة البدنية، فإن العقل السليم لا يكون إلا في الجسم السليم، وإن أمراض السمنة تهدد مستقبلنا، وهي التي تعيـق حركتنا ونشاطنا وإنتاجنا وإبداعنا، وتجلب لنا أمراضاً أخرى تشلّ من قدرتنا العقلية والجسدية، وفي الحديث: «علّموا أبناءكم الرماية والسباحة وركوب الخيل».

وقـد عرفـتُ أناساً في جبـال السروات بلغـوا المئة وزادوا، يثـب واحدهم إذا مشـى، ويصعد قمم الجبـال بسهولة، ويصيب الهـدف إذا رمى، ويذهب للصيد، ويقفـز في الحفـلات بالسيف والخنجر بـلا سمنة ولا كرش، بل تـراه قويّاً نحيفاً، إذا صافحتـه أمسـك كفّك وهزّ يدك، ثـم عرفتُ شباباً قاربـوا الأربعين عطّلتهم السمنـة عن الحركـة، فترهّلت أجسامهم، وكثرت أمراضهـم، وإذا مشى أحدهم صـار له فحيح كفحيح الحيـة، يحمل أمامه كرشاً يُعذّب بهـا في كل مكان، تسبقه إذا جلـس، ولا يقوم إلا بشق الأنفس، ضاق بها ذرعاً، تسبقه إذا مشى، وتقيّده إذا تحرك، وتمنعه من معانقة أصحابه والسير مع زملائه، ونصيحتي أن نفكر تفكيراً جـاداً في إعادة النشاط إلى أجسادنا وطريقـة أكلنا، ونهجر كثرة الجلوس والنوم إلى حيـاة ملؤها العمل والنشاط والمشي والحركة، ويكون في جدولنا اليومي صلاة ومشـي ورياضة وسياحة وقراءة وأكل ونوم، أما أن نختصر أيامنا في الأكل والنوم والسواليف وكثرة الجلوس، فمعناها أننا قررنا تقصير أعمارنا، وإهمال أجسادنا، فهل آن الأوان لحفظ الأبدان والأذهان والاستفادة من الزمان؟

صنم القبيلة

أكثركم شاهد مهرجان الشعراء وافتخارهم بقبائلهم، وأنهم ذبَّاحة القوم، وأنهم يصبِّحون الأعداء بالبارود، وأنهم لطّامة الخشوم، والمقصود طبعاً القبائل المجاورة من المسلمين المحرّمة دماؤهم وأموالهم وترويعهم؛ لأن القبيلة لم تقاتل إسرائيل ولا روسيا ولا الصين، وافهموا الرسالة ومعناها: أن قبيلتنا هي أفضل القبائل وأشجعها وأكرمها، وأنها كانت قبل توحيد السعودية تهزم القبائل المجاورة، وتحتل أراضيها وتنهب إبلها، وافهموا الرسالة: أن القبيلة صاحبة المهرجان لابد من أن يحسب لها ألف حساب.

فهل كانت الحروب هذه في سبيل الله؟ علماً بأن هذه القبائل لم يحضر منها أحد في معركة بدر ولا أحد ولا القادسية ولا اليرموك، وإنما المقصود الغارات والنهب والسلب، الذي كان قائماً قبل مشروع الوحدة، ويستمر التأجيج والتصعيد والتحريض وتهميش القبائل الأخرى مع سكوت من المسؤول والعلماء ورجال الإعلام والفكر، وأول النار شرارة كما قال نصر بن سيّار:

فإنّ النارَ بالعودين تُذكى
وإنّ الحربَ أولُها كلامُ

وأعرفُ أن بعضهم إذا قرأ هذه المقالة سوف يقول: هوّلت الأمر، وضخّمت الحدث، ولكنني قرأتُ التاريخ بتمعُّن، فإذا ببعض الأحداث الصغيرة البسيطة التافهة، التي لا يُلتفت إليها كانت هي الفتيل لأزمة كبرى ومعركة طاحنة، وقد استمعتُ إلى غالب القصائد التي أُلقيت، فإذا هي تتحدث عن حقبة زمنية سابقة، وإذا هي تكرّس التفاخر بالقبيلة على حساب القبائل الأخرى، وتعميق العصبية والنعرات الجاهلية، وإذا استمرت هذه النعرات فسوف تنشأ عندنا بوادر لحرب أهلية، سوف تتم تدريجياً مع السنوات (وأول الغيث قطر ثم ينهمرُ)،

وسوف يتجرأ الشعراء مع قلة الوعي وضعف الذمة على التحرش بالقبائل الأخرى وإعادة ذكريات الغزوات الجاهلية والثارات القبلية والعنصرية القبيحة، التي أتى الإسلام لمحاربتها، ثم تقوم القبائل الأخرى بالرد والتصعيد، ثم تبدأ المهاترات والمناوشات، ثم الاشتباك بالأيدي، ثم اللطم، ثم العض، ثم اللكمات، ثم السلاح الأبيض، ثم الرشاش:

نظرةٌ فابتسامةٌ فسلام

فكلامٌ فموعدٌ فلقاءُ

أفيقوا أيها الناس، وتذكروا نعمة الله عليكم بالإسلام وتوحيد الكلمة، وجمع الصف تحت راية (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، وابتعدوا عن تمزيق البلاد، وإضعاف الوحدة، وإيغار الصدور، وزرع بذور الفرقة والفتنة ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾، وأقترح أن يكون هناك (مزاين للعقول المبدعة)، يُكرم فيه الموهوبون والمتميزون في العلم والأدب والإنتاج والوظيفة وحسن الخُلُق، فتكريم الإنسان أعظم من تكريم الحيوان، وبعض الأمم سافر أبناؤها في المركبات الفضائية، يكتشفون الفضاء إلى عطارد والمريخ، وما زال بعض شعرائنا يمدح قبيلته بأنها كسرت خشوماً، ولطمت وجوهاً، وأذلّت قوماً، وهزمت آخرين، وفرضت احترامها على القبائل، وكل الناس يهابونها، بينما كثير من أهل هذه القبيلة يعيشون في شظف من العيش.

وأعوذ بالله من هذه النعرات، كيف حقّرت ما عظّم الله، وعظّمت ما حقّر الله، فالله حقّر العصبية الجاهلية، والفخر بالأنساب، والطعن في الأحساب، وعظّم سبحانه دينه وكتابه وسنة رسوله ﷺ، وأخوة الإيمان، وجمع الكلمة، فعكس هؤلاء أمر الله بجهلهم واتباعهم أهواءهم ﴿ أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةٗ فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾.

لا تقتلوا خطبة الجمعة

خطبة الجمعة عبادة مقدّسة لا يستطيع أحد أن يلغيها من حياة المسلمين؛ لأنها كالصلاة لها هيئة خاصة ومكان خاص وزمان خاص، وإنما شُرعت خطبة الجمعة للوعظ والتذكير وزيادة إيمان الناس بربهم وتفقيههم في الدِّين ووصيتهم بتقوى رب العالمين، وكان رسولنا ﷺ إذا خطب هزّ القلوب، وأبكى العيون، وسافر بالأرواح إلى العالم العلوي، كما قال شوقي يمدح النبي ﷺ:

وإذا خطبتَ فللمنابرِ هزّةٌ
تعلو النَّديّ وللقلوب بكاءُ

وقال الزبيري يمدح الرسول ﷺ:

ما بنى جملة من اللفظ إلا
وابتنى اللفظ أمة من عفاءِ

وكان ﷺ يأمر بالإيجاز في الخطبة، وسار على ذلك خلفاؤه الراشدون والأئمة المصلحون، فخلف من بعد ذلك خلف أطالوا الخطبة وأماتوها، وخرجوا بها عن مقصدها، فجعلوها ثقافيّة فكرية سياسية، لا روحانيّة ربّانيّة شرعيّة، فجرّدوها من الأدلة، وأسهبوا في الحديث، وأشغلوا الناس بقضايا لا ناقة لهم فيها ولا جمل، ولا يستطيعون تقديم شيء، إنما حرموهم من الاستفادة، فبعض الخطباء يقرأ في أوراقه بصوت ضعيف، ولحن ظاهر مع كثرة التنحنح والسعال والشهيق والزفير والعطاس، فلا ينتهي إلا وقد نكّل بالناس وأزعجهم، وبعضهم إذا سمعته كأنه يقرأ من صحيفة، إذ يلقي كلاماً بارداً سامجاً ثقيلاً مملاً، يدخل به في كل موضوع، ويعالج مشكلات كثيرة مع الإسهاب والإطناب دون مراعاة لحالة السامعين، فيتكلم في المدينة عن مشكلات البادية، ويخطب بالقرية عن الغزو الفكري، ويحدث الأعراب عن حوار الأديان، وهذا من ضعف البصيرة وضحالة العلم وقلّة الفقه،

وبعض الخطباء يخطب وهو غضبان على المصلين، زعلان منهم، طفشان حاقد على تصرفاتهم، يتهددهم ويتوعدهم من على المنبر، ويدعو عليهم بالويل والثبور وعظائم الأمور وقاصمة الظهور، وكأنه التقي وحده المنزّه المعصوم المجتبى، وما سواه مذنب مخطئ ضالّ، وبعض الخطباء لا يحضر الخطبة ولا يستعد للمقام، فيرتجل ويأتي بالعجائب، ويتكلم عن حقوق الجار، ثم حسن الخُلُق، ثم فضل تلاوة القرآن، ثم ضرورة فتح بيت المقدس والإشارة إلى السلام مع إسرائيل، والتنديد بالدنمرك، وذكر مناقب عمر بن الخطاب والدعوة لتيسير مهور الزواج.

إن حاجتنا ماسة إلى معاهد لتعليم الخطابة في كل مدينة، وقد فعلتها مصر وتركيا وإندونيسيا، أما أن نترك منابرنا حقول تجارب للأميين وأشباه المتعلمين، يعجنون عليها الكلام ويطحنون الحديث، فيعذبون عباد الله، فهذا خطأ منهجي. لا بد من إعادة الدراسة لخطبة الجمعة؛ لتؤدي رسالتها ويحصل الانتفاع بها، وتكون مناسبة إسلامية لزيادة الإيمان بتهذيب النفس وتطهير الضمير وإصلاح المجتمع.

ونصيحتي للخطباء أن يتحدثوا فيما ينفع السامع، ويعظم التقوى عنده، ويزيد من طاعته لربه وعبادته لمولاه، ويتركوا الحديث عن مشكلة دارفور جنوب السودان، وأزمة لبنان ومشكلة الحوثيين في اليمن، يتركوها لمؤتمرات القمة العربية المباركة، أما إشغال الناس بدهاليز السياسة وفتات الثقافة وهذيان الفكر فهذا هوس، ونصيحتي للخطباء أن يبسِّطوا العبارة ويسهّلوا الكلام، ويبتعدوا عن التّشدّق والتفيهق والتّعمق، كقول أحدهم في عبارات سامجة سخيفة: إن الدعوة إلى الله تنطلق من أُطر، وتنبثق من بوتقة الوعي، الذي ينصهر في ذهنية المتلقي. مع قدر مشترك من عقلية متناغمة بين المتحدث والسامع، وأقول: الحمد لله على نعمة العقل.

غلاء الأسعار

أصبح غلاء الأسعار حقيقة واقعية وقضية عالمية شغلت الرأي العام، وأصبحت ورقة يتلاعب بها الكبار فيما بينهم، والضحية هم الصغار من الفقراء والمساكين والأيتام، وغلاء الأسعار نار لا يكتوي بها إلا البسطاء، الذين يسكنون بيوت الصفيح والطين والخيام، وينامون على الأرصفة، ويجاهد أحدهم يومه كله؛ ليحصل على رغيف خبز، مع قلة مبالاة من أهل الثراء الفاحش والغنى الطاغي، ويظن من جمع القناطير المقنطرة، وجمّد الرصيد الهائل في البنك أن لا مسؤولية عليه شرعية أو أدبية تجاه هؤلاء الفقراء المعوزين؛ لأنه قد أمّن مستقبله وخطط لحياته، ولكن ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ فتجد العقوبات الإلهية والسياط الربّانيّة تتهاوى على رأس هذا البخيل الكنود الشحيح، الذي منع زكاة ماله، وحبس صدقته، وبخل بمعروفه؛ فيُبتلى بخسارات مالية هائلة، وبأمراض فتّاكة مضنية، بل إن غالب التجار الكبار يصابون بالسكري والضغط والقلق، ورأينا منهم من يداوم على عقاقير مسكّنة؛ لأنه تحوّل عبداً للمال وخادماً للثروة، فكلما تعرض لنكسة مالية أنفق من صحته، ودفع من راحته وأمنه الداخلي ضريبة لهذه المصائب المالية والكوارث الاقتصادية.

وبالمقابل نجد الفقير غالباً يتناول رغيفه وينام نومةً هادئة، أما عبدالدنيا والدولار ففي قلبه نار من تذبذب الأسعار، وانخفاض الدولار، على مذهب (نار يا حبيبي نار).

نحتاج نحن الشعوب في ظل أزمة غلاء الأسعار إلى قرار سياسي يعادل الكفة بين أبناء الوطن الواحد، وينقذ أرواح الجائعين والمحرومين والمعدمين، ويُحدد دخلاً خاصاً للفقراء، لا مجرد زيادة في الرواتب؛ لأن المستفيدين من الرواتب فئة قليلة وفيهم الغني، ولكن قطاعاً هائلاً من المواطنين ليس لهم دخل من دولهم، فلا

رواتب ولا مخصصات ولا هبات ولا هدايا ولا إكراميات ولا منح ولا شرهات، بل تأخذ الدول منهم ضرائب وفواتير، فمنهم من يبيع بقرته؛ ليسدد أجور الكهرباء والهاتف، ومنهم من يقترض ليشتري طعاماً لأطفاله.

وقد اشتكى هؤلاء الفقراء وبكوا وصاحوا وناحوا، ولكن هيهات لا مجيب، والواجب علينا جميعاً صنّاع قرار وأغنياء وعلماء ورجال إعلام: أن نهب هبة رجل واحد لإنقاذ هؤلاء المنكوبين في بلادنا، حتى ولو وصل الأمر إلى يوم إعلامي مفتوح لجمع التبرعات، كما فعلنا مع البوسنة والهرسك والشيشان و(الأقربون أولى بالمعروف).

ففي عام الرمادة زمن المجاعة في عهد عمر بن الخطاب فاروق الإسلام رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، رفض أن تميل الكفة لصالح الأغنياء، فأصدر قراراً سياسياً من على المنبر، وأقسم فيه أن لا يأكل أحدٌ سمناً ولا سميناً حتى يتساوى الناس، وقام بعملية إغاثة وإنقاذ واستنفار، وأمر الفقراء من شتى الأقاليم أن يرتحلوا إليه في ضواحي المدينة، وحمل الطعام على رأسه، ودخل الخيام يوزعه على الفقراء والمساكين بنفسه، وأرسل إلى عمرو بن العاص والي مصر من قِبَله يستحثه في إغاثة المسلمين، فأرسل له قافلة وصل أولها في المدينة وآخرها في مصر، حتى رفع الله الضائقة عن الأمة.

ماذا ننتظر ساسة وأغنياء وعلماء، ونحن نرى فقراءنا وأيتامنا في حالٍ مزرية، لا يقرّها شرع ولا عقل؟ وإذا لم نبدأ بسد الخلل الداخلي والعوز الاجتماعي والحاجة الوطنية، فلن ينتظر منا مواقف عالمية مشرفة.

سارعوا سارعوا يا صنّاع القرار، ويا أهل الدرهم والدينار، ويا كانزي اليورو والدولار، بإغاثة الفقراء من أهل الدار، وأهل الجوار، قبل أن يغضب العزيز الجبار، ويسخط الواحد القهار.

مع التحية إلى وزير التربية والتعليم

سرّنا ما قام به خادم الحرمين الشريفين من تجديد وإصلاح وتصحيح، وعلى قائمة ما حصل وزارة التربية والتعليم، وإذ نبارك لسمو الأمير الوزير فيصل بن عبدالله بن محمد آل سعود، فإننا نأمل منه كل خير لوزارة التربية والتعليم، حيث ننتقل بتعليمنا من التقليد إلى التجديد، ونجمع فيه بين الأصالة والمعاصرة، والمحافظة على الوحي المقدس والجديد النافع، ونريح الطالب من مواد دراسية لا صلة لها بالدين والحياة، ولا بالآخرة ولا بالدنيا، كمعلومات نظرية قد يستفيدها الطالب من وسائل الإعلام والمجالس العامة، وكذلك إعفاء الطلاب من تكديس المواد الدراسية، وحشر ذهنه بعدة فنون في وقت واحد، وقد درسنا في المرحلة المتوسطة سبع عشرة مادة، حيث أضيف إلى مواد الدين والعربية والرياضيات العلوم من فيزياء وكيمياء وأحياء وجبر وهندسة، وأدب وجغرافيا وتاريخ وثقافة، فذقنا الأمرّين، وضعف التحصيل في المواد الأصلية ولم نعد بفائدة تذكر في المواد الإضافية، وتشتت الذهن، وضاع الجهد، وكلت العزيمة، ووهنت البصيرة.

وأذكر أننا كنا ندرس بالتفصيل والشرح الطويل الصادرات والواردات في دول إفريقيا كساحل العاج والسنغال وأوغندا وتشاد وزائير ومالي، فتختلط علينا صادرات كل دولة بالأخرى، فلا ندري من يصدّر الأناناس أو الكاكاو أو المطاط، ودرسنا النحو على شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك المؤلف من سبعمئة سنة، كأنه طلاسم وألغاز وأحاجي، وقس على ذلك مواد كثيرة، كنقائض جرير والفرزدق، لينشأ الطالب متعلماً السب والشتم من صغره، والآن جاء دوركم يا سمو الأمير الوزير في مشروع التصحيح والتجديد، ولننتقل بالتعليم من التعسير إلى التيسير، ومن النظري إلى العملي، ومن الكم إلى الكيف، ومن الشمول إلى التخصص، ومن التكرار إلى الإبداع، ومن المحلية إلى العالمية، ولعل الله يشفينا في العالم العربي من المرض الذي أصاب التعليم، فشلّ حركته وأضعف إنتاجيته، فتخرج

مئات الألوف من الطلاب والطالبات، فلم يضيفوا لعالم الإنتاج والصناعة والإبداع والمعرفة شيئاً جديداً وإنما بقي الحال كما هو من قرون، وغيرُنا لما تخصص أبدع وأنتج وصنع.

وقد آن الأوان لننطلق في هذه المرحلة من رسالتنا الإسلامية الربانية التي تدعو إلى البحث والازدياد من العلم ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾، وارتياد حقول المعرفة ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، والعمل الميداني المثمر المفيد ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾، لقد قضينا عمراً طويلاً مع المعلقات السبع وشرح غريبها، وقصص داحس والغبراء، والزير سالم، وعبس وذبيان، بينما العالم يسافر بمراكبه في الفضاء، ويمخر بسفنه البحار، ويعبر بطائراته القارات، والعالم العربي يصارع الفقر والجهل والأمية والبطالة.

ونحن بحمد الله واثقون من أنفسنا، فعندنا الميراث المحمدي والتاريخ المشرق، والتجربة الطويلة لحضارة الإسلام، والهمة العالية، وإنما نريد خطة منهجية ونهضة تعليمية، تقوم على الجد والصراحة والتركيز والتخصص ورعاية الموهبة، وتثقيف العقل، وتزكية النفس، وتقويم الخلق، وتهذيب السلوك، وعمارة الدنيا، والاستعداد للآخرة، ونشر الفضيلة، والدعوة للسلام، والتبشير بالإيمان والرحمة والتآلف والتآخي، ومد جسور التواصل، وبناء صروح الحوار، وإحياء روح التعارف، والدعوة للوسطية، وإشاعة العدل للموافق والمخالف، والاعتصام بالدليل، والاهتمام بالحجة، ونبذ التقليد العقيم، والتعصب المقيت، والتحزب المشين، وإننا متفائلون بهذه المرحلة التعليمية التي أوكلت إلى الأمير الوزير.

نسأل الله له التوفيق والسداد والإعانة.

مع التحية لمعالي رئيس مجلس الشورى

نحيي معالي رئيس مجلس الشورى الدكتور عبدالله بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، وعسى الله أن يهيئ له من أمره رشداً، وأننا ننتظر منه ومن مجلس الشورى في عهده الثمار اليانعة، والنتائج الحميدة، بما يعود نفعه على الخاص والعام، ولمعالي الدكتور صالح بن عبدالله بن حميد شكرنا الجزيل وثناؤنا الجميل له ولإخوانه على ما قدموا من جهود مشكورة وأعمال مبرورة، وفي شريف علم معالي رئيس مجلس الشورى، فإن المجلس ينتظر منه البناء والتصحيح، والمراقبة والتقويم، فمجلس الشورى ليس جمعية ثقافية، ولا مؤسسة خيرية، ولا جامعة أهلية، وإنما هو ضمير الأمة، وصوت الشعب، والجسر بين الحاكم والمحكوم، وهو ديوان المصارحة والوضوح، ومجلس المناقشة والشفافية والنزاهة، وليس علينا غضاضة من أن نتحدث علناً عن قضايانا الكبرى المصيرية.

فقد تحدث ﷺ أمام الناس جهاراً نهاراً عن قضايا الحرب والسلم، والمال العام، والمعاهدات، ومخاطبة ملوك الدنيا، والولايات والمناصب. وتحدث أبو بكر الصديق على رؤوس الأشهاد في قضية الردة ومن منع الزكاة، واستشار الناس في مواجهة المرتدين على المنبر. وتحدث عمر عياناً بياناً عن مسائل العدل، وميزانية الدولة، ومحاسبة المقصر، وقضايا الفقر، وحل مشكلة عام الرمادة، والعالم الشرقي والغربي يناقش قضاياه تحت قبة البرلمان نسمعهم ونراهم، ويخرجون بالرأي الصائب الذي يدلهم على مصالحهم، وإنما يضعف مجلس الشورى ويوهنه أمران، الأول: الإغراق في الجزئيات والدخول في تفاصيل التفاصيل لمسائل قد تحل في المؤسسات الحكومية، والثاني: ترحيل الأزمات وتأجيلها والتسويف في حلها.

وإننا ننتظر من مجلس الشورى الموقر أن يهتم بالقضايا الكبرى في الوطن، ولا ينتقل من قضية إلى أخرى حتى يقول كلمته في تلك القضية ويجمع أمره، فعندنا

قضايا الفقر، والبطالة، والإرهاب، ومراقبة العمل الإداري والوظيفي، ومراقبة المال العام، والمصالحة الاجتماعية بين أطياف الشعب، وتقوية الدولة أمام التحديات، والخطاب الإعلامي الراشد، وتصحيح مسار التعليم، وبناء الأسرة، وحفظ حقوق الناس، واستقلال القضاء، وغيرها من القضايا المصيرية الكبرى.

وإن في مسيرة مجلس الشورى السابقة ما يدعو إلى الشكر والامتنان، والعمل البشري والجهد الإنساني يحتاج إلى التجديد والتصحيح دائماً، وبما أننا في وطن قدره الريادة، وحظه مكان الصدارة الدينية والتاريخية، فوجب حمل الأمانة، والقيام بالمسؤولية، والعالم لن ينتظرنا لحظة واحدة إذا سوفنا أو تأخرنا، فكل الدول تتنافس وتتسابق، كلٌّ على شاكلته وطريقته لحفظ مكانته، وتحقيق مكاسبه والوصول إلى مصلحته، ونحن نعيش مرحلة تاريخية حاسمة، كشفت فيها العولمة كلَّ سر، وأظهرت كل مكنون، وبيَّنت كل خافٍ، وأعظم حل للخطأ مواجهته لا الفرار منه، والخلل يصلح بالقيام عليه لا بإنكاره، وبما أننا نعيش في كيان جاهد أبناؤه من مئة عام حتى حققوا المكاسب العظيمة، فإن الواجب الاستمرار في العطاء وطلب المزيد والطموح إلى الأعلى، والرقي إلى الأجمل، والاعتراف بالتقصير في جوانب، والتجرد في معرفة الحق والصراحة، والوضوح مع النفس ومع الناس، ومخاطبة العالم باللغة التي يجيدونها، والأسلوب الذي يعرفونه، مع الحفاظ على الميثاق الرباني، الذي شرَّفنا الله بحمله، واستأمننا عليه، وجعلنا نحن الأمة الوسط، والشاهدة على الأمم.

وهذا يضاعف علينا المسؤولية، ويعظم علينا الواجب، فمثلاً لقد وجهه خادم الحرمين الشريفين من سنوات بحل أزمة الفقر في البلاد، وزار الفقراء في أماكنهم، وواجبنا أن نسانده بما في ذلك مجلس الشورى أميناً مشرفاً على حل هذه الأزمة، وعرض المشروع العملي الميداني لمعالجة هذا الداء، قبل أن ينتقل إلى أزمة أخرى، ولا يكفي في حل الأزمات عرض وجهات النظر، والتوصيات الشفوية،

وإسداء النصح الخطابي؛ بل نريد آليات وخططاً مدروسة نلمس آثارها، ونشاهد نتائجها في حياتنا، أما مهمة التوجيه والنصح والإرشاد، فهي للعلماء والدعاة والمفكرين ورجال الإعلام.

بارك الله في معالي الرئيس، ووفقه وإخوانه في مجلس الشورى إلى كل خير، وأرشدهم لما فيه صلاح العباد والبلاد.

obeikandl.com

العرب والغرب

أعتز بإسلامي، وأتشرف بإيماني، فديني فوق كل اعتبار ومقارنات، لكن أريد أن أقارن بين العرب وبين الغرب في عالم الدنيا، فالغرب أنجز في عالم السياسة والاقتصاد والصناعة والعمل والإنتاج آلاف الأضعاف مما أنتج العرب المعاصرون، إذا افتتح الغرب مصنعاً افتتح العرب قناة فضائية عابثة، وإذا اكتشف الغرب دواءً أو محركاً أو صناعة، اكتشف العرب أغنية أو لعبة أو هواية، إذا أقام الغرب جامعة للإبداع والاختراع والاحترام، أقام العرب مهرجاناً للقبيلة، وإذا سافر الغرب إلى المريخ وعطارد والزهرة، سافر العرب إلى رحلة بريّة؛ لصيد الأرانب والغزلان والضبان، وإذا عقد الغرب برلماناً لمدارسة شئونهم وعلاج أخطائهم، عقد العرب محاكمة للضمير والقلم الحر والرأي، وإذا أنتج الغرب دبابةً وصاروخاً وطائرة، أنتج العرب ملهى وبوفيه ومرقصاً، وإذا توسع الغرب في المحيطات وعبر القارات للاستيلاء على الثروات وأخذ الخيرات، توسع العرب في أراضي جيرانهم ومزارع إخوانهم، وسلبوا حقوق عشيرتهم.

عند الغرب مزاين أف 16، ومزاين الكونكورد سابقة الصوت، ومزاين الميرسدس، ومزاين اللكزس، ومزاين حاملات الطائرات وقاذفات الصواريخ، وعند العرب مزاين الإبل، ومزاين البقر، ومزاين الغنم، ومزاين الغواني، الغرب يأخذ من العرب خام الحديد فينتجه مصفّحة ومدفعاً وقذيفة ورشاشاً، والغرب يأخذ من العرب خام الخشب فيصنعه ماسة وكرسياً وباباً ونافذة ودولاباً ويبيعه على العرب، والغرب يأخذ من العرب الحجارة فينتجها رخاماً وبلاطاً ومرمراً ويوردها على العرب بأضعاف الأثمان، إذا تقاعد العربي أُصيب بالوسواس والهذيان والإسهال والسمنة والضغط والسكري والجلطة من الفراغ القاتل والإهمال المميت، وإذا تقاعد الغربي كُرّم ومُنح الجوائز التقديرية والشهادات الفخرية، واستُفيد من تجاربه وخبراته، مع الغربي في سيارته كتاب ودفتر وقلم وآلة تسجيل وتصوير، لتقييد وحفظ المعلومات والأفكار، وعند العربي في سيارته هراوة وكرباج

وسلة حلويات وزنبيل فواكه ومرطبات، يصنع الغرب الباص والقطار والحراثة والثلاجة والسخانة، وينتج العرب صحافاً من العيدان، وأقداحاً من الخشب، وفؤوساً وخناجر وقدوراً من النحاس باسم التراث الشعبي المجيد، الغربي يقرأ في الطائرة والسيارة والأتوبيس والحديقة، والعربي يسولف في الطائرة، ويرقص في الميدان، ويسهر مع الشلة، ويسمر مع الأصحاب، ويغني مع الأحباب.

أخذ العرب من الغرب البنز والجنز والقبّعة والبيتزا والهنبرقر وقصّة الشَّعر والكرفتّا، وأخذ الغرب من العرب تراث الأجداد من المعرفة والإبداع والعلوم، وأخذ العرب من الغرب الأكل بالشوكة والملعقة وبعض الكلمات، وأخذ الغرب من العرب النفط والغاز والمعادن والأخشاب والآثار والمخطوطات، وليت الغرب أخذ من العرب الإيمان والقرآن وسنة ولد عدنان، وليت العرب أخذ من الغرب العمل والجد والمثابرة والصناعة والإبداع.

إذا عقد العرب قمة فضجيج وصجيج وهراش وهواش، ثم يخرجون بلا قرارات. وإذا عقد الغرب قمة فصمت وهدوء، ولياقة واحترام، ثم قرارات قاطعة تهز العالم، العرب يتحدون العالم بأجمل أغنية، وأفضل لاعب، وأروع موسيقي، وأكبر فنان، والغرب يتحدى العالم بأضخم ناقلة، وأقوى صاروخ، وأقدم جامعة، وأعظم اختراع، العربي مهموم بثوبه وجزمته ونظارته وساعته، والغربي مهموم بدوامه وإنتاجه واكتشافه ودراسته، عند العرب سباق للهجن والخيول والصقور، وعند الغرب تسابق في الكيف والنوعية والتصدير والإنتاج، تسمع عند العرب هدير العرضة والرقصة والدبكة والسامري، وتسمع عند الغرب هدير المصانع والمعامل والميراج والهوك والأباتشي. وهذا لا يعني أني أتمنى حياة الغرب، فوالله الذي لا إله إلا هو إن الأعرابي أي البدوي الساكن بخيمة في الصحراء، وهو يعرف ربه ويتبع رسوله ويصلي خمسه أفضل عندي من مليار من وزن الرئيس الأمريكي ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾.

إنشاء جامعة الحياة الزوجية

نحن في حاجة إلى جامعة الحياة الزوجية، يُدَرَّس فيها فن تعامل الزوج مع الزوجة، والزوجة مع الزوج، ويُدَرَّس مواد عن الحياة الزوجية، وأساليب التعايش الأسري، يقوم بتدريس هذه المواد معلمون ومعلمات، عندهم خبرة واسعة وتجربة طويلة في حسن العشرة، ولديهم التخصص في حل المشكلات الزوجية، وتكون هناك دورات للشباب والشابات قبل الزواج؛ حتى يتعلم الجميع الحياة الزوجية الراشدة على نور من هدي الإسلام، والتجارب الصحيحة الناضجة في هذا الباب، حينها لا يتزوج الفتى والفتاة إلا بعد معرفة تامة بكيفية التعامل، واحترام المشاعر، وأداء الحقوق، حينها تنتهي غالب مشكلاتنا الأسرية، ومآسينا الاجتماعية؛ كقضية الطلاق والهجر والشقاق والغضب وإهمال الأبناء وسوء التربية ونحوها من المعضلات.

قرأت كُتُبًا غربية في هذا الباب، فإذا كثير من أفكارها موجود عندنا في ديننا الحنيف، لكنها لا تُفَعَّل لدينا في حياتنا، وبقيت رهينة الكتب، فحصل عندنا عنف اجتماعي وأسري، وقسوة وتنافر في الحياة الزوجية، تنتهي بالفراق والطلاق، وتهديم الأسرة وضياع الأبناء، وإبطال مشروع الزواج وهدم مقاصد البيت في الإسلام، ووعظ الناس وعظاً شفوياً لا يكفي في تطبيقهم وامتثالهم للأفكار الراشدة والعلوم النافعة؛ بل ينبغي أن يكون هناك تدريب عملي وتطبيق ميداني، مثل من يأخذ دورات في الخطابة والإدارة والتجارة، وفي كتاب (قوة الصبر) للكاتبة (أم جيه رايان) ذكرت أن مجموعة من الطلاب متوسطي الذكاء تدربوا على الصبر، ومجموعة أخرى عباقرة لم يتلقوا تدريباً على الصبر، ثم تزوج الجميع فوجد أن نسبة الطلاق عند من تَدرَّب على الصبر نسبة ضئيلة، أما عند العباقرة الذين لا يملكون صبراً فقد ارتفعت النسبة إلى خمسين في المئة. نحن نحتاج إلى تمارين في الحياة الزوجية قبل الزواج، حتى نأتي إلى بيت الزوجية ونحن على أتم الاستعداد

للتعامل مع الأحداث الطارئة فيه. ليس الزواج مشروع بناء فيلا ولا شراء سيارة، ولا العمل في مزرعة، إنما الزواج قضية إنسانية، وعبادة ربانية، ومهمة كبرى؛ لأن فيه تكوين أسرة، وبناء جيل، وعمارة أرض، يوجد لدي رسائل جمعتها من الندوات والمحاضرات والقنوات الفضائية والإنترنت لشباب طلقوا زوجاتهم لأسباب تافهة سخيفة، ثم ندموا وتحسروا، ولو أنهم عرفوا الحياة وتعلموا فن التعامل مع الزوجة لما أقدموا على هذا القرار السيئ.

نريد من جامعة الحياة الزوجية أن تجمع لنا نصوص الوحي، وتجارب الأمم، ومعارف الإنسانية في هذا الباب، ويقوم الأستاذة بتدريسها للطلاب والطالبات وامتحانهم في هذا الباب. إن الدابة لا تعلف في أسفل العقبة، وإنما تعلف قبل أيام، وإن الحياة الزوجية لا تصلح للأوغاد الأغمار قليلي التجربة ناقصي العلم والعقل؛ لأن بعضهم يعيش في مثاليات وخيالات، فيشترط شروطاً في زوجته لا توجد في فاطمة بنت سعيد بن المسبب، ولا في سكينة بنت الحسين، ولا في زبيدة زوجة هارون الرشيد!! وتجده هو أحمق من هبنقة، وأبخل من مادر، وأجبن من أبي حية النميري، وأبشع منظراً من الحطيئة، لماذا لا نعيش بشريتنا وواقعنا، ونعترف بأخطائنا، ونبدأ بإصلاح أنفسنا، ونعلم أن زكاة الغنم الأجرب إنما هي بشاة جرباء منها، وكما قال ابن الوردي:

كلُّ أهلِ العصرِ غمرٌ وأنا
منهمُ فاتركْ تفاصيلَ الجملْ

وإذا فتحنا جامعة الحياة الزوجية فسوف ننهي ٧٠٪ من حالات الطلاق، والمشكلات الأسرية، وسوف نقفل ملفات السب والشتم واللعن والضرب والصياح والنواح والضجيج والصجيج في البيت، وسوف نأتي إلى الحياة الأسرية وعندنا علم نتعامل به، ودربة نواجه بها الأخطار، ومعرفة عميقة نتصرف بها أمام أحداث البيت، مشكلتنا أننا نتعلم فن الطبخ والنفخ، والتزلج على الثلج، وصيد الأرانب والحمام، وجمع الطوابع والمراسلة، ولكننا لا نتعلم قضية كبرى اسمها الحياة الزوجية.

الحضارم وصناعة النجاح

قصة الحضارم في صناعة النجاح يجب أن تُدْرَس، وأن يوقف معها طويلاً، لأنها أصبحت أسطورة وظاهرة، وقد قامت بعض القنوات مثل قناة العربية في برنامج (هجرة الحضارم) بإلقاء الضوء على هذه القصة المذهلة المدهشة للحضارم، وهم يصنعون مجدهم بجدهم وكدحهم وكفاحهم وعرقهم وتضحياتهم، وقد انبهر علامة الجزيرة الشيخ حمد الجاسر في مقدمته لتاريخ حضرموت للسقاف من هذا النجاح الحضرمي، ولا أعلم طائفة هاجرت من بلادها فصاروا نجوماً ورموزاً في بلاد غيرهم إلا الحضارم، حتى ابن خلدون أسرته حضرمية، هاجرت إلى تونس، فكان هذا العلامة العبقري، وامرؤ القيس قائد الشعراء أصوله من كندة من حضرموت، والمتنبي الشاعر الأسطورة كندي، قبيلته من حضرموت، ولهذا كتب فيه العلامة السقاف كتابه الرائع الماتع (العود الهندي في شرح مجالس الكندي) يقصد المتنبي، وقد انتشروا في كثير من الدول؛ فكانوا هم الوزراء والسفراء والتجار الكبار، وتركوا بصماتهم في كل أرض نزلوا فيها، ومن منا لا يعرف نجومية محمد بن لادن، ومحمد حسين العمودي، وابن محفوظ، وغيرهم كثير.

لماذا لا يدرس شبابنا قصة الحضارم في الإصرار والاستمرار والهمة والطموح، بدلاً من جلوسهم في المقاهي، يتناولون السيجار والشيشة، ويلعبون الورقة، ويقضمون الفصفص؟ دخلت دولاً فإذا بنوك بكاملها باسم رجال أعمال حضارم، يدخل الحضرمي راكباً بأجرة في سيارة عادية، فيكدح ويعمل وينتج، ثم يُنشئ بنكاً، ويتنقل بطائرة خاصة يملكها، ويوظف أهل البلد الذين نزل عندهم ضيفاً، فيصبح هو رئيسهم؛ لأنه لم يأخذ المجد بالنوم والأماني وأحلام اليقظة والتسويف، بل بالعزيمة والحزم والمواصلة والمثابرة، وقد ذكر العلامة السقاف في تاريخه المدهش (إيدام القوات في تاريخ حضرموت) قصصاً رائعة في نجاح الحضارم إلى درجة أن يهاجر حضرمي من بلده إلى الهند وهو فقير، ثم يعود ورأس ماله أكياس من الذهب وخمسٌ وعشرون سفينة تعبر البحار.

ومن شغفي بتاريخ الحضارم زرت حضرموت قبل فترة مع طلبة علم ورجال أعمال سعوديين، ووصلنا (سيؤن والمكلا) علّنا نكشف سر العبقرية والنجاح، هل هو في تراب أرضهم؟ فإذا هو تراب مثل ترابنا، أهو في مائهم؟ فإذا الماء واحد، لكن وجدناه في القلوب الحية، والهمم العالية، والنفوس الكبيرة، والطموح الجبار، والعزيمة الهائلة.

لقد برع الحضارم في العلم والأدب والمال والسياسة والفكر والتواضع وهمة النفس وحسن الخلق، ولئن تحدث الناس عن اقتصاد الحضارم وترشيدهم للمال، فلقد قرأت قصصاً وعشتها عن بذلهم؛ تُذكرك بكرم حاتم الطائي؛ فبعضهم عمّر مئات المساجد، وآخر حفر مئات الآبار للمساكين، وثالث أوقف عقاراً واسعاً في سبيل الله.

شكراً للعبقرية الحضرمية، وبارك الله في تلك النفوس الكبيرة، التي أخرجت امرؤ القيس والمتنبي وابن خلدون وباكثير ومحمد بن لادن ومحمد العمودي وابن محفوظ وبالبيد وبقشان وباخشب وباعشن وبادريق وباسمح وغيرهم كثير.

وأرجو من الإخوة الحضارم أن يخبرونا بكلمة السر في نجاحهم، وأن يدلونا على مفتاح التميز والتفرد في مسيرتهم، وأن يرشدونا إلى البيت الذي جعلهم نجوماً في العلم والاقتصاد والسياسة والأدب والفكر، حتى نخبر بذلك الخاملين والنائمين والمحبطين والكسالى أهل التسويف والأراجيف والشائعات والتردد، يحق لمدفعية المجد أن تطلق إحدى وعشرين طلقة احتفاء بالحضارم؛ لأنهم حققوا النجومية في عالم الطموح، والألمعية التي وصلوا إليها بجهادهم وبذلهم وتعبهم وسهرهم.

من تلقَ منهم تقلْ لاقيتُ سيدَهم
هم الحضارم فانزلْ في مرابعهم

مثلُ النجومِ التي يسري بها الساري
صِيدٌ بهاليلُ حفّاظون للجار

خطباء وأئمة عذّبوا الناس

يقـول ﷺ: «**يـا أيهـا النـاس إن منكـم منفّريـن، فأيكـم أمَّ النـاس فليتجوّز، فـإن مـن ورائه الكبير والصغير وذا الحاجـة**» متفق عليه، وغضب ﷺ على معاذ بـن جبل لما طوّل بالناس في الصلاة، وقال: «**أفتان أنت يا معـاذ؟**» ثلاثاً، أخرجه الشيخـان، وقد ابتلينا في عالمنا الإسلامي بأئمة وخطبـاء للمساجد عذبوا الناس بجهلهـم بالشريعة الميسّرة، والسُّنّة السمحة، فمنهـم من حوّل التلاوة في المسجد إلى نـواح كربلائـي حسيني، ومنهم مَـنْ يصرخ في الميكرفـون إذا كبرَّ صراخاً لو سمعتـه الحامل لأسقطت جنينها، ومنهم من حـوّل التلاوة إلى مقامات حجازية، ومنهـم من قلب الدعاء في التراويح إلى خطـب منبريّة وإلى حكايات عن الأموات وعجائب وغرائب عن أهل القبور، فهو يصف حالهم منذ أن ماتوا، فغُسِّلوا فكُفِّنوا فصُلّـي عليهم، فدُفِنوا فغُطّوا بالتراب، فأكلهم الـدود، فوزِّعت ثرواتهم، وقُسّمت تركتهم، وتزوجت نساؤهم، وتيتّم أطفالهم، ونسي المسكين الدعاء لهم بالرحمة.

ومنهـم من دخل في تفصيل التفاصيل في الدعـاء، فدعا لفلسطين، والعراق، وأفغانستـان، والشيشـان، والصومـال، والبوسنـة والهرسك، ومسلمـي الفلبين، وجبهـة مورو، ومسلمي تايلاند، ومسلمي كوسوفـو، وأهالي دارفور، وجزر الملوك، حتـى نـام النـاس وهم وقوف. ومنهـم خطيب حـوّل خطبة الجمعـة إلى مقامات الحريـري مع السجع والتّكلف والتعسف والتمطيط والتفحيط (والتعشيق بالدّبل) مـع الشهيق والزفير وإخراج الحرف من آخر الحلق، بل من الجوف، فيقول مثلاً: أيهـا المسلم عليك الرضا بالقضا، على جمر الغضى، ونسيان ما مضى، فما قضى قـد انقضى، ثم يعجبه حرف آخر فينشب فيـه، فقلّدته في مقامات القرني فقلتُ: إن اليهـود وقعوا في غلطة، وسقطوا سقطة، وصاروا في ورطة، لما زادوا نقطة، قيل لهـم قولوا: حطـة، فقالوا: حِنطة، ومنهم مـن زاد: فمن قطَّ قطّـة، فليشترِ بطّة، وليأخـذ شطة. ويضعها في شنطـه وغالب جمهوره من النيجيريـين وساحل العاج

وإندونيسيا وطاشقند وتركمانستان وأبخازيا وجورجيا، وهناك خطيب تحتاج إلى قاموس لتفهم مفرداته، فهو يقول: إن دستور الأخلاق يقوم على الوسط، بلا وكس ولا شطط؛ ليكون على أحسن نمط، وخطب خطيب عن إنفلونزا الطيور أربعين دقيقة، وخلص إلى أنها مؤامرة عالمية على المسلمين!! فحمدنا الله على نعمة العقل، وخطب خطيب في قرية عن الغزو الفكري وطوفان العولمة، وأهل القرية لا يعرفون نواقض الوضوء، وخطب خطيب في البادية عن عملية السلام والتطبيع مع إسرائيل، وأقسم أنه لا يقبل بالدنية ولن يتم هذا الأمر، ومثل هذا الخطيب يُبرك على صدره، ويُقرأ عليه آية الكرسي، ويكوى ثلاث كيات، حتى يشفيه الله مما أصابه، وغالب الخطباء يقرؤون من أوراق صوّروها من الكتب أو سحبوها من النت، فتأتي خطبهم باردة مثلّجة سخيفة سامجة هزيلة، ميتة؛ لأنها بلا روح ولا تأثير ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ﴾.

وصلينا خلف إمام صلاة الفجر فقرأ سورة: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾ فمدّ نون ومطّها، حتى كادت أزرار ثوبه تتقطّع، وما انتهى من الصلاة حتى عذّبنا وشق علينا، فكلّمته بعد الصلاة، وقلت له: أنا صليت خلف الشيخ ابن باز والشيخ ابن عثيمين، وهما عالما العصر وأتقى وأورع منا وأعلم منّا، فكانت صلاتهما يسيرة خفيفة لطيفة، وتلاوتهما سهلة ميسّرة، بلا تشدق ولا تنطع، وفهمت من جوابه: أن مَنْ لم يعجبه أن يصلي معه فليصلِّ في مسجد آخر!! وهناك إمام يصلي بعشرة خلفه ومكبرات الصوت على رؤوسهم، فيرفع صوته إلى النهاية، ويصرخ بالتكبير صراخاً، وينوح بالتلاوة نياحاً، وما أدري ما السر وراء ذلك، ويروى أن مؤذناً نفخ في الميكرفون بقوة فاحترق الجهاز والبطارية، وكادت الكهرباء أن تضرب بشررها، فتحترق الحارة ثم المدينة، والله المستعان، هذا قبل أن يؤذن فكيف لو أذّن؟!

والواجب على القائمين على أمر الخطباء والأئمة أن يفهموهم السُّنّة، فإن الرسول ﷺ قال: «**إن قِصَرَ خطبة الرجل وطول صلاته مئنة** (أي علامة) **من**

فقهه» رواه مسلم، والأحسن والأجمل أن لا تزيد خطبة الجمعة في هذا العصر عن ربع ساعة، وأن تكون مركّزة في موضوع واحد بأسلوب سهل جميل واضح ميسّر، بلا تعذيب ولا تعنيف، ولا تعسف، ولا تكلّف، ولا تعمق، ولا تشدق، ولا تفيهق، وخير الهدي هدي رسول الله ﷺ الذي قال عنه ربه: ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ﴾ وقال هو ﷺ: «**إن الدِّين يسر**»، وقال ﷺ: «**هلك المتنطّعون والمتعمقون والمتشدقون والمتفيهقون**».

أنقذوا النساء والأطفال

اطلعتُ على قضية حصلت لطفل في الخامسة من عمره فارق أبوه أمه، وتزوج امرأة أخرى، ثم تسلّط هذا الأب الظالم على الابن، فعذبه سوء العذاب، وجلده ونكّل به، وتركه جلداً على عظم، دخل عليه مرة وهو نائم مع إخوانه من أبيه، فسحبه برجله حتى أخرجه من غرفة النوم، وترك في جسمه كدمات وآثاراً مبكية، وضج الجيران بالتنكيل على هذا الأب القاسي الفظ الغليظ، وكلمتُ هيئة حقوق الإنسان بالرياض فوعدوا خيراً، وأخشى أن ينتقل هذا الطفل إلى الآخرة قبل أن يبتوا في الموضوع.

وداخلنا في قناة اقرأ الفضائية في برنامج (السلام عليكم) امرأة أبكت المشاهدين لما وصفت حالها مع زوجها، فقام هذا الزوج العُتُل الجافي المارد بتعذيبها، وكسر يدها مرة من المرات، ومرةً جرّها من شعر رأسها حتى أخرجها من البيت، ومرةً أخرجها من المنزل وأغلق الباب وتركها ليلة كاملة في الشارع، وحَكَمَ القضاء عندنا مشكوراً بإعدام جبار عنيد عذّب ابنته الطفلة الصغيرة حتى ماتت، وتفنن أبٌ ظالم في تعذيب ابنه حتى علّقه ليلة من الليالي برجليه منكوساً بسقف الغرفة حتى الصباح!!

وأعرف قصصاً لأناس يدّعون الإسلام ويتشدقون بالفضائل، وهم وحوش في صورة بشر، نكّلوا بأبنائهم وبناتهم وعذّبوا زوجاتهم، وقد طُمست معالم إنسانيتهم، وذهبت الرحمة من قلوبهم، وتحوّل الواحد منهم إلى وحش كاسر، لا يردعه دين ولا يحميه خُلُق، ولم يجد مَنْ لم يكسر شوكته، ويوقفه عند حده؛ لأن هذه القضايا في الغالب لا تُرفع للقضاء، ولا تُعرض على السلطة، وجزاء هؤلاء الجبابرة الأوغاد أن يُسحبوا إلى المحاكم مقيدين بالسلاسل، حتى ينالوا الجزاء الرادع، وبسبب هؤلاء المردة العتاة القساة الجفاة يُمنع القطر من السماء، وتجدب الأرض، وتموت البهائم، وتذبل الأشجار، وفي حديث قدسي يقول الله عز وجل عن الظلمة: «**وعزتي وجلالي لولا شيوخ رُكّع، وأطفال رضّع، وبهائم رُتّع، لخسفتُ بكم الأرض خسفاً**».

متى تأخذ العدالة مجراها لتأخذ هذه الوحوش البشرية؟ متى نشاهد السياط الشرعية تهوي على ظهور هؤلاء الجبناء القتلة المتلاعبين بالدِّين والقيم؟ هل يُعقل أن يوجد في العالم من يعذب طفله في الخامسة من عمره إلى درجة الموت؟ إن البهائم تحنو على أولادها، إن الناقة تحنُّ إلى حوارها، وإن البقرة تحنو على عجلها، وإن الحمامة تشفق على فراخها، لكن الذئاب البشرية والنمور الكاسرة من بني الإنسان سُلبت من قلوبهم كل آثار الرحمة والشفقة والحنان فتحولوا إلى نقمة على أهلهم وذويهم والمجتمع بأسره.

وهؤلاء الأشرار ينبغي أن تردعهم القوة العادلة، وأن تطالهم السلطة الشرعية، فإن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن. وهذا عمر بن الخطاب -الفاروق- تدخّل أكثر من مرة مع أطفال مضطهدين وضعفاء مقهورين ومساكين مظلومين، فأنزل العقاب بالظلمة، وخوّفهم بعدله وكسر عنفوانهم بهيبته؛ لأن من أمن العقوبة أساء الأدب. بل تطور الحال ببعض هؤلاء الفجرة إلى ضرب وتعذيب آبائهم وأمهاتهم، ومنهم من قتل أباه وجلد أمه وخرج من إنسانيته، وتبرأت منه الفضيلة، وفارقته الرحمة، وحُرم التوفيق، وحلّ به الخذلان مع غضب الله، يا مسلمون نحن بحاجة ماسة لوقفة صادقة مع المظلومين والمضطهدين، خاصة من صنف النساء والأطفال، الذين لا يملكون حولاً ولا قوة، وإنما يدافع أحدهم بدمعه وزفراته وحسراته وآهاته، وويل لهؤلاء الظلمة من يوم عظيم ينتظرهم، حيث لا حاكم إلا الله، ولا قاضي إلا الله، ولا محاسب إلا الله:

إذا جار الوزيرُ وكاتباه
وقاضي الأرض أجحفَ في القضاءِ

فويلٌ ثم ويلٌ ثم ويلٌ
لقاضي الأرض من قاضي السماءِ

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾.

المرأة في المزاد العلني

ظلمت المرأة عند الجهلة في مالها ثلاث مرات: مرة قبل زواجها يوم كان أبوها الجافي، وأخوها القاطع يحاسبانها في آخر كل شهر على راتبها، ويقتران عليها بالنفقة. وظلمت مرةً ثانية من زوج بخيل شحيح تسلط على مالها وحرمها حرية التصرف في ما تملكه، فصارت تنفق عليه، وهو يقابلها بالفظاظة والغلظة وصنوف الإيذاء. وظلمت مرة ثالثة لما طلقت فمنعت من أبسط حقوقها المالية، فخسرت المال والزوج والأطفال والبيت والحياة الأسرية، وبسبب مال المرأة مُنِعَتِ الكثيرات من الزواج؛ لأن الأب الشرس الكنود الجحود أراد أن يبقيها في بيته، ليستفيد من دخلها الشهري، حتى ذهب شبابها وصارت عانساً، والمرأة مظلومة عند الكثير من القساة الجفاة الجهلة بالشريعة. إن تأخر زواجها لسبب من الأسباب الخارجة عن إرادتها قالوا: عانس حائرة بائرة ولو أن فيها خيراً لتزوجت، وإن طُلقت قالوا: لو أن عندها بعد نظر، وحسن تبعُّل، وجميل خُلق، لما فارقها زوجها، وإن رُزقت كثيراً من الأبناء والبنات قالوا: ملأت البيت بالعيال، وأشغلت الزوج بالأطفال، وإن لم ترزق ذرية بأقدار إلهية، قالوا: هذه امرأة عقيم لا يمسكها إلا لئيم، والبقاء معها رأي سقيم، وإن تركت مواصلة التعليم وجلست في بيتها تشرف على أولادها قالوا: ناقصة المعرفة، ضحلة الثقافة، رفيقة جهل.

وإن واصلت التعليم وازدادت من المعرفة قالوا: أهملت البيت، وضيعت الأسرة، وتجاهلت حقوق زوجها، وإن لم يكن عندها مال قالوا: حسيرة كسيرة فقيرة، أشغلت زوجها بالطلبات وكثرة النفقات، وإن كان عندها مال وأرادت التجارة والبيع والشراء قالوا: تاجرة سافرة مرتحلة مسافرة، لا يقر لها قرار ولا تمكث في الدار، عقت الأنوثة وتنكرت للأمومة، وإن طالبت بحقوقها عند زوجها وأهلها قالوا: لو أن عندها ذوقاً وحسن تصرف لنجحت في حياتها الزوجية، ولكنها حمقاء خرقاء، وإن سكتت فصبرت على الظلم ورضيت بالضيم، قالوا: جبانة

رعديـدة، لا همة لديها، ولا حيلة في يديها، وإذا ذهبت إلى القاضي ورفعت أمرها للحاكم قالوا: هل يعقل أن امرأة شريفة عفيفة تنشر أسرارها عند القضاة، وتشكو زوجها وذويها عنـد المحاكم؟ أين العقل الحصيف؟ وأين العرض الشريف؟ وإنما يحصل هذا الظلم والإقصاء والتهميش للمرأة في المجتمعات الجاهلة الغبية، فهي عندهم من سقط المتاع، ومن أثاث البيت تُورث كما تورث الدابة، ويُنظر إليها على أنها ناقصة الأهلية قليلة الحيلة ضعيفة التكوين، تحتاج إلى تدبير وتقويم وتوجيه وتهذيـب وتعزيـر، بل بعض المتخلفـين الحمقـى لا يذكرها باسمهـا في المجالس، بـل يعرض ويلمـح ويقول مثلاً: (المكلـف)، (والحرمة)، و(المـرأة أكرمكم الله)، و(راعيـة البيت)، لئلا يفتضح بذكر اسمها. وهـذه غاية النذالة، ونهاية الرذالة، وهـي مخلوق كريم، وجنـس عظيم، فالنسـاء شقائق الرجال، وأمهـات الأبطال، ومدارس المجد، وصانعات التاريخ، وشجرات العز، وحدائق النبل والكرم، ومعادن الفضل والشيم، وهـن أمهات الأنبياء، ومرضعات العظمـاء، وحاضنات الأولياء، ومربيات الحكماء.

فـكل عظيم وراءه امرأة، وكل مقدام خلفـه أم حازمة، وكل ناجح معه زوجة مثابرة، فهنّ مهبط الطهر، وميلاد الحنان والرحمة، ومشرق البر والصلة، ومنبع الإلهـام والعبقرية، وقصـة الصبر والكفاح، فلا جمال للحياة إلا بالمرأة، ولا راحة في الدنيـا إلا بالأنثـى الحنـون، فـآدم لم يسكن في الجنة حتى خلـق الله له حواء، ورسولنـا ﷺ هو أبو البنات العفيفات الشريفات، ذرف من أجلهن الدموع، ووقف لأجل عيونهن في الجموع، وسجّل أعظم قصة من البر والإكرام والاحترام والتقدير للمرأة: أماً وأختاً وزوجةً وبنتاً، فيا أيها المتنكرون لحقوق المرأة، لقد ظلمتم القيم وعققتـم الفضيلة، وجهلتم الشريعة، ونقضتم عقد الوفاء، ونكثتم ميثاق الشرف، فأنتم خاسرون لأنكم ناقصون، ناديتم على أنفسكم بالجهل والغباء، وحكمتم على عقولكم بالتخلف والحمق، فتباً لمن ظلم المرأة، وسحقاً لمن سلبها حقوقها.

أهلا وسهلاً بباراك أوباما

يقول الله تعالى لعبـاده المؤمنين: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ﴾ وقد حياكم أيها المسلمون الرئيس الأمريكي باراك أوباما بتحية الإسلام فردوا عليه التحية، لقـد أرسل الله موسى وهـارون إلى فرعون طاغية زمانه، فقال لهما: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا ﴾، وقـد أتانا رئيس أعظـم دولة في العالم إلى دارنا، وقال لنا قولاً لينـاً، مع العلم أنه يتكلم من مركز قوة، فهو ليس رئيس جامعة ولا مدير شركة ولا عميد كلية، إنه صاحب القرار الخطير في العالم، والشاعر العربي يقول: لا تعاند من إذا قال فعل.

لقد قدّم لنا باراك أوباما خطاباً جميلاً فيه من الذكاء واللباقة واللياقة والكياسة الشـيء الكثير، بخلاف سلفه بوش المملؤ صلفاً وكبراً وطيشاً وعتوّاً، ولقد قدّم باراك أوباما شهادة حق أمام العالم لم يقلها رئيس أمريكي، فذكر عظمة الإسلام، واستشهد بالقـرآن أكثر من مـرة، ورد السلام على رسولنا وعلى موسى وعيسى عليهم السلام، وشهد بأننا كنا أعظم من قدّم جهوداً للعلوم والفنون كالطب والجبر والهندسة، وأننا صنعنـا حضـارة إسلامية عظيمة استفاد منهـا البشر، وأنه ليـس في حالة حرب مع الإسلام بل في شراكة، وأن المسلمين جزء من أمريكا، ودعانا لنسيان الماضي، وطالبنا بالحوار والتسامح وفتح صفحة جديدة، وأن لا نكون سجناء الماضي.

فـأي عقـل هـذا وأي منطق هـذا؟ وأي خطاب هـذا؟ وقارنت هـذا الخطاب بخطابـات الأنظمـة القمعيـة الثوريـة العربيـة التي ما جـرّت لبلادهـا إلا الدمار والحروب والهزائم، والتي يقول ثوارها في خطاباتهم: باسم الشعب بدل باسم الله، وسوف نرمي إسرائيل في البحر، وليخسأ الخاسئون، وقائمة من الشتائم والصراخ والهذيـان، التي لا يقولها إلا معتوه أو ثَمِل، لقد اختار باراك أوباما مفردات خطابه بعناية، فلم يجرح مشاعرنا، بل تصرف في رحلته وخطابه تصرف أكبر مسؤول في العـالم، فهو بدأ بالرياض عاصمة مهد الإسلام، وثنى بالقاهرة ملتقى الحضارات وأم الثقافة العربية، ومدَّ يده للعالم الإسلامي، وأيد دعوة خادم الحرمين الشريفين لحوار الأديان، فما هو اللائق بنا أمام هذا الموقف؟

إن على عقلائنا وصنّاع القرار فينا وأهل الرأي والقلم أن يجيبوه بخطاب رشيد سديد، ملؤه الحكمة والرفق واللين، وأن يشكروه، وأن يشجعوه على تنفيذ ما وعد، وأن يمشوا معه خطوة بخطوة، أما خطابات التنديد والوعيد وسوء الظن به، واستهجان ما قال، فهو منطق فج أهوج أعوج، لماذا نخاف من المصارحة والحوار والمكاشفة، التي دعا إليها باراك أوباما؟ لماذا نخجل ونتوجس ونشك، ونحن أصحاب رسالة، ولدينا حجة، ومعنا كتاب، ونحن أصحاب حق، وقد قدّمنا أعظم حضارة، وفينا عقلاء وعلماء وراشدون؟ لماذا نقابل اللين بالفظاظة؟ والرفق بالعنف؟ والبشر بالعبوس؟ والوعد الجميل بسوء الظن؟ إن بعضنا يريد من باراك أوباما أن يوافقنا في كل ما نريد، ونسوا أنه في الأخير أنه رئيس الولايات المتحدة الأمريكية، ثم أين استلهام سيرة المعصوم رسول الهدى ﷺ في باب السياسة، أما ذهب بنفسه إلى اليهود في دورهم وخاطبهم خطاباً ليناً؟ أما أكل طعامهم؟ أما استضافهم في بيته وكذلك النصارى؟ بل أمره ربه أن يعطي عابد الوثن فرصة السماع والحوار، فقال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾.

لماذا نغلق أسماعنا وأبصارنا وقلوبنا؟ لماذا لا نواجه الحقائق؟ لماذا نهرب إلى الظلام؟ لماذا لا نأخذ ونعطي، ونحاور ونناور، ونجامل ونجادل؟ أما كفانا ما فعل بنا سلفه بوش يوم احتل أرضنا، وقتّل أطفالنا، ودمّر منازلنا، واستهتر بقيمنا، وجرح مشاعرنا، ووضعنا جميعاً في قفص الاتهام؟ فلما أزاله الله وأراح العالم منه، وجاءنا رئيس مثقف عاقل، له أصول في الإسلام، ومعرفة بالتاريخ، وقدم في الكياسة، ومذهب في الرفق، ومشروع للحوار والمصارحة، رد بعضنا: لا نسمع ولا نعي، ولا نأخذ ولا نعطي، لأننا مصابون بعقدة المؤامرة، بل هدده بعضنا فذكّرونا بقول جرير:

زَعَمَ الفَرَزدَقُ أَن سَيَقتُلُ مِربَعاً

أَبشِر بِطولِ سَلامَةٍ يا مِربَعُ

بل نقول لباراك أوباما: «وش ها الساعة المباركة يابو حسين؟ مرحباً ألف».

أعداء النجاح

إذا ألّفت كتاباً ولم يحصل له أثر واحتفاء واستقبال، فاجمع نسخه مباشرة وأوقد عليها ناراً عظيمة، واطبخ عليها جملاً وتصدّق بلحمه على الفقراء، إذا افتتحت صحيفة ولم تسمع لها رجة وصجة وضجة، فأرجوك حوِّل مبناها إلى فرن لبيع التميس، إذا أنشأت قناة فضائية ثم لم تخض الماء الراكد، وتنبه الراقد، وتهز الهامد، فأوقفها واستفد من أجهزتها في التصوير الفوتوغرافي وتغطية حفلات الزفاف، إذا نظمت قصيدة ولم يحصل لها مدح أو ذم أو رضا أو سخرية، فقصيدتك من تمائم الشيطان وحروز المشعوذين والكهنة وليست شعراً، إذا عشت حياتك وليس لك أثر طيب وجهود مثمرة، ولم يوجد لك مادح وقادح ومحب وحاسد، فأنت زيادة في عدد السكان، تساهم في أزمة الغذاء والبطالة وإتلاف البنية التحتية، المشروع الفاشل، والكتاب الأجوف، والقصيدة المخصيّة، والقناة النائمة، والصحيفة المشلولة، والإنسان الصفر أموات غير أحياء ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾.

قال مصطفى أمين: إذا قمت بعمل ناجح وبدأ الناس يلقون عليك الطوب، فاعلم أنك وصلت بلاط المجد، وأصبحت المدفعية تطلق إحدى وعشرين طلقة احتفاء بقدومك، إن الأعمال الناجحة لها دوي وصخب ورجفة وزلزال، كما قال أبو الطيب:

وَتَركُكَ فِي الدُنيا دَوِيّاً كَأَنَّما
تَداوَلُ سَمعَ المَرءِ أَنمُلُهُ العَشرُ

إذا خرج العمل (سكتم بكتم) عرفنا أنه جثة هادمة، فعليك إذا عزمت وحزمت أمرك وشددت حزام الأمان، حتى تسمع صوت مزلاج التضحية والفداء، فاجعل شعارك قول الشاعر:

إذا همَّ ألقى بين عينيه همّه
وأعرضَ عن ذكرِ العواقبِ جانبا

وعليك أن تلبس جلداً كثيفاً سميكاً، مثل جلد التمساح حتى تتكسر فيه سهام الحسّاد، كما قال صديقي وزميلي أبو الطيب:

فَصِرتُ إذا أَصابَتني سِهامٌ
تَكَسَّرَتِ النِّصالُ عَلى النِّصالِ

وعليك إذا سمعت هجوماً كاسحاً على مشاريعك، أن تشرب الشاهي الأخضر، وأن تنشد مع أبي الطيب:

أَنامُ مِلءَ جُفوني عَن شَوارِدِها
وَيَسهَرُ الخَلقُ جَرّاها وَيَختَصِمُ

وعليك أن تلتمس العذر لحسّادك (يا قاهرهم)، وردد مع أبي الطيب:

إِنّي وَإِن لُمتُ حاسِدِيَّ فَما
أُنكِرُ أَنّي عُقوبَةٌ لَهُمُ

وكما قال ابن صقعان بالشعبي:

يا هيه ياللي تظلم الزين يا هيه
ظلمك لزوله زوّدته حلاوه

فكيف إذا كانت الحلاوة عليها طلاوة، وفيها طراوة إذاً صارت بقلاوة، واستمر في مشاريعك الناجحة ولا تلتفت لأحد وكن كمدمرة كول أو كاسحة الألغام، واستمر مع المدح والقدح، كما يقول ذبيح الحق الباكستاني: شوف صديق مادام الله فيه موجود ما فيه مشكلة، معلوم صديق؟ أنت فيه نفر كويس.

واجعل شعارك وديثارك قول الله عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِ﴾، خرج

الأسد يتشمّس، فقام الفأر يستعرض أمامه ويناوشه، فقال له الأسد: يا حتحوت يا كتكوت، والله ما أريد أن أنجّس فمي بدمك، وتحاول طيور الغرنق أن تشتبك مع الصقور فترفض الصقور ذلك، وتحلق عالياً بعيداً في الفضاء، لأن اشتباكها مع الطيور اعتراف ضمني بالنديّة والمساواة، والصقور تأبى هذا الاعتراف، بقدر قيمتك يكون النقد الموجّه لك، والتيس الهزيل لا حاسد له، والناس لا يرفسون كلباً ميتاً.

إن كلمات النقد، وقصائد الهجاء، ومقطوعات القدح، مع باقات الرضا ومنظومات الثناء لأي مشروع، إنما هي أوسمة على صدر بطل قصة النجاح، فكن كاتب القصة، ومنتج الفلم، وناظم القصيدة، وراسم اللوحة، ومدبّج الخطبة، ومفتتح المشروع، وإذا لم تفعل فاشتري لك قطيعاً من الضأن، واغرب عنا بوجهك، فإن المجد مناهبة، والبقاء للأفضل، والويل للفراش الميت من ﴿نَارًا تَلَظَّىٰ ۝١٤ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى﴾.

كُتّاب من الدرجة السياحية

الكُتّـاب على أقسـام: درجة أولى وأفق وسياحية، وكُتّـاب الدرجة السياحية هم المقصودون بالحديث؛ لأنهم في سن التقويم والتربية والتوجيه، ولأنهم براعم شابة، أخشى عليهم من القواصف والعواصف، ونبت صغير أخاف عليه من السيول الهادرة الجارفة، وقد نشأ عندنا في العالم العربي كتّاب صغار (كتاكيت)، وكل كتكوت طار قبل أن ينبـت له ريش، فبدأ هؤلاء الكتاكيت، في أعمدتهم بالصحف والمجلات، يصنعون مجدهـم على حسـاب الآخرين، وظن هؤلاء الصغار: أن أقرب طريق للشهرة هي أن تشتبـك مـع مسؤول، أو تتحرش بوزير، أو تتلابس مع كاتـب، أو تهمز شيخاً، أو تلمز أستاذاً، أو تنبذ شاعراً، أو تخمش تاجراً، أو تتسلق حائط جامعة، مع أنهم لم يكوّنوا أنفسهم في عالم الكتابة تكويناً صحيحاً، فما عندهم مفردة جميلة، ولا بيان ساحر، ولا أسلوب آسر، ولا فكرة رشيدة، ولا رأي سديد، فقراءتهم ضحلة، واطلاعهم هش، وتمييزهم ضعيف، واختيارهم هزيل.

والكتابة تأتي بعد قراءة مئات المجلدات، والاطلاع على آلاف الصفحات، وكتابة أكـوام كثيرة مـن الأوراق ثم إتلافها وعدم الرضا عنهـا، وتسطير مئات المقالات ثم شطبهـا؛ لأنهـا ليست بالمستوى اللائق، ولكـن بدل أن يبنوا جسور المـودة، وينسجوا خيـوط المحبة، سلّوا خناجـر الانتقام والقصاص والكراهية والثـأر والحقد، وغفلوا عن مبـدأ ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾، وقد نصح مصطفـى أمين –الكاتب المصري المشهـور– الكُتّـاب المبتدئـين بأن يقـرؤوا كثـيراً، وأن يدمنوا مصاحبـة الكتاب، ولا يقيمـوا خصومة في المجتمع، ولا يفتتحـوا حياتهم الصحفية بنهش الأعراض، وصنع العـداوات، لأنهـم سيخسرون مـن أول الطريق، والمستفيد الوحيد هـو مَنْ همزوه أو لمزوه أو غمزوه؛ لأنه يزداد شهرة.

وقـد وفد أحـد الكُتّاب الكبـار على عباس محمـود العقاد، وشكـى إليه ظلم الصحافة، وهجومها على شخصه صباح مساء، فقال له العقاد: أرجوك اجمع لي

كل المقالات والقصاصات التي هاجمتك وشوهت سيرتك وزرني غداً، وفي اليوم الثاني أحضر له ملفات من مقالات الشتم والسب التي كتبت فيه، قال العقاد: اجمعها أمامي ورتبها، فلما أصبحت (كالبلوكة) الكبيرة أو (المسند) المستطيل، قال له العقاد: اصعد لو سمحت عليها، فصعد الرجل وارتفع عن الأرض قليلاً، فقال له العقاد: قد ارتفعت بهذا السب بقدر ما ارتفعت عن الأرض، ولو زادوك سباً لزدت ارتفاعاً، ثم قال له: أما سمعت قول الأخ المتنبي:

وإذا أتتك مذمتي من ناقص
فهي الشهادة لي بأني كاملُ

فعلى كُتّاب الدرجة السياحية أن يتفرغوا كثيراً للقراءة المثمرة في كتب الأدب ودواوين الشعر، ومصنفات المقالات والمطارحات والمقامات، وأخبار الخلفاء والعلماء والحكماء، وآثار الأدباء والشعراء والوزراء، وأن يكسبوا الثقة بجميل القول وحسن التعامل وسلامة الذوق، والنظر بعين الإنصاف وحب الخير للغير، وعليهم أن يغسلوا نفوسهم المريضة بماء الإيمان والمحبة والسلام والعفو والتسامح، وأن يقتلوا في قلوبهم عقارب الحقد، وثعابين الحسد، وحيّات البغضاء، ووزغ الشحناء، وأن يزرعوا في صدورهم زهور التفاؤل، وخمائل الأمل، وبساتين الرضا، وأن يسقوها بماء الإخلاص، ويظللوها بشجر الصبر، وليستمعوا لقول شاعر الكرة الأرضية المعاصر، حيث يقول في هؤلاء الكتاكيت الفروخ:

يا كتاكيت المقاهي والكتابة
يا فراريج هُديتم للإصابة
اهجروا السبَّ وألفاظ الخنا
إنما يفرح بالجرح الذبابة

وخذوا النصيحة من (عمكم في الله): اصعدوا إلى المجد درجة درجة، وامشوا إلى الريادة خطوة خطوة، ولا تغلطوا غلطة، فتسقطوا سقطة، وتقعوا في ورطة، واقرؤوا لابن المقفع قصة الأسد والبطة.

مفاتيح الجنة ليست في جيوبنا

من رحمة الله بنا نحن البشر أن الله لم يجعل مفاتيح الجنة في جيوبنا، ولو حصل هذا كان بعضنا منع البعض الآخر من دخول الجنة، وكان كل من اختلف مع شخص طرده من الجنة، وكل طائفة أو جماعة تغلق أبواب الجنة في وجوه الجماعات والطوائف الأخرى؛ لأن البشر في الغالب أهل بخل وشح وحقد وحسد، كما قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّيٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا﴾.

وانظر إلينا في الدنيا الفانية الحقيرة القصيرة قد تقاتلنا وتشاتمنا فكيف لو سُلِّمت لنا مفاتيح الجنة؟ فترى البعض منا قد افتتح دكاناً؛ لتكفير الناس وتبديعهم وتضليلهم، ثم أقسم أنهم لن يدخلوا الجنة، والبعض قد نصب مشانق لعباد الله يجلدهم صباح مساء، فهم عنده آثمون مذنبون مرتدون زنادقة، والبعض قد أقام محاكم تفتيش لعباد الله، يحاكم نياتهم وضمائرهم، ويفحص سيرتهم، وينقب في أخبارهم، وينشر غسيلهم، ونسي المسكين نفسه المدنّسة بالذنوب الملطخة بالعيوب، والبعض ادعى العصمة له ولطائفته وجماعته، فلا يدخل الجنة إلا هم.

والصحيح أن أهل الجنة هم من حقق اتباع الرسول ﷺ، وذكّرنا هذا بقصة أبي حمزة الخارجي فإنه لما حج هو وتلميذه وقف عند الصفا، وقال لتلميذه: كل هؤلاء الحجاج في النار، ولن يدخلها من الأحياء إلا أنا وأنت، فقال له تلميذه وكان ذكياً: سبحان الله جنة عرضها السموات والأرض لا يدخلها إلا أنا وأنت!! إذاً هذه ليست جنة الله التي وعد عباده، ولن أدخلها أنا فهي لك وحدك؛ لأن جنة الله عرضها السموات والأرض، ولها أبواب ثمانية، سعة الباب من صنعاء إلى بيت المقدس، ويأتي عليه يوم وهو شديد الزحام، فكيف لا يدخلها إلا اثنان؟ وكلما رأيت العدوانية والكراهية من أبناء البشر وطالعت الأحكام الجائرة من الناس على مَن

اختلفوا معه، حمدت الله أن أمر الرحمة والجنة والتوبة والمغفرة إلى الله وحده، إن الحسدة والحقدة وضعاف الأنفس ومرضى القلوب لو كان إنزال الغيث بأيديهم، لما أنزلوه إلا على مزارعهم وديارهم فحسب؛ لأنهم ضاقوا بأنفسهم وبالناس، فهم لا يرون إلا بعيونهم، ولا يفهمون إلا بعقولهم الضيقة، فإذا كان الدليل يسعفهم والبرهان يساعدهم فهو صحيح ثابت، وإذا كان ضدهم فهو باطل منسوخ.

فإذا أحبوا شخصاً كذبوا في مدحه وأجلسوه على النجوم، وإذا أبغضوا شخصاً كذبوا في سبّه ودفنوا محاسنه، إن غالب البشر أعداء للحقيقة، ولهذا تجاهلوا حق الخالق سبحانه، وأعرضوا عن الحجج الساطعة في الأنفس والآفاق وفي الكتب والرسالات، حتى قال خالقهم ورازقهم عز وجل ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ وانظر إلى فئات المجتمع كيف يتراشقون بالتهم ويتنابزون بالألقاب، فالمتساهلون في اتباع السنة يرون أن كل ملتح متدين ملتزم أنه متشددٌ غالٍ في الدّين متطرف خارج فظ غليظ، ويرى المتشددون أن المتساهلين بالسُّنَّة من المسلمين زنادقة وفجرة ومستغربون ومرتزقة، والمفروض أن نجتمع على الإسلام، ونعمر الأرض، ونبني الفضائل، وننتج ونبدع ونخترع ونكتشف، ولكننا صرفنا جهودنا في التطاحن والتشاحن والتفاضح والتقابح، ونسينا التسامح والتصالح، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ وقال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾.

وانظر الآن إلى الخارطة من طنجة إلى جاكرتا، فلا تجد إلا الثورات والانقلابات والقتلى والأشلاء والدماء في فلسطين والعراق وأفغانستان وباكستان والصومال، بل أكثر العمليات الانتحارية والتفجيرات والمجاعات والأحزاب والجماعات والرايات واللافتات في بلاد الإسلام؛ لأن الكثير لما جهل دينه الصحيح وترك الاعتصام بحبل الله، أطاع شيطانه ونفسه الأمارة وهواه الغالب، وإلا قولوا لي بالله عليكم! أما أسس أجدادنا أروع حضارة عرفتها البشرية، وقدموا أجمل رسالة استقبلتها الإنسانية؟ لما اعتصموا بحبل الله

واتبعـوا رسوله ﷺ، وآخر من اعترف بها من الكبار الرئيس باراك أوباما، الذي انحنى إجلالاً لعظمة الإسلام.

أيهـا الناس: ارحموا الناس، وتشاغلوا بإصلاح أنفسكم، وتطهير ضمائركم، وغسـل قلوبكم، وتعالـوا نعيد للإسلام مجده، ونقدم للعـالم رسالة عادلة معتدلة حضارية، تليق بديننا العظيم.

obeikandl.com

من أراد عفو اللّه فليعفُ عن الناس

أقبل رمضان، شهر الرحمة والغفران، والعفو والرضوان، وسوف ندعو الله جميعاً في كل ليلة بالدعاء الثابت: (اللهم، إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عنا). ولكن الكثير منا لا يعفو عن إخوانه، فهو يريد العفو من الله، ولكنه لا يستطيع أن يصدر عفواً عمن أساء إليه، والله يعفو عنا، وهو الذي خلقنا ورزقنا وأعطانا وكفانا وشافانا وعافانا، بينما نحن لا نعفو عن البشر، ولم نخلقهم ولم نرزقهم، ولم نطعمهم من جوع، ولم نؤمنهم من خوف، كيف نريد المسامحة من رب العباد ونحن لم نسامح عباده؟ بل تجد عندنا تحفظات على أخطائهم وملفات لزلاتهم، وذاكرة لا تنسى أغلاطهم، والغالب علينا نحن البشر أننا نحفظ الإساءة وننسى الإحسان.

فهل آن لنا في شهر رمضان ونحن نقف في المساجد باكين خاشعين، نطلب من ربنا أن يعتق رقابنا من النار، ولكننا لم نعتق رقاب الناس من تربصنا وتهديدنا ووعيدنا، إذا لم نصدر عفواً عاماً عن عباد الله، ونعفيهم من القصاص والانتقام والتربص، أفلا نخجل من حالنا ونحن نمد أيدينا إلى ربنا، ونقول: ربنا إننا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين، إن من أراد العفو من الله فلا بد أن يهيئ أسباب القبول، فيغسل قلبه من الحسد والحقد والكراهية والبغضاء والشحناء، كيف نأتي إلى المساجد في رمضان بتلك القلوب الممتلئة غيظاً وبغضاً وكراهية لعباد الله، إن تنظيف وتطييب ظواهرنا باللباس والعطور لا يكفي إذا كان تحت هذا الظاهر باطل مشوّه قبيح من الغل الدفين والحسد القاتل والبغضاء المتقيحة، ففي الحديث الصحيح: «**إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**»، ماذا ينفعنا لباس فاخر ومظهر خادع، ومراكب فخمة، ومجالس بهية، وموائد شهية، ولكن القلوب التي هي محط نظر علاّم الغيوب، قلوب مريضة مجروحة مليئة بوباء القطيعة والكبر والعُجب والحسد، إن التدين ليس مظاهر وطقوس، ولكنه حقائق ومقاصد وأسرار، مع

التمسك بالسنة ظاهراً وباطناً، عرفنا أناساً قلوبهم كقلوب الطير رقة ورحمة ولينا وحناناً، يحبهم الله، يحبهم البشر، تحبهم السماء، تحبهم الأرض، فهم في أمن وفي سلامة والناس منهم في راحة وعافية، وعرفنا أناساً غلاظًا شداداً، عذبوا أنفسهم وعذبوا من حولهم شراسة وقسوة وجفاءً وسوء خُلق، فهم في عذاب دائم من نفوسهم المريضة، والناس منهم في مشقة، وهم نكال على آبائهم وأبنائهم وزوجاتهم وأصدقائهم، ضاقوا بأنفسهم وضاقوا بالناس، فضاقت بهم الدنيا.

في أثر حسّنه بعض العلماء (الخلق عيال الله، أحبهم إلى الله أنفعهم لعياله)، فمن عفا عن عباد الله وسامحهم ورحمهم وغفر لهم، عفا الله عنه وسامحه ورحمه وغفر له، ومن ضيّق عليهم وشق عليهم وعذّبهم، شق الله عليه، وضيّق الله عليه، وعذّبه الله، ينبغي أن نأتي رمضان بقلوب صافية سليمة محبة للخير والأمن والسلام والعفو، ولا نأتي رمضان بقلوب متسخة بالضغينة والغش والكره والنفاق. إننا نغسل أجسامنا بمبالغة شديدة إلى درجة الوسوسة، ولكن الكثير منا يغفل عن غسل قلبه الذي مر عليه عشرات السنوات وهو ملطخ بذنوب كالجبال من الاستكبار والعتو والتعالي والخيلاء والبغي والمكر والغدر والفجور، ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾.

إن التدين ليس صوراً باهتة وحركات وإشارات، لكنه مضامين عظيمة، وقلوب واعية، وضمائر حية، وبصائر مستنيرة، وأخلاق مجيدة، وقيم عالية، وسوف نسمع في رمضان في كل مسجد طلب العفو من الله، وهو أمر شرعي ومحبب، ولكن إذا أردنا إجابة السؤال وتلبية الطلب فلنبدأ من الآن بالتصالح مع أنفسنا ومع الناس، والتسامح مع البشر، والعفو عن عباد الله، وإعطاء الناس الآمان من أذيتنا، وفي الحديث: «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده**»، عفا الله عنا وعن جميع المسلمين، وسامحنا الله وسامح كل المؤمنين.

شكراً لمن مدَحَنا ولمن سبَّنا

أقول وأنا صائم في رمضان: غفر الله لي ولإخواني المسلمين والمسلمات، سامح الله من أحبنا وأبغضنا، ورحم الله مَنْ مدحنا وشتمنا، وغفر الله لمن شجعنا ومن نقدنا، فنحن بشر عرضة للخطأ، وأشهد الله أني لا أريد لأحد من المسلمين أن يتضرر ولو بحرارة شمس أو بنزلة زكام، وإنه لا يسعدني أبداً أن أرى مسلماً في مكروه، أو في أزمة كائناً مَنْ كان، وربما كان انتفاعي بمن نقدني أكثر من انتفاعي بمن مدحني؛ لأن من نقدني أخبرني بعيوبي، ودلّني على خطئي، وذكرني بعجزي، فأعدت التقويم في نفسي والملاحظة بعملي، أما من مدحني فإنه قد يكون خدّرني بالمديح، وسكت عن الغلط، فأستمر على وضعي معجباً بنفسي وعملي.

ليس بيني وبين أحد من المؤمنين موقفٌ مسبق، يترصدني وأترصده، ويتربص بي وأتربص به، بل قد يحصل مني التعليقة والمزحة في نفس الموقف على البديهة وعلى الهواء مباشرة دون سابق إنذار، فأعلّق على نفسي وإخواني وأصدقائي وبقية العاملين في الساحة، حتى إني أجد عند الكثير منهم رحابة صدر، وروحاً رياضية، وتسامحاً وعفواً، وأجد عند البعض رداً مؤدباً، فأتفهمه وأستوعبه، ولست -معاذ الله- أقصائياً في أفكاري، بل أدعو إلى التسامح والتواصل ومد الجسور والتعارف والتحاور والتعانق والتلاقي وتطبيع العلاقات، واقرءوا إن شئتم عشرات المقالات لي في هذه الجريدة الرائدة وكثيراً من الدروس والمحاضرات.

بل إن تعاوني مع الأستاذ محمد عبده من باب فتح الآفاق والنوافذ والأبواب على أطياف المجتمع وشرائح الوطن تحت مظلة الإسلام، فأنا والحمد لله أتشرف بزيارة الصحفيين ورجال الإعلام والرياضيين والعسكر والعمال وسائر طبقات المجتمع، لأنني واحد منهم حتى وجدت اللوم من بعض الناس في بعض خطوات هذا التواصل والانفتاح، لكنني أدركتُ بعد أعوام مديدة وتجارب طويلة واطلاع وقراءة وسفر للخارج: أن الواجب علينا أن تكون عقولنا كبيرة وقلوبنا واسعة، وأن

الإنسان لا يبني لنفسه دكاناً، ويتصور أن العالم في دكانه، ولا أن يحشر عقله في زنزانة، ثم يحاكم الناس من زنزانته، وصرت كلما رأيت أي إنسان ولو كان مقصراً أقول في نفسي: من يدري؟ قد يكون أفضل عند الله مني، ويمكن أن يُختم له بخير، وربما بينه وبين الله عمل صالح، وقد تجاوز الإنسان سن المراهقة العقلية، التي كان فيها يطرب لكلمة مدح، ويهش بقصيدة ثناء، ويثور ويغضب من مقالة هجاء أو مقطوعة سب، ورأيت أن العمل المثمر والناجح أنه أفصح جواب وأفضل رد، لأن الكلمات والمقالات والقصائد التي مُدحنا بها لن ترفعنا إلى المجد (سنتمتر واحد)، وأيضاً المقالات والقصائد والكلمات التي هُجينا بها لن تنقص من قدرنا (سنتمتر واحدة) والمقصود إن كان لك عمل جميل وخُلُق نبيل وهدف سامٍ وهمة عالية وطموح وثّاب، فسوف تفرض نفسك حتى على حمورابي وبختنصر والنمرود بن كنعان، وإذا كنت صفراً وكسولاً وخاملاً وفاشلاً واتكالياً، فوالله لو نحتوا اسمك على الأهرامات، ونحتوا لك ألف تمثال لما صدّق الناس ذلك، وعادوا إلى سيرتك وعملك فحسب.

لقد استفدت من مشائخي وأساتذتي والكتب التي طالعتها وتجاربي: أنني إذا حقدت على إنسان فإنني أنا الخسران والنادم والضحية، لأنني سوف أدفع ضريبة هذا الحقد من دمي وأعصابي ونومي وراحتي وحسناتي، أما إذا عفوت عن خصومي ونقّادي وحسّادي فسوف أكسب عفو الله وسروري واستقرار نفسي وهدوء بالي وتكفير سيئاتي، أوصاني أحد العلماء الكبار في الرياض قديماً، فقال: إذا أويت إلى فراشك فسامح كل من أخطأ في حقك، وادعُ له واطلب العفو والسماح ممن أخطأت في حقه، فصرتُ بعدها مسروراً بهيجاً، وقد اتصل بي بعض الإخوة يقرأ عليَّ بعض مقالات السب فأضحك والله وأقول: غفر الله للكاتب وسامحه الله، وكم بقي من العمر أصلاً حتى نتخاصم ونتحاسد ونتقاتل، اللهم اغفر لكل المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات، اللهم سامحنا وسامح من أسأنا إليه أو أساء إلينا، واغسل قلوبنا من الحقد والحسد والبغضاء والشحناء.

بعد الصيام والقيام نام المؤذن والإمام

لا ينتهي عجبي منّا نحن المسلمين وجهلنا بالدّين، في رمضان امتلأت المساجد والساحات المجاورة للمساجد بالناس في صلاة التراويح وهي نافلة وسنة، فلما انقضى الشهر لم يحضر إلا صف أو صفان في الفرائض، بل نام المؤذن والإمام أيام العيد عن الفريضة؛ لأنهم منهكون من صلاة التراويح والقيام النافلتين. نهتم بالنوافل ونهمل الفرائض، نحسّن الظاهر ونهجر الباطن، نقبل على الشكل ونترك المضمون، ومن تجليات الأمة في رمضان، بل من حركات (نص كم) أن الإمام يبكي وينوح ويصيح في دعاء التراويح، فيتحول المسجد إلى نياح كربلائي، بينما إذا قرأ القرآن هذه بلا خشوع ولا بكاء، ونترك الدعاء بالمأثور الثابت، ونؤلّف من عندنا أدعية سامجة باردة، كقولهم: ولا تدع أعزباً إلا زوّجته، ولا مطلقة إلا جبرت خاطرها، ولا مديناً في بناء عمارة إلا قضيت دينه، وأصلح خالاتنا وعماتنا وصديقات أمهاتنا، ومن له حق علينا. إلى آخر هذا الهذيان.

يذهب الكثير منا بأهله لأخذ العمرة في رمضان، وهو لا يحضر صلاة الجماعة، فيترك أبناءه وبناته شذر مذر في فنادق مكة وأسواقها، وأقسم لي أخ من دولة عربية أنه وفد مع حملة لأخذ العمرة في رمضان، وكثير من الحملة ما كانوا يصلون الفريضة في بلادهم، فصلّوا التراويح في الحرم، وبكوا حتى رثيت لحالهم، فلما جاء العيد عادوا لما نهوا عنه من ترك الفرائض وارتكاب الآثام، في قرية من القرى كان مؤذنهم خفيف الظل ومزّاحاً، ويشكو من قلة المصلين، فكان يحضر معهم الفريضة خمسة، فلما دخل رمضان ملأوا المسجد لصلاة التراويح، ولما آمَّن الإمام أمّنوا فارتج المسجد، فصاح المؤذن يقول: (عاشوا) مستهزئاً بهم، ولما سلموا التفت إليهم وقال مستفهماً: تضحكون على ربي؟ تعالى الله عن ذلك.

وكثير ممن لا يحضر صلاة الجماعة في الفرائض يستعد لصلاة التراويح والقيام، فيحضر مبكراً ويحجز مكاناً ومعهم القهوة والشاي، ويلتفت إلى جيرانه

ويسألهم: هل ختم القرآن في مسجدكم؟ لأن ختم القرآن في المساجد صار معايرة ومغالبة، وأخبرني رجل مسن عامي أنه ذهب بأهله لأخذ العمرة، قال: أبشرك وفّقنا الله، والله ما جلسنا في الحرم إلا ساعتين من قلة الزحام؛ لأننا تركنا الناس وقت دخلوا في صلاة الفجر طفنا وسعينا، وكأنه قصد غفلة المسلمين واشتغالهم بالصلاة، فاحتال عليهم وأدى العمرة.

وكان في حي الجرادية بالرياض إمامٌ قديمٌ أعمى البصر نافذ البصيرة، فغشاه الناس في رمضان غشيان الجراد، فأحس بحركاتهم وأصواتهم، فقرأ في الصلاة آخر الأحزاب: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا﴾، يسمعهم إياها، فلما انصرف من صلاته أخذ الميكرفون، وقال: ما شاء الله المسجد اليوم مليان ماذا حصل؟ هل عندنا حفل زواج؟ أثركم تعرفون إن فيه مسجدًا أو رباً يُعبد، لكن نصبر عليكم أياماً معدودة، وبعدها ما نشوف وجوهكم سنة كاملة.

فيا من قتل الحسين وسأل عن دم بعوضة، لا تقدموا النوافل عن الواجبات المفروضه، ولا تحولوا الشريعة إلى فوضى، إن الدّين ليس تظاهرات وطقوسًا وأشكالاً، ولكنه معانٍ ومقاصد وحقائق، وغالب الناس مثلهم كمثل المرأة الغبية الحمقاء، التي لما أخبروها بقتل ابنها برصاصة، سألتهم أين وقعت الرصاصة؟ قالوا: وقعت في جبهته، قالت: الحمد لله على سلامة عينه من الرصاصة، وهو قد قُتل أصلاً، عندنا شغف بالجزئيات على حساب الكليات، والمستحبات على حساب الواجبات، والبعض أكثر من الدروس والمحاضرات في إعفاء اللحية وإسبال الثوب، وشرب الدخان والأغاني، وترك تصحيح العقيدة وإصلاح العبادة وتقويم الأخلاق، وذلك من قلة الفقه وضعف الرأي، أسأل الله أن يفقهنا في الدّين، لنحسن عبادة رب العالمين.

فن التطنيش لمن أراد أن يعيش

قال أحد الصالحين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: طنش تعش تنتعش، ومعنى ذلك أن لا تبالي بالحوادث والمنغصات، وقد سبق إلى ذلك زميلي وصديقي الدكتور أبو الطيب المتنبي، حيث يقول:

فعشت ولا أبالي بالرزايا
لأني ما انتفعت بأن أبالي

وأنت إذا ذهبت تدقق خلف كل جملة، وتبحث عن كل مقولة قيلت فيك، وتحاسب كل من أساء إليك، وترد على كل من هجاك، وتنتقم من كل مَنْ عاداك، فأحسن الله عزاءك في صحتك وراحتك ونومك ودينك واستقرار نفسك وهدوء بالك، وسوف تعيش ممزقاً قلقاً مكدراً، كاسف البال، منغص العيش، كئيب المنظر، سيء الحال، عليك باستخدام منهج التطنيش، إذا تذكرت مآسي الماضي فطنش، إذا طرقت سمعك كلمة نابية فطنش، وإذا أساء لك مسيء فاعف وطنش، وإذا فاتك حظ من حظوظ الدنيا فطنش، لأن الحياة قصيرة لا تحتمل التنقير والتدقيق، بل عليك بمنهج القرآن: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾.

سبّ رجل أبا بكر الصديق فقال أبو بكر: سبُّك يدخل معك قبرك ولن يدخل قبري، الفعل القبيح والكلام السيئ والتصرف الدنيء يُدفن مع صاحبه في أكفانه، ويرافقه في قبره، ولن يُدفن معك ولن يدخل معك، قال العلامة عبد الرحمن بن سعدي: واعلم أن الكلام الخبيث السيئ القبيح الذي قيل فيك يضر صاحبه ولن يضرك، فعليك أن تأخذ الأمور بهدوء وسهولة واطمئنان، ولا تُقِم حروباً ضارية في نفسك، فتخرج بالضغط والسكري وقرحة المعدة والجلطة ونزيف الدماغ، لقد علمتنا الشريعة الإسلامية أن نواجه أهل الشر والمكروه والعدوان بالعفو وبالتسامح والصبر الجميل، الذي لا شكوى فيه، والهجر الجميل الذي لا أذى فيه، والصفح الجميل الذي لا عتب فيه، إذا مررت بكلب ينبح فقل: سلاما، وإذا رماك شرير

مارد بحجر فكن كالنخلة ارمه بتمرة، إن أفضل حل للمشكلة أن تنهيها من أول الطريق، لا تصعّد مع من أراد التصعيد، انزع الفتيل تخمد الفتنة، صب على النار ماءً لا زيتاً، لتنطفئ من أول وهلة، ادفع بالتي هي أحسن، وتصرف بالأجمل، واعمل الأفضل، وسوف تكون النتيجة محسومة لصالحك؛ لأن الله مع الصابرين، ويحب العافين عن الناس وينصر المظلومين، إننا إذا فتحنا سجل المشكلات وديوان الأزمات ودفتر العداوات، فسوف نحكم على أنفسنا بالإعدام، انغمس في عمل مثمر مفيد، يشغلك عن الترهات والسفاهات والحماقات.

إذا رفع سفيهٌ صوته بشتمك فقل له: سلام عليكم ما عندنا وقت، إذا نقل لك غبي تافه كلاماً قبيحاً من عدو فقل له: سلام عليكم ما سمعنا شيئاً، إذا تذكرت أنه ينقصك مال أو عندك أزمة أو عليك دين فتذكر النعم العظيمة والكنوز الكبيرة التي عندك من فضل الله من سمع وبصر وفؤاد وعافية وستر وأمن ودين وذرية وغير ذلك، لتجد أن الكفة تميل لصالحك، وأن المؤشر الأخضر يبشرك أن النتيجة تدل على أرباحك ونجاحك وفوزك، أفضل رد على النقّاد والحسّاد هي الأعمال الجليلة والصفات النبيلة والأخلاق الجميلة، أما المهاترات والسباب فهذا شأن كلاب الحارة، والله يقول في وصف النبلاء الأبرار: ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴾، ونعود إلى آية الله أبي الطيب المتنبي، ليقول لنا:

لو كلُّ كلب عوى ألقمته حجراً

لأصبح الصخرُ مثقالاً بدينارِ

فلو ذهبنا نرمي الكلاب إذا نبحتنا بحجارة، فسوف يرتفع سعر الحجارة ولا نستطيع شراءها، ويقول الشاعر سعد بن جدلان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (بالشعبي):

وانت لو حصّلت لك في الزمن وجهٍ غريبْ

مثلْ ما قال المثل: دام تمشي مشّها

الفارغون أكثر ضجيجاً

إذا مـرَّ القطـار وسمعت جلبة لإحدى عرباتـه فاعلم أنها فارغـة، وإذا سمعت تاجـراً يحرّج علـى بضاعته وينادي عليهـا فاعلم أنها كاسدة، فكل فـارغ من البشر والأشيـاء له جلبة وصوت وصراخ، أما العاملون المثابرون فهم في سكون ووقار؛ لأنهم مشغولون ببناء صروح المجد، وإقامة هياكل النجاح، إن سنبلة القمح الممتلئة خاشعة ساكنـة ثقيلة، أما الفارغة فإنهـا في مهب الريح لخفتها وطيشهـا، وفي الناس أناس فارغون مفلسون أصفار رسبوا في مدرسة الحياة، وأخفقوا في حقول المعرفة والإبداع والإنتاج، فاشتغلوا بتشويه أعمال الناجحين، فهم كالطفل الأرعن الذي أتى إلى لوحة رسّام هائمة بالحسن، ناطقة بالجمال، فشطب محاسنها، وأذهب روعتها.

وهـؤلاء الأغبيـاء الكسـالى التافهـون مشاريعهـم كلام، وحججهـم صراخ، وأدلتهم هذيان، لا تستطيع أن تطلق على أحدهم لقباً مميّزاً ولا وصفاً جميلاً، فليس بأديب ولا خطيب ولا كاتب ولا مهندس ولا تاجر، ولا يُذكر مع الموظفين الرواد، ولا مـع العلمـاء الأفـذاذ، ولا مع الصالحين الأبـرار، ولا مع الكرمـاء الأجواد، بل هو صفـر علـى يسار الرقم، يعيش بلا هدف، ويمضي بـلا تخطيط، ويسير بلا همة، ليس له أعمال تُنقد، فهو جالس على الأرض، والجالس على الأرض لا يسقط، لا يمُـدح بشيء؛ لأنه خال من الفضائل، ولا يُسب لأنه ليس له حسّاد، وفي كتب الأدب أن شابـاً خامـلاً فاشلاً قال لأبيه: يا أبي أنا لا يمدحنـي أحد، ولا يسبني أحد مثل فـلان، فمـا السبب؟ فقال أبوه: لأنك ثور في مسلاخ إنسـان، إن الفارغ البليد يجد لـذة في تحطيم أعمال الناس، ويحس بمتعة في تمريغ كرامة الرّواد؛ لأنه عجز عن مجاراتهـم، ففرح بتهميش إبداعهم، ولهذا تجد العامل المثابـر النشيط منغمسًا في إتقـان عمله وتجويد إنتاجه، ليس عنـده وقت لتشريح جثث الآخرين، ولا بعثرة قبورهـم، فهو منهمك في بناء مجده، ونسج ثياب فضله، إن النخلة باسقة الطول، دائمـة الخضرة، حلوة الطلع، كثيرة المنافع، ولهـذا إذا رماها سفيه بحجر عادت

عليه تمراً، أما الحنظلة فإنها عقيمة الثمر، مشئومة الطلع، مرة الطعم، لا منظر بهيج ولا ثمر نضيج، إن السيف يقص العظام وهو صامت، والطبل يملأ الفضاء وهو أجوف، إن علينا أن نصلح أنفسنا ونتقن أعمالنا، وليس علينا حساب الناس، والرقابة على أفكارهم، والحكم على ضمائرهم، الله يحاسبهم، والله وحده يعلم سرّهم وعلانيتهم، ولو كنا راشدين بدرجة كافية لما أصبح عندنا فراغ في الوقت نذهبه في كسر عظام الناس، ونشر غسيلهم، وتمزيق أكفانهم، التافهون وحدهم هم المشغلون بالناس: كالذباب يبحث عن الجرح، أما الخيّرون فأعمالهم الجليلة أشغلتهم عن توافه الأمور: كالنحل مشغول برحيق الزهر، يحوّله عسلاً فيه شفاء للناس، إن الخيول المضمرة عند السباق لا تنصت لأصوات الجمهور؛ لأنها لو فعلت ذلك لفشلت في سباقها وخسرت فوزها، اعمل واجتهد وأتقن، ولا تصغ لمثبّط أو حاسد أو فارغ.

هبطت بعوضة على نخلة، فلما أرادت أن تطير قالت للنخلة: تماسكي أيتها النخلة فأنا سوف أطير، فقالت النخلة للبعوضة: والله ما شعرت بك يوم وقعت فكيف أشعر بك إذا طرتِ؟! تدخل الشاحنات الكبرى عليها الحديد والجسور وقد كتبوا عليها عبارة: خطر ممنوع الاقتراب، فتبتعد التكاسي والسياكل ولسان حالها ينادي: ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَـٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾، الأسد لا يأكل الميتة، والنمر لا يهجم على المرأة لعزة النفس وكمال الهمة، أما الصراصير والجعلان فعملها في القمامة وإبداعها في الزبالة.

لا تكن (نصف ونصف)

أهلك العالم أربعة:

نصف حاكم ونصف فقيه ونصف نحوي ونصف طبيب، فنصف حاكم يفسد البلدان، ونصف عالم يفسد الأديان، ونصف نحوي يفسد اللسان، ونصف طبيب يفسد الأبدان، لأن نصف حاكم لا يملك الأهلية لإدارة الدولة: كمن عطل الشريعة وتلاعب بالقانون وألغى الدستور، وأصاب البلد كله بالشلل. ونصف عالم يفتي بالجهل أحياناً وبالظن أحياناً، فهو شاك في معلومته، ليس عنده جوابٌ كافٍ ولا دواء شافٍ لكل مسألة، فليس بعالم محقق يوثق بعلمه، وليس بجاهل حتى يرتاح منه. ونصف نحوي يفسد اللغة، فهو فصيح في كلمة، عامي في أخرى، لا هو بالذي تكلم بالبيان الناصع، ولا هو أراح وارتاح فتكلم بالعامية البسيطة. ونصف طبيب فتح عيادته لإمراض الناس وقتلهم بدوائه، وصرف السم في علاجه، فهو الذي أهلك الأرواح وفتك بالأجسام، والأمة تحتاج إلى أهل البراعة في كل تخصص، وهم الراسخون في فنونهم.

فالحاكم القوي العادل رحمة من الله على الأمة وبركة على البلاد، فبقوته وعدله تنفذ الأحكام، وتقام الحدود، وتؤمن السبل، ويقسم المال بالسوية، ويحمي الأوطان، ويدافع عن الكرامة، ويبني مجد الوطن. والعالم الراسخ المحقق حجة في فتواه، وقدوة في عمله، وإمام في إصلاحه، فهو مربي جيل وصاحب منهج، يحمل مشروع الإصلاح وروح التجديد. والنحوي المتمكن من فنه، يقيم اللغة، ويحافظ على لسان الأمة، ويرعى ثقافتها، ويصون هويتها. والطبيب الماهر الحاذق يشفي الله به المرضى، ويداوي به أهل السقم، وينقذ به الأرواح، ومشكلة الكثير في بلاد الإسلام من نصف حاكم ونصف عالم ونصف نحوي ونصف طبيب، ولهذا تجد العوج في باب السياسة، والخلل في المنهج العلمي، والاضطراب في اللغة، والضعف في الطب، وإلا كيف تفسر أن أمة المليار ونصف المليار لم تأخذ مكانها

الطبيعـي، ولا منزلتها اللائقة بها من السيـادة والريادة، وهي أكثر الأمم سكاناً، وأغزرهـا معرفة، وأعمقهـا تاريخاً، وأكبرها ثروة، وأوسعهـا مساحة، فأين ذهب السـكان والمعرفـة والتاريخ والثروة والمساحة، إن الذي أذهـب مقدرات هذه الأمة وجعلهـا في الصفوف الخلفية هم بعض الحكام والعلمـاء والنحاة والأطباء، وهم الذيـن يحملون أنصاف الأهلية، فعطلوا مشـروع النهضة، وطمسوا روح التجديد، ودمروا الثروة، وأوقفـوا مسيرة التنمية، فعاشت أوطانهم في إعاقة عقلية ونفسية وجسميـة، فبعض الدول الإسلامية لها مائتا سنـة وهي (تفحط) مكانها، وتراوح محلها، وجاءت بعدها اليابـان وألمانيا فسبقتها إلى الأمام ثلاثمائة سنة، واكتفت بعض الدول الإسلامية بالأهازيج الشعبية والأغاني الوطنية، ورفع أقواس النصر وصـور الزعيم الملهم القائـد الضرورة على المباني والجسـور والكباري والمدارس والجامعات والمقاصف والمطاعم والمقاهي والحانات.

الواجـب على الأمـة أن توقف نصف الحاكم ونصف العـالم ونصف النحوي ونصـف الطبيب عند حـده، ولا يسمح لهـم بممارسة تحويل الأمـة والأوطان إلى حقـول تجارب من الفشل والإحباط والضياع والإهمال، أكثر البلدان فقراً ومرضاً وجهـلاً وتخلفاً هي الدول الإسلامية؛ لأن الكثير منها نحى الشريعة جانباً، وأوقف عجلـة التقـدم، فلا حفظـوا الأديان، ولا صانـوا الإيمان، ولا طـوروا الأوطان، ولا أصلحوا البلدان، بل هم أهل هذيان وغثيان وخسران وخذلان.

إن علينـا أن نعيد فن التخصص في حياتنا، فمن توجه لباب فعليه أن يحكمه وأن يجيـد فيـه، وإلا فليتركه لغيره، الحاكـم إذا فسدت أهليتـه لا يصلح أن يقود الأمـة، والعالم إذا اختل منهجه وضعفت معرفتـه يلزم بيته، وصاحب اللغة إذا لم يتقن فنه ويحكم علمه يمنع من مزاولة التصنيف والتلفيق، والطبيب الهزيل الهش الغبي يحجر عليه، ويمنع من العبث بالأجسام واللعب بحياة الناس.

الحج خضوع وخشوع لا لعب ولا شغب

كتب الله الحج على عباده مرة في العمر للمستطيع، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾، وفي الحج من الحكم والأسرار والمقاصد ما يفوق الوصف، فهو مؤتمر عالمي يلتقي فيه ممثلو العالم الإسلامي بكل طبقاته وأعراقه وأجناسه وألوانه ولغاته، يعبدون رباً واحداً، ويعتنقون ديناً واحداً، ويتبعون رسولاً واحداً ويقفون على صعيد واحد.

فالطواف بالبيت: إعلان لقصد الباري وحده، والدوران حول بيته لقضاء الحاجات منه، وتفريج الكربات، وحل الأزمات، وتكفير السيئات، ورفع الدرجات. السعي بين الصفا والمروة: امتثال للأمر، واقتداء بالمرأة البارة الراشدة «هاجر زوجة إبراهيم عليه السلام». والوقوف بعرفة: إعلان التجرد والتوحيد والتضامن، فالحاج متجرد من ثيابه ومن حَوْله وقوته ومن أسرته وعشيرته، موحداً ربه، مخلصاً لمولاه، متبعاً رسوله ﷺ، متضامناً مع إخوانه، متآلفاً مع أبناء دينه. ورمي الجمرات: نبذ لمنهج الشيطان، وإعلان الحرب على إبليس وأعوانه، وإظهار البراءة من ضلاله ومن غيه، وتذكير النفس بعداوته وحربه وكيده ومكره. وحلق الرأس: استشعار الانتهاء من الماضي، وطرح السيئات، ووضع الخطايا، والابتعاد عن المخالفات، وتجديد السير مع الله، والبداية بتوبة نصوح. والذبح: امتثال للأمر، واقتداء بالنبي ﷺ، وفداء لإسماعيل، وتضحية بالغالي النفيس، وصدقة على الفقراء، وطهرة للنفس من الشح، وإظهار شعائر الاتباع والإذعان والعبودية.

فالحج يجمع كل العبادات من صلاة وتلاوة وذكر ودعاء وطواف وسعي ووقوف ورمي ونحر وحلق وإحرام، ثم إن فيه اتحاد كلمة الأمة، ووحدة صفها، ومدارسة شؤونها، ومعالجة قضاياها، وحل مشكلاتها وفيه من استشعار المساواة بين الملك والمملوك والغني والفقير والقوي والضعيف، فلا تمايز في اللباس أو في المكان أو في الزمان أو في أي عمل من الأعمال، بل إن إحرام الملك كإحرام أفقر فقير، ورمي الأمير كرمي المسكين، فكل الحجاج يقفون في صعيد واحد شعثاً غبراً، فقراء إلى الله، مساكين إلى رحمته، محتاجين إلى عونه، ذليلين تحت قدرته، خاضعين تحت

جبروته، خاشعين لكبريائه، متضرعين باكين نادمين، كلٌّ يدعو بطريقته ولهجته ولغته وحاجته، والله قد تجلى لهم في يوم عرفة، فيعلمُ حاجات الجميع مع تعدد اللغات واختلاف النغمات، وتباين اللهجات، وكثرة الطلبات، فيعطي الجميع، ويمنح الجميع، فيعافي المبتلى، ويشفي المريض، ويتوب على التائب، ويقبل المنيب، ويجبر الكسر، ويغفر الزلّة ويستر الخطيئة.

ثم إن في التجرد من اللباس والاغتسال والتطيب والإحرام تذكير بالموت والرحيل والكفن والدفن سواء بسواء، ليتذكر الإنسان قدومه على ربه، وذهابه إلى مولاه، وانتهاء الحياة، وإقبال الآخرة، وانصرام العمر، وتصرم الأيام، فيستعد بعمل صالح، ويتجهز بطاعات وعبادات، ويعزم على ترك المخالفات واجتناب المعصية، والحرص على تجديد التوبة، والجد في السير بزاد إلى يوم المعاد.

وفي الحج مِنْ ترك الأوطان، وفراق الأهل والجيران، والابتعاد عن الإخوان والخلان، والهجرة إلى الرحمن وإلى ديار الإيمان، ومهبط القرآن، ومولد سيد ولد عدنان، ما يثير في النفس من لواعج الشوق، وذكريات الحنين، وشجون المحبة، وأطياف اللوعة لمعاهد الرسالة، ومغاني النبوة، ومرابع التوحيد، فيزداد المؤمن إيماناً وانتساباً لهذا الدين، واشتياقاً لتعاليمه، وحنيناً للسلف الصالح، وحباً صادقاً للمرسل والرسول والرسالة، فيحصل تمام الإذعان والقبول والتسليم لله عز وجل، ويحصل كمال الاتباع والاقتداء برسول الهدى ﷺ، وتحصل غاية الانتماء والانتساب لدين الإسلام، الدين العظيم الخاتم، ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ حينها يكون الحج من أعظم الأعمال وأجل الطاعات، وأفضل القربات، حتى قال ﷺ: «**من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه**»، فهل بقي بعد هذا الثواب من ثواب، وفوق هذا الأجر من أجر، ذلك لمن صدق، واستحضر النية، وأحسن العمل، واجتنب المخالفة، وليس الحج مظاهرات، ولا احتجاجات، وإنما خضوع لرب الأرض والسموات، وتدبر للآيات، وتكفير للسيئات.

طهروا الصحافة من السخافة

واجب على رؤساء التحرير والصحف والمجلات والنشرات والدوريات والملاحق أن يكونوا أمناء أمام الله، ثم ضمائرهم، ثم أمتهم وتاريخهم عن كل ما يشرفون على كتابته، فإن البعض فتح الباب على مصراعيه لكل من أراد أن يجرّب حظه في الكتابة، أو يتعلم الصحافة، أو يتدرب على الثرثرة، فصارت بعض الصحف كالحراج، تُعرض فيه الخردة، والأواني المكسورة، والأدوات المستعملة المعدومة، وفتح المجال لطلبة محو الأمية وخريجي فك الحرف يتراشقون بالسخف، ويتطارحون بالتبذل والسطحية والهمجية والبلطجية، فأحدهم إذا أراد أن ينتقم من عدو له هجاه في الصحيفة بقصيدة، وإذا أراد أن يدوس حاسده حطمه بمقالة في الجريدة.

ووجد بعض مرضى النفوس مجالاً للانتقام من المجتمع والاقتصاص من الأمة؛ لأنهم يحملون غدداً سامة، وهم مصابون بأنفلونزا الخنازير، وقد سال صديد الكراهية وقيح الحقد من قلوبهم، فهم (زعلانين، طفشانين، زهقانين) من أنفسهم ومن الناس ومن الجامعة ومن الأسرة ومن الدولة ومن المجتمع ومن العالم. فلا يعجبهم شيء، ولا يرضون عن شيء، ويعترضون على كل شيء، ويتدخلون في كل شيء، مع سخافة الثقافة، وضحالة المعرفة، ويبس العاطفة، وجفاف المشاعر، ومرض النفس، وخمود الروح، وسقوط الهمة، فلا ينظرون إلى البياض بل إلى السواد، ولا يبصرون المناقب بل المثالب، ولا يشاهدون المحاسن بل المساوئ، ولا يرون الإيجابيات بل السلبيات: ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾.

لا يحبون الإشادة بالنجاح، ولا تزكية الفضلاء، ولا مدح النبلاء، ولا الثناء على الشرفاء، إنما يعجبهم الغيبة والنميمة والوقيعة والوشايات والشائعات والقيل والقال، وأحاديث آخر الليل، ومجالس السراديب ومقاهي الدهاليز وندوات الأبواب الخلفية، فهم كالخفافيش يحبون الظلام، ويعشقون التخفي والريبة والتستر وراء

الأسوار، ولا يعملون تحت الضوء لأنهم أعداء للحقيقة، خصوم للحجة، أدعياء على المعرفة، متسولون على أبواب العلم متطفلون على موائد المجد، مصابون بانفصام في الشخصية وانهزام في النفوس، فهم كالذباب لا يقع إلا على الجرح، ومهما عرضت على الذباب من أنواع الزهور والورود والخمائل والبساتين فإنه لا يحبها، ولا يقع عليها، ولا يرشف رحيقها، ولا يشم عبيرها، ولا يتمتع بجمالها، وإنما يبحث عن الجيفة، ويدور على المجزرة، ويحلّق على المزبلة، ويحوم على القمامة.

الواجب على الإنسان المثالي صاحب الضمير، والأمين على القلم والكلمة: أن يحمل المثُل العليا والمبادئ السامية والخُلُق النبيل، والروح الفاضلة، وأن يتكلم بحكمة وينطق بصواب، وأن يشيد بالنجاح، ويثني على الحسنات، ويتغافل عن الزلات، ويغض الطرف عن الهفوات، ما لم تصل إلى حق الديانة وحقوق الآخرين، أما جلد الناس، والتنقيب في دواوين أخطائهم، وتفتيش سجلات عثراتهم، فهو عمل استخباراتي تجسسي، وليس بمذهب علمي ولا معرفي، وكلما قرأتُ للعظماء وأساليب نقدهم وتوجيههم وتقويمهم انحط عندي قدر السفهاء، وهبطت لدي مراتب السخفاء (وبضدها تتميز الأشياءُ)، إن علينا جميعاً أن نغسل قلوبنا بماء العفو، ونطهرها بمطهر التسامح، ونعقمها بأكسيد الحلم، ونضمد جراح المرضى، وننشر ثقافة الحب والأمن والعفو والمصالحة مكان ثقافة الكراهية والقطيعة والهجر والتناحر والتدابر، قال تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ﴾.

إن القلب السليم والضمير الحي، واللسان العف، والهمة العالية، والنفس الشريفة، هي مؤهلات المجد، وأوسمة الشرف، وتيجان السيادة والريادة والقيادة، وقل للأوباش ﴿ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ ﴾، إن الشمس لا تُستر بالغربال، وإن القمر لا يُحجب بالبرقع، وإن السيل لا يُرد بالعباءة، وإن الريح لا يوقفها باب الكوخ، يقول نجم الدين الشافعي:

وكـــنــتُ أظـــنُّ أن الجـــنّ عـنـد

اســتراق الـســمع تُـرمـى بـالـنـجـومِ

فـلـمَّـا أن عــلــوتُ وصـــرتُ نجـماً

رُمـــيــتُ بـكـــلّ شــيـطـانٍ رجـيـمِ

وقـل للهمزة اللمزة ميت الضمير خـاوي الروح: مكانك في الخلف، ومنـزلتك أسفل، ومرتبتك تحت ﴿فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾.

obeikandl.com

مزّقتنا الطوائف والأحزاب والجماعات

من أعظم المصائب التي حلّت بالأمة الإسلامية مصيبة الفرقة والشتات والتمزق إلى أحزاب وجماعات وطوائف، والله عز وجل سمانا المسلمين، كما قال تعالى: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾، لكن الكثير منا لم يرضَ بهذه التسمية، فبدأ ينشئ له جماعة وطائفة وحزباً، ويعلّق لافتة تزيد في ضعفنا وهزيمتنا وفرقتنا، وقد ذم الله التفرق والاختلاف، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

لم يكن عند المسلمين اسم يجمعهم، ويُعرفون به إلا المسلمين، لم تكن هناك أسماء مصطنعة ومخترعة ومبتدعة، زادتنا وهناً وهزيمة وضعفاً وبغضاً وتناحراً وشقاقاً، كلما عنّت لأحدهم فكرة طائفة أو حزب أو جماعة أنشأ دكاناً صغيراً، وكتب عليه جماعة كذا وكذا، وكأن العناية الربانية والفتوحات الإلهية أرشدته لهذا الإنجاز، الذي اختصر فيه الإسلام إلى جماعة صغيرة، تدّعي أن على يديها إنقاذ الأمة وإسعاد البشرية، خذ مثلاً اسم ﴿حِزْبَ ٱللَّهِ﴾ هذا الاسم في القرآن لكل المسلمين، كما قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾، فأتى حزب صغير في دولة صغيرة في بقعة صغيرة، فاحتكر الاسم واختطفه وسمى نفسه به، وكأن المليار ونصف المليار مسلم لا يدخلون فيه، وتتابعت الفتوحات والتسميات واللافتات واليافطات، كل يمزق ويسمي، فمنهم من سمى جماعته جماعة الدعوة والتبليغ، وجماعة التحرير، وجماعة الجهاد، وجماعة التكفير والهجرة، وجماعة الإخوان المسلمين، وجماعة أنصار السنة، وجماعة أهل الحديث، وجمعية الحكمة، وجمعية الإصلاح، وجبهة الإنقاذ، والعدالة والتنمية، والسلم المدني، والجماعة الإسلامية، والقرآنيون، إلى آخر تلك القائمة، وأصبح لكلٍّ منهم منبر وإذاعة، وصحيفة ومجلة، وشاشة ومخيم، ومسجد ومدرسة، يربي أتباعه على الحزبية المقيتة والعصبية لجماعته، والنيل من الآخرين، والتحذير منهم،

والتنديد بهم، والتهوين من قدرهم، والحط من مكانتهم، فصارت الأمة الإسلامية شيعاً وأحزاباً وطوائف وجماعات، فذهبت هيبتها، وفُلّ حدها، وتمكن منها عدوها، وصرنا ضحكة في العالمين، حتى إننا لما سافرنا إلى أمريكا وأوربا وجدنا المساجد والمراكز الإسلامية موزعة مقسمة بينهم، وكل يرشق الآخر ويتهمه ويحذّر منه، وكل طائفة وجماعة أخذت من الإسلام جانباً واحداً، وركزت عليه وضخّمته، وانشغلت به عن جوانب الإسلام الأخرى، فالذين ينادون بالجهاد اختزلوا الإسلام في الجهاد فقط، وأهملوا فرائض وسنن وفضائل الإسلام، والذي اشتغل بالدعوة وتسمّى بها انهمك فيها ونسي حقول الإسلام الأخرى، والذي تولّه وتعلّق بالحاكمية انغمس فيها، واستمات من أجلها، حتى كأن الإسلام إنما أتى بالحاكمية فقط، وكأنها أعظم من التوحيد الخالص، والذي تشاغل بالخلافة والإعداد لها صارت هي قضيته، حتى أنسته كل قضية، وما كفانا هذا التمزق والتشتت والتناحر والتقاتل.

حتى أتى من المتأخرين من بدأ يُنشئ جماعات جديدة، فتكسرت فينا النصال على النصال وصرنا مضرب المثل في النزاع والفرقة والعداوة والتباغض، أين عقلاء الأمة؟ أين علماؤها؟ أين حكماؤها؟ أين مصلحوها؟ أين مفكروها من هذه الداهية الدهياء والمصيبة الماحقة الساحقة؟ لماذا لا نقوم قومة صادقة، ونجتمع على اسم (المسلمين) الاسم الشرعي المثبت في كتاب الله وسنة الرسول ﷺ؛ لأن الأمة بعد عصر الرسول ﷺ والصحابة تمزقت في المعتقد والمذهب الفقهي والفكري والدعوي والسياسي إلى طوائف وأحزاب وجماعات، فنشأت القدرية والجبرية والأشاعرة والماتريدية والمعتزلة والمعطلة والأحناف والمالكية والشافعية والحنابلة والظاهرية وأهل الحديث والزيدية والجارودية والإسماعلية والفاطمية، إلى آخر تلك الأسماء التي ما أنزل الله بها من سلطان، فأهل السنة سبعون جماعة، والشيعة سبعون طائفة، والصوفية سبعون طريقاً، والعجيب أن هذه الجماعات والطوائف تأخذ على الحكام العرب اغتصاب السلطة، والاستيلاء على الحكم مع الدوام حتى الموت، ونظام التوريث ورؤساء هذه الجماعات والطوائف يبقون في مناصبهم خمسين سنة ولا يستقيل أحدهم

حتى يموت، وتأكل الأرض منسأته، فلما خرَّ تبين أتباعه أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين.

فياحسرتاه كيف مزقتنا هذه المسميات، وحطّمت إرادتنا، وأذهبت قوتنا، وشتّتت شملنا، ويا ويلتاه أليس فينا رجل رشيد، وعالم سديد، ومجدد فريد، يعيد الأمة إلى اسمها الأول (المسلمين)، لنجتمع على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بلا بدع ولا انحراف ولا اختلاف؟ وهنا سوف تكون عزتنا ونصرنا وسعادتنا، أما وضعنا الراهن فوضع مؤسف يُرثى له، لا يفرح به إلا عدو، ولا يرضاه إلا شامت، ولا يؤيده إلا حاسد، فحسبنا الله ونعم الوكيل.

obeikandl.com

لماذا يهاجر العرب إلى الغرب؟

كان المفترض عقلاً ومنطقاً وشرعاً أن يهاجر الغرب إلى أرض العرب، لأنها أرض الرسالة المحمدية الخالدة، وبها مهبط الوحي وملتقى الحضارات، وأرض الآثار وبلاد السياحة ووسط الدنيا ومنبر الثقافات المتنوعة، لكن انقلبت الآية، فهاجر كثير من العرب إلى بلاد الغرب، فما دخلنا مدينة في أوربا وأمريكا إلا وجدنا الجالية العربية تملأ الجامعات والمدارس والمصانع والمساجد، منهم من هرب من القمع والجلد والتعذيب وتكميم الأفواه ومصادرة الحريات وآثار التعذيب في صدره وظهره. ومنهم من سافر لطلب الرزق بعد أن عضه الفقر ونهشه الجوع ودمّرته البطالة والعطالة. ومنهم من ارتحل لطلب المعرفة وترك بلاده التي تُصنف جامعاتها في آخر سلّم جامعات الدنيا. وهؤلاء العرب الذين شردوا من بلادهم كان الكثير منهم فقيراً أو أميّاً أو مدخولاً في عقله من آثار الكتب. فمنهم من وصل سالماً وكأنه خرج من الجحيم، ومنهم من غرق في البحر ليفر من نار تلظى، ومنهم من سلم نفسه لمراكز الشرطة والأمن في بلاد الغرب على مذهب قول الشاعر:

اقتلوني ومالكاً

واقتلوا مالكاً معي

وبعدما وصل هؤلاء العرب إلى الغرب تحولوا إلى مهندسين وأطباء وأساتذة وكتّاب ومفكرين؛ لأنه فتحت أمامهم أبواب المعرفة والعمل والإنتاج والإبداع والاكتشاف والاختراع، وبقي زملاؤهم في العالم العربي منهم من تقاعد وأصيب بالسكري وضغط الدم والهلوسة والهذيان والخرف، فصار أصلع مقعداً مهبولاً، ومن زملائهم من تحول إلى عمل خاص في رعي الغنم وتكسير الحطب والمشاركة في الرقصات الشعبية وتمجيد القبيلة والتنديد والوعيد للقبائل الأخرى، ومنهم من لزم بيته ينتظر الموت، وقد كتب وصيته وودع أهله، وهو يفكر في الآية: ﴿ قُلْ

﴿إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ﴾، دخلنـا مدينة (فورت كلنـز) ولاية كلورادو في أمريكا فاستضافنا رجل ليبي، أخذ اللجوء السياسي بعدما هرب مـن ليبيا شريـداً طريداً معذباً مبعداً مكبوتاً، فعمـل في الولاية ثم اشترى مزرعة استضافنا فيها، فيها أنـواع الشجر وصنوف الثمر، وعنده أبقار وأغنام، وقد بنى فيهـا فلة جميلـة مع الماء العذب والحدائق الغناء، فأكرمنـا أي إكرام، ووصف لنا حاله الأول في بلده وحاله الثاني، فأخذنا العجب، كيف يفر الإنسان من وطنه بعدما يُنكّل به ويُعذّب ويبهذل إلى دولة نشتمها صباح مساء، ويسميها بعضنا (الشيطان الأكبر)، ويدعو عليها خطباؤنا، ثم يتحول المسلم الفقير المطرود من أرضه المعذّب في وطنـه إلى غني يملك بيتـاً ومزرعة ووظيفة، ويعيش أرقى حياة، وأسعد حال في ولايـة أمريكية، لماذا لا نفكر نحن العـرب في مآسينا ومصائبنا، ونعترف أن كثيراً مـن دولنا ألغت الشريعة الإسلامية، ونحّت العـدل، وصادرت الحريات، واستولت علـى الحقـوق، وشطّبت على حرية الـرأي، وحوّلت البـلاد إلى سجن كبير، بينما الغـرب يناقشون أمورهم بهـدوء، ويحلّون أزماتهم بالحـوار، ويسوسون رعاياهم بالعدل، ولا يكفينا هذا، بل إن الكثير منا يتغنى بإنجازات وهمية ومشاريع شفوية، ليعيش أحلام اليقظة، ومهرجان ألف ليلـة وليلة؛ لأنه يعيش الوهم فيخدع نفسه، ويضحك على ذقنه، ويستهزئ بتاريخه، ويسخر من أمته.

قطعنـا آلاف الأميال في القطارات الأوربية والأمريكية فإذا الترتيب والنظام والنظافـة وحمايـة البيئة والذوق الراقـي واحترام الآخر مع اعـتـرافي بأن المادية الغربية قتلت الروح وحوّلت الإنسان إلى آلة مع قبائح كثيرة لهذه الحضارة المادية الغربيـة، لكـن إذا نظرت إليهم في عالم الدنيا ونظرت إلى بلاد العرب إلا ما رحم ربـك من بعض الأجزاء والمدن العربية وجـدت البون الشاسع، نقـرأ في شريعتنا الإسلاميـة النظـام والعـدل، وحسن الخلـق والدعوة للسـلام، وحقـوق الإنسان واحترام الآخـر، وعدم تجريح المشاعر، والاهتمام بالبيئة، وطلب المعرفة، والحث على العمل والإنتاج، ومحاربة الفقر والجهل والمرض والظلم، فنجد الغرب يطبقون

ذلك ونجد كثيراً من العرب يقولون ذلك، بألسنتهم، أما واقعهم فمرير، أرجو أن نكف عن لعنهم وشتمهم والدعاء عليهم ونشتغل بإصلاح أنفسنا وتحسين مستوانا والرقي بجامعاتنا، وتنظيف بيئتنا وعمارة أرضنا وتقويم عوجنا ومعالجة أخطائنا بعدها سوف يعود العرب إلى أرضهم، وربما هاجر الغرب إلى أرض العرب.

obeikandl.com

فن تصعيب دخول الجنة

فُتح على بعض الناس باب تصعيب دخول الجنة على عباد الله، فكأن مفاتيح الجنة في جيبه، يُدخل من يشاء ويمنع من يشاء، وكأن صكوك الغفران في يده، يرحم من يشاء ويعذب من يشاء، فإذا وجد العصاة بشرهم بالنار، وأقسم عليهم أن لا يدخلوا الجنة، وإذا ذُكر له الطائعون شكك في طاعتهم، وذكر عيوب أعمالهم، وإذا سمع نصوص الرحمة لم يمرها على ظاهرها، وإنما يؤولها حتى إني سمعت بعضهم يشرح أحاديث تكفير الذنوب، مثل قوله ﷺ: «**من قال: سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة. غُفرت ذنوبه وإن كانت كزبد البحر**»، فقال معلّقاً على الحديث: الحديث ليس على ظاهره، ولا تكفّر كل الذنوب ولا الكبائر، وهناك شروط في تكفير الذنوب لم تذكر في الحديث، وكأنه يرد على رسول الله ﷺ، ولما ذكر حديث «**من قال: لا إله إلا الله مخلصاً من قلبه دخل الجنة**»، قال معلّقاً: الحديث ليس على ظاهره، وهناك شروط وفرائض وموانع لابد من اجتماعها، حتى يُجرى الحديث على ظاهره، وقائل الحديث هو النبي المعصوم بأبي هو وأمي ﷺ أعرف الناس بمدلول اللغة، وأعلم الناس بمراد ربه عز وجل، وأتقى الناس وأخشاهم لمولاه تقدس اسمه.

وهكذا تستمر هذه الطائفة لتصعيب دخول الجنة، حتى لا يثق الطائع بطاعته، ولا يتوب العاصي من معصيته، فلا يذكّرونه بالتوبة ولا برحمة أرحم الراحمين، فإن جاء نص في الوعيد أجروه على ظاهره وزادوا عليه، كقوله ﷺ: «**لا يدخل الجنة نمام**» قالوا معنى الحديث: أن النمام خالد في النار، محرم عليه دخول الجنة، وهذا ليس مقصود الحديث، وإذا أتت بشرى بالمغفرة والرحمة في آية أو حديث غيّروا المعنى، وأفسدوا الفرحة بالبشرى، وهذا المسلك الخطير في تصعيب دخول الجنة، يورث اليأس والقنوط والإحباط عند كثير من الناس، حتى يقول بعضهم: ما دام أننا إذا تبنا لا يقبل منا، وأن أعمالنا الصالحة مدخولة بالرياء والسمعة، فما الفائدة من طاعتنا إذا كنا هالكين أصلاً.

وجدت شباباً محبطاً صعّب عليهم بعض الوعّاظ التوبة ودخول الجنة، فأصبحوا يرددون: ما الفائدة من دعائنا ومن صلاتنا، وقد تلوثنا بالخطيئة، وتلطخنا بالذنب، ووجدنا من أصابه الوسواس من كثرة خوفه، لأنه استمع إلى مواعظ قاتلة، وخطب تهديدية حماسية، تتوعد العصاة بنار تلظى، ولا تفتح لهم باب الأمل ولا الرجاء برحمة الله، والسؤال: من الذي رشح هذه الطائفة المتعنّة في الدين المتعنتة في الشريعة، لتحكم على الناس بدخول الجنة أو الحرمان بدخولها من الذي فوّضهم بتفريغ النصوص من محتواها، فنصوص الرحمة عندهم لها معنى آخر غير مراد من ظاهرها، ولها باب باطن تدل عليه نصوص أخرى، ونصوص العذاب والوعيد تُجرى على ظاهرها ويزاد عليها، ويُجمع معها نصوص أشد منها، فإذا ذكرتهم بالحديث الصحيح عند مسلم عن أبي ذر أن الرسول ﷺ قال له: «**بشرني جبريل أنه من مات من أمتك يشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله فهو من أهل الجنة**»، قال أبو ذر وإن زنا وإن سرق؟ قال ﷺ: «**وإن زنا وإن سرق**»، قال أبو ذر: وإن زنا وإن سرق؟ قال: «**وإن زنا وإن سرق**»، قال أبو ذر: وإن زنا وإن سرق؟ فقال ﷺ: «**وإن زنا وإن سرق على رغم أنف أبي ذر**»، فإذا سمعوا هذا الحديث جعلوا له تأويلاً يخالف ظاهره.

لماذا لا نكون مع نصوص الكتاب والسنة بين الخوف والرجاء؟ ولماذا لا نكون على ما قاله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه حيث قال: الفقيه كل الفقيه من لم يؤمّن الناس من مكر الله، ولم يقنّطهم من رحمة الله. وهذا هو منهج أهل العلم والإيمان، فإن الله جمع في كتابه بين الخوف منه والرجاء في رحمته، فقال: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾.

احذروا العباءة الفرنسية

انهمكنا في المسائل الفرعية عن المسائل الكبرى، وتشاغلنا بالجزئيات عن الكليات، وصار حديثنا وكتاباتنا وردودنا وجدلنا وصراخنا ونواحنا عن العباءة الفرنسية والاختلاط والخلوة وحكم الموسيقى والأخذ من اللحية والعدسات الملونة للمرأة وحكم صبغ الحواجب وغيرها من المسائل، وهذه مسائل لابد أن يبين حكمها الفقيه والعالم بقدرها وحجمها، لكن المشكلة في هذا السخط والاهتمام الكبير وانشغالنا بها عن أصول الديانة وقواعد الملة ومقاصد الشريعة وكبار المسائل في الحياة، تركنا تجميل صورة الإسلام للعالم، وأهملنا الدعوة إليه بالحكمة والموعظة الحسنة، ونسينا تزكية النفوس وتطهير الضمائر وتصحيح العقيدة وإصلاح الأخلاق وطلب العلم النافع وعمارة الأرض وحماية البيئة وامتثال سيرة الرسول ﷺ، وللأسف لا زلنا نتطاحن فيما بيننا بردود غاضبة مزعجة، ونفوس متشددة مع التهديد والوعيد، حول مسائل تغطية وجه المرأة، وكشف وجه المرأة وقيادة المرأة للسيارة، والاختلاط والخلوة، وأحكام غرفة النوم، حتى خشينا على أنفسنا أن نقع بسبب هذه المسائل في حرب أهلية.

فكتّاب في الصحف يصفون من خالفهم بالجمود والتزمت والتخلف والأفكار الرجعية والنَّفَس الخارجي والمنهج التكفيري، ودعاة يصفون هؤلاء الكتّاب بالزنادقة والمرتزقة والمرتدين والخارجين عن الإسلام والمحاربين لله ولرسوله، أعرف بعض الوعاظ انشغل في دروسه وكلماته بالعباءة الفرنسية وحكمها ولونها، وكيف تلبسها المرأة، وهل تضعها على كتفيها أم على رأسها، فهو مغرم بهذا الحديث، عاشق لهذه المسألة، لا يكاد يخلو حديثه من التنبيه عن حكم العباءة وأنواعها وأشكالها، والواجب على العالم والداعية أن يبين حكم كل مسألة على قدر حجمها ومساحتها، وقد جعل الله لكل شيء قدرا، لكن أن ينهمك مجتمعنا

وعلماؤنا ودعاتنا وكتّابنا في مسائل صغيرة، وتسمع لهم صجيجاً وضجيجاً ونواحاً وصراخاً مع السب والشتم للمخالف، فهذا ليس من الدين، إن طائفة من شباب المسلمين وقعوا أسرى للمخدرات، وطائفة صاروا رهائن للإرهاب، وطائفة للعطالة والبطالة، وطائفة للجهل، فأين الاهتمام بهؤلاء وتربيتهم ودعوتهم بالحسنى، وعندنا في العالم الإسلامي تخلف في التنمية والصناعة والزراعة والتكنولوجيا بأنواعها، بل وجدت كثيراً من المسلمين في الدول التي سافرنا إليها لا يصلون، بل منهم من لا يعرف العقيدة الصحيحة والتوحيد الخالص، فهم على القبور عاكفون، وعلى الأضرحة يطوفون، وعند المزارات ينوحون، ثم تجد أهل العلم والدعوة يؤلّفون ويحاضرون ويدرّسون في مسائل فرعية، لها حجمها الخاص بها، ولكنها أشغلتهم عن كبار المسائل، وهذا شأن عصر الانحطاط والهامشية والجمود والتقليد.

سافر العالم الآخر بالمركبات الفضائية إلى الكواكب السيّارة في الفضاء: كعطارد والمريخ، ووصلوا أعماق البحار، واستخرجوا كنوز الأرض، واستولوا على خيرات الدنيا، ونحن نصرخ في الفضائيات والدروس والمحاضرات عن العباءة الفرنسية، بالله هل انشغل عمر بن الخطاب وخالد بن الوليد وطارق بن زياد وصلاح الدين الأيوبي وعبدالرحمن الداخل وهم يفتحون الدنيا شرقاً وغرباً، ويؤسسون أعظم حضارة، وينشرون أفضل رسالة، هل انشغلوا بالجدل العقيم والاختلاف السقيم في مسائل فرعية وتركوا المقاصد الكبرى للإسلام؟! بل هبوا والله بعدما عرفوا الدين الصحيح والعقيدة السليمة، يدعون أهل الأرض لعبادة الواحد الأحد، ويزكون أخلاق الناس، ويطهرون ضمائرهم، ويصلحون مجتمعات المعمورة بالحكمة والعدل والمحبة والرحمة والسلام.

أما نحن فمع انحسارنا وتقهقرنا وما نعيشه من أميّة وجهل وبطالة وعطالة في العالم الإسلامي مع غبش في العقيدة عند الكثير وترك للصلاة ووقوع في الموبقات، ومع هذا تجدنا نشبنا وغرّزنا وغصنا في دقائق المسائل، نتناقش ونتهاجر ونتقاطع بسبب هذه المسائل، ولهذا لا نستحق في هذه المرحلة قيادة العالم، ولا

تصـدر البشرية، ولا أخذ زمام المبادرة في إصلاح الناس وصناعة القرار الدولي، ولـن تعود لنا الخيرية حتى نعود كما كان أولنا في فهم الإسلام الصحيح، وإعطاء كل مسألـة حجمها، وكل قضية حقهـا: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾.

obeikandl.com

من هو المعاق حقيقة؟

يظن كثير من الناس أن المعاق حقيقة هو من فقد الأهلية على الحياة الطبيعية من ذوي الاحتياجات الخاصة، وهذه الطائفة ممن أصيب بعاهة ذهنية أو فكرية أو نفسية مأجورون في الإسلام، لهم منزلتهم من الاحتفاء والاعتناء، لكن المعاق حقيقة هو من عطّل عقله، وجمّد حواسه، وأمات مشاعره، فعاش ثوراً في مسلاخ إنسان، وتحول إلى بهيمة في صورة ابن آدم، ومُسخ إلى دابة في هيئة بشر، ولهذا قال الله تعالى عن هذا الصنف: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾.

فمن لم يفكر بعقله التفكير الصحيح، ولم يعتقد بقلبه الاعتقاد السليم، ومن لم ينهج النهج القويم، ويسلك الصراط المستقيم فهو معاق حقيقة، أما من أصيب بعاهة في جسمه فقد تكون هذه العاهة سبباً لعظمته ونجاحه وتفوقه، وقد طالعتُ حياة المشاهير والنجوم في العالم، وإذا طائفة منهم أصيبوا بعاهات في أبدانهم، فابن عباس عالم الأمة عمي في آخر عمره، وقتادة أعمى، وعطاء بن أبي رباح عالم الدنيا أشل أحنف أعرج، والزمخشري مبتور الرجل، وروزفلت مقعد، وبتهوفن أصم، وغيرهم كثير من العمي والعرج والخرس والبكم والمقعدين، ومع هذا ملأوا الدنيا نجاحاً ومجداً وأثراً طيباً، وعندنا ألوف مألفة من الشباب القوي المتين الثخين السمين البدين، إلى درجة أن أحدهم قد يصارع الثور، ويطرح البغل، ويقلب الحمار على ظهره، ولكنه فاشل في الحياة، فلا علم ولا فهم، ولا إيمان راسخ، ولا خُلق قويم، ولا مشاركة في الحياة، ولا نفع يُرجى منه، كما قال حسان بن ثابت في بعض الناس:

لا بأسَ بِالقَومِ مِن طولٍ ومِن عِظَمٍ
جِسمُ البِغالِ وَأَحلامُ العَصافيرِ

وقد ذم الله أعداء المنافقين على رغم قوة أجسامهم وفصاحتهم لكن لخبث سيرتهم وقبيح سريرتهم قال عنهم: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُواْ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾، نحن نحتاج إلى عقول ذكية وأفكار سوية وأخلاق راشدة وهمم عالية، أما الجثث الهامدة والأجسام البالية التي لا روح فيها ولا نور ولا مشاعر فهي العبء الثقيل، والعذاب الوبيل على الناس وعلى الحياة، وقد وجدنا من ذوي الاحتياجات الخاصة من صار قصة في النجاح، ومثلاً شروداً في الإبداع فمنهم من حصل على رغم شلله على درجة الدكتوراه، ومنهم من ألّف الكتب وهو مقعد، ومنهم من ساهم في مشروع نافع مفيد وهو فاقد لبعض أعضائه، وقد خصصت قناة اقرأ برنامجاً عن ذوي الاحتياجات الخاصة داخلنا فيه الأمير الإنسان سلطان بن سلمان فسمعنا من قصص النجاح ومن فتح باب الأمل ومن المبشرات لهذه الطائفة من الناس ما أثلج الصدور وصارت المحنة منحة والبلية عطية وتذكرنا قول أبي الطيب:

لَعَلَّ عَتبَكَ مَحمودٌ عَواقِبُهُ
فَرُبَّما صَحَّتِ الأَجسامُ بِالعِلَلِ

وقال أبو تمام:

قَد يُنعِمُ اللهُ بِالبَلوى وَإِن عَظُمَت
وَيَبتَلي اللهُ بَعضَ القَومِ بِالنِعَمِ

هنيئاً للمصابين في أجسامهم المعافين في عقولهم وإيمانهم، وطوبى لمن صنع من الليمون شراباً حلواً، وسلامٌ على من حوّل الخسائر إلى أرباح فلم تعطله آفة، ولم تقعده عاهة عن المواصلة والعمل والإنتاج والإبداع، وتباً لمن عطّل مواهب الله عليه فعاش صفراً ومات صفراً ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾، أيها الأخوة الفضلاء والأخوات الفاضلات من ذوي الاحتياجات الخاصة ليس عندكم إعاقة، المعاق حقيقة هو الفاشل والمحبط والكسلان الذي عاش بلا رسالة ولا هدف في الحياة وإنما صار لفظاً زائداً وجملة غير مفيدة في كتاب الحياة.

لا تهددوا العالم

عند كثير من المسلمين قدرة عجيبة في استعداء العالم، وتحويل الأصدقاء إلى أعداء، فتجد مثلاً الخطاب السياسي في بعض الدول العربية والإسلامية يحمل التهديد والوعيد للدول الكبرى، بينما هذه الدول الضعيفة المسكينة عاجزة عن توفير الخبز والبنزين ومحو الأمية عن شعوبها، وسمعت في قناة العربية مفكراً إيرانياً إصلاحياً يسخر من نظام بلاده، ويقول: ما أدري إلى أين تنتهي بنا قائمة الموت؟ فقد بدأ النظام بهتاف: الموت لأمريكا، ثم أضاف الموت لإسرائيل، ثم شك في بريطانيا فأضاف: الموت لبريطانيا، ولما تدخلت صحفية فرنسية في تغطية أخبار المظاهرات بإيران، أضافوا: الموت لفرنسا، وإذا لم تتخذ روسيا قرار النقض (الفيتو) ضد العقوبات على إيران فسوف يضيفون: الموت لروسيا، وربما يدخل في القائمة غداً الصومال وبركينفاسو وغانا لحسن علاقاتها بأمريكا، وفي الأخير سوف يقولون: الموت للعالم.

بالله هل هذه العقول تحترم نفسها، وهي ترفع شعار الإسلام؟! والإسلام يدعوك لتحويل العدو إلى صديق، لا تحويل الصديق إلى عدو، قال تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾، وقال تعالى: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً﴾، وبعض الأئمة يدعو في القنوت: اللهم اهلك اليهود ومن هاودهم، والنصارى ومن ناصرهم، والمجوس ومن ماجسهم، والبوذيين ومن باوذهم، والصينيين ومن صاينهم، ثم تضيق دائرة الدعاء فيدعو على الأحزاب المخالفة والفرق الضالة والطوائف المبتدعة، فلا يبقى إلا أهل حارته، بل وصل الحال ببعض الأئمة على أن دعا بضرب اقتصاد الغرب وبالأمراض عليهم، مع العلم أننا سوف نتضرر بما يحل بهم، فاقتصادنا واحد والأمراض والأوبئة سوف تصلنا، لأننا نعيش في كوكب واحد، والبعض يعمم الدعاء على الكفار، سواء المعتدين أو غيرهم، مع العلم أن الذي صنع الميكروفون في المسجد،

واكتشف الكهرباء، ونقّب عن الغاز، واخترع التلفزيون والراديو والنت كلهم كفار، وكثير منهم لم يحاربنا، لأنه مشغول باكتشافاته واختراعاته، وهو قابع في معمله، مكب على بحوثه، ونحن مشغولون بالدبكة السامرية، والعرضة الشعبية.

لماذا يحرص بعضنا على استعداء العالم، وتهديد الدنيا، والدعاء بالويل والثبور للمعمورة، ما هي المصلحة من تنبيه الغافل، وإيقاظ النائم، وتوجيه الأنظار إلى أننا قادمون ومستعدون، لمحاربة العالم؟ هل هذا منهج الإسلام؟ هل هذا منطق الدين؟ هل هذا من العقل؟ أم هو الحمق بعينه، والغباء بأصله، إننا بحاجة لطمأنة العالم وزيادة الأصدقاء وتحييد الخصوم؛ لأن رسالتنا رسالة عالمية فيها الرحمة والسلام والأمن، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾. بعض الزعماء إذا خطب في الجماهير الجائعة المسحوقة المسلوبة الإرادة لبس الزي العسكري، وهو لم ينتصر في أي معركة، وعلّق النياشين على صدره، والنجوم على أكتافه، وتاج الاستقلال على رأسه، وهو الذي استعمر بلاده، ثم ألقى خطبة نارية، توعد فيها الدول الكبرى بالنار والدمار، وبلده يعيش أزمة الغلاء والوباء، ولم يذق طعماً للنصر، بل هو مهزوم في الدنيا والآخرة.

أيها المسلمون علماء وخطباء وساسة ومثقفون وكتّاب قدموا خطاباً عاقلاً راشداً مسئولاً، يحمل الرفق واللين والرحمة بالبشر، وكفانا هزائم وشعارات خدّاعة، وإنجازات وهمية، وأفكار طائشة، لا تناسب إلا المرضى نفسياً، والمراهقين عقلياً، والمهزومين روحياً.

إن شريعتنا تدعونا إلى التواصل بالبر لغير المسلمين إذا لم يقاتلوننا، قال تعالى: ﴿ لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴾، فكيف يأتي بعضنا بطيش وحماقة ليستعدي العالم المسالم، ويهدد أمم الأرض، وهو عاجز عن العيش بسلام في أرضه؟

مناهج بلا سخف

شاهدتُ قناة العربية الأربعاء الماضي عصراً، وهي تخبر عن أسئلة سخيفة، قدّمها بعض الأستاذة في المدينة المنورة لطلابهم في الامتحان، فحمدت الله على نعمة العقل، وكان يسألهم في الامتحان عن أسماء اللاعبين والنادي الزعيم وألوان الأندية إلى غير ذلك من الكلام الفارغ، وبالله عليكم هل هذا الأستاذ مؤهل لتوجيه جيل، وتربية شباب، وحمل أمانة، وتقويم أخلاق، وتصحيح أفكار؟ وانظر إليه حينما ترك مادته، التي يجب أن يقتلها بحثاً وتدريساً وتفهيماً، وقفز إلى ألوان الفنايل وأشكال السراويل وأسماء اللاعبين، وكأن الإعلام قصّر في عرض المباراة، ونشر الثقافة الرياضية، وتعليم العجائز بأسماء اللاعبين، وتحفيظ الشيبان أسماء الأندية.

وهناك سخف في المنهاج كإشغال الطلاب بالآراء المذهبية المقلدة المتعصبة، وهجر التفقه في الكتاب والسنة والاستنباط من الأدلة، ومثل عرض نقائض جرير والفرزدق في الأدب العربي وتدريسها الطلاب، على أنها من تراثنا وهي سب وشتم وفحش وقذف، ومن السخف تدريس الطلاب الجوانب المظلمة في تاريخنا الإسلامي، مثل خمريات أبي نواس، وإلحاديات أبي العلاء المعري وأبي حيان التوحيدي وابن الريوندي، ومن السخف إشغال الطلاب بأخبار مغنّي هارون الرشيد، وجواري الأمين، وحكايات الأعراب، ودقائق وتفاصيل أصول بني أمية وبني العباس وأخبار الشعراء المرتزقة، الذين ينتظر أحدهم صرخة الخليفة: أعطه يا غلام ألف دينار. بعدما يسكر الخليفة بخمر المديح.

ومن السخف في المناهج وقدر درسنا ذلك في المتوسط والإعدادي إرهاق أذهان الطلاب بالصادرات والواردات في دول فقيرة لا تُرى بالعين المجردة على الخارطة كمدغشقر وبوركينافاسو وداهومي (بنين) وموزنبيق، وتحفيظ الطلاب

المطاط والأناناس والكاكاو والنحاس ونسبة كل مادة لدولة من هذه الدول، مع هجر أصول المعرفة، وسنن الله في الكون، وأصول الحضارة، وسبل التقدم والرقي، ومن السخف إدخال الطلاب في متاهات التاريخ المعاصر ودقائقه، مع هجر قضاياه الكبرى، فهم يدرسون الطلاب انقلاباً وقع في دولة، وعسكرياً اغتصب السلطة مع العلم أن هذه الحوادث تجري كل يوم، بل وصلت الثقافة في بعض المناهج إلى دراسة الأزياء والأكلات الشعبية وأنواع الرقصات القبيلة وفنون الأهازيج الحمينية وأغاني رعاة الأغنام، ومن السخف دراسة طلاب المتوسطة في المعاهد الشرعية لدقائق الجبر والهندسة والحساب، ثم لا يجيدونها ولا يفهمون الدروس الأصلية، التي أُسست المعاهد من أجلها: كالعقيدة والتفسير والحديث والفقه.

ومن السخف إشغال الطلاب في السنوات الأولى من دراستهم بأسماء الفرق والطوائف كالقدرية والجبرية والجهمية والمعتزلة ونحوها مع عدم دراسة العقيدة الصحيحة باستفاضه وفهم عميق، ومن السخف خروج الأستاذ عن مادته خاصة إذا كانت مهمة إلى مادة ثانوية، ويوم درسنا الابتدائية كان يخرجنا بعض الأساتذة ممن ساهموا في نكسة حزيران من حصة القرآن إلى حصة الرياضة، وكأن التمارين أهم من كلام رب العالمين، ينبغي أن نرفع مستوى مناهجنا عن السخف والابتذال، ونحافظ على الثوابت العظيمة، مع معطيات العصر الكريمة، والاستفادة من العقول السليمة، والآراء القويمة، ينبغي أن ننافس العالم بمناهج تعيش حياتنا وتحمل رسالتنا وتراعي هويتنا؛ لنصل بها إلى المجد في الدنيا والفلاح في الآخرة، وينبغي أن يعلم كل أستاذ أنه مسؤول أمام الله ثم أمته وتاريخه عن أبناء المسلمين وفلذات أكباد المؤمنين، الذين يجلسون أمامه خاشعين منصتين، والمناهج الدراسية هي المرآة، التي تريك مستوى رقي الشعوب وتقدم الأمم وازدهار الدول.

وأخيراً شاهدتُ فرعون

قبل أيام معدودات زرت المتحف الوطني بالقاهرة، وشاهدت المدعو فرعون الذي تجبر وتكبر وعصا وعتا، وتمرد وطغى، وصاح في شعبه: ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ ونادى في الجمهور ﴿مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾، ورأيت جثته الهامدة وجثمانه البالي، وتذكرت قول الواحد القهار فيه ﴿فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗ﴾، ودارت في ذهني مأساة الإنسان يوم ينسى ربه، ويظلم نفسه، ويتجاوز حدوده، ويتعدى طوره، كيف يكون مصرعه، وكيف تتم نهايته؟ رأيت فرعون بهيكله العظمي، ووجهه الكالح، وأسنانه الظاهرة، وجمجمته المهشمة وحيداً منفرداً صفراً من كل شيء، مجرداً من كل قوة، مسلوباً من كل نعمة، معروضاً لعيون الناس بتاريخه وسيرته وجثمانه، رأيته في صندوق زجاجي بلا دولة ولا سلطان، ولا قوة ولا هيلمان، ولا سلطة ولا صولجان، ولا جنود ولا أعوان.

كان يقول له موسى: قل لا إله إلا الله، فيقول الخسيس الحقير: أنا الله، كان يقول له موسى: ربي وربك الواحد الأحد جل في علاه، فيقول: ﴿مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾، ملك الغبي الأحمق قطعة من الأرض فاستبد، وقال: ﴿أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓ﴾، فأجرى الله الأنهار من فوق رأسه، تذكرت فرعون وهو يغرق في الماء، ثم يُرمى في البيداء، كما تُرمى الضفدع الميتة، أما فكر المعتوه في الكون، أما نظر في السموات والأرض، أما شاهد الأفلاك والكواكب، أما نظر إلى الشمس والقمر، أما قرأ القدرة في النجوم اللامعة، والجبال الشاهقة، والبحار الهاجرة، والريح الهائجة، والأنهار المتدفقة، والثمار اليانعة؟ ما له قاتله الله ألغى عقله، وشطّب على ضميره، وداس بقدمه تفكيره، لماذا لم يقف وقفة تأمل مع نفسه، ليعلم أنه لا يصلح رباً ولا يكون إلهاً أبداً؛ لأن الرب سبحانه حي لا يموت، دائم لا يفنى، غني لا يفتقر، قوي لا يضعف، لا ينام.

ولا يـأكل الطعام، ولا يحتـاج للأنام، ولا تغيره الأيام، أما فرعون فمخلوق ضعيف، يمـوت كما يموت الناس، ويجوع كما تجوع البهائم، وينعس كما ينعس القط، وينام كمـا ينام الفـأر، ويأكل الطعام ويذهب إلى الخلاء، فـإن كان فرعون خلق الكون، فكيـف يخلقه والكون مخلوق قبله بملايين السنـين؟ وإن كان هو رفع السماء فأين قوته لم تحمه من هيجان الماء، تبت يد الطاغية كيف ارتكب تبت الكبرى وصدقها، وهو أنه صنع الكون وهندسه، وأنه خلق الكائنات، وملك الأرض والسموات، سحقاً له، كيف أخرج للعالم مسرحية عابثة هزيلة سخيفة، خلاصتها: أنه يجب أن يُعبد من دون اللّه، أيعبد إنسان! إنما هو قطعة لحم وهيكل عظم يغص باللقمة، ويشرق بالشربة، ويضيق بالزكام، ويحتاج إلى الطعام، ويغيبه المنام، ويقلقه الحر، ويؤذيه الـبرد، وينهشـه الجوع، ويزعجه الظمأ، ويوهنه المرض، كيـف يكون إلهاً مَنّ أوله نطفـة مذرة، وهو يحمـل في بطنه العذرة، وينتهي إلى جيفة قذرة؟! كيف يكون رباً مـن يبكي ويحزن ويهتم ويتثـاءب ويعطس ويغفل وينسى ويغضـب ويحقد ويحسد ويمتخـط ويبول ويتغوّط ويجامع، إن هذا إنسان مخلـوق ضعيف هزيل هش بائس فقـير، وليس بإلـه قوي غني قاهر حي قيوم فعال لما يريـد، أحد صمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد.

شاهـدت فرعون فصاح قلبي: لا إله إلا اللّه، البقاء للّه، العظمة للّه، الكبرياء للّه، الملكـوت والجبروت للّه، ونظـرت في وجه فرعون الكالح، وقال قلبي: تباً لك يا مريد، وسحقاً لك يا عنيد، ولعنة عليك يا بليد، ذق نهايتك المرة، وتجرع غصص الحسرة، وكـن عبرة وأي عبرة، لقد جئنا بعدك يا فرعون بآلاف السنين، وعرفنا أن اللّه هـو رب العالمـين، وإله الأولـين والآخرين، أما أنت فصفـر في هذا الكون، ومخلـوق غير سـوي في هذا الوجود، نقرأ سيرتك فنـزداد غيظاً عليك، ونبرأ إلى اللّه منـك ومـن منهجك، ونعوذ باللّه مـن مصير كمصـيرك، ونستجير باللّه من نهاية كنهايتك، والويل كل الويل لمن قلّد فرعون، أو نهج نهجه، أو رضي أفعاله.

عندنا مرض اسمه (ضيق الأفق)

متى نصحوا؟ متى نتجرد للحقيقة؟ متى نكون صرحاء مع أنفسنا والناس؟ متى نواجه مشكلاتنا بشجاعة؟ ما زلنا نضيق بالنقد، ونعشق المدح، ونطرب للثناء، ونخفي جراحنا، وندفن أخطاءنا، ونرفض الاعتراف بمآسينا، مثقفونا يتراشقون بالتهم، الإداريون يلقون مسؤولية الكوارث على الطبيعة والأمطار والرياح والجبال والأودية، وليس فيهم من يعترف بخطئه، بل يقذف بالكرة في مرمى الآخرين، ويبحث عن ضحية يشنقه أمام الجمهور، العالم الآخر يناقش قضاياه تحت قبة البرلمان، ورئيس أكبر دولة في العالم يقول لشعبه: آسف آسف، ما نفعت فينا الشريعة ولا أي ثقافة، أزور المشايخ فإذا الكل معجب بنفسه ويمدح ذاته، أجلس مع التجار فإذا كلهم يرون أنهم هبة من الله للأمة، وأجلس مع القبائل فإذا كل قبيلة تغني بأشعار الشجاعة والتضحية، ومقصودهم حروب السلب والنهب قبل توحيد السعودية على يد قائد الثورة عبدالعزيز بن عبدالرحمن.

الأدباء عندنا والكتّاب في أبراج عاجية، رضينا كلنا عن أنفسنا، الكل منا أخذ مقلباً في نفسه، تدخل على الموظف تريد أن تجامله بعبارة، وتجبر خاطره بكلمتين، فيأخذ الحديث عنك، ويلقي عليك محاضرة طويلة ثقيلة وبيلة عن إنجازاته الشفوية ومشاريعه الوهمية، أغلب المشايخ يشكون لك من تنكر الناس لهم، وعدم معرفة العامة بمنزلة أهل الفضل، ويقصدون أنفسهم وبمكانة أهل العلم ويعني ذاته، ليس فينا واحدٌ يعلن مسؤوليته عن خطأ وقع أو خلل حدث، فالإعلام في العالم العربي مهمته الإنكار والتبرير والتغني بالمنجزات، التي حسدنا عليها (المجلس الأوروبي)، واندهل منها (الكونجرس)، واندهش منها (الكرملن)، وعجب منها (النمور الآسيوية)، عندنا حساسية من النقد نرفضه ولا نقبله، ومن نقدنا فهو عدونا، ونهش للمديح، ونسكر بالثناء، ونخدر بالإطراء، فمن شكرنا وتغنى بأمجادنا فهو حبيبنا، العامة يغردون بمجد القبيلة، ويتغنون

بأمجاد الأجداد بين الخيمة والناقة والثور والبئر، والكتّاب في الغالب يتحرشون برموز المجتمع من مسؤول أو عالم أو وزير أو مثقف لأن مجدهم في إلقاء التهم وصلب المخالف على خشبة الموت.

أقول هذا ليس من باب جلد الذات لكنها الحقيقة، فقد خالطتُ كل الشرائح في المجتمع وجالستهم، وأنا واحد منهم أصابني نفس الداء الذي أصابهم، نحب تقبيل الرؤوس وبوس الخشوم وكلمة الإطراء، ونغضب إذا جُردت أسماؤنا بلا ألقاب، كان الصحابة يقولون للخليفة مباشرة بشفافية وصراحة: يا أبا بكر، يا عمر، يا عثمان، يا علي، وكذلك فعل العالم الآخر ينادون رموزهم بالأسماء المجردة، لكن عندنا لك الويل يوم تجرد أحداً من ألقابه العلمية والتراثية، نحن نستر الجرح ولا نعالجه، ونخفي الخلل ولا نصلحه، وندفن الخطأ ولا نواجهه، ما سمعت أحداً منا اعتذر يوماً ما أو قال: أنا المسؤول عما حصل، ولهذا سوف تستمر أخطاؤنا، لأن أول الإصلاح الاعتراف بالخطأ، نحن نعيش على معزوفة الشاعر جرير بن عطية حيث يقول لعبدالملك بن مروان:

ألستم خيرَ من ركبَ المطايا

وأندى العالمين بطونَ راحِ

فنحن خير من ركب المطايا، وشرب المنايا، وحفظ الحكايا، وجلس في الزوايا، أما غيرنا فلا يَغرُك ولو صعدوا إلى سطح القمر، أو وصلوا المريخ، أو غزوا قاع البحار، أو عمّروا حياتهم الدنيا، فهم طروش بحر ليسوا مثلنا في الأصالة والبسالة، لأننا حافظنا على تراثنا القديم من الرحى والرشى وجفنة العود والفأس وقدح الخشب وحبال السلب، فما شاء الله تبارك الله علينا، الله يحمينا من العيون، الله يحصننا من الحسد، الله يدافع عنا من كيد العالم، سوف نستمر في الدعاء على الأمريكان والأوروبيين واليابانيين والصينيين والكوريين، لأنهم يتربصون بنا الدوائر غيرة وحسداً.

نشرة الأخبار

كنتُ في صبابي أعيشُ في قرية جميلة جنوب السعودية، تنام هذه القرية في سفح جبل أخضر، وكنتُ أستمع لهيئة الإذاعة البريطانية (B.B.C) صباح مساء، فكان يتردد على مسمعي أسماء: ماجد سرحان، وهدى رشيد المدفعي، وحسن الكرمي في برنامج (قول على قول)، الذي كنتُ أسجله، وأحفظ أكثر أبياته. والسياسة بين السائل والمجيب، وسماع أقوال القاردن والصندي تايمز والديلي مرر، وغيرها من الصحف البريطانية، فكانت مدرسة إعلامية رائعة، فلما كبرنا ودلفت الفضائيات أمطرنا في العالم العربي بنشرة الأخبار الطويلة الثقيلة، التي تحمل فصولاً وأبواباً، فيبدأ المذيع بالأخبار السياسية، منذ وصول الضيف إلى أرض المطار، وفتح باب الطائرة، والنزول من السلم، وعزف السلامين الوطنيين، واستعراض حرس الشرف، وتناول القهوة العربية، وأحياناً (النسكافا)، وفي المغرب العربي الشاهي الأخضر، ثم مرافقة الضيف إلى المكان المعد.

ثم الأخبار المحلية: كافتتاح مدرسة ابتدائية ليلية لمحو الأمية، وذكر فقرات الحفل والقصائد، التي أُلقيت بهذه المناسبة العالمية، وافتتاح سوق الخضرة في قرية، وترميم مستوصف أهلي بالبادية، ثم أخبار الرياضة، وخروج المنتخب مبكراً من أرض الملعب مهزوماً ثمانية صفر، لرداءة الجو وهطول الأمطار، ثم سباق الخيل والهجن والمزايين، ثم حالة الطقس وحالة البحر والريح والجبال والسهول والوديان، وطلوع الشمس وكسوفها، وخسوف القمر، ويُروى أن مذيعاً ضيّع ورقة حالة البحر، فارتجل من رأسه غيباً، وقال: البحر هائق ومائق، ويطيش على الناس، أي هائج ومائج، ومذيع آخر كانت دولته في حالة حرب، فترك النص أمام عينيه، وارتجل من الحماس، وقال: زمرة التشطير والانفصال، قاتلهم الله أنَّى يُؤفكون، ومذيع آخر توفي ابن رئيس دولته في حادث سير، فبكى المذيع في الأخبار، وأخذ يقول: إلى جنة الخلد أيها الفقيد الشهيد، والمذيع العربي هو الوحيد

الذي لا يستطيع الحياد، حينما يقرأ الأخبار، بل تغلبه عواطفه، فتجده إذا خُفض سعر الغاز في بلده تهلل وجهه وتبسم، وغمرته الفرحة، وإذا مات مدير مدرسة متقاعد بكى وغلبته دموعه، ونشرة الأخبار غالباً تأتي بعد تناول طعام العشاء، فتجد بعض المذيعين يتجشأ وهو يقرأ الخبر، ويقول: عفواً عفواً، وبعضهم يشير بيديه، وهو يقرأ الأخبار من شدة الحماس والانفعال كأنه يلقي قصيدة في سوق عكاظ، ويُروى أن أحد المذيعين فاتته الصيدلية المناوبة تلك الليلة، فقال مرتجلاً: صيدلية العيدروس خلف الدوار العام أمام الجامع الكبير، ونشرة الأخبار في العالم العربي أطول نشرة في العالم، مع العلم أنها في العالم الغربي بلد الصناعة والإنتاج لا تأخذ إلا دقائق معدودة.

وأنا اقترح أن توزع نشرة الأخبار على سائر اليوم، حتى يخف على المشاهد متابعتها، ولا يضيق صدره وتنطمس بصيرته من طولها، فحبذا أن تكون نشرة الأخبار السياسية بعد الظهر إلى قبيل العصر؛ ليتمكن الناس من الغداء والقيلولة وبعد العصر الأخبار المحلية، أما أخبار الرياضة فبعد صلاة المغرب وبعد العشاء حالة الطقس، ثم يُترك الناس لتناول طعام العشاء، ثم نشرة الصيدليات المناوبة، وبهذا يأخذ المتلقي الكريم الأخبار على دفعات، ويتناولها على جرعات ﴿يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأۡتِيهِ ٱلۡمَوۡتُ مِن كُلِّ مَكَانٖ﴾ وإذا لم يُعمل بهذا الرأي فسوف تبقى التلفزيونات المحلية كما هو الحال مهجورةً لا يشاهدها إلا من رزقه الله الصبر وسعة البال، ليكفّر الله عنه الخطايا بحلمه وسعة باله، متى نعيش روح العمل والإنجاز على حساب القول والابتزاز؟ متى نودع الهذيان والإسهال اللفظي والإسهاب الخطابي، ونعيش المعرفة الصادقة، والوضوح مع النفس ومع الناس؟ أربعون سنة ونشرة الأخبار في العالم العربي على وضعها الأول وبحالها، تحمل النشرة الخبر والبشرى والعزاء والمديح والهجوم المضاد ومعايشة التفاصيل اليومية، التي تجري في كل شارع وقرية، قال: عبدالله البردّوني:

وقـاتـلـتْ دونـنـا الأبــــواقُ صـامـدةً
أمــا الــرّجــالُ فـمـاتـوا ثــمَّ أو هـربُـوا

وأطـفـئـتْ شـهـبُ المــيراجِ أنجـمـنَـا
وشـمـسَـنـا وتحــدّتْ نـارَهـا الخطبُ

نحـن أمة البيـان فأين إيجاز وإعجاز القرآن، لقد سمـع أعرابي قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾، فاندهش الأعرابي وصاح: الله أكبر في آية واحدة أمران ونهيان وبشارتان، كتب الرسول ﷺ إلى هرقل فقال: «أسْلِمْ تَسْلَـمْ»، وكتب سليمان إلى بلقيس: ﴿ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴾، وكتب خالد إلى عياض بن غنم (إيّاكَ أُريد)، قال راكان بن حثلين:

مــا قــلَّ دلَّ وكــثـرة الــهـرج نـيـشـان
والــهــرج يـكـفـي صـامـلـه عــن كـثـيـره

وقال الأول:

قـالـوا خـذ الـعـين مـن كـلٍّ فـقـلـتُ لـهـم:
في الـعـينِ فـضـلٌ ولـكـنْ نـاظـرُ الـعـينِ

يا فخامة الرئيس

علـى إسرائيل أن تطمئـن ولا تخاف من مفاعلات إيـران النووية، فلن تكون إيـران أغْيرَ من العرب علـى أرض العرب، ولن تكون أحرص على أرض الإسلام من سلالـة المهاجرين والأنصار، وما دام أن العرب عجزوا عن فتح بيت المقدس، فإيران أذكى من أن تورّط نفسها في حرب لا ناقة لها فيها ولا جمل.

وبيت المقدس في التاريخ الإسلامي فُتِح مرتين على يد قائدين مسلمين عظيمين صالحين هما: عمر بن الخطـاب وصلاح الدين الأيوبي، تجمعهما التقوى والزهد والعـدل والشجاعـة، ولن يفتح بيت المقدس إلا قائد تقي زاهد عـادل شجاع، ولا يفتحه قائد جاء على دبابة الاستعمار، فلابد للفتح من نكاح لا سفاح وفي الحديث الصحيـح: «الولـد للفراش وللعاهر الحجر»، وغالب الرؤسـاء تولّوا برتبة عريف، فـكان أول مرسوم له أن ترقى إلى رتبة فريـق، اقتباساً من الآية ﴿فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ﴾ أمـا الجيوش العربية فغالبها متهيئـة للانقلابات في بلادها، فـكل دولة عربيـة في الغالب تتربص بجارتها، وتتوعّدهـا بالويل والثبور، وعظائم الأمـور، وغالب الشوارع العامة في الدول العربية مرفوع فيها أقواس النصر وصور القائد الرمز الملهم الضرورة.

حتى إني دخلتُ بلداً عربيّاً وإذا صورة الرئيس القائد على الكباري والجسور، وعليـه النياشين والنجوم، وعيناه كعيني الصقـر، وهو يشير بيده للجماهير، كأنه ليث كاسر، وتحت قدميه عبارات: سر بنا إلى الأمام، يا حبيب الملايين، ويا نصير المستضعفين. مع العلم أن ثلث الشعب من المشرَّدين والثلث من المسجونين، والثلث يبيع الحلقوم والجوارب على طريق السالكين:

وحـــدويّـون والـبـلادُ شـظـايـا
كـل جـزءٍ مـن جـسـمـهـا أجـزاءُ

نـاصــريّـون نـصــرهـم أيــن ولّــى
يــوم داســت عـلـى الـخــدود الحــذاءُ؟

مــاركـســيّــون والـجـمــاهـيـر جـوعـى
فـلــمـــاذا لا يـشــبــع الـفـقـــراءُ؟

والعرب مشغولون بذكرى أعياد كبرى، مثل ثورة ٧ تموز، يوم أكل الناس قشر الموز، وثورة ٩ كانون يوم ذاق الشعب النون وما يعلمون، و ٥ آب يوم سفَّت الجماهير التراب، وهذه الثورة المجيدة تمّت بمؤامرة لاغتيال الرئيس السابق في آخر الليل، وبهذه الطريقة صار العرب نكرة في المحافل الدولية:

ولا يــجــوز الابــتــداء بــالـنـكـره
ومــــن أجـــاز ذاك فــهــو بـقــره

والعـرب شجعان في الحروب الأهلية أو مع جيرانهـم العرب، ففتح وحماس، في كـرب وباس، كل يحطّم رأس أخيه بالفاس، وحـزب الله وعدنا بنصر الله في القدس، فإذا القتال في بيروت تحت شعار ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾، والسودان يفور، من الخرطوم إلى دارفور، كأنه على دافور، وقادة الجهاد السبعة في أفغانستان تقاتلوا فيما بينهم، وكل منهم مجاهد شهيد، وخصمه منافق رعديد، والسلاح العربي غالبه (خردة) انتهت صلاحيته؛ لأنه بيع في عهد برجنيف وبعضه من عهد ديجول، والجماهير تصفّق بمناسبة افتتاح مستوصف في قرية من القرى، وفتح طريق مسفلت طوله ٣كم، وكثيرٌ من الشباب عاطل عن العمل بعدما أكمل دراسته إلى رابعة ابتدائي ليلي من محو الأمية، وأخذ كل شاب هراوة بيده

وهم يرقصون ويرددون (الحسود في عينه عود)، وما أدري من هو هذا الحسود الغبي، الذي حسد العرب ولم يحسد أهل الاختراعات والاكتشافات، الذين احتلوا المريخ وعطارد، بعدما احتلوا البحار والقفار، وأنزلوا حاملة الطائرات (إيزن هور) في مياه الخليج لتحمل مائة طائرة، وكل مسمار من مساميرها كتمثال فخامة

الرئيس، إذاً فعلى إسرائيل أن لا تخاف حتى يظهر مثل عمر وصلاح الدين؛ لأنه الماركة مسجّلة، والبضاعة لابد أن تكون من شركة مكّة الربانيّة النبوية، عليها دمغة: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ تربّوا في ﴿بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ﴾ وهم من كتيبة ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ العلامة الفارقة ﴿سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم﴾، والأمة التي رُزِقت عادل إمام سترزق بإمام عادل.

تجديد الدين

- تغير الفقه من فهم الكتـاب والسنّة والعكوف على استنباط الحكم والأسرار فيها إلى جمع أقوال الناس وحفظها ونقلها للعامة.
- لم يكن الصحابة يذكرون قول الصحابي إلا إذا كان له حكم الرفع، فلما جاء المتأخرون ذكروا أقوال كل عالم حتى اتباع المذاهب.
- تغـيرت دراسة العقيدة من معرفة المعتقد مـن الكتاب والسنة بلا خلاف إلى أن ذكرت أقوال الطوائف والرد عليها في صلب كتب العقيدة، فكلما جد شبهة أو قـول ذكروا مـن قال به والجواب عليه، فصعب علـى الطالب معرفة الحق بسهولة.
- ومـن العجائب إدخـال الكلام في العقائـد، بل تسمية العقيـدة بعلم الكلام، ودراسة هذا العلم والإنكباب إليه والتفرغ له، وهجر الدليل الشرعي.
- ومن المخالفات إدخال الفلسفة والمنطق في علوم الشرع وتعليمها الطالب، على أنها من فنون الدين وقوام الملة، حتى وجد منهم من ألم بها، وجهل علم الأثر تماماً.
- وزُحِمـت علـوم الشريعـة بفنون أخـرى: كالتاريـخ والجغرافيـا والرياضيات وغيرها، حتى ضعف طالب الشرع في فنه، وكدّ ذهنه، وما حصل على طائل.
- تغير حال كثير من المفتين إلى حفظة لكلام الناس، ونقلة لجمل الفقهاء، بلا فقـه في الآية والحديـث، وصار من يفتي بالآية والحديـث، ويأخذ من الوحي مباشرة غريباً.
- مراحل تصعيب العمل مرت بمراحل من جمع الحديث، ثم ذكر السند والرجال، وهذا عمـل محمود، ثم شرح الحديث، ثم ألف مختصرات فقهية، ثم شرحت، ثم نظرت، ثم ترك الاستدلال بالسنة مباشرة، وصار المعوّل في الفقه على الكتب المذهبية.

- كان عند الصحابة توازن في أبواب الطاعات من صلاة وصوم وذكر وجهاد وحقوق أهل وكسب ومنصب، أما المتأخرون فطغى جانب من حياتهم على جانب، فمنهم من لزم الصلاة فتنفل بمئات الركعات وترك بعض الواجبات، ومنهم من صام حتى أسوّد جلده وهجر حقوق الأهل، ومنهم من غلب الجهاد حتى أدخل قتاله للمسلمين في الجهاد الشرعي وارتكب بسببه منكرات، ومنهم من غلب التلاوة حتى ترك طلب العلم وجعل وقته للقرآن حتى صار يقرؤه هذّاً بلا تدبر، ومنهم من انغمس في علم الرواية والرجال حتى أهمل النص وهو المقصود.
- لم ينبل أحد من الصحابة بموهبة لا ينصر بها الدين، وتعز بها الملة، فلم يكونوا يمدحون أحداً بالحافظ لأشعار العرب، الراوية لأخبارهم، العارف بالآثار. ومن مدح منهم بشيء من المواهب فلما لهذه الموهبة من صلة بالدين: كحسان مدح بشعره، وثابت بن قيس بخطابته، وخالد بشجاعته؛ لأنهم سخروها لدينهم.
- قلّ القياس النظري عند الصحابة وكثر الفهم العملي، فهم يغلبون مزاولة الدين في الأعيان لا حفظ الأقيسة في الأذهان، ومدح المتأخرون بالتعمق والتدقيق الذي ذمّه السلف؛ لأن فيه تكلّفًا وتنطعًا وتشددًا.
- الإيغال في علم أصول الفقه والتدقيق فيه ليس من علوم الشريعة؛ لأن التعمق والتدقيق التي دخلت عليه إنما دخلت من قبل العجم، لأن علومهم متكلفة مرتبة بخلاف طريقة العرب الطريقة الأمية السهلة الميسرة، ولو طالعت كتاباً في أصول الفقه لجزمت جزماً أن الصحابة لم يسلكوا هذا المسلك، ولم يغوصوا على دقائق هذا الفن، الذي فيه من الإيغال والطلاسم العلمية والمصطلحات الحادثة الصارفة عن الفقه.

- المبالغة في حفظ المتون ليست من طريقة الصحابة والتابعين في طلب العلم، لكنها صارفة عن الفهم إذا صارت مقصودة لذاتها، فتجد المتأخرين صنفوا متناً في كل فن ومنظومة للعلم، ليحفظها الطلاب، فهناك منظومة للفقه وأصوله والنحو واللغة والصرف والعقيدة والمصطلح، بل نظمت بعض كتب الحديث والتواريخ وشتى الفنون، فمتى يفرغ الطلاب لفهم نصوص الشريعة، وهذه المتون تحتاج إلى زمن طويل للحفظ والمراجعة.
- كثرة التصانيف في الفن الواحد أعاقت فهمه، وجعلت الطالب في حيرة بين الأساليب والمصطلحات، فتجد في الفقه عشرات الكتب، فإذا قرأها الطالب حار في فهمها وضبطها وطالت عليه الطريق وأرهق، وربما ترك الطلب وضعف في التحصيل، وتصوّر لو اطلع الصحابة على هذه المصنفات الطويلة الثقيلة في شتى الفنون، التي صرفت الجيل عن فهم كلام الله وكلام رسوله ﷺ.
- بالغ المتأخرون في علم الفروع في الفقه، لأنها باب للجاه والرزق والمناصب، وقللوا من الاهتمام بعلوم أصول الدين وأبواب الإيمان ومن أعمال القلوب، فأكثر كلام الفقهاء في مسائل الخلاف، والرد على الخصوم، والانتصار لأقوالهم، وتقوية مذاهبهم، مع إهمال التفكير في أسماء الله تعالى وصفاته، ومسائل الآخرة وعلم الغيب، وغيرها من أصول الدين، والكثير هجر أعمال القلوب ودراستها: كالرغبة والرهبة والخوف والرجاء والمحبة ونحوها من المهلكات: كالكبر والحسد والعجب والرياء، حتى وقع فيها.
- وبالغ كثير من الدعاة في السياسة، وأوغلوا فيها على حساب دروس العلم والفقه في الدين وجعلوا.... الخلافة من أهم مقاصد الدين، وأهم مقاصد الدين التوحيد، والتفقّه في الكتاب والسنة، ولما تعمق كثير من الدعاة في السياسة أعرضوا عن الكتاب والسنة وقست قلوبهم وأهملوا النوافل واشتغلوا

بالجدل ثم واجهوا الحكام في صدام دموي، أعقب لهم السجون والمعتقلات، وعاد ذلك بالضرر على الدعاة؛ لأن الطريق لم تكن شرعية صحيحة.

- ومن الخطأ الكبير إضعاف تعلم القرآن في المدارس والجامعات، وجعله مادة ثانوية، والاهتمام بعلوم الدنيا وثقافات الناس، وإشعار الطالب أن القرآن للبركة، وهذه العلوم لقيام الحياة، فانهمك الطالب في دراسة ما كتبه البشر، ومراجعة ما صنفوا، وترك للقرآن وقتاً قصيراً إن كان عنده تدّين، فجاء إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بفكر منهك وقلب مرهق، فقلّ فهمه للوحي، ونزعت البركة في حياتهم.
- ومن التجديد إعادة خطبة الجمعة لسابق عهدها من التقصير والاهتمام بغرس الإيمان في القلوب، وزجر القلوب عن المعاصي، وعدم الاسترسال في أمور فكريّة جدليّة، أو ثقافية تنظيريّة، أو سياسية، لا ينتفع بها الحضور، وليس لهم قدرة في فعل شيء من الأحداث، بل يشتت أذهانهم ويخرجون ولم ينتفعوا بالخطب؛ لأن مقصود الخطبة وعظ الناس وتذكيرهم وإرشادهم لما ينفعهم وزيادة إيمانهم بما يسمعونه من كلام نافع من مشكاة النبوة.
- ومن التجديد إعادة الناس إلى تفسير كتاب الله بالمأثور من كلام رسول الله ﷺ وكلام أئمة الإسلام من أهل العلم والإيمان، أما تحميل كلام الله ما لا يحتمل والتكلف والتقعر في استخراج معان لا تدل عليها الآية، فهو على خلاف هدي السلف، بل يؤخذ من الآية ما وافق اللغة ومقاصد الشريعة ومدلول الكلام والفطر السويّة، وقد أسهب كثير من المفسرين في إيراد معان للقرآن لا دليل عليها، بل صارت مشغلة عن تدبر القرآن.
- ومن التجديد إعادة قراءة سيرة الرسول ﷺ مع تفاصيل حياته المباركة، والتمعن في أيامه وأخباره وهديه ﷺ، والتّدرب على تطبيقها والعمل بها خلافاً لمن جعل السيرة أخباراً عامة كسرد الغزوات، ولم يذكر تفاصيل حياته ﷺ،

فأصبح التصور عند الجيل عن سيد الخلق ﷺ ضعيفاً، وأصبحوا فقط يعرفون أشياء عامة، مثل مولده وهجرته وغزوة بدر ونحوها، وهذه وحدها لا تذكي نار المحبة والاقتداء به ﷺ عن اتباعه.

- ومـن الخطأ الانغماس في المسائل الجدليـة التنظيريه وإهمال العملية، وهذه طريقة المفكرين، فإنهـم يشغلون أنفسهم والناس بجدل عقيم وتحليل سقيم وفي المقابـل يهملـون ما يجدر بحثـه من مسائـل عملية وأخلاقية دعـا إليها الشـرع، وهي مـن أسباب النجـاة والفوز، فلمـا سمع النـاس تهويل المثقفين والمفكريـن لفنونهم اغتر الكثير، وظن أن هذا الفـن أنفع وأجدى من مسائل الدين وأبواب الشريعة، فأعرضوا عنها.
- والمحافظـة على طبيعـة الدين في اليسر واجـب، لأن الشريعـة سمحة، ومن الخطـأ تقليـد الرهبان في التبتل المنحرف، كما فعل غـلاة الصوفيّة، بل نهج هديـه ﷺ في التوسـط والاعتدال والترفـق بالجسم والتلطـف بالروح، وقد أخطـأ بعض العبّـاد في التشديد على النفس، حتـى أدى بعضهم الاجتهاد في العبـادة إلى المرض، وهذا خـلاف السنة، وظنوا أنهم كلما أوغلوا وتعمّقوا في الدين ازدادوا قربا، والقرب في اتباع السنة.
- حرص الصحابة على زيادة الإيمان وإخلاص النيّة وأعمال القلوب أعظم في حرصهم على زيادة العمل وكثرة المجاهدة.
- كانـوا يجتنبـون أمرين شنيعين غايـة الاجتنـاب، وهما الكفر والنفـاق، أما غيرهما من الذنوب فتحصل منهم.
- كانـوا سهلين ميسرين، لا يتكلفون ولا يتنطعون، عبادتهم معقولة، يستطيع أن يقوم بها غالب الناس؛ لأنهم على الحنيفية السمحة.

- لا ينقرون في المسائل، ولا يتعمقون في قضايا العلوم، ولا يذكرون أقوالاً في المسألة، بل يأخذون بأيسر وأصح الأقوال.
- يبتعدون عن الغرائب والشواذ، وينكرون البدع، وينهون عن التشدد، ويحرصون على لزوم السنة.
- كانوا يأخذون من الشريعة ما تنفر عنه الطبيعة، أي أن الواحد منهم يسلك ما يناسبه من غنى أو فقر، ومن قوة أو ضعف، ومن جاه أو خمول، ومن خلطة أو عزلة.
- كان التفاضل عندهم بالأسبقية إلى الإسلام والأعمال الصالحة والمقامات الجليلة في نصرة الدين.
- كانوا لا يتعسفون المواهب، بل يجرون مع ما أعطاهم، الله فيسخرونها في نصرة دينهم: كالخطابة والشعر والشجاعة والكرم
- كانوا يسلكون من العلم المعروف المشهور، ولا يأتون بغرائب الأقوال ومنكرات المسائل.
- لم يكونوا أهل فنون ومصنفات، بل كانوا أهل قلوب سليمة، وأفكار قويمة، وفطر صحيحة.
- اهتموا بفهم النص ومعرفة مقاصد الشرع، وأعفوا أنفسهم من تكلف الوسائل المعيقة من العلوم الغير مقصودة لذاتها.
- لم يجمعوا علوم الأمم الأخرى صيانة لما عندهم من الحق، فسلمت أذهانهم من لوثة الانحراف، وقلوبهم من كدر الإعراض عن الوحي.
- كان رسول الله ﷺ يداوي داء كل واحد منهم بما يناسبه، فأبو ذر بـ «لا تغضب» والسب في لسان حذيفة بالاستغفار، وصاحب الشهوة الجامحة بالصوم... إلخ
- لم يكن في حياتهم العلمية جمع لقصص الناس وأخبار الأمم، ولم يحرصوا على ذلك، لأنها شاغلة لهم لو حصلت عن الكتاب والسنة.

- كان الشعر في مجالسهم قليل بقدر الحاجة، ولم يتوسعوا فيه، وورد فيه ذم من صاحب الشرع، فاقتصروا على المثل والشاهد والحكمة وما ينفع.
- لم يطلبوا الفنون لذاتها، بل بقدر ما تعينهم على نشر الشريعة، فلم يتعلموا الخطابة تعلماً، ولم يحفظوا الشعر، ولم يتدربوا على المناظرة والجدل.
- كانوا يفهمون أكثر مما يحفظون، حتى قل في كبارهم حفظ القرآن والحديث، مع غزارة الفهم وصدق التوجه وحسن العمل.
- لم يفسروا القرآن كلمة كلمة أو آية آية، بل فهموا عمومه، وأخذوا بظاهره، وعرفوا مقاصده.
- لم يعقدوا مجالس للمناظرة والجدل، بل ورد النهي بذلك، وجعلوا مكانها الذكر ومدارسة القرآن والتفكر في النعم.
- لم يخرجوا من الدنيا خروج الرهبان، ولم ينغمسوا فيها انغماس الأحبار، بل أخذوا بقدر الحاجة، وتناول المتاع الحسن في نطاق الحلال.
- لم يكن عندهم دروس طويلة، ولا محاضرات ولا ندوات، وإنما كلمات نافعات، وعظات بالغات موجزات.
- كان عندهم اجتهاد في عمل القلب، واقتصاد في عمل الجسم، فسبقوا من بعدهم مع اليسر.
- لم يضيفوا أي طريقة أو هيئة أو صورًا على السنة: كالتحلق للقصص والمسبحة ومجالس المناظرة أو شرح الدليل أو طلب علم الوسائل.
- لم يوغلوا في العزلة، بل خالطوا لحاجتهم للخلطة، فكانوا مع المصلحة من الخلطة والعزلة.
- لم يتركوا الدنيا إذا قوّت الدين، ولم يطلبوها إذا أشغلتهم عن طاعة رب العالمين.
- تركوا تشقيق مسائل العبادات، وتوليد أعمال القلوب، واجتنبوا مصطلحات الأمم الأخرى الدخيلة.

- لم يكن عند علمائهم الرغبة في الرد لذاته، وإفحام الخصم وقهر المجادل، بل كان كلامهم قليلاً لإثبات الحجة وزيادة اليقين.
- لم يكن عندهم طوائف عقدية، ولا فرق مذهبية، ولا أحزاب سياسية، بل كانوا جماعة المسلمين.
- لم يتكلفوا في حياتهم إحضار مفقود، ولا رد موجود من وسائل العيش وصنوف النعيم في الزواج.... والطعام واللباس والسكن ونحو ذلك.
- لم يتمادوا بالمواهب إلا إذا أعانتهم على العبادة، فلم يظهر فيهم مقولة: أحفظ الناس، وأخطبهم، وأرواهم، وأسرعهم بديهة، فكان أبواب التفاضل عندهم طاعات، لا مواهب ومهارات.
- ومن تجديد الدين البقاء على أساليب الشريعة كتاباً وسنة بعيدًا عن تعمق الفلاسفة، وتحذلق المتكلمين، وتشدق المفكرين، وقد ألمح الشاطبي إلى المعنى، وبين أن الشريعة سمحة سهلة على أساليب أهل المنطق وعلماء الكلام، فالواجب المحافظة على هذا النهج في فهم الشرع.
- ومن ذلك البعد عن الإغراق في الجزئيّات، والانهماك في مسائل الفروع، على حسب الأصول والاشتغال بالخلفيات، وإهمال القواطع والثوابت، فإن المتأخرين أسرفوا في ذكر عشرات الأقوال في المسألة الواحدة، وأنت لو فتشت في كلام الصحابة لا تجد صحابيّاً يقول في مسألة: فيها قولان؛ بينما وصل الحال بالمتأخرين إلى أن ذكروا في مسألة واحدة أكثر من أربعين قولاً، كما في ليلة القدر في فتح الباري.
- ومن تجديد الدين تغليب الفقه على الحفظ في طلب العلم.
- ومن ذلك الاهتمام بالأخلاق والآداب، فقد جردت كثير من كتب العلم الفقه، ولم تذكر معه الخلق والآداب.

- والإسهاب في تفسير القرآن بكل قول مشغلة عن فهمه.
- والانهماك في النوافل بلا تدبر وتعقل لأعمال القلوب عمل مفضول.
- والرد على المخالف يكون بالأكثر خلافاً، وهكذا فالرد على الكافر قبل المبتدع، والمبتدع قبل المخالف في الفروع.

obeikandl.com

obeikandl.com

وفي الختام

﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٨١ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

«سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك».

«اللهم، صلّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد».

opeikandl.com